جدة

في أعين الرحالة

الجزء الثاني – جُدّة بعدسة ذاكرة الرحالة

عدنان عبدالبديع اليافي

جدة في أعين الرحالة
الجزء الثاني – جُدّة بعدسة ذاكرة الرحالة
عدنان عبدالبديع اليافي

المؤلف في سطور:

• ولد عدنان عبدالبديع اليافي بمدينة جدة عام (١٩٥٠م)، وأكمل فيها تعليمه الإبتدائي والإعدادي والثانوي، وتحصّل على الشهادة الثانوية من مدراس الثغر النموذجية بجدة عام (١٩٦٧م).

• تم ابتعاثه من قبل الدولة في عام (١٩٦٧م) إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسات العليا حيث تحصل على شهادة البكالوريوس في الرياضيات عام (١٩٧٣م) والماجستير في إدارة الأعمال عام (١٩٧٨م) والدكتوراة في بحوث العمليات عام (١٩٨٣م) من جامعة تكساس في مدينة أوستن.

• بدأ العمل في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة في عام (١٩٧٩م)، كعضو هيئة التدريس بالجامعة، بالإضافة إلى عمله نائباً لمدير عام مركز أبحاث الحج، وبعد انتقال المركز إلى جامعة أم القرى عين بها عضواً في هيئة التدريس، واستمر تكليفه بالعمل نائباً لمدير عام مركز أبحاث الحج، شارك في العديد من المؤتمرات واللجان الإدارية والتنظيمية والمالية التي كانت تُعقد في المملكة العربية السعودية وخارجها، لتنظيم أمور (الحج) قبل أن ينتقل للعمل في القطاع الخاص في عام (١٩٨٨م).

• له العديد من البحوث العلمية المنشورة في مجلات علمية، وأدبية عربية وأجنبية مختلفة، بالإضافة إلى مشاركته في كثير من الدراسات التي أصدرها مركز أبحاث الحج خلال تشرفه بالعمل في المركز.

• للدكتور اليافي عدة مؤلفات باللغتين العربية والإنجليزية في مجالات علمية وبحثية مختلفة.

بسم الله الرحمن الرحيم

جُدَّة

في أعين الرحالة

الجزء الثاني

جُدَّة: بعدسة ذاكرة الرحالة

خلال ألف عام

عدنان عبدالبديع اليافي

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

ⓒ عدنان عبدالبديع اليافي اليافي، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
اليافي، عدنان عبد البديع بن توفيق
جُدَّة في أعين الرحالة الجزء الثاني. / عدنان بن عبدالبديع بن
عبدالبديع بن توفيق اليافي – جدة ، ١٤٤٣هـ
٦٨٨ص؛ ١٧ X ٢٤ سم
ردمك: ١-٠٨٥١-٠٤-٦٠٣-٩٧٨
١- جدة – تاريخ – السعودية أ. العنوان
ديوي ٩٥٣,١٢٣ ١٤٤٣/٦٩٠٧

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٦٩٠٧
ردمك: ١-٠٨٥١-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

صدق الله العظيم

سورة الحجرات: الآية (١٣)

تنويـة

القاريء الكريم ...

يحتــوي هذا المؤلف علــى جزئين منفصلين يرتبطان عضويــاً ويكمل بعضهما الآخــر ومع ذلك يمكن قراءة كل جزء على حدة، حيث يحتوي الجزء الأول جُدَّة الزمان والمكان على تاريخ جُدَّة ومجتمعها وأهلها ومســاكنهم وغير ذلك، ويحتوي الجزء الثاني من هذا المؤلف على جُدَّة في أعين الرحالة خلال ألف عام من خلال مناقشــة بعض الرحلات إلى هذه المدينة العريقة خلال فترة زمنية تجاوزت الألف عام.

ولا بد من أن أُشــير إلى أن أجزاء من هذا الكتــاب مبنية على مقالات كنت قــد كتبتها فآثرت أن أجمعها وأضمنها هذا الكتاب لأنه ليس بوســع كل قارىء أن يبحــث عن هذه المقالات التي ارتأيت أهميــة أن تبقي في ذاكرة المدينة ليصل نفعهــا للباحثين والمتخصصين، فحرصت على جمعهــا هنا مع بعض التعديلات والتحسينات التي يتطلبها الكتاب .

ولقــد حرصت على أن أســتقي معلوماتي من أمهات الكتــب ومن المصادر والمراجــع التاريخيــة المعتمدة وكذلك من كتــب البلدانيين مــن مؤرخين ورحالة وجغرافيين وغيرهم، سواء كانوا عرباً أم غربيين أم غير ذلك .

سافـــر تجـد عوضاً عمَّن تفارقـــــهُ
وَانْصَبْ فَإنَّ لَذِيــذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
إني رأيتُ وقــوفَ المـــــاء يفســـــدهُ
إنْ سَــاحَ طَابَ وَإنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِــبِ
والأســدُ لولا فراقُ الأرض ما افترست
والسَّــهمُ لولا فراقُ القوسِ لم يصــب
والشــمس لو وقفت فــي الفلكِ دائمة
لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْــمٍ وَمِنَ عَرَبِ (١)

الإمام الشافعي

١- ســليم، محمد إبراهيم: ديوان الإمام الشــافعي المســمى الجوهر النفيس في شــعر الإمام محمد بن إدريس، مكتبة بن سينا، القاهرة، ص/٢٦ .

يقول الإمام الشافعي في فوائد السفر:

تغــرب عن الأوطــان في طلــب العلا
وســافر ففــي الأســفار خمــس فوائد
تفــريــج هــم، واكتســاب معيــشــة
وعلـم، وآداب، وصحــبة ماجـد [٢]

٢- المصدر السابق، ص/٦١ .

الباب الأول

الفصل الأول

في أدب الرحلة

الإنسان رحالة

يقول الأستاذ فؤاد قنديل: خلق الله الإنسان محباً للحركة والتنقل، وأمده بالعقل الذي يدعوه لذلك، والجسم القوي الرشيق الذي يعينه على الانتقال من موضع لآخر، بحثاً –في البداية– عن طعامه وشرابه، هرباً من القوى المعادية، وقد بدت له عاتية مخيفة، سواء كانت الطبيعة من برق ورعد وعواصف أو فيضانات وزلازل وبراكين أو كانت حيوانات ضخمة كالديناصورات والأفيال، أو مفترسة كالأسود والنمور والذئاب.

فالحركة روح الحياة وهي سمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان وقد هيأه الله لها، وجعلها إمكانية ضرورية لحياته، تتسق مع الهدف من إيجاده والغاية التي خلق لأجلها، وهي عبادة الله وتعمير الأرض[٣].

ويبين قنديل أن كتب التاريخ الطبيعي والأنثروبولوجيا وغيرها تشير إلى أنّ الإنسان لم يتوقف عن الحركة والتنقل، حتى بعد أن تعلم الزراعة وعرف كيف يستقر ويبني ويؤسس المجتمعات[٤].

ولقد ظل الإنسان على مر العصور يتطلع إلى الآفاق البعيدة ويفكر فيما تضمه من بشر وما تحويه من كنوز وخيرات. ويزداد تفكيره في ذلك حين تضيق به الحال ويجف الماء ويقل عنده ما يملأ به بطنه ويسعد قلبه.

وهو إلى جانب ذلك حريص على أن يعرف من أين ينبع النهر الذي يتدفق في أرضه وإلى أين ينتهي، وهو لا يستطيع أن يفكر وهو حبيس داره ودياره، وهو يريد أن يعرف، ودوافع الرغبة في المعرفة بلا نهاية.

٣– قنديل، فؤاد : أدب الرحلة في التراث العربي، مصدر سابق، ص/١٧ .
٤– المصدر السابق، ص/١٧ .

وهو الإنســان لا يكف عن السؤال.. كيف وأين ومتى ولماذا؟ ومع تقدم الوعي وتجدد الحاجات، تزداد رغبة الإنســان في الســؤال، وفي الانتقال والسفر، وتتنوع الأسباب التي تدفع لهذا السفر.

وإذا كان عالمنا اليوم قد أصبح قرية صغيرة يتواصل أهلها بوســائل الاتصالات الحديثــة المتعددة، فإن العالم في الماضي، كان قــرى ومدناً كثيرة مبعثرة فوق رقعة هائلة من المعمورة، ولم يكن من ســبيل للتجارة مع الغير أو لمعرفة الأحوال خارج المدينــة الواحدة ســوى الترحال، حيث لم يعرف الناس في تلك الأزمنة وســائل الاتصال المعروفة اليــوم كالهواتف والإنترنت وغيرها، ولم تكن هناك تلفزيونات أو راديوهات ولم تكن الأقمار الصناعية قد اخترعت بعد.

وقــد فرض كل ذلك على الناس –آنذاك– إيجاد وســائل أخرى للتواصل فيما بينهم والتعارف واكتشــاف المجهول ومعرفة الآخــر كالترحال مما عمق أهمية دور الرحالة منذ ذلك الزمن القديم.

والإنسان في رحلة دائمة من مهده إلى لحده فولادته رحلة من رحم أمه إلى الدنيا الفانية. ورحلته اليومية من البيت إلى المدرسة أو إلى العمل او السوق تتكرر مدى الحيــاة. ورحلته من دنيانا هذه إلى بطــن الأرض هي خاتمة رحلات حياته. وبين رحلته الأولى والأخيرة هو في ترحال دائم. فرحلات البعض منا للإجازات الصيفية هي حدث يتطلع إليه الناس وينتظرون قدومه سنوياً. وكل مسلم يتشوق إلى رحلة الرحلات، الحج إلى بيت الله الحرام.

ومنــذ أول رحلة خارج الكرة الأرضية والتي قام بها رائد الفضاء الروســي يوري جاجرين في ١٢/٤/١٩٦١م والإنسان يتطلع إلى الارتحال والسفر إلى الفضاء.

ومنذ أن حط رواد الفضاء الرحال على ســطح القمر لأول مرة في العشرين من شهر يوليو سنة ١٩٦٩م على متن المركبة الفضائية «اوبوللو ١١» التي كان يقودها نيل أرمسترونج ومساعده دوين باز ألدرن، والإنسان العادي يتطلع إلى زيارة القمر بل ويتطلع البعض حتى للذهاب إلى خارج مجرتنا هذه في فضاء الله الواسع.

ثم هنـــاك الرحلات التي أســـفرت عن إنتاج مادة مكتوبة ذات طبيعة إنســـانية وتاريخية وجغرافية، انعكســـت بشـــكل ما على رؤية كاتبها واستفاد منها المجتمع الإنساني مثل رحلات الرحالة والمؤرخين إلى مختلف البلدان الذين نشروا كتباً تحكي قصص رحلاتهم ومشاهداتهم خلال تلك الرحلات.

كما أن هناك رحلات لقضاء الأعمال مثل المهام الدبلوماســـية كالســـفارات، أو الخدمـــات الطبية كمرافقة البعثات الطبية للحجاج من بلدانهم إلى جُدَّة ومكة المكرمة وغيرها من مدن ومحطات الحج أو غير ذلك من الرحلات التي تهدف إلى إنجاز المهام.

وقد زودنا كثير ممن قاموا بهذه الرحلات –منذ القدم– بكتب تحوي انطباعاتهم ومشاهداتهم في رحلاتهم، ونتج عن ذلك ظهور علم الجغرافية أو تقويم البلدان.

(الجغرافية) أو تقويم البلدان والرحلات

يذكر جورج غريب في كتابه عن تاريخ وأعلام أدب الرحلة أن الناس احتاجوا قديماً إلى معرفة الطرق والبلاد، إما للتجارة وإما للفتوحات، فكان عليهم أن يلجأوا إلى التجار والفاتحين لجمع ما لديهم من معلومات، فلما تم لهم شيء من ذلك بتوالي الأزمان، أخذوا يتداولونه.

ويرى غريب أن لفظ جغرافية، لحد ذاتها، كافية للدلالة على أن نبعة هذا الفن ليست عربية، فيقول: «فكل ما ذكر للعرب، قبل نقل الجغرافيا إلى العربية، وصف الطرق والبلاد والمدن».

وأقول: إن العرب والمسلمين ساهموا بشكل كبير في تطوير هذا العلم ويكفي لإثبات ذلك أن نذكر بعض الأسماء العربية في هذا الحقل مثل ابن حوقل والإدريسي وياقوت وغيرهم من الجغرافيين العرب.

ويرى غريب أن «أول من وضع أساس علم الجغرافيا، هم الفنيقيون، أقدم تجار العالم وأكثرهم أسفاراً .فقد اطلعوا أثناء أسفارهم، على أحوال كثير من البلدان، وعرفوا المسافات بينها، واطلعوا على تواريخ شعوبها وأخبارهم»[٥].

ويرى غريب أن رجال الاسكندر، في حملتهم على العالم، واختراقهم آسيا إلى بلاد الهند، كانوا يجمعون أخبار أواسط آسيا وأعاليها لغرابتها . كما قال غريب: إن البطالسة والرومان وغيرهم، عملوا ما عمله من قبلهم في هذا المضمار.

ويستنتج جورج غريب أنه من كل ذلك تجمع على مرور الأجيال معلومات

٥- غريب، جورج: أدب الرحلة، مصدر سابق، ص/٢٥.

متقطعة، ثم توجهت الجهود إلى جمعها وترتيبها، وضبط أجزائها، وجعلها عِلماً. وقال غريب: إن أول من فعل ذلك كان أرتستين اليوناني المتوفى عام ١٩٦ق.م. وعقبه كثيرون، أمثال الرحالة إسترابون، والجغرافي بلينيوس حتى جاء بطليموس القلودي في أواسط القرن الثاني للميلاد، فألف كتاباً وافياً في الجغرافية. فلما جاء الإسلام كان هذا الكتاب مستند الباحثين في تقويم البلدان. وهو نفسه ترجمة العرب في العصر العباسي وسموه جغرافية، كما ترجموا كتاب بطليموس الثاني وسموه المجسطي. وإلى هذين الكتابين خاصة، رجعوا في كتاباتهم في علم الجغرافية[٦].

الجغرافية عند المسلمين:

يرى جورج غريب أن المسلمين، بدأوا بوضع الجغرافية، قبل وقوفهم على كتاب بطليموس، ودليله على ذلك أن العرب من أكثر الأمم فتحاً وغزواً، وأنهم كانوا تجاراً من زمن الجاهلية، لذا فمن الطبيعي أن تزداد تجارتهم بازدياد الفتوحات بعد الإسلام . كما بين غريب أن هناك أسباباً خاصة يمتاز بها العرب وهي:

١-الحج وهو فريضة على المسلم أينما كان .

٢-الرحلة في طلب العلم، وذلك يستلزم معرفة الأماكن والمناطق. وإلى ذلك التفت العرب في تآليفهم الأولى في الجغرافية. وبين غريب أن ياقوت يذكر في معجمه أن المؤلفين الأول كانوا رواة الأدب والشعر كالأصمعي، والسكوني ثم الهمداني وأبو الأشعث الكندي فيما بعد.

٣-اختلاف العرب في طرق الفتح باختلاف البلاد للحكم في أخذ الجزية وتحصيل الخراج وما إلى ذلك مما يستدعي معرفة التاريخ والجغرافية.

ويقول غريب: إنه عندما نقلت الجغرافية إلى العربية، احتذى العرب على مثالها، وزادوا عليها ما عرفوه من قبل، وتحققوا الأشياء بأنفسهم، فأصلحوا كثيراً من

٦- المصدر السابق، ص ص/٢٥ – ٢٦ .

مغالــط بطليموس. على أن هذا العلم لم ينضــج إلا في القرن الرابع الهجري أي زمن نضج التاريخ.

ويكمل غريب قائلاً: وفي مســتهل هذا القرن الرابع الهجري ألف الشــيخ أبو زيــد البلخي كتابه (صور الأقاليم) «وقد ضاع». وكان أبو إســحاق الفارســي الاصطخري المعــروف بالكرخي معاصراً لأبي زيد، فقام بأســفار عديدة وعرف بنفسه كثيراً من البلاد والبحار، فاعتمد على ذلك وعلى كتاب البلخي في تأليف كتابه «مســالك الممالك» لذلك ترى عند الاثنين تقسيم بلاد المسلمين عشرين قســماً. ونبغ نحو ذلك العهد ابن حوقل صاحب كتاب « المسالك والممالك». وللدلالة على أسفاره سمعه يقول في مقدمة كتابه : « فبدأت سفري هذا من مدينة الســلام يوم الخميس لسبعٍ خلون من شــهر رمضان سنة ٣٣١هـ ... الخ» وبين كتاب ابن حوقل والاصطخري شبه كبير.

ثم يقــول غريب: وهكذا نجد أثر الرحلات في كتــب الكثيرين من نوابغ القرن الرابع الهجري، أمثال ابن الفقيه الهمداني، والمقدسي والمسعودي، فهذا الأخير بلغ أقاصي الهند «وذكر ما شاهده وخبره في كتبه الجغرافية والتاريخية»

ثم يختتم غريب بقوله: «وظلت كتب الجغرافية هذه عند المسلمين حتى هبّ من وضع المؤلفات التاريخية كما رأينا، والمعجمات الجغرافية مرتبة على أحرف الهجاء، أمثال ياقوت الحموي المتوفي عام ٦٢٦هـ، فله كتاب ضخم هو «معجم البلدان» الذي يعد بمثابة قاموس جغرافي تاريخي أدبي، لما تضمن من وصف البلدان وتراجم الناس. ولابي الفداء وغيره شيء من ذلك، فضلاً عن الرحلات الكثيرة التي خدم بها العرب علم الجغرافية[٧].

٧- المصدر السابق، ص ص/٢٦-٢٨ .

أغراض الرحلات وأهدافها

الرحلات قديمة قدم الإنسان، لأنها مرتبطة به وبحياته، وقد تكون الرحلات قد بدأت قبل أن يسكن الإنسان الأرض. فنزول سيدنا آدم عليه السلام هو وأم البشر السيدة حواء إلى الأرض قد يمكن اعتباره بداية الرحلات. كما يمكن القول إن تحرك الإنسان من مكان إلى آخر يعتبر بمثابة رحلة. فهنالك الرحلات اليومية من السكن إلى العمل، ومن القرى إلى المدن، والرحلات تقصر وتطول مسافتها أو أزمانها، حسب الظروف المحيطة بالرحلة وبصاحبها وبحسب أهدافها. سواء كان ذلك بسبب وسائط النقل أو وضع الطرقات، أو صحة المسافر، أو غير ذلك من العوامل المؤثرة على سير الرحلة.

كما أن الخلفيات العلمية للرحالة تختلف من شخص لآخر. فهناك الرحالة الأديب، وهناك المؤرخ. وقد يكون الرحالة عالم فلك أو طبيب أو ضابط عسكري أو دبلوماسي أو تاجر. وربما يكون الرحالة قاصداً في رحلته بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج وزيارة مسجد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– والتشرف بالسلام على صاحبه –صلى الله عليه وآله وسلم–.

ويذكر الأستاذ فؤاد قنديل في كتابة «أدب الرحلة في التراث العربي» بعض دوافع الرحلات كالتالي:

دوافع دينية:

كالارتحال إلى الأماكن المقدسة. كالحج والعمرة وغير ذلك من الارتحال استجابة لنداء الرحمن، وتوبة وتطهيراً للنفس وأملاً في المغفرة.

دوافع علمية أو تعليمية:

بغــرض الاســتزادة من العلم في منطقة أخرى من العــالم ذاع صيت أبنائها في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها.

دوافع سياسية:

كالوفود والســفارات الــتي يبعث بها الملوك والحــكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات وغير ذلك.

دوافع سياحية وثقافية:

تصدر عن رغبة في الطواف نفســه والسفر لذاته، وحب التنقل وتغيير الأجواء والمناظر وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة، ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر، وقد تكون للتعرف على المعالم الشهيرة كالآثار والأبراج والغرائب والعجائب.

دوافع اقتصادية:

للتجارة وتبادل الســلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية، أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتندر في بلد المسافر. وقد يكون هرباً من الغلاء وسعياً وراء الرخص واليسر والوفرة أو العمل.

دوافع صحية:

كالســفر للعلاج أو الاستشفاء أو إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية وغيرها.

دوافع أخرى:

قد لا يعدم الإنسان من أن يجد أسباباً أخرى للارتحال كالسخط على الأحوال وضيق العيش ، أو الهرب من أمر ما[٨].

ولأســباب مختلفة (مثل رحلات البعثــات الطبية التي كانت ترافق الحجاج عند

٨- قنديل، فؤاد: أدب الرحلة في التراث العربي، مصدر سابق، ص ص/١٩-٢٠.

قدومهم من بلادهم إلى الديار المقدسة أو رحلات الأطباء لعلاج المرضى في مناطق كانت قديماً تفتقر إلى الكوادر الطبية اللازمة، أو رحلات الأطباء الذين يذهبون إلى مناطق لدراسة بيئتها الطبية والطبيعية واكتشاف الأعشاب والنباتات الطبية التي تنمو على أرضها أو غير ذلك من الاستكشافات).

ويقول الأستاذ قنديل: وأياً كان الغرض من الرحلة فإنها في أغلب الأحوال سلوك إنساني حضاري، يؤتي ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة، فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها، وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها.

وينقل لنا قنديل قول أبو الحسن المسعودي:

«ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار من إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار، ووزع بين أيامه تقاذف الأسفار، واستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفيس من مكمنه».

رحلات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام

رحـــلات عديدة هامة قام بها أصحاب الرســـالات الســـماوية والأنبياء الكرام عليهم الســـلام، مثل رحلة نبي الله نوح عليه الســـلام في الفلك. تلك الرحلة التي أنقذ الله ســـبحانه وتعالى بها الإنسانية من الفناء بالطوفان. ورحلات أبو الأنبياء، إبراهيم عليه الســـلام، ســـواء رحلته إلى مصر مع زوجه سارة، أو رحلته التي أخذ فيها الســـيدة هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام إلى مكة المكرمة ليسكنهم في واد غير ذي زرع عند البيت العتيق، هما رحلتان أسهما إسهاماً مباشراً في تغيير مسار البشرية إلى الخير والصلاح. ورحلات أنبياء الله موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام إلى مصر وغيرها هي رحلات تاريخية هامة ذكرت في القرآن الكريم، أو السنّة المطهرة، أو بعض المصادر التاريخية المختلفة. ولا شك أن رحلة الرحلات في تاريخ البشـــرية جمعاء هي الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

رحلات الحج

يقول علامة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر –رحمه الله–:

إن كتب الرحلات التي ألفت في وصف المدينتين الكريمتين (مكة) و(طيبة)، لم تنل ما تستحقه من الدراسة، مع اعتبارها من أوفى المراجع وأوثقها، وأشملها، عما يتعلق بالمنطقة من النواحي التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والجغرافية، منذ تدوين تلك الرحلات إلى عصرنا الحاضر.

ويقول الجاسر: «ولقد كانت مكة –وما تزال– نقطة التقاء ومركز تجمع لجميع المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية، ولهذا كانت من أقوى مراكز نشر الثقافة بين تلك الأقطار وكانت صلة وصل بين علماء الأقطار الإسلامية في شرق البلاد وغربها، وشمالها وجنوبها في مختلف العصور الماضية».

ويستطرد الجاسر قائلاً :

« وكان العلماء في العصور الأولى يقصدونها من مختلف أقطار العالم الإسلامي ليؤدوا ركناً من أركان دينهم أداؤه فرض، وليضيفوا إلى ذلك أموراً من أهمها التزود بزاد العلم والمعرفة»[٩].

وكما في العصور الأولى للإسلام فقد استمر تدفق العلماء الرحالة إلى الأراضي المقدسة لأداء الفريضة والاستزاده من العلم في البلد الحرام ولم ينقطع ولله الحمد إلى يومنا هذا.

يقول الشيخ حمد الجاسر –رحمه الله– في مقدمة كتاب (اكتشاف جزيرة العرب) إنه: «لا مغالاة في القول بأن لكثير من علماء الغرب من مستشرقين وغيرهم، يداً طولى في إبراز معالم تاريخ جزيرة العرب، وفي كشف ما خفي من أثارها، فضلاً

٩– الجاسر، حمد: أشهر رحلات الحج، مصدر سابق، ص/١١ .

عما لهم من فضل في إحياء التراث الإسلامي، والشرقي بوجه عام».

ويستطرد الجاسر قائلاً : «ومن الإنصاف، بل من الاعتراف بالفضل لذويه، القول بأن كل مَعْنِيٍّ بالبحث في تاريخ الجزيرة وجغرافيتها، ما يزال عالةً على ما نشره أولئك المستشرقون وحققوه من المؤلفات القديمة عنها».

ويضرب الجاسر على ذلك مثالاً بكتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي الذي يقول «إنه يُعتبر من أوفى المراجع عن الجزيرة العربية بل عن البلاد الإسلامية في القرن السابع الهجري وما قبله».

ويبين الجاسر أن المستشرق الألماني (فردنند وستنفلد) قام بجهد كبير وإتقان في تحقيقه ونشره بعد تحقيق نصه، والرجوع إلى مصادره ووضع فهارس مستوفاه كاملة له.

وضرب الجاسر أمثلة أخرى لمصادر تاريخية أساسية قام المستشرقون بتحقيقها مثل كتاب (معجم ما استعجم) لأبي عبيد البكري الأندلسي وكتاب(صفة جزيرة العرب) للهمداني وغير ذلك[١٠].

كما يقول الجاسر إنه قبل هؤلاء المستشرقين أتت فئة أخرى وهم الرحالة ويقول عنهم: إنهم «فئة الرواد من العلماء والمغامرين الغربيين، الذين كشفوا كثيراً من معالم جزيرة العرب وآثارها، وعرفوا المجهول من مختلف أخبارها وأحوالها، بعد أن جاسوا صحاريها، واخترقوا فيافيها وقفارها، ووصلوا إلى أصقاعها النائية، وتوغلوا في مجاهلها، مدفوعيين بدوافع مختلفة، مستهينين في سبيل ذلك بجميع الأخطار والصعوبات، مهما بلغت من شدة وعنف، ضاربين أروع الأمثال بصبرهم وجَلَدِهم، وتحملهم لنمط من حياة الشظف والقسوة، قل أن يستطيع ابن الصحراء نفسه أن يجاريهم في تحمله في هذا العصر»[١١].

١٠- قلعجي، قدري: اكتشاف جزيرة العرب، تحقيق حمد الجاسر، مكتبة مدبولي، القاهرة، (٢٠٠٦م)، ص ص/٥-٦ .
١١- المصدر السابق، ص/٦ .

وعن دور الرحالة الأوربيين وغيرهم في الحفاظ على تاريخ منطقتنا يقول الأستاذ سمير عطا الله في كتابه (قافلة الحبر): أن كثيراً من الرحالة الأوربيين تركوا لنا بين منتصف القرن الثامن عشر ومنتصف القرن العشرين، أدق وأجمل الآثار عن الجزيرة والخليج في تلك المرحلة التي غاب فيها أي عمل تسجيلي عربي»[١٢].

هكذا كان كثير من الرحالة والمستشرقين الغربيين يأتون إلى جزيرة العرب للاكتشاف والمغامرة والمعرفة وربما أتى البعض لأسباب سياسية واستخبارية واستعمارية.

إلا أن هناك مجموعة من الرحالة الغربيين أتوا إلى منطقتنا لأهداف نبيلة وكان لهم أهداف مختلفة عن هؤلاء وربما كان لبعضهم أكثر من هدف أو سبب للقدوم إلى بلاد العرب.

وكان لبعضهم أهداف علمية بحتة مثل الرحالة الدنماركي كارستن نيبور الذي كان أول رحالة أوربي يزور جُدَّة وإن كان قد سبقه إليها بعض المغامرين الأوربيين مثل الإيطالي لودفيكو دي فارثيما والإنجليزي جوزف بتس وغيرهم.

وكان بعض هؤلاء الرحالة محبين للعرب ومعجبين بعاداتهم وتقاليدهم محترمين لدينهم الإسلامي الحنيف. بل وكان بعضهم مسلمين صادقين مثل بيركهارات ووبلمسون ومحمد أسد وغيرهم من الرحالة المسلمين الأوربيين الذين أتوا إلى جُدَّة في طريقهم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لأداء فريضة الحج والتشرف بزيارة المسجد النبوي الشريف والسلام على صاحبه صلى الله عليه وسلم.

ولم يكن كل هؤلاء الرحالة من الرجال فقط بل كان من بينهم نساءً أوربيات مسلمات أتين إلى جُدَّة في طريقهن للحج والزيارة.

١٢- عطا الله، سمير: قافلة الحبر، دار الساقي، بيروت، (١٩٩٤م)، ص/٩.

الفصل الثاني

جُدَّة والرحالة

جُدَّة والرحالة

الرحالة المسلمون:

الرحالة باختلاف أهدافهم يسافرون إلى بلاد عديدة ومدن كثيرة كمدينة جُدَّة التي كانوا يزورونها لأسباب مختلفة سواء للذهاب منها إلى مكة المكرمة، أو لزيارة مدن وموانيء أخرى على ضفاف البحر الأحمر من خلال ميناء جُدَّة، وربما فقط لزيارة هذا الثغر العريق للتعرف عليه وعلى أهله .

ومن ضمن هؤلاء الرحالة الذين زاروا جُدَّة، رحالة مسلمون جاءوا على مر الأزمان إلى مدينة جُدَّة في طريقهم لأداء مناسك الج والعمرة وزيارة المسجد النبوي الشريف والتشرف بالسلام على صاحبه عليه الصلاة والسلام.

وكانت أغراض معظمهم من هذه الرحلات هي دوافع دينية بحتة على الأغلب الأعم . وإلى يومنا هذا وسيل الرحالة المسلمين لم ينقطع وقدومهم إلى ثغر المملكة العربية السعودية الرئيس جُدَّة ما زال مستمراً .

الرحالة الغربيون:

أما الرحالة الغربيون فكانوا منذ القدم دوماً يتطلعون إلى بلاد العرب التي كان العقل الغربي يعرفها باسم «الجزيرة» أو «بلاد العرب» أو «أرابيا فيلكس» أي بلاد العرب السعيدة كما كان الرومان يطلقون عليها .

عن ذلك يقول الأستاذ سمير عطا الله في كتابه (قافلة الحبر) :

« وكانت لدى العقل الغربي الذي عرف القدس وفلسطين وبلاد المشرق منذ الغزوات الصليبية، أوهام وأحلام كثيرة حول هذه الأرض التي لم يدركها إلا في المخيلة: كان هناك الإسلام الذي رأى الغربيون مصبه في أوروبا لكنهم لم يروا مصدره، وكانت هناك الصحراء، هذا السور الشاعري الكبير، وكانت حكايات

الثروات والحدائق الغناء والكثبان التي تغني» ! الكثبان الطروب .

ويبين عطا الله أنه لم تكن هناك نظرة غربية واحدة إلى بلاد العرب ولا نظرية غربية متجمدة، «بل كانت المعرفة الغربية للإسلام ترتقي وتتطور كلما ازدادت بعدا عن العقدة الصليبية والقرون الوسطى».

ويستنتج الأستاذ سمير عطا الله أنه :» مع هذا التنور زادت الرغبة في عبور أسوار الجزيرة . إلا أن هذا العبور كان مختلفاً باختلاف الرغبات والنوايا . فالأستاذ عطا الله يوضح أنه : «كان هناك أصحاب النوايا الرديئة، وكان هناك الذين ذهبوا بنوايا سيئة ثم وقعوا تحت نداء الإسلام وسحر الصحراء فأسلموا واستعربوا وأقاموا حتى الموت. وكان هناك الذين ذهبوا من الأساس وهم مأخوذون سلفاً بما راح مفكرو الغرب الكبار يكتبونه عن انبهار بالرسالة وموطنها. كما كانت هناك فئة ذهبت إلى الصحراء، أو إلى «بلاد العرب»، بحثاً عن أنواع جديدة من الزهور، أو العوسج، أو اللبان» .

ويرى الأستاذ سمير عطا الله أن نتيجة كل ذلك كانت «حبلاً من الوثائق والرسوم والمفكرات والحكايات واليوميات التي كتبها الرحالة الغربيون على مدى قرن ونصف القرن». وهذه لم تكن كلها دقيقة بل ولم تكن كلها صحيحة، وكانت كلها من وجهة نظر غربية . إلا أن عطا الله يرى: أنها في غياب الرحالة العرب والموثقين العرب في تلك المرحلة كانت هذه الكتابات هي «شريط الرسوم الوحيد الذي تُرِكَ لنا عن طبيعة الحياة في الجزيرة العربية والخليج العربي منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى آخر النصف الأول من القرن العشرين الميلادي».

ويرى سعيد السريحي أن تحديد آخر النصف الأول من القرن العشرين تاريخاً لنهاية شريط الرسوم الوحيد للرحالة الغربيين لا يعد دقيقاً، فقد شارك عددٌ من الرحالة العرب كالبتنوني في كتابة الرحلات فضلاً عمن سبقهم من الرحالة العرب كابن جبير والإدريسي.

ولا يمكن فهم أو إدراك الحياة الاجتماعية والسياسية والمعيشية في المنطقة خلال

تلك المرحلة بدون قراءة تلك السجلات الدقيقة والوصف الدقيق للمدن وسكانها وعاداتهم ومعاشهم وما إلى ذلك .

ولقد ترك لنا هؤلاء الرحالة الغربيون سواء من أتى منهم بدافع شخصي معرفي أو غير ذلك، أو من كان قد أُوفِدَ من قبل حكومة من الحكومات الغربية شيئاً اسمه: «أدب الرحـــلات إلى الجزيرة العربية»، الذي يقول الاســـتاذ عطا الله : إنه أصبح يُعرَفُ في بريطانيا « بنداء الصحراء» أو «جاذبية الجزيرة» .

ويقول عطا الله «لا يوجد قبل القرن الثامن عشـــر دلائل كثيرة تُثبت أن الرحالة الغربيـــين وصلـــوا إلى « بلاد العرب» برغم ما كتبـــوه . ويقول : لعل أول وصف لعربي الصحراء كان ما كتبه السير جون ماندفيل في « أسفار» وهو عبارة عن جمع لحكايات المسافرين في القرن الخامس عشر».

ويبين عطا الله: أنه في القرن السابع عشر «كثرت رحلات المغامرين إلى سورية ومصر وفلسطين بينما بقيت جزيرة العرب في منأى».

دور الرحالة في الحفاظ على تاريخ المدن - جُدَّة نموذجاً

تدين الإنسانية للرحالة في الحفاظ على جزء كبير من تاريخ الأمم والبلدان، ولولاهم لفقدنا جزءاً كبيراً من تراثنا الإنساني . ومن حسن الطالع أن جُدَّة حظيت على مر العصور والسنين بزيارة العديد من الرحالة العرب والمسلمين والغربيين وغيرهم لها . وقد ترك لنا كثير من هؤلاء الرحالة في كتاباتهم معلومات دقيقة وقيمة عن هذه المدينة العريقة سجلوها خلال زياراتهم لها وسنذكر أسماء بعض هؤلاء الرحالة ، وتواريخ زيارتهم لجُدَّة، وأسماء كتبهم التي كتبوها عن رحلاتهم وضمنوها معلومات مهمة عن فرضة مكة المكرمة وميناءها . وقد أوردنا في الجزء السابق من هذا الكتاب أوائل الرحالة قدوماً إلى جُدَّة .

هذه نظرة سريعة ومختصرة على أدب الرحلة ، وعلى أسماء وكتابات بعض الرحالة عن جُدَّة كما جاءت في كتبهم عن رحلاتهم إلى جُدَّة وغيرها من مدن الحج ومحطاته خلال القرون الماضية فساهموا في الحفاظ على تاريخ هذه المدينة العريقة . ولولاهم لفقدنا الجزء الأكبر من هذا التاريخ.

الباب الثاني

جُدَّة والرحالة

المقدسي

يعتبر محمد بن أحمد المقدسي من أعظم جغرافيي القرن الرابع الهجري ورحالة من الطراز الرفيع، فكتابه يحتوي على وصف دقيق لمشاهداته خلال رحلاته التي استمرت حوالي العشرين عاماً في مشرق العالم الإسلامي ومغربه. وعن ذلك يقول محقق كتاب رحلة المقدسي الموسوم ب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم): «نحن إزاء عمل أشبه ما يكون بنتائج الباحث الإثنوغرافي المعاصر. فالمقدسي يمزج بجلاء ما بين الرحلة والإثنوغرافيا التي تسعى إلى تقديم توصيف موضوعي للشعوب وعاداتها وألسنتها ونظمها العائلية والأخلاقية والدينية وتقاليدها الإجتماعية وطرق لباسها وأسباب عيشها الإقتصادية وخياراتها الغذائية والسكنية لا يحيد المقدسي قيد أنملة عن عمل الأنثروبولوجي والإثنوغرافي كما حُدد في علوم الإجتماع المعاصرة»[١٣].

يذكر الدكتور عبدالعزيز بن راشد السنيدي في بحثه القيم الموسوم (مكة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري — كما وصفها المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) أن المقدسي قرر تأليف كتاب شامل يصف فيه البلدان الإسلامية، ويعتمد بالدرجة الأولى على السماع المباشر والمعاينة.

ويبين السنيدي أن المقدسي لهذا الهدف قضى من عمره عشرين عاماً متنقلاً بين مختلف الأقاليم الإسلامية يحتك مع مختلف الأجناس بها ويستفيد من أهل العلم ويطلع على المكتبات في البلاد التي يزورها . وكان ذلك في القرن الرابع الهجري ذلك القرن الذي كان التقدم العلمي فيه في ذروته.

ويبين الدكتورالسنيدي أن نتيجة ذلك أن أتحفنا المقدسي بكتابه الذي أطلق عليه اسم (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) والذي لم يخرجه للناس إلا في سنة

١٣- المقدسي، محمد بن أحمد: رحلة المقدسي (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، تحرير: شاكر لعيبي، الطبعة الأولى، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، (٢٠٠٣م)، ص/ الغلاف الخارجي للكتاب .

خريطة المقدسي للعالم الإسلامي

٣٧٥هـ /٩٨٥م بعد أن بلغ الأربعين من العمر وأقر مادته العلمية جمع من الأئمة والعلماء بعد أن استشارهم في إصداره.

وقد أرفق المقدسي مع كتابه خريطة ملونه تبين الحدود ورسم البحار والأنهار والجبال وغير ذلك.

ويذكر الدكتور السنيدي أن أهمية كتاب المقدسي أنه سلط الضوء على جوانب لم تحظ باهتمام من سبقوه كما يضيف بأن كثيراً من الكتاب أدركوا الأهمية العلمية لهذا الكتاب.

ويذكر لنا أن: أ. سبرنجر (المتوفي عام ١٨٩٣م) كشف أول مخطوطة لأحسن التقاسيم فاعتبر المقدسي أكبر جغرافي عرفته البشرية قاطبة، وعد كرامزر كتابه أفضل مصنفات الأدب الجغرافي العربي.

وينقل السنيدي عن المقدسي قوله عندما زار مكة أنه: كلما نزل عن المسجد الحرام يسمونه المسفلة، وما ارتفع عنه المعلاة وعرضها سعة الوادي والمسجد في ثلثي البلد أي المسفلة والكعبة في وسطه، ويقول السنيدي إن المقدسي بين لنا أن

مكة كانت خلال زيارته لها عبارة عن جزأين، المعلاة في شمال وشمال شرق المسجد الحرام، وتشكل بمساحتها العمرانية ثلثي البلد. في حين تأتي إلى الجنوب تقريباً من المسجد المسفلة، ويشكل عمرانها الثلث المتبقي من مكة.

ترجمة حياة المقدسي :

يذكر شاكر لعيبي في تقديمه لرحلة المقدسي معرفاً صاحب الرحلة بأنه «أبو عبدالله محمد بن أحمد بن البناء البشاري المقدسي» ذكره ياقوت في (معجم البلدان) وهو ينقل عنه وصفه لمدينة بيت المقدس التي ولد بها وارتبط اسمه بها. «ويدعوه ياقوت مرات بنسبته (البشاري) وأحياناً باسمائه الأخرى مثل ابن البناء»(١٤).

ويضيف قائلاً: إن المقدسي ولد عام ٣٣٦هـ أي سنة ٩٤٧م وأنه توفي سنة ٣٨٠هـ /٩٩٠م. كما يذكر اللعيبي أن رحلة المقدسي هي «ثمرة سنوات طوال من الأسفار والترحال في أقاليم العالم القديم امتدت من سنة ٩٦٥ إلى ٩٨٤م»(١٥).

ولد المقدسي في مدينة بيت المقدس، وعاش صباه في كنف أسرة تميزت بالثراء المادي وحب العلم، وعرف خلال حياته بالتقوى والورع والزهد وفي شبابه انتقل إلى مدينة بغداد، ودرس على بعض العلماء فيها(١٦). ورغم أنه اطلع على كثير من العلوم ودرسها، إلا أنه وبعد طول نظر آثر التعمق في الفقه على المذهب الحنفي(١٧) كما مارس المقدسي مهناً عدة، كان أبرزها التجارة التي حذق فيها كثيراً(١٨).

١٤- الحموي، ياقوت: معجم البلدان، الجزء الرابع، دار صادر، بيروت، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ص/٤٦٤ .

١٥- المقدسي، محمد بن أحمد: رحلة المقدسي (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، مصدر سابق، ص ص/ ٣٠-٣١ .

١٦- مخلص، عدي يوسف: المقدسي البشاري، الطبعة الأولى، مطبعة النعمان، بغداد، (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، ص/٢٤ .

١٧- المواني، ناصر عبدالرزاق: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص/١٧٣ .

١٨- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين - تراجم مصنفي الكتب العربية، الجزء الثامن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)، ص/٢٣٩ .

المسار المقترح لرحلة المقدسي في الديار الإسلامية ٩٦٥-٩٨٤م – المصدر: كتاب رحلة المقدسي

وقد حج المقدسي سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م بعد أن بلغ سن العشرين، كما حج مرة أخرى سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م[١٩]، إضافة إلى ذلك فقد جاور مكة، واستفاد من بعض العلماء فيها[٢٢]. وقد أمضى حوالي عشرين سنة من عمره يتجول في البلدان الإسلامية، قبل أن يؤلف كتابه سنة ٢٧٥هـ/٩٨٥م[٢٠].

مسار رحلة المقدسي :

يبتدئ المقدسي وصف رحلته من الجزيرة العربية ولا يذكر لنا كيف وصل من القدس إلى الطائف. لذا فإن المسار المفترض لرحلته مستلهم من تتبع دقيق لحركته الموصوفة في كتابه.

١٩- المقدسي، محمد بن أحمد: رحلة المقدسي (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، مصدر سابق، ص/٩٥ .
٢٠- المصدر السابق، ص ص/٧٧،٧٩.

فقــد طاف في جزيرة العرب في عدة أمكنة منها: الطائف – جُدَّة – يثرب – البقيع – بدر – ناحية فُرع (وهنا يبدو كأنه اتجه جنوباً نحو اليمن ليتحدث عن) زبيد – الشــرجة – الحردة وعطنة – ناحية عشــر – صنعاء (ومنها يبدو وكأنه تابع ساحل بحر العرب صعوداً نحو) – صحار – النزوة – ومن ثم إلى الإحساء.

كما طاف المقدسي بأقاليم العراق وإقليم أقور وإقليم الشام وإقليم مصر وإقليم المغرب[٢١].

جُدَّة بعدسة الجغرافي المقدسي :

يصف المقدســي جُدَّة في زمانه بقوله: «جُدَّة: مدينة على البحر، منه اشــتق اسمها، محصنة عامرة آهلة، أهل تجارات ويسار، خزانة مكة ومطرح اليمن ومصر. وبها جامع ســري، غير أنهم في تعب من الماء مع أن فيها بركاً كثيرة ويحمل إليهم الماء من البعد، قد غلب عليها الفرس. لهم بها قصور عجيبة، وأزقتها مســتقيمة، ووصفها حسن، شديدة الحر جداً»[٢٢].

وذكرها في موضع آخر: «جُدَّة: بلد اللبن، يحمل إليهم الماء من بعد، وجوامعهم على الساحل»[٢٣].

ألقى المقدسي الضوء على الضرائب والمكوس التي تفرض على البضائع القادمة إلى ميناء جُدَّة: «تؤخذ بجُدَّة من كل حمل حنطة نصف دينار وكيل من فرد الزاملة (البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع) وعلى ســفط ثياب الشطوى ثلاثة دنانير والشــطوى قرية بمصر تنسب إليها الملابس الشطوية أما السفط فهو ما يحمل فيه الملابس. ومن سفط الدبيقى ديناران. والدبيقى ثوب يصنع في دبيق بمصر. وحمل الصوف ديناران وعلى سلة الزعفران دينار»[٢٤].

٢١- المصدر السابق، ص ص/٣٣-٣٥ .
٢٢- المصدر السابق، ص/٩٧ .
٢٣- المصدر السابق، ص/١٠٣ .
٢٤- المصدر السابق، ص/١١٨ .

أما عن المسافات فيذكر المقدسي أنه جعل المراحل ستة فراسخ وسبعة وأورد بعض المسافات فعلى سبيل المثال المسافة من مكة إلى قرين مرحلة ثم إلى جُدَّة مرحلة ومن بطن مر إلى جُدَّة مرحلة[٢٥]. وأن المسافة من الفسطاط إلى بلبيس مرحلة ثم إلى المنصف مرحلة ثم إلى القلزم مرحلة . ومن القلزم إلى جُدَّة في البحر من ٢٥ يوماً إلى ٦٠ يوماً على قدر الريح وهي تساوي ٣٠٠ فرسخ[٢٦].

هذه ملامح من مدينة جُدَّة كما رأها وسجلها لنا المقدسي –رحمه الله– بعدسة ذاكرته قبل أكثر من ألف عام في القرن الرابع الهجري.

٢٥– المصدر السابق، ص/١٢٠ .

٢٦– المصدر السابق، ص/٢٠٨ .

ناصر خسرو

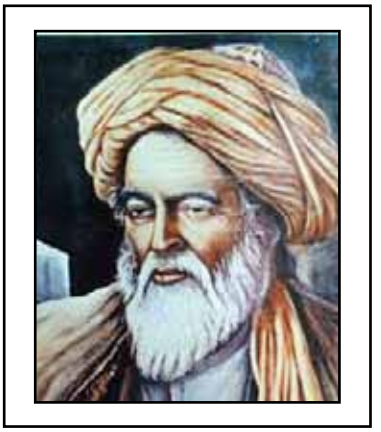

ناصر خسرو

من أقدم الرحلات المعروفة رحلة الشاعر الفارسي المتفلسف ناصر خسرو، وهي رحلة تقع حوادثها بين سنة ٤٣٧ وسنة ٤٤٤هـ، فهي قبل رحلة ابن جبير بأكثر من مائة سنة[٢٧].

وقد تجول صاحب هذه الرحلة في بلاد إيران، بدءاً من خراسان، ومروراً بأذربيجان، والشام، وفلسطين، والأراضي المقدسة، ووسط الجزيرة العربية، والعراق، ثم عاد إلى إيران، حيث وصل مدينة بلخ في خراسان.

قدم إلى مصر عن طريق فلسطين، وأقام بها أكثر من ثلاث سنوات، ذهب خلالها إلى مكة المكرمة وجُدَّة، وكان كل ذلك أيام الفاطميين[٢٨].

حيث أن الباعث الديني هو الذي دفعه للقيام بهذه الرحلة فيحدثنا ناصر

٢٧- علوي، ناصر خسرو: سفر نامة، مصدر سابق، ص/٨ .

٢٨- المصدر السابق، ص/٩ .

خسرو في ديوانه، «أن الذي دفعه إلى رحلته هو ما قرأ في القرآن الكريم في سورتي محمد والفتح من قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (٢٤/٤٧)»[٢٩].

وقد قام الدكتور يحيى الخشاب بترجمة هذا الكتاب المهم، وقدم له مقدمة ضافية في تاريخ الشاعر خسرو وعصره وكتابه. ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام الذي قام بتصدير هذه الترجمة: «إن معهد اللغات الشرقية قرر نشره، فكان أول منشوراته، ولعله فاتحة مباركة وحلقة في سلسلة متصلة من المؤلفات القيمة». كما يقول الدكتورعزام: « إن نشر هذا الكتاب باللغة العربية، هو أمنية طال انتظارها وربح محقق لقراء العربية»[٣٠].

ترجمة حياة ناصر خسرو:

نشأ ناصر خسرو علوي في جو مضطرب من الحياة السياسية والدينية، فقد ولد في قباديان عام ٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م من أسرة متوسطة الحال، وتثقف ثقافة واسعة[٣١].

خط سير رحلة ناصر خسرو:

كانت حجته الأولى عن طريق بحر القلزم (البحر الأحمر)، حيث غادر مصر عن طريق أسوان وعيذاب، حتى وصل جُدَّة عروس البحر الأحمر، على ظهر إحدى السفن.

كان لمصر حظ وفير في كتابه (سفر نامه)، فقد أفرد ثلث هذا الكتاب لها. وكان وصفه لمصر ممتعاً، فهو يقول: « وكانت البيوت من النظافة والبهاء، حيث إنها بنيت من الجواهر الثمينة لا من الجص والآجر والحجارة، وهي بعيدة بعضها عن

٢٩- المصدر السابق، ص/١٩ .
٣٠- المصدر السابق، ص ص/٩-١٠ .
٣١- المصدر السابق، ص/١٥ .

بعض، فلا تنمو أشجار بيت على سور بيت آخر. ويستطيع كل مالك أن يعمل ما ينبغي لبيته في كل وقت، من هدم أو إصلاح دون أن يضايق جاره»[٣٢].

حيث قسمت رحلته إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى تبدأ بقيامه من مرو في ربيع الآخر سنة ٤٣٧هـ (أكتوبر ١٠٤٥م)، وتنتهي ببلوغه القاهرة في ٧ صفر ٤٣٩هـ (٤ أغسطس ١٠٤٧م).

المرحلة الثانية إقامته في مصر من ٧ صفر سنة ٤٣٩هـ (٤ أغسطس) إلى أواخر جمادى الآخر ٤٤٢ (أواخر أكتوبر ١٠٥٠م)

المرحلة الثالثة عودته إلى بلخ عن طريق الحجاز وفلج والحسا والبصرة وتبدأ منذ قيامه من مصر وتنتهي في ٢٦ جمادى الآخر ٤٤٤هـ (٢٦ أكتوبر ١٠٥٢) [٣٣].

جُدَّة بعدسة ذاكرة الشاعر ناصر خسرو:

في كتاب (سفر نامه) يصف ناصر خسرو علوي مدينة جُدَّة كما شاهدها خلال زيارته لها بقوله: «وجُدَّة مدينة كبيرة لها سور حصين، تقع على شاطئ البحر الأحمر، وبها خمسة آلاف رجل، وفيها أسواق جميلة. وقبلة مسجدها الجامع ناحية المشرق، وليس بخارجها عمارات أبداً، عدا المسجد المعروف بمسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. ولها بوابتان: إحداهما شرقية تؤدي إلى مكة، والثانية غربية تؤدي إلى البحر».

كما يضيف قائلاً: «ويبلغ السائر من جُدَّة جنوباً على شاطئ البحر، اليمن ومدينة صعدة، والمسافة إلى هناك خمسون فرسخاً . وإذا سار شمالاً بلغ الجار». ويصف بيئة جُدَّة في زمنه بقوله: «وليس في جُدَّة شجر ولا زرع، وكل ما يلزمها يحضرونه إليها من القرى».

٣٢- المصدر السابق، ص ص/٢١-٢٣ .
٣٣- المصدر السابق، ص/٢٦ .

وحدّد ناصر خسرو المسافة بين جُدَّة ومكة بأنها « اثنا عشر فرسخاً». وأن أمير جُدَّة في زمن زيارته كان يتبع لأمير مكة المكرمة تاج المعالي بن أبي الفتوح (شكر بن أبي الفتوح الذي تولى ولاية مكة بعد وفاة أبيه عام ٤٣٠هـ وتوفي في عام ٤٥٣هـ) الذي هو أمير المدينة أيضاً[٣٤].

وقد ذهب إلى أمير جُدَّة فأكرم وفادته وأعفاه مما كان يجب عليه من المكس ولم يطلبه.

وقد خرج ناصر خسرو من بوابة جُدَّة بسلام في يوم الجمعة بعد صلاة العصر متوجهاً إلى مكة المكرمة فبلغ باب مكة يوم الأحد من جمادى الآخر[٣٥].

هذه ملامح من تاريخ عروس البحر الأحمر مدينة جُدَّة فرضة مكة، وبوابة الحرمين، والميناء الغربي لوطننا الغالي المملكة العربية السعودية كما سجلتها عدسة ذاكرة الرحالة ناصر خسرو علوي عندما زارها في القرن الخامس الهجري، منذ حوالي ألف عام.

٣٤- السباعي، أحمد: تاريخ مكة، الجزء الأول، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص ص/٢٣٠-٢٣١ .

٣٥- المصدر السابق، ص ص/١٣٧-١٣٨ .

الإدريسي

الإدريسي – المصدر: www.lazemtefham.com

لم يكن محمد محمد الإدريسي الحموي الحسيني جغرافياً، خرائطياً –فقط– وإنما كان مع ذلك عالماً متعدد المعارف والمهارات، تُذكر له مشاركة في كثير من فروع العلم الأخرى كالصيدلة، والطب، والنباتات، كما كان أديباً جيد الأدب، شاعراً.. يبدو أنه ترك في كل مؤلفات متعددة، منها:

- الجامع لأشتات النبات، ويعرف كذلك باسمي (المفردات) و(الأدوية).
- روض الأنس ونزهة النفس، أو المسالك والممالك.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق[٣٦].

رسم الإدريسي خريطة كروية شاملة للعالم – معتمداً فيها على خريطة «بطلميوس» بعد تصحيحها – مقسماً محيط الكرة الأرضية طولاً إلى عشرة

٣٦- الإدريسي، ابو عبدالله محمد محمد عبدالله إدريس الحموي الحسيني: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، ص/ب .

خريطة العالم للإدريسي – المصدر: www.knowledge-world.blogspot.com

أجزاء متساوية، بخطوط تبدأ من قطب الكرة الأعلى، وتنتهي عند قطبها الأسفل، جاعلاً الخط الرئيسي فيها هو الخط المار بالجزائر الخالدات في المحيط الأطلسي، ثم عمد إلى تقسيمها إلى سبعة أحزمة عرضية فوق خط الاستواء (تنقسم في داخلها إلى تسعين قسماً أو درجة، منحصرة فيما بين خط الاستواء والقطب الشمالي)، وبذلك انقسمت خريطته إلى سبعين جزءاً، نقلها إلى مستطيلات، عمد إلى شرحها والتعريف بها طبيعياً وبشرياً في (النزهة)[٣٧].

٣٧- المصدر السابق، ص ص/ب-ج.

الإدريسي يشرح كروية الأرض وسط حشد في قاعة الملك روجر الثاني

ترجمة حياة الإدريسي:

ولد محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، المعروف بالشريف الإدريسي، والحمودي، والصقلي، والقرطبي في مدينة سبتة في المغرب سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة للهجرة (١١٠٠م)، ومنها كان منطلقه إلى بلدان المغرب حيث نشأته الأولى بها بحثاً عن العلم والمعرفة هناك، تماماً كما كانت قرطبة – فيما بعد. نقطة انطلاق لجولات كثيرة في الأندلس إلى أن قدر له الارتحال إلى المشرق العربي لزيارة مصر وغيرها، ثم العودة منه إلى سبتة، حيث استقدمه «رجار الثاني»، – ملك صقلية . إليها سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة للهجرة (١١٣٨م) . ليستقر بها، مقرباً من بلاط ملكها، الذي أكرم نزله، وبالغ في تعظيمه، بحيث كان يأتي إليه راكباً، فإذا صار عنده تنحى عن مجلسه، وأجلسه بجانبه، وقد رتبت له كفاية لا تكون إلا للملوك – على حد قول الصفدي، فيه.

ويبدو أن هذه المعاملة، وهذا العيش الرغد لم يتبدلا بعد وفاة «رجار» (ت ٥٤٨هـ/١١٥٤م)، وأن «الإدريسي»، قد عاش عيشة رغدة في كنف خلفه «غليالم الأول» –وإن تبدلت حال الدول– إلى أن قدرت وفاته هناك سنة ستين وخمسمائة للهجرة (٥٦٤هـ/١١٦٥م)، على أرجح الأقوال . وللأول منهما كان

قيامه بأعباء تصنيف (نزهة المشـــتاق)، حيث أمضى في جمع و ترتيب مادته قرابة الخمســـة عشـــر عاما، وللثاني كان اضطلاعه بتأليف روض الأنس ونزهة النفس، مختصراً فيه كتابه الأول(٣٨).

جُدَّة والإدريسي:

زار الإدريسي عدة ثغور خلال رحلته البحرية التي ركب فيها البحر الأحمر الذي سماه (بحر القلزم) ووصف بعـــض هذه الموانيء وتحدث عن علاقتها بجُدَّة وبعدها عنها .

وعلـــى ســـبيل المثال لا الحصر قـــال إنه: «لا يعبر أحد من حـــاج المغرب إلى جُـــدَّة إلا أن يظهر مُكســـة وجوّزَه ربانيو بحر القلـــزم ولم يكن عنده مكس غرمه الرباني»(٣٩).

ويستطرد قائلاً: «لا يمر أحد من عيذاب إلى جُدَّة حتى يظهر الربانية البراءة مما يلزمه فإذا جاز المركب البحر وسهل الله عليه الوصول إلى جُدَّة فحرروا ما هنالك من الموجودات الممكسة اللازمة وأثبتوها في دواوينهم»(٤٠).

ووصـــف البحر وما فيه فقال عن بحر القلـــزم (البحر الأحمر) وما به من أهوال ومخاطـــر، إنـــه كان به من الســـمك حوت مربع عرضه قريب مـــن طوله يقال له «البهـــار» ربما بلغ وزن الحوت منه نصف قنطار أو نحوه وهو حوت أحمر شـــهي الطعم حسن الذوق(٤١).

ووصـــف المراكب في البحر الأحمـــر فقال: «ومراكب هـــذا البحر كلها مؤلفة بالدسر ومخروزة بحبال الليف مجلفطة بدقيق اللبان ودهن كلاب البحر المعد لذلك والربانيون في هذه المراكب لهم ألات متخذة بحكمة مهندســـة موضوعة في أعلى

٣٨- المصدر السابق، ص/أ .
٣٩- المصدر السابق، ص/١٣٥.
٤٠- المصدر السابق، ص/١٣٥.
٤١- المصدر السابق، ص ص/١٣٥-١٣٦ .

الصاري الذي يكون في مقدمة المركب فيجلس به الرباني ويبصر مالاح أمامه من القروش التي تحت الماء مخفية فيقول للماســك على المركب «خذ إليك» و«ادفع عنك» ولولا ذلك ما عبره أحد وآفاته كثيرة في المراكب والمسافرون في هذا البحر يأوون منه في كل ليلة إلى مواضع يســكنون فيها ويلجؤون إليها خوفاً من معاطبه وينزلون بها نهاراً ويقلعون عنها نهاراً حالاً دائماً سير النهار وإقامة الليل»(٤٢).

وذكر الناحية الجغرافية من هذا البحر، فقال إنه على ساحله الشرقي: «حصن حلي والســرين والســقية وجُدَّة والجحفة والجار، وكل هذه معاقل ومواطن يسافر إليها ويتجهزون منها، وفي كل واحدة منها والٍ وعامل»(٤٣).

وتحدث عن حلي فقــال إنها: «مدينة صغيرة وأنها فرضة من جاء من اليمن». وقــال إنه منها إلى ضنكان مرحلتان خفيفتان، وضنكان بلد صغير، لا يتركه أهله عــادة حتى يموت الواحــد منهم ولم يخرج من بلده أما الســرين فقال إنها حصن حصين حســن موضعه كثيرة مياهه. ومن السرين إلى مرسى السقية ثلاث مراحل وهي قرية عامرة وبها مستراح للمراكب(٤٤).

ومن مرسى السقية إلى جُدَّة على الساحل ثلاث مراحل.

وعن جُدَّة قال الإدريسي: «هي فرضة لأهل مكة، وبينهما أربعون ميلا ً، وهي مدينة كبيرة عامرة، تجاراتها كثيرة وأهلها مياســير ذوو أموال واسعة وأحوال حسنة ومرابح ظاهرة، ولها موســم قبل وقت الحجيج مشــهود البركة تنفق فيه البضائع المجلوبة والأمتعة المنتخبة والذخائر النفيسة»(٤٥).

وقــال إنــه كان بجُدَّة: «مراكب كثيرة تتصرف إلى جهــات كثيرة، وبها مصائد للسمك الكثير وبين أنه يمكن زراعة البقول بها»(٤٦).

٤٢- المصدر السابق، ص ص/١٣٦-١٣٧ .
٤٣- المصدر السابق، ص/١٣٧.
٤٤- المصدر السابق، ص/١٣٨.
٤٥- المصدر السابق، ص ص/١٣٨-١٣٩ .
٤٦- المصدر السابق، ص/١٣٩ .

هكذا كانت جُدَّة في القرن السادس الهجري كما دونها الرحالة العربي المسلم، محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس. المعروف بالإدريسي.

ابن جبير والقضاعي

ابن جبير

عندما قدم الرحالة العربي الشـــهير ابن جبير في القرن السادس الهجري إلى جُدَّة في طريقه إلى مكة المكرمة لأداء مناســـك الحـــج والعمرة ومن ثم إلى المدينة المنورة للتشـــرف بالسلام على رسول الله —صلى الله عليه وسلم— كان رفيق رحلته هو أحمد القضاعي. وقد وَثّق ابن جبير تلك الرفقة في كتابه الشهير الموسوم (رحلة ابن جبير) والذي وصف فيه رحلته الشهيرة التي بدأت من غرناطة في يوم الخميس ٨ شوال ٥٧٨هـ / ٣ فبراير ١١٨٢م ودامت حوالي ثلاث سنوات.

وقد كان وصفه لما شـــاهد في أســـفاره وصفاً دقيقاً صور فيه ما شـــاهده من العجائب والمباني والمســـاجد وغيرها كما وصـــف أداءه لفريضة الحج وصفاً دقيقاً يجعل الإنســـان يشـــعر أن زيارته لمكة المكرمة والمدينة المنورة كانت أهم ما تحدث عنه ابن جبير في رحلته عن ما كان يلقاه المســـافرون في ذلك الزمان من صعاب ومن أهوال البحر والبر. كما تحدث عن الحروب الصليبية وعن حسن العلاقة بين مسلمي ونصارى العرب آنذاك وقد ساعده كثيراً دقة ملاحظته وغزارة علمه. كما

كان ابن جبير شديد الإعجاب بشخصية القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي ومحباً له فتحدث عن عدله وخلقه الرفيع. ويلاحظ القارئ أيضاً تدين ابن جبير من خلال كتاباته ودعائه للمدن العربية التي زارها.

وعن ما ذكره ابن جبير عن جُدَّة تحدث مؤرخها الشيخ عبدالقدوس الأنصاري -رحمه الله- (وكان شديد الإعجاب بابن جبير) قائلا:

«في القرن السادس الهجري حج الرحالة العربي الأندلسي: محمد بن أحمد بن جبير، فأتانا بصورة أدبية حساسة لمشاهداته وانطباعاته عن جُدَّة، وكان هذا الوصف مخالفا لما وصفها به المؤرخون والرحالة السابقون، أنه وصف أُسدل عليه جلباب قاتم سميك من التأخر العمراني والاجتماعي. فعماراتها الفخمة استحال أكثرها إلى بيوت من (أخصاص) وأهلها الأثرياء المترفون فيما مضى أصبحوا في شظف وبؤس من المعيشة يذيب الحجارة أسى، والمستوى الاجتماعي العام منخفض كثيراً... فبعد التجارة المزدهرة، والنعيم المقيم رضي أهلها بأن يقيموا أنفسهم في كل مهنة لتحصيل لقمة العيش، فكان منهم من يكري الجمال، ومنهم من يبيع البن أو الماء للحجاج، أو يحتطب من ضواحي البلد ويبيع مما جمع».

ويعتقد الأنصاري أن هذا الانكماش الاقتصادي اضطر الكثيرين من أهل جُدَّة للنزوح منها إلى أوطان جديدة أحسن حالاً وأرفع مستوى.

إلا أن هذا الوصف السابق لا يتفق مع وصف الرحالة الإدريسي الذي جاء إلى جُدَّة في نفس القرن بفارق حوالي ثلاثين عاما عن تاريخ زيارة ابن جبير لها فبينما يصف ابن جبير جُدَّة بأنها «قرية» بها آثار تدل على أنها كانت مدينة كبيرة يقول الإدريسي عن جُدَّة: إنها مدينة كبيرة أهلها مياسير وبها مراكب عديدة، كما أن وصف ابن جبير لفنادق جُدَّة، لا يتوافق في نظر البعض مع كونها قرية. لذا فإن بعض المحللين يرون أن ابن جبير في حديثه عن جُدَّة إنما كان يقصد بعض ضواحيها وليس المدينة نفسها(٤٧).

٤٧- الأنصاري، عبدالقدوس: مع ابن جبير في رحلته، مصدر سابق، ص/١٧١ .

ترجمة حياة ابن جبير:

هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني، الأندلسي، البلنسي، الشاطبي، ولد في مدينة بلنسية وذلك في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة للهجرة ٥٣٩هـ الموافق أربع وأربعين ومائة وألف ميلادية ١١٤٤م وتوفي سنة أربع عشر وستمائة للهجرة ٦١٤هـ، الموافق سبع عشرة ومائتين وألف ميلادية ١٢١٧م عن عمر ناهز الخامسة والسبعين عاماً.

وكان ابن جبير أحد علماء الأندلس في الفقه والحديث، وسمع العلوم من أبيه، وتعلم القرآن عن ابن أبي العيش، وأخذ من الآداب بنصيب وافي ، فبرع في الأدب، وأجاد قرض الشعر، كما كان يتحلى بمكارم الأخلاق.

إلا أن شهرته التي ملأت الأفاق قامت على كتابه الموسوم بـ»رحلة ابن جبير» وقد ألف هذا الكتاب بعد ثلاث رحلات، دامت إحداها ثلاث سنوات، وضمنه مشاهداته لكل ما مر به من المدن وما رأى فيها وسمع عنها، وعن مشافيها وطرقاتها وتوفر الماء والأكل بها وتكلم عن أحوال الناس وشؤونهم . وكان جل اهتمامه بالمساجد والمناسك وتحدث عن الحج ومناسكه ووصف المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف وصفا دقيقا يعتبر مرجعا أساسيا لكل من أراد دراسة تاريخ هذين المسجدين الشريفين. وشهد بعض الحروب الصليبية وتحدث عنها. وكان شديد الإعجاب بصلاح الدين الأيوبي. وتحدث عنه وذكر بعض مآثره. ويعتبر كتابه «رحلة ابن جبير» مرجعا هاما للمؤرخين، ودليلاً للجغرافيين، وقد تُرجم إلى عدة لغات وأعيدت طباعته مرات عديدة[٤٨].

ترجمة حياة القضاعي:

وردت في (التكملة لكتاب الصلة) لابن الأبار المتوفي سنة ٦٥٨هـ – ١٢٥٩م والذي حققه إبراهيم الأبياري ترجمة للقضاعي ننقل منها هنا بتصرف:

٤٨– الكناني، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير: رحلة بن جبير، تحقيق معين الشريف، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٣١هـ – ٢٠١٠م)، ص/٥.

أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن حسان القضاعي. أصله من أندة، عمل بلنسية (Valencia)، وولد بمرسيه. يكنى: أبا جعفر.

روى عن أبي الحسن بن النعمة ورحل إلى المشرق مرافقاً أبا الحسين بن جبير، فأديا فريضة الحج، وسمعا بدمشق من أبي طاهر الخشوعي، وأجاز لهما أبو محمد بن أبي عصرون، وأبو محمد القاسم بن عساكر، وغيرهما، ودخلا بغداد وتجولا مدة، ثم قفلا جميعا إلى المغرب، فسمع منهما بعض ما كان عندهما. وكان أبو جعفر هذا متحققاً بعلم الطب، وله فيه تقييد مفيد، مع المشاركة الكاملة في فنون العلم. وجده لأمه القاضي أبو عبدالحق بن عطية. حدث عنه ثابت بن محمد بن خيار الكلاعي، وغيره وتوفي بمراكش سنة ثمان، أو تسع، وتسعين وخمسمائة ٥٩٩هـ، ولم يبلغ الخمسين في سنة[٤٩].

كما وردت للقضاعي ترجمة في (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب) من تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني (المقري) المتوفي سنة ١٠٤١هـ والذي حققه كل من الدكتورة مريم قاسم طويل والدكتور يوسف علي طويل. الأساتذه بالجامعة اللبنانية ما ننقل منه هنا بتصرف:

«ورافق ابن جبير في هذا الرحلة أبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعي، وأصله من أندة من بلنسية، رحل معه فأديا الفريضة، وسمعا بدمشق من أبي الطاهر الخشوعي، وأجاز لهما أبو محمد بن أبي عصرون وأبو محمد القاسم بن عساكر وغيرهما، ودخلا بغداد وتجولا مدة، ثم قفلا جميعاً إلى المغرب، فسُمع منهما به بعض ما كان عندهما».

وتحدث المقري أيضاً عن معرفة القضاعي بالطب، وذكر تاريخ وفاته —رحمه الله– في سنة ٥٩٩هـ[٥٠]..

٤٩– إبن البار، عبدالله محمد: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ –١٩٨٩م)، ص/١٢٦ .

٥٠– المقري، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، تحقيق الدكتوره مريم قاسم الطويل و الدكتور يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، ص/١٣٩ .

وفي كتـــاب (الإحاطة في أخبار غرناطة) لـ لســـان الدين بن الخطيب والذي حققـــه محمد عبدالله عنان ورد في المجلد الثاني، ذكر مرافقة القضاعي لابن جبير، حيث يقول الخطيب: في إيجاز وصف رحلة ابن جبير «رحل ثلاث من الأندلس إلى المشـــرق، وحـــج في كل واحدة منها . فصل عن غرناطة أول ســـاعة من يوم الخميس لثمان خلون من شـــوال، ثمان وسبعين وخمسمائة، صحبه أبو جعفر بن حسان، ثم عاد إلى وطنه غرناطة لثمان بقين من محرم واحد وثمانين»[٥١].

خط سير رحلة ابن جبير والقضاعي:

بدأت الرحلة في شـــوال ســـنة ٥٧٨هـ – ١١٨٢م وقد وثـــق ابن جبير ذلك بقوله: «ابتدأت بتقييدها يوم الجمعة الموفي ثلاثين لشـــهر شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمئة على متن البحر بمقابلة جبل شُلَيْر عرفنا الله السلامة بمنه»[٥٢].

ويكمل ابن جبير قائلاً :» وكان انفصال أحمد بن حسان (القضاعي) ومحمد بن جبير من غرناطة، حرســـها الله، للنية المباركة، قرنها الله بالتيسير والتسهيل وتعريف الصنع الجميل، أول ســـاعة من يوم الخميس الثامن لشـــوال المذكور وبموافقة اليوم الثالث لشهر فبراير الأعجمي. وكان الاجتياز على جيان (جبل بالأندلس) لقضاء بعض الأسباب، ثم كان الخروج منها أول ساعة من يوم الاثنين التاسع عشر لشهر شوال المذكور وبموافقة اليوم الرابع عشر لشهر فبراير المذكور أيضاً»[٥٣].

وقد مر ابن جبير بجزيرة ســـردينيا الإيطالية وحدث له ولصحبه أهوال في البحر تحدث عنها بتفصيل دقيق ووصفها وصفاً شيقاً يجعل القاريء يحس كأنه يصحبهم في ذلك المركب وقال إنهم كانوا في حال لا يميزون الشرق من الغرب وأرسوا قاربهم في مرسى إيطالي قال عنه إنه معروف وأن اسمه (قوسمركه)، جددوا فيه مؤن القارب مـــن ماء وحطب وزاد وغيره. وذكر أن أحد المســـلمين مـــن صحبه على القارب

٥١– ابن الخطيب، لســـان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، (١٩٤٧م)، ص/٢٣٥.

٥٢– الكناني، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير: رحلة بن جبير، مصدر سابق، ص/٧.

٥٣– المصدر السابق، ص/٧ .

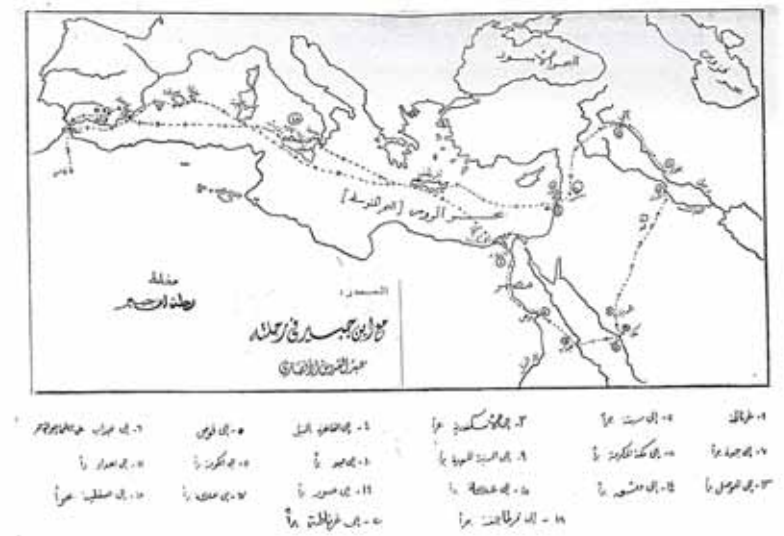

مخطط رحلة ابن جبير – المصدر: كتاب مع ابن جبير في رحلته

وكان يتحدث لغة (الروم) هبط إلى المدينة وأعلمهم عند عودته أنه رأى «جملة من أسرى المسلمين نحو الثمانين بين رجال ونساء يباعون في السوق»(٥٤).

وذكر ابن جبير أنهم فارقوا بر ساردينيا ليلة الثلاثاء الثامن عشر من ذي القعدة، الخامس عشر من مارس. ثم قال إنهم في ليلة الأربعاء بعدها عصفت عليهم ريح «هال لها البحر وجاء معها مطر ترسله الرياح بقوة، كأنه شآبيب سهام. فعظم الخطب، واشتد الكرب، وجاءنا الموج من كل مكان أمثال الجبال الثائرة. فبقينا على تلك الحال الليل كله واليأس قد بلغ منا مبلغه، وارتجينا مع الصباح فرجة تخفف عنا بعض ما نزل بنا، فجاء النهار، وهو يوم الأربعاء التاسع عشر من ذي القعدة، بما هو أشد هولاً وأعظم كرباً، واشتدت الريح والمطر عصوفاً، حتى لم يثبت معها شراع، فلجأ إلى استعمال الشرع الصغار». فأخذت الريح أحدها ومزقته وكسرت الخشبة التي ترتبط الشرع فيها، وهي المعروفة عندهم بالقرية. فحينئذ تمكن اليأس من النفوس وارتفعت أيدي المسلمين بالدعاء إلى الله عز

٥٤- المصدر السابق، ص/٨ .

وجل. وأقمنا على تلك الحال النهار كله . فلما جن الليل فترت الحال بعض فتور، وسرنا في هذه الحال كلها بريح الصواري سيرا سريعاً.

ويكمل ابن جبير وصفه الدقيق لأهوال البحر قائلاً: «وفي ذلك اليوم حاذينا بر جزيرة صقلية. وبتنا تلك الليلة التي هي ليلة الخميس التالية لليوم المذكور، مترددين بين الرجاء واليأس. فلما أسفر الصبح نشر الله رحمته، واقشعت السحاب، وطاب الهواء، وأضاءت الشمس، وأخذ السكون البحر. فاستبشر الناس وعاد الأنس، وذهب اليأس، والحمد لله الذي أرانا عظيم قدرته، ثم تلافى بجميل رحمته ولطيف رأفته، حمدا يكون كفاء لمنته ونعمته»(٥٥).

واستمر ابن جبير وصحبه في رحلتهم حتى وصلوا الإسكندرية التي نزلوها يوم الأحد الأول من ذي الحجة من سنة ٥٨٧هـ وذهبوا منها إلى القاهرة التي تحدث عنها بإسهاب . ومن القاهرة توجه ابن جبير وصحبه إلى «قوص» ثم «أسيوط» ومنها إلى «إخميم» وهي إحدى مدن صعيد مصر، ثم إلى بلنية ومنها إلى «قنا»، مروراً بـ «المبرز» وبعدها إلى «أمتان» ومنها إلى «مجاج» حيث تزودا بالماء في طريقهم إلى «عيذاب» التي قال إنها مدينة على ساحل بحر جُدَّة ولم يعجب بعيذاب أبداً بل قال عن المدة التي قضاها فيها وكانت ثلاثة وعشرين يوماً إنها محتسبة عند الله عزوجل، «لشطف العيش وسوء الحال واختلال الصحة لعدم الأغذية الموافقة». وقال إن عيذاب بلد كل شيء فيه مجلوب حتى الماء. وعن البحر الأحمر في رحلتهم إلى جُدَّة من عيذاب قابلوا أهوالاً حيث يقول: «وأقمنا ليلتنا تلك في هول يؤذن باليأس، وأرانا البحر البحر الأحمر بعض أهواله الموصوفة، إلى أن أتى الله بالفرج مقترناً مع الصباح».

ووصف ابن جبير وضع ركاب السفن فقال: «إن الحجاج يشحنون بالجلاب (قوارب من خشب الجوز، مخيطة ولا يستخدم في بنائها مسمار) حتى يجلس بعضهم على بعض، وتعود بهم كأنهم أقفاص»(٥٦).

٥٥- المصدر السابق، ص ص/٩-١١ .
٥٦- المصدر السابق، ص ص/١١-١٢ .

ويبين ابن جبير أن الحجاج كانوا يضطرون أحياناً إلى المبيت في الجلاب بسبب الأحوال الجوية، كما كانوا يواجهون الأهوال في هذه الرحلة بسبب كثرة العواصف، وصعوبة الاستدلال على الطريق، لأن قائد الجلبة الذي يسمونه الرأس كان يستدل على الطريق إلى ميناء جُدَّة ببعض النجوم التي كان يصعب رؤيتها في بعض الأحوال. ويصف ابن جبير هذه الأحوال بقوله: «فتمادى سيرنا في البحر يوم الثلاثاء السادس والعشرين لربيع الأول ويوم الأربعاء تهب ريح فاترة. فلما كانت العشاء الآخرة من ليلة الخميس، ونحن قد استبشرنا برؤية الطير المحلقة من بر الحجاز، لمع برق من جهة البر المذكور، وهي جهة الشرق، ثم نشأت عاصفة أظلم لها الأفق إلى أن كسا السماء كلها، وهبت ريح شديدة صرفت المركب عن طريقه راجعاً وراءه، وتمادى هبوب الرياح، واشتدت حلكة الظلمة، وغيمت السماء، فلم ندر الجهة المقصودة منها، إلى أن ظهرت بعض النجوم فاستدل بها بعض الاستدلال، وحط القلع إلى أسفل الصاري، وأقمنا ليلتنا، فهدأت الريح، وانقشع الغيم وصفت السماء ولاح لنا بر الحجاز على بعد لا نبصر منه إلا بعض جباله، وهي الشرق من جُدَّة وزعم ربان المركب أن بين تلك الجبال التي لاحت لنا وميناء جُدَّة يومين» (٥٧).

ومن متابعة رحلة ابن جبير في بحر جُدَّة (البحر الأحمر) نستنتج أن الرحلة من عيذاب إلى جُدَّة كانت تستغرق ثمانية أيام في البحر.

وقبل أن يصل ابن جبير إلى جُدَّة رسي مركبه في أبحر، وتحدث عن خليج أبحر المعروف بنفس الاسم اليوم وباتوا ليلتهم فيه. ومن يعرف أبحر اليوم مثل أهل جُدَّة يرى دقة هذا الوصف لأبحر. ثم وصف ابن جبير رحلتهم من أبحر إلى جُدَّة قائلاً: «فلما كان سحر يوم الاثنين بعد أقلعنا منه على بركة الله تعالى بريح فاترة، والله الميسر لا رب سواه»(٥٨).

ثم يكمل ابن جبير قائلاً: «فلما جن الليل أرسينا على مقربة من جُدَّة وهي

٥٧- المصدر السابق، ص ص/٤٣-٤٤
٥٨- المصدر السابق، ص/٤٠ .

بمرأى العين منا. وحالت الريح صبيحة يوم الثلاثاء بعدة بيننا وبين دخول مرساها، ودخول هذه المراسي صعب المرام بسبب كثرة الشعاب والتفافها. وأبصرنا من صنعة هؤلاء الرؤساء والنواتيه في التصرف بالجلبة (القارب) أثناءها أمرا ضخما، يدخلونها على مضايق ويصرفونها خلالها تصريف الفارس للجواد الرطب العنان السلس القياد، ويأتون في ذلك بعجب يضيق الوصف عنه»[٥٩].

هكذا كان خط رحلة سير ابن جبير وصحبه من غرناطة إلى جُدَّة التي وصلوا إليها يوم الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة (٥٧٩هـ) الموافق السادس والعشرين من شهر يوليو سنة ١١٨٣م بعد أن قضوا أكثر من ثمانية أشهر في السفر وجابهوا الأهوال والعواصف والأمواج والأنواء في البحار المختلفة ومكثوا فيها حوالي ثمانية وعشرين يوما توجهوا بعدها إلى مكة المكرمة لأداء مناسك العمرة وفريضة الحج. فأين نحن منهم اليوم، إذ يقطع المسافر رحلة مثل هذه في عدة ساعات على طائرة فارهة تسير بسرعة حوالي ستمائة كيلو متر في الساعة أو تزيد ويقوم على خدمته خلالها طاقم من المضيفين يقدمون له الأكل والشراب وما يحتاج إليه.

جُدَّة بعدسة ابن جبير:

بعد ثمانية أيام من أهوال البحر الأحمر وصل ابن جبير وصحبه إلى مدينة جُدَّة في ظهر في يوم الثلاثاء الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٩هـ الموافق السادس والعشرين من شهر يوليو سنة ١١٨٥م وصف ابن جبير ذلك بقلمه وتحدث عن وجوده في جُدَّة قائلاً:

«وفي ظهر الثلاثاء الرابع من شهر ربيع الأخر المذكور، وهو السادس والعشرون من شهر يوليو، كان نزولنا بجُدَّة حامدين الله عز وجل، وشاكرين الله على السلامة والنجاة من هول ما عايناه في تلك الأيام الثمانية طول مقامنا على البحر، وكانت أهوالاً شتى، وعصمنا الله منها بفضله وكرمه، فمنها ما كان يطرأ من البحر واختلاف رياحه وكثرة شعابه المعترضة فيه ومنها ما كان يطرأ من ضعف

٥٩- المصدر السابق، ص/٤٠ .

عــدة المركب واختلالها ... وكنا نموت مراراً ونحيا مراراً، والحمد لله على ما منّ من العصمة، وتكفــل به من الوقاية والكفاية حمداً يبلغ رضاه ويســتهدي المزيد من نعماه، بعزته وقدرته، لا إله سواه».

ثم يصف ابن جبير مكان إقامته في جُدَّة قائلاً:

«كان نزولنا فيهــا بدار القائد علي، والذي كان والياً عليها من قبل أمير مكة المكرمة الشريف «مكثر»، حيث نزل في أحد الأخصاص التي تشبه الغرف. وتبنى في أعلى بيوت جُدَّة. وهذا يشــير إلى أن أعيان مدينــة جُدَّة كانوا يكرون أجزاء من بيوتهم».. «وعند احتلالنا جُدَّة المذكورة عاهدنا الله عز وجل وسرورا بما أنعم الله به من الســلامة – ألاّ يكون انصرافنا علــى هذا البحر الملعون إلا أن طرأت ضرورة تحول بيننا وبين سواه من الطرق، والله ولي الخيرة في جميع ما يقضيه ويسنيه «يسهله وييسره بعزته»[٦٠].

يصــف ابن جبــير الحالة العمرانية لمدينة جُدَّة بأن أطلــق عليها لفظ (القرية) كمصطلح عمراني. رغم أن المصادر التاريخية الســابقة لعصره تعتبرها (مدينة) من حيث تكوينها العمراني. وهذا يدل على أن مدينة جُدَّة شــهدت تراجعاً عمرانياً وهو ما تنبه إليه ابن جبير مشيراً إلى آثار باقية في جُدَّة تدل على كبرها واحتوائها على مظاهر عمرانية متنوعة وفي ذلك يقول:

«أما جُدَّة فهي قرية على ســاحل البحر المذكور، أكثر بيوتها أخصاص، وفيها فنادق مبنيــة بالحجارة والطين وفي أعلاها بيوت مــن الأخصاص كالغرف، ولها ســطوح يســتراح فيها بالليل من أذى الحر، وبهذه القرية آثار قديمة تدل على أنها كانت مدينة قديمة، وأثر سورها المحدق بها باق إلى اليوم»[٦١].

إن التراجــع العمراني يعكــس الأزمة الاقتصادية التي كانــت تعيش فيها جُدَّة في ذلــك الوقت. ويصف ابــن جبير هذه الأزمة بقوله عن ســكانها بأنهم فقراء

٦٠- المصدر السابق، ص/٤١ .

٦١- المصدر السابق، ص/٤١ .

محتاجـــون. يمتهنون أي مهنة. والتي يبـــدو أن جلها كانت مرتبطة بخدمات أعداد محـــدودة من الحجيج، فمن يملك الجمال منهـــم يؤجرها على هؤلاء الحجاج. أما بقية الســـكان فيبيعون القليل من الطعام والماء. بل إن نســـاءهم أيضاً كن يفعلن ذلك أيضاً. وهو ما اعتبره ابن جبير أمراً لا يليق بهن(٦٢).

ويلاحظ أن ابن جبير لا يشير إلى وجود النشاط التجاري في جُدَّة. رغم أنه لم يغفل عن ذكره في مدن أخرى. مما يدل أيضاً على انعدامه فيها في ذلك الوقت. وهـــذا بخلاف ما ورد عن هذه المدينة في عصور ســـابقة. إن هـــذه الظاهرة التي أضحت جُدَّة تعاني منها تعكس ما سبق أن ذكرناه عن تحول طرق الحج والتجارة بســـبب الحروب الصليبية مما أفقدها خصائصها التجارية كمحطة تموين للســـفن التجاريـــة. بيد أن هذه الظاهرة لم تلبـــث أن تعود بعد ذلك إلى جُدَّة وخاصة في العصر المملوكي لتصبح المدينة التجارية الرئيسة على البحر الأحمر.

لم يغب عن بال ابن جبير أن يشـــير إلى أهـــم المعالم المعمارية والتاريخية كعادته عندما يصف أي مدينة يزورها فذكر أن بها مســـجداً مباركاً ينســـب إلى عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه ولعله المســـجد الذي يعرف في الوقت الحاضر بمســـجد (الشـــافعي) كما يذكر مسجداً آخر اختلف في نسبته فمنهم من يقول بأنه يعود لزمـــن عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه ومنهم من يقول بأنـــه يعود لزمن الخليفة العباســـي هارون الرشيد كذلك يشير –وإن كان بصيغة الاحتمال– إلى وجود قبر في جُدَّة ينســـب إلى حواء أم ولد آدم عليه الســـلام كما أنه يصف بيوت المدينة فيذكر أن أكثـــر بيوتها أخصاص. أما الفنادق فهي مبنية بالحجارة واللبن ويعلوها غرف مبنية من الأخصاص تفتح على ســـطوح يبيت فيه ســـكان الفنادق تجنباً لأذى الحر في الغرف. ويفهم من كلام ابن جبير الســـابق عن دار القائد «علي» هـــذا النمط من العمارة –بناء الأخصاص في أعلى المبنى– كان متبعاً في البيوت القليلة المبنية من الحجارة(٦٣).

٦٢– المصدر السابق، ص/٤٢ .
٦٣– المصدر السابق، ص/٤٢ .

ويتحدث ابن جبير عن خارج سور جُدَّة فيقول: «وبخارج هذه البلدة مصانع قديمة تدل على قدم اختطاطها» ومن الغريب أن مدينة جُدَّة التي ارتبط تاريخها بقلة المياه وندرتها يذكر عنها ابن جبير بأن بها: «جباب منقورة في الحجر الصلد يتصل بعضها ببعض تفوت الإحصاء كثرة، وهي داخل البلد وخارجه، حتى إنهم يزعمون أن التي بخارج البلد ثلاثمائة وستين جبا، ومثل ذلك داخل البلد، وعاينا نحن جملة منها كثيرة، فسبحان المحيط علما بها»[٦٤].

وفي تصوري أن الأمر لا يستقيم مع شح المياه وقلتها في جُدَّة والراجح أن هذه الجباب التي يذكرها ابن جبير حفرت (نقرت) في الصخر مع تكسيتها ببناء حافظ للماء اذ حفرت في الأرض بهدف تجميع مياه الأمطار النادرة الهطول للمساعدة في تأمين جانب من حاجة جُدَّة للماء.

تحدث ابن جبير عن سكان جُدَّة وما حولها فذكر أن جلهم أشراف حسنيون وحسينيون وجعفريون وهذا يعكس انتشار الأشراف في ذلك العصر في بوادي الحجاز وسواحله نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية[٦٥].

وقد بقي ابن جبير في جُدَّة ثمانية أيام ذهب بعدها إلى مكة المكرمة. وقد سجل ابن جبير ذلك بقلمه فقال: «وفي عشي يوم الثلاثاء الحادي عشر من الشهر المذكور «ربيع الآخر» وهو الثاني من شهر أغشت (أغسطس) كان انفصالنا من جُدَّة بعد أن ضمن الحجاج بعضهم بعضا، وثبتت أسمائهم في زمام «السجل» عند قائد جُدَّة علي بن موفق».

غادر ابن جبير جُدَّة في مساء يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٩هـ الموافق اليوم الثاني من شهر أغسطس سنة ١١٨٢م متجهاً إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ودخلها في فجر الخميس الثالث عشر من ربيع الآخر ٥٧٩هـ الموافق الرابع من أغسطس ١١٨٣م وأقام بها ما يزيد على ثمانية أشهر ثم ذهب قاصداً المدينة المنورة ودخلها على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يوم

٦٤- محقق الكتاب يعلق على هذا المصطلح بقوله إنها (البئر الكثير الماء البعيد القعر) .
٦٥- المصدر السابق، ص/٤٢ .

الاثنين الثالث من محرم عام ٥٨٠هـ /١١٨٤م[٦٦].

وبعد أن مكث في المدينة المنورة وتشرف بزيارة سيد البشر عليه الصلاة والسلام وصف شـــعوره بقوله: «ولم يبق لنا أمل من آمال وجهتنا المباركة ولا وطر إلا وقد قضيناه ولا غرض من أغراضنا المأمولة إلا وبلغناه» وبهذا فلســـان حاله كان يقول إنه لم يعد لديه طموح إلا في العودة للوطن. وكانت مدة بقائه بالمدينة المنورة خمسة أيام ومنها توجه عن طريق البر إلى العراق حيث كان قد عزم على ألا يعود في رحلة بحرية من البحر الأحمر إلا أن يحال بينه وبين الطرق الأخرى.

هذه جُدَّة كما وصفها الرحالة المشـــهور ابن جبير كما كانت في عهده قبل ما يقرب من ألف عام في كتابه الموسوم (رحلة ابن جبير) ولاشك أنها رحلة تستحق الاطلاع والقراءة، كانت وما زالت مدينة هامة تســـتهوي كل من زارها وســـكنها أياماً فتسكن فؤاده وتعتبره من أهلها مرحبة به. واليوم قد أصبحت جُدَّة كما هو معروف مدينة عالمية عصرية تضاهي أكبر مدن العالم وأهمها.

٦٦- المصدر السابق، ص/٤٥ .

ابن المجاور

يتحدث المهندس زكي فارسي بآخر مستجدات تقنيات الخرائط بين وقت لآخر، ويقوم بعمل خرائط لمختلف مدن وطننا الحبيب المملكة العربية السعودية. ولقد تطورت تقنيات إصدار واستعمال الخرائط في وقتنا الراهن وتم ربطها مع الأقمار الصناعية في الفضاء . وتحتوي كثير من السيارات، والقوارب، والهواتف الجوالة على ما يسمى (GPS) فترسم لنا خط سير رحلاتنا أو مشاويرنا سواء في داخل المدن أو خارجها مما يسهل الانتقال على مستخدمي هذه التقنيات.

أما في الماضي البعيد فكان الأمر يختلف اختلافاً كلياً، حيث كانت الخرائط شحيحة ولم تكن بمتناول إلا بعض الرحالة والجغرافيين الذين كانوا يقرنون مؤلفاتهم الجغرافية بالخرائط.

كان أحد هؤلاء الرحالة العربي المسلم ابن المجاور الذي رسم أقدم خريطة لجُدَّة.

ترجمة حياة ابن المجاور:

اختلفت المراجع في نسبة ابن المجاور، ولم تتفق له على اسم واحد، فغالبية المراجع تذكره على أنه: أبو الفتح، يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور الشيباني، وهكذا أورده الزركلي في (الأعلام)، وأيضاً ورد بنفس الصورة في (موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين) وهكذا ورد على غلاف الكتاب. – ط . لندن سنة ١٩٠١ – ١٩٥٤ وهي نسبة خاطئة.

فقد أورد مؤلف كتاب تاريخ المستبصر في صفحة: (٢٨١) ما نصه: «وكتب والدي محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادى النيسابوري...» وهكذا نجد أن المؤلف قد ذكر اسم والده بالكامل، إلا أنه لم يذكر اسمه هو أو كنيته.

وقد ذكرت صاحبة (الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية)، تحت عنوان: (تاريخ المستبصر) ما يلي : لمحمد بن مسعود بن .. الذي كان حياً سنة ٦٢٦هـ - ١٢٢٨م . مخطوط رقم (٤٦٣) مكتبة المتحف العراقي .

وهو كتاب في تاريخ مكة والحجاز وبلاد اليمن، لم تعرف وفاة مؤلفه، وقد ذكر المؤلف اسمه في الورقة (١٠٨) من هذه النسخة وهو...

ويلاحظ أن المؤلفة هنا اعتبرت أن النسبة الواردة في المخطوط في الورقة (١٠٨) أو في صفحة (٢٨١) هي للمؤلف نفسه، بينما نجد عبارة المؤلف صريحة في قوله: «وكتب والدي ...»[٦٧].

وقد وردت ترجمتة أيضاً ب جمال الدين أبوالفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي . ووردت ترجمته في (شذرات الذهب) «ابن المجاور نجم الدين أبو الفتح يوسف بن الصاحب يعقوب بن محمد علي الشيباني الدمشقي الكاتب، ولد سنة إحدى وستمائة، وسمع من الكندي — وعبدالجليل بن مندويه وجماعة، وتفرد برواية (تاريخ بغداد) عن الكندي، وتوفي في الثامن والعشرين من ذي القعدة». ولا تعرف سنة وفاته —يرحمه الله-.

٦٧- ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز السماة (تاريخ المستبصر)، راجعه ووضع هوامشة ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (١٩٩٦م)، ص ص/ ٥-٦ .

زيارة ابن المجاور لجُدَّة ورسمه خريطتها في القرن السابع الهجري:

تحدث ابن المجاور عن قصة بناء جُدَّة في كتابه (تاريخ المستبصر) قائلاً: «حدثني موسى بن مسعود النساج الشيرازي قال: لما أسلم سلمان الفارسي، رضي الله عنه، تسامع أهلوه بالخبر فقصدوه وأسلموا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسكنوا جُدَّة لأنهم كانوا تجارا». وقال بعضهم : بل هي بناء خسرو بن فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن بهرام . ومما ذكره أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عباس في كتاب الفاكهي قال: أول من اتخذ جُدَّة ساحلاً عثمان بن عفان وكان قبل ذلك بموضع يسمى الشعبية.

قال ابن المجاور: والشعيبة هو خور عظيم ومرسى قديم مقابل وادي المحرم، لا شك أنه كان قبل جُدَّة لأن ما في تلك النواحى مرسى أدنى منه ولا آمن عاقبة.

قالت العجم: فلما خربت سيراف انتقل أهل سيراف إلى سائر سواحل البحر كما تقدم ذكرها فوصل قوم منهم وفيهم اثنان : أحدهما يسمى سيار والثاني مياس فسكنوا جُدَّة وأداروا على البلد سوراً من الحجر الصم بالجص، فلما ابتدأوا في المقام بها بنوا هذا السور وجعلوا عرض الحائط عشرة أشبار فبقي السور على حاله حتى تمكنوا من المقام فبنوا على وجه السور سوراً ثانياً من الحجر الكاشور منقوش، أي منحوت مربع، بالجص وجعلوا عرض الحائط خمسة أشبار فصار عرض الحائطين الملتزقين بعضهما إلى بعض خمسة عشر شبراً.

وركب عليه أربعة أبواب: باب الرومة وباب المدينة، وكان عليه حجر حفر فيه طلسم إذا سرق في البلد سارق وجد بالغداة اسم السارق مكتوباً في الحجر، وباب مكة، وباب الفرضة مما يلي البحر، وحفر حوله خندق عظيم في الوسع والعمق ماء البحر حول البلد ويرجع ما فضل منه إلى البحر، والبلد يصير شبه جزيرة في وسط لجج البحر.

فلمـــا حصن الفرس البلد غاية التحصين خاف القوم من ضيعة الماء فبنوا ثمانية وستين صهريجاً داخل البلد وبنوا بظاهر البلدة مثلها، والأصح أنه بني بباطن البلد خمسمائة صهريج وبظاهر البلد مثلها، والله أعلم»(٦٨).

وقد رسم ابن المجاور خريطة توضح هذا الوضع والترتيب

خريطة رسمها الرحالة ابن المجاور لجدة في القرن السابع الهجري – المصدر: كتاب تاريخ المستبصر

يقول مؤرخ جُدَّة الأســتاذ عبــد القدوس الأنصاري – رحمــه الله – في كتابة موسوعة تاريخ مدينة جُدَّة أن ابن المجاور: (رسم خريطة ساذجة لجُدَّة ضمن كتابه وجعلها بشــكل مســتدير، وقد وضع الناحية الغربية من المدينة في المكان الذي توضع فيه الناحية الشــمالية بالنســبة للخرائط الحديثة كما وضع الناحية الشرقية منهــا في المكان الذي تكــون فيه حديثاً بناحية الجنوب، والناحية الشــمالية في

٦٨-المصدر السابق، ص ص/ ٥٥-٥٧ .

موضع ناحية الشـــرق، والجنوبية في مكان الغربية بالنسبة للخرائط العصرية) ولكن بعد تعريفه لخريطة ابن المجاور يستطرد الأنصاري قائلاً: لكننا لم نعثر على خريطة خاصة بمدينة جُدَّة مثلها وفي تاريخ وضعها أو أقدم منها، وهي وإن لم تكن فيها المعـــالم الكافية للمدينة في عهد المؤلف إلا أنها بحســـبها أنها أعطتنا صورة تقريبية لوضع جُدَّة إبان رسم المؤلف لها في القرن الهجري السابع.

وتظهر جُدَّة في خريطة ابن المجاور ملاصقة للبحر كما هو الوضع في أيامنا هذه وتبدو مساحة جُدَّة في الخريطة محدودة للغاية وغير ممدودة في الأرض الواسعة التي تقع في منطقتها.

ويقول الأنصاري إنه يمكن ملاحظة أمرين عني ابن المجاور بإثباتهما.

أحدهما القبر المزعوم أنه لحواء أم البشـــر، وابن المجاور يعتقد أنه حقيقي، ويبدو من منظر الرســـم أنه كان خارج البلد آنذاك، بعيداً عن العمران – بعض الشـــيء ممـــا يفهمنا مقـــدار ضآلة حجم المدينة وقتئذ . علماً بأن الرحالة العربي الشـــهير ابن جبير قال عندما زار جُدَّة في القرن الســـادس الهجري، أي قبل «ابن المجاور» بحـــوالي مائة عام، ذكر أن هذا المكان كان منزلاً لحواء ولم يكن قبراً لها . كما أورد الأنصاري ما ذكره الحميري في (الروض المعطار بأخبار الأقطار) بنسخته الخطية، حيـــث يقول الأنصاري:» إن الحميري يقـــرر نصاً صريحاً لا يقبل التأويل أنه كان بجُدَّة نزول حواء وبعرفات تعرفت بآدم».

والأمـــر الثاني الذي عني بإثباته راســـم الخريطة هو هذه الســـبخة التي تقع بين البحر والجبل، وقد سماها باســـم (منية الحديبية) يقول الأنصاري إن هذا الاســـم غريـــب علـــى المنطقة وقد يكون قد ورد من مصر حيث أن (المنية) بكســـر الميم وســـكون النون بعدها ياء مثناة مفتوحة فيها وتأنيث – هي من أســـس الأماكن بمصر خاصة(٦٩).

٦٩–الأنصـــاري، عبدالقدوس: موســـوعة تاريخ مدينة جُـــدَّة، المجلد الأول، الطبعة الثالثة، دار مصـــر للطباعة، القاهرة، (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م)، ص ص/١١– ١٣.

بعض الصهاريج في جُدَّة إبان فترة ابن المجاور

ذكر ابن المجاور بعض الصهاريج التي كانت توجد في جُدَّة والتي كان منها: أبو الطين عامر والمريابني والحفـيرة والنخيلات وصهريج أبي بكر والحجري والصرحي وصهريج السدرة والحوار والفرحي وصهريج يحيى الشريف والودية والمبادر وصهريج البيضـة والبركـة وصهريج أم ضـرار وصهريج بركات وصهريج سـليمان العطار والطـولاني والعرضاني ، فكان إذا وقع الغيث وامتلأت الصهاريج التي بظاهر البلد كانت العبيـد تنقل ماء الصهاريج على الدواب فتقلبه في الصهاريج التي عندهم في الدور، وكذلك صهريج الأخميمي وصهريج الأبنوس وصهريج الجامع وصهريج ردرية وصهريج محمد بن القاسم، وكان يبقى الماء عندهم من العام إلى العام وهم في أكل وشرب وغسل وهزل وجد وهرج ومرج[٧٠].

جُدَّة بعدسة الرحالة المسلم ابن المجاور

وصـف ابن المجاور جُـدَّة بأنها: مدينة صغيرة على سـاحل البحر وهي فرضة مكة، وليس يمكن بها السـكون لازدحام الخلق بها في أيام الموسم الحاج لأنه يلتام إليها من جميع أطراف بلاد العالم والربع المسـكون والبحر المعمور من ديار مصر والمغرب والهند واليمن، وإذا قل الماء على أهلها نقلوه من القرين من نصف الطريق مـا بين مكة وجُدَّة ... وبناؤهم من الحجر الكاشـور وخـوص وكلها خانات، والخان المعروف بها خان البصـر، وهما خانان متقابلان بمخازن كبار، ويقال: إنه بنى بظاهرها الأمير شمس الدين طنبغا خاناً كبيراً عظيماً سـنة ثلاث وعشـرين وسـتمائة، وكل من بني بها بيت خوص يزن للسلطان في كل بيت في السنة ثلاثة دراهم مكية، وأما الدور التي هي بالحجر والجص فليس عليها شـيء لأنها ملك لأصحابها وفي تصرف أربابها .

ويقال: إنما سميت جدة جدة لأنها دفن بها أم البشر حواء، عليها السلام، فهي جدة جميع العالم، فلما بني هذا البلد عرف باسم جدة، أي حواء زوج أبي البشر

٧٠-ا ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز السماة (تاريخ المستبصر)، مصدر سابق، ص/ ٥٨ .

عليه السلام .

ويقـــال: إنما سميت بلاد العرب جزيـــرة لإحاطة البحار والأنهـــار من أقطارها وأرجائها فصارت بلاد العرب جزيرة من جزائر العرب(٧١).

هذه قبسات من ملامح مدينة جُدَّة كما رسمتها عدسة ذاكرة الرحالة العربي ابن المجاور وكما خطها ببراعة في كتابه الموسوم (تاريخ المستبصر) الذي ضمنه خريطته لجُـــدَّة والتي وإن كانت خريطة بدائية وبســـيطة إلا أنها تعطينا بعض التصور عما كانـــت عليه هذه المدينة العريقة إبان زيارته لها في القرن الســـابع الهجري الثالث عشر الميلادي قبل ما يقرب من ثمانمائة عام .

٧١-المصدر السابق، ص ص/ ٦٤-٦٥ .

القاسم بن يوسف التجيبي السبتي

الرحالة المسلم (السبتي) أتى إلى جُدَّة في القرن السابع الهجري ومكث بها عدة أيام وكتب عنها في كتابه الموسوم (مستفاد الرحلة والاغتراب) الذي قال عنه الدكتور عبدالهادي التازي في كتابه (رحلة الرحلات.. مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة) من إصدارات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة: إنه يُنعت بأنه كتاب شامخ القدر[٧٢].

ترجمة القاسم بن يوسف التجيبي السبتي:

يترجم الباحث عبدالحفيظ منصور محقق كتاب « مستفاد الرحلة والاغتراب» صاحب هذا الكتاب قائلاً «صاحب هذه الرحلة هو القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي السبتي، ولد في حدود سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١هـ»[٧٣].

ويقول المحقق: إن المؤلف، سجل لنا في برنامجه أطوار حياته العلمية، وأسانيده المختلفة لأمهات كتب الثقافة الإسلامية: حفظ القرآن، وقرأه بالقراءات الأربع عشرة المأثورة عن القراء، ودرس كتب التفسير، والقراءات، والحديث، ومصطلحه، وصحاحه، وسننه، وعواليه، ثم الفقه والتصوف، وعلوم العربية، وضمن رحلته أشتاتاً مما أفاده من لقاء علماء عصره، وما روى عنهم، مما يعني وفرة تحصيله وقراءاته.[٧٤] ويقول المحقق إن القطعة التي بين أيدينا لا «تسجل لنا تاريخ بداية انطلاقه إلى رحلة الحج، لافتقادها قسمها الأول، وإنما تسجل تاريخ لقائه للشيخ ابن دقيق العيد الذي أخذ عنه بالمدرسة الكاملية لقاهرة المعز، وذلك في السادس من جمادى الأول سنة ٦٩٦هـ/١٤٩٦م ويستنتج المحقق من ذلك أن هذا الرحالة

٧٢- التازي، عبدالهادي: رحلة الرحلات .. مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، الجزء الأول، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م)، ص/٩٢ .

٧٣- السبتي، القاسم بن يوسف التجيبي : مستفاد الرحلة والاغتراب، مصدر سابق، ص/ج .

٧٤- المصدر السابق، ص/ج .

قد اغترب وهو في قوة شبابه على حدود الثلاثين من العمر»[٧٥].

ولقد ذكر كثير من المؤرخين ومنهم محقق هذه الرحلة أن سنة وفاة السبتي — رحمه الله — كانت عام ٧٣٠هـ/١٣٢٩م[٧٦] بينما يحددها الدكتور عبدالهادي التازي بعام ٧٣٧هـ/١٣٣٧م .

رحلة السبتي :

يقول الدكتور محمد بن حسن الشريف: إن السبتي قام برحلته في حدود سنة (٦٩٦هـ) سالكاً نهر النيل إلى مدينة قوص بالصعيد، ثم ارتحل منها إلى عيذاب[٧٧] وقد وصف الرحالة هاتين المدينتين وصفاً دقيقا وشاملا وقال عن (قوص) إنها مدينة عظيمة آهلة عامرة، من أكبر المدن الشهيرة التي رأيناها في الصعيد، ومن أفضلها بناءً. وتحدث عن بعض علمائها في زمنه[٧٨].

أما عن «عيذاب» التي سماها «بليدة» على ضفة بحر القلزم، فقال: إنها ليست بالكبيرة القطر، ولا بالأهلة العامرة بالخلق. وذكر أن أكثر بيوت (عيذاب) من الأخصاص، ولا يوجد بها ما تنبته الأرض. وبين أن كل شيء مجلوب إليها حتى الماء. وقال: إنها من أشد البلدان حراً.

ووصف السبتي مراكب البحر في عيذاب قائلاً: ومراكب هذا البحر بجملتها في غاية من ضعف البنية وصورة إنشائها أنهم يركبون الألواح بعضها على بعض، ويصلون بينها بالجزر الماسكة لذلك على صورة القرقور، ثم يخرزونها بالقنبار، وهو ليف يكون على الرانج/ وهو الجوز الهندي، يدبغ ذلك الليف إلى أن يتخيط ثم يدّرس فتتفتل منه الحبال، فالخشن منه للمراسي ونحوها، يدعونها بالطوانس[٧٩].

٧٥- المصدر السابق، ص/ج .

٧٦- المصدر السابق، ص/ج .

٧٧- الشريف، محمد بن حسن بن عقيل موسى: المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والميدنة النبوية، المجلد الأول، دار الأندلس الخضراء، جُدَّة، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ص/١٦١.

٧٨- السبتي، القاسم بن يوسف التجيبي: مستفاد الرحلة والاغتراب، مصدر سابق، ص/١٧٣

٧٩- المصدر السابق، ص/٢٠٧ .

ولقد ترك السبتي ورفاقه عيذاب يوم الأربعاء الثالث عشر من شعبان عام (٦٩٦هـ) في (سنبوق) وبعد ساعة من إبحارهم دخلوا مرسى (الجدير) التابع لعيذاب وقال إن معظم القاصدين للحج يحرمون في ذلك المرسى[٨٠]. واستغرب ذلك لبعده عن جُدَّة وقال إنه بلغه أن بعض من أحرم من هناك ظل محرما لمدة سنة[٨١].

وقال السبتي إنهم في نفس ذلك اليوم أبحروا في صحبة مركب لأحد كبار التجار، وهو عز الدين بن الأصفهاني. قصد فيه الحج بأهله وولده وخدامه وجروا متقاربين بريح فاترة مساعدة. فلما قاربوا التوسط في البحر (الأحمر) عصفت عليهم الريح وواجهتهم المصاعب والأهوال.

ولقد تحدث السبتي عن بعض الأهوال التي واجهوها في البحر الأحمر حين ركبوه من عيذاب في طريقهم إلى جُدَّة فقال:

فلما قاربنا التوسط بين بر جُدَّة وبر عيذاب الموحش، عصفت علينا الريح، وجاء منها ما أشفينا به على التلف، وعظم الموج وأظلم البحر، واشتد سواده وأرانا أهواله وأخافنا ما شاهدناه من الحال. وأجمع رأي الملاحين وربانهم على أن الرجوع إلى بر عيذاب الوحش أرجأ لسلامتنا فكررنا راجعين طائعين وجلين، فيسر الله تعالى علينا ودخلنا مرسى من مراسى بر عيذاب يعرف بالواسعة، ولم يكن به ماء ولا ظل ولا أنس ولا وحش ولا إنس فأقمنا به يوماً وبعض آخر. ثم أقلعنا منه مبحرين أيضاً فلما توسطنا الطريق مال أيضاً علينا البحر أشد من المرة الأولى، وعصفت الريح عصوفا شديداً وجاء منها ما لا قبل لأحد به، وعاينا الموت عياناً وأيقنا بالتلف لا محالة وضج الناس بالصياح والبكاء والتضرع إلى الله تبارك وتعالى بالدعاء، وأجمع رأي الجميع على أن الرجوع إلى ميناء عيذاب الموحش أرجى لنا أيضاً، فكررنا راجعين عوداً بعد بدء خائفين وعلى الله تعالى في سلامتنا متوكلين وقد بلغت القلوب الحناجر وأحاط بنا الموج من كل جهة ومكان. ثم أدركنا الله

٨٠- المصدر السابق، ص/٢٠٨ .
٨١- المصدر السابق، ص/٢٠٨ .

تعالى بلطفه ودخلنا مرسى من مراسي عيذاب المذكورة على مقربة من جزيرة سواكن يدعى بالمربوطة(٨٢).

وقال السبتي: إن ربان مركبهم وكان ربانا ماهرا ومقدما في صناعته ماهرا فيها قال لهم: إن سلامة المركب كانت غير متوقعة ونادرة، وأن السفر لا يمكن فيه البتة. وقال السبتي عن المرسى الذي كانوا به: لم نرقط مرسى أشد توحشاً منه، كان قريب القعر، بعيداً من البرّ. وقال: إن ماءهم قارب على النفاذ وكان كل منهم يأخذ جرعة ماء في الصباح وجرعة في العشية، ثم بعثوا من كرى لهم مركبا من عيذاب ونقلوا إليه أغراضهم ومدهم الله سبحانه وتعالى بريح رخاء طيبة وقال: إن البحر كان مثل الصهريج، ولم تزل الحال كذلك إلى أن دخلوا مرسى (أبحر) وكان ذلك يوم الجمعة السابع لشهر رمضان المعظم من سنة (٦٩٦هـ). وقال عن هذا المرسى: إنه من أحسن المراسي وصفاً، وهو شبه خليج من البحر، يدخل في البر، والبر مطيف بحافتيه.

ويبين أن بين أبحر وجُدَّة «نحو ساعتين من نهار» وقال إنهم باتوا بأبحر ليلتهم تلك لأن السفر غير ممكن في هذا البحر ليلا لكثرة شعبه وهو من أعجب العجب في ذلك، ولولا تردد الملاحين فيه وخبرتهم به ما سلكه أحد. ووصف طريقة الإبحار به قائلا: فتراهم إذا قاربوا البر أجلسوا أحدهم في مقدم المركب، يبصر مالاح أمامه من القرش، ويقول للذي يمسك الخيزرانة: خذ إليك، وادفع عنك. ولولا ذلك ما عبر أحد هذا البحر، وآفاته كثيرة. والأمر فيه فوق ما وصفنا(٨٣).

وأقلع السبتي ورفاقه من أبحر غدوة السبت الثامن لشهر رمضان عام (٦٩٦هـ) ودخلوا ذلك اليوم إلى جُدَّة بعد أربعة وعشرين يوما من مغادرة عيذاب أحتسبها عند الله عز وجل لما رأى من الأهوال والأحوال الشاقة.

ونزل السبتي في دار أحد وجهاء جُدَّة الذي قال: إن اسمه ظفر وأنه حسن الخلق طيب النفس.

٨٢- المصدر السابق، ص/٢١٥ .

٨٣- المصدر السابق، ص/٢١٨ .

وقال السبتي: إن بين عيذاب وجُدَّة نحو مائتي ميل، وقال إن معظم المسافرين يقطعون تلك المسافة في يومين وليلة أما هم فاستغرق زمن رحلتهم أربعة وعشرين يوماً.

وقد وصف السبتي جُدَّة كما سجلتها عدسة ذاكرته في القرن السابع الهجري وصفاً دقيقاً يفتح لنا منه نافذة على هذه المدينة كما كانت خلال زيارة السبتي لها. وننقل بعض ما قاله هذا الرحالة هنا بتصرف:

جُدَّة بعدسة ذاكرة السبتي:

هي –بضم الجيم لا غير– والجُدة بالضم، والجِدة بالكسر، شاطئ البحر والنهر، وجدة ساحل مكة، شرفها الله تعالى، بينهما نحو أربعين ميلاً، أصل الجدة الطريق الممتدة.

وكان أهلها موصوفون بالغنى وكثرة المال، بخلاف ما هم الآن عليه، فإنهم من أشد الناس فقراً، ومن أكثرهم على الجوع صبراً، وقد تهدم اليوم بناؤها، وأكثر بيوتها الآن بالأخصاص، وشرب أهلها من جباب منقورة في الحجارة بخارج المدينة، وأكثرها يُمد بعضها بعضاً، وهي من الكثرة بحيث لا يكاد يبلغها الحصر، عاينا منها ما لم نقدر على إحصائه ولا عدّه مما يدل على أن البلد كان عظيماً آهلاً فيما تقادم من الزمان، حسبما ذكرت، وبها الآن إقلاع وحَطٌّ يسافر منها لليمن، ولسواكن، وعيذاب، وغير ذلك، وبها مصائد للسمك، ومنها يحمل إلى مكة وغيرها.

وبهذه المدينة عامل من قبل الأمير نجم الدين أبي نُمَيّ الحسني، يقبض له مكوسها وضرائبها التي تؤخذ من الحجاج، وأخذ منا من غرائر الطعام نحو ربع كل غرارة وألزم أيضاً من كان له متاع أن يؤدي ضريبة أخرى على المتاع، ولهم أيضاً ضريبة أخرى على الجمال التي يكتريها الحجاج لركوبهم، وحمل متاعهم وأزارهم.

فأقمنا بجُدَّة المحروسة أربعة أيام بسبب تعذر الجمال، حتى تيسرت، فلما كان

صورة من مخطوط مستفاد الرحلة والإغتراب – المصدر: كتاب مستفاد الرحلة والإغتراب

يوم الأربعاء الثاني عشـــر لشـــهر رمضان المعظم من سنة ست وتسعين وستمائة المذكورة حضرت الجمال، وتم الكراء، وتيسر الرحيل إلى مكة –شرفها الله تعالى–.

فلما قربنا من التنعيم ولاحت لنا المســـاجد التي هنالك وهي التي تنسبها الناس اليوم لعائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها– صرخ الناس بالتلبية والدعاء، وارتفعت الأصـــوات بالتضرع والبكاء، وعاينا من الخشـــوع والخضوع ما كاد يذيب قلوبنا، ويذهب عقولنا وألبابنا.

ثم استمر السير، وزاد الخشوع، وعلت الأصوات بالتلبية والدعاء إلى أن نزلنا في الربع الآخر من ليلة السبت الخامس عشر من رمضان المعظم من سنة ست وتسعين المذكورة، وبموافقة ليلة السادس من شهر يوليه العجمي الشمسي على الباب المعروف الآن بباب الشبيكة، وبباب العمرة أيضاً –وكان قديماً يعرف بباب الزاهد– وهو بأسفل مكة عند ثنية كُدي بقرب شعب الشافعيين، ومن هذه الثنية دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة المشرفة المعظمة يوم الفتح، على ما ذكره غير واحد من أهل المغازي والسير، والله تعالى أعلم.

فلما وصلت إلى حرم الله تعالى الشريف دخلته من باب بني شيبة اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذه جُدَّة كما سجلتها عدسة ذاكرة الرحالة القاسم بن يوسف التجيبي السبتي كما كانت في القرن السابع الهجري عندما قدم إليها عام (٦٩٦هـ) حين كان في طريقه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وكما وصفها السبتي في كتابه الموسوم (مستفاد الرحلة والاغتراب).

ابن بطوطة

ابن بطوطة

زار الرحالة الشـــهير ابن بطوطة بلاداً عديدة، ذات لغات مختلفة، وتحدث عن أشياء وأشخاص وظواهر أورد أسماءها بلغات بيئتها. وكان هذا هو الفارق الكبير بينـــه وبين كثير من الرحالة المســـلمين الذين أتوا إلى مكـــة المكرمة والمدينة المنورة عبر جُدَّة فكانت رحلاتهم على الغالب بغرض الحج والعمرة والســـلام على سيد المرســـلين صلى الله عليه وســـلم، يعودون بعدها إلى أوطانهم. أما ابن بطوطة فإن رحلاته كانت شـــبه مستمرة لعشرات من الســـنين، جاب خلالها مشارق الدنيا ومغاربها مما أكســـبه علما غزيراً في هذا المجال وجعل منه عميد الرحالة العرب بحق كما استحق لقب «أمير الرحالة المسلمين».

ولقد أكســـب ابن بطوطة سفره الكثير هذا، معرفة واسعة بعدة لغات، فنجده في كثير من الأحيان يشـــير إلى اللغة التي تنتمي إليها الكلمة التي يتحدث عنها. وفي هذا الســـياق يذكر مأمون جرار في كتابه (معجم ابن بطوطة في رحلته) «أن من دأب ابن بطوطة أن يشير إلى اللغة التي تنتمي إليها الكلمة فيقول: هي بلسان

خريطة ابن بطوطة إلى الأراضي المقدسة – المصدر: كتاب رحلة ابن بطوطة

التركية كذا، أو بالفارسية كذا»[٨٤].

ويضيف مأمون جرار قائلاً: لقد كان ابن بطوطة ينظر بعين الرحالة اللاقط لكل طريف أو غريب في الحياة السياسية أو الاجتماعية أو الزراعية أو الدينية... ولذلك لم يكن همه في تفسير كثير من الألفاظ المترجمة فحسب، بل قدم الوصف المفهم والبيان المفصل، ولذا يستغرق حديثه عن بعض ما تحدث عنه صفحة أو أكثر من صفحة . ونراه يورد ما يرتبط بالكلمة من شائعة أو أسطورة أو عادة اجتماعية...كما فعل في حديثه عن النارجيل والفوفل والتنبول والحيدرية[٨٥].

ويقول مأمون جرار إنه كان لابن بطوطة ذاكرة عجيبة، ومن عجائبه أنه كان يحفظ جملاً سمعها أو قرأها، وبقيت في ذهنه بعد سنين[٨٦].

ولقد كان من غزارة فهم ابن بطوطة العميق ببعض لغات الدول التي سافر إليها

٨٤- جرار، الدكتور مأمون فريز : معجم ابن بطوطة في رحلته، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، (٢٠٠٥م)، ص/٤ .
٨٥- المصدر السابق، ص/٤ .
٨٦- المصدر السابق، ص/٥ .

مكة المكرمة إبان وجود ابن بطوطة بها – المصدر: كتاب رحلة ابن بطوطة

أن استطاع الدكتور مأمون فريز جرار أن يكتب كتاباً عبارة عن معجم لرحلة ابن بطوطة وما جاء فيها من كلمات أعجمية بعنوان (معجم ابن بطوطة في رحلته).

ولقد أهّلت خبرة ابن بطوطة في الأسفار له أن يكتب ما لم يستطع غيره من كتابته عن مكة المكرمة والمدينة المنورة. وكانت المدينتان المقدستان شاخصتين دوماً في كتاباته.

ولقد زار هذا الرحالة العربي الشهير الأراضي المقدسة أربع مرات، وحج خلالها سبع حجات، وصام بها ثلاث رمضانات، وهو ما لم يتيسر للكثير من الرحالة المسلمين الآخرين.

ترجمة حياة ابن بطوطة:

جاء في كتاب (رحلة ابن بطوطة) من إصدارات دار صادر في طبعته الثالثة عام ٢٠٠٩م، ترجمة لصاحب الرحلة ننقل منها بعضها هنا بتصرف: ابن بطوطة: هو أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي، نسبه إلى لواته إحدى قبائل البربر، ويعرف بابن بطوطة ويلقب بشمس الدين.

ولد ابن بطوطة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب عام (٧٠٣هـ/١٣٠٤م) في طنجة ولذا يقال له الطنجي، ومكث فيها إلى أن بلغ الثانية والعشرين ، فاندفع عام ٧٢٥هـ بدافع التقوى، إلى الحج، وانساق بحبه الأسفار إلى التجول في بلدان العالم المعروف في زمنه، فطاف في مصر وسوريا وجزيرة العرب، وإفريقيا الشرقية،

رحلة عدنان عبدالبديع اليافي إلى مدينة طنجة بالمغرب – المصدر: أرشيف المؤلف

وآسية الصغرى، وروسيا الجنوبية، والهند، والصين، والأندلس، والسودان، [٨٧] وغيرها. توفاه الله في مراكش سنة (٧٧٩هـ /١٣٧٧م)[٨٨].

رحلات ابن بطوطة وخط سيرها:

استغرقت رحلات ابن بطوطة قرابة تسعة وعشرين سنة وقد ناقش المصدر السابق (كتاب رحلة ابن بطوطة) من إصدارات دار صادر أهم هذه الرحلات وخط سيرها ما ننقل منه هنا بتصرف:

بدأ ابن بطوطة رحلاته بالحج إلى بيت الله الحرام عام ٧٢٥هـ سالكا طريق شمال إفريقيا، فصعيد مصر، ثم عبر البحر الأحمر إلى بلاد الشام وفلسطين، ومنهما إلى

٨٧- إبن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي: رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، (٢٠٠٩م)، ص/٥ .

٨٨- المصدر السابق، ص/٦ .

مكة المكرمة.

من مكة المكرمة توجه ابن بطوطة عبر العراق، إلى بلاد العجم، كما زار الموصل وديـــار بكر. وعاد إلى مكة المكرمة للمـــرة الثانية حيث مكث بها عامي ٧٢٩هـ و٧٣٠هـ.

قام برحلة ثالثة إلى جنوب الجزيرة العربية فإفريقيا الشرقية، ومنها عاد إلى الخليج العرب وإلى «هرمز» ومنها عاد قافلا إلى مكة المكرمة.

رحل إلى آســيا الصغرى، وبلاد القرم، وزار القسطنطينية ضمن حاشية الأميرة اليونانية زوجة السلطان محمد أوزبك.

انتقل إلى خوارزم وبخارى وأفغانستان في طريقه إلى الهند . وفي «دهلى» (دلهي) تولى القضاء بين الناس . وبعد عامين اشترك في بعثة رسمية إلى بلاد الصين حيث تولى القضاء أيضاً ولمدة عام ونصف.

انتقل إلى جزيرة سرى لانكا (سيلان) والبنقال والهند الأقصى. ثم رجع إلى بلاد العرب عن طريق جزيرة سومطرة.

نزل إلى البر في شـــهر محرم من عام ٧٤٨هـ عند ظفار، وبعد رحلة اخترق فيها بلاد االعجم وما بين النهرين جاء إلى مصر.

ســـافر من مصر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحـــج للمرة الرابعة. ثم عاد إلى شمال إفريقيا ودخل مدينة فاس في شعبان عام ٧٥٠هـ. وبعد أن مكث فيها بعض الوقت، انتقل إلى مدينة غرناطة بعد رحلة طويلة في إفريقيا.

خلال رحلته الأخيرة اتجه ابن بطوطة إلى بلاد الزنج بإفريقيا خلال عام ٧٥٣هـ و٧٥٤هـ. وقد زار تمبكتو ومالي ثم رجع إلى مراكش عن طريق «توات»[٨٩].

وبعد ما يقرب من تســـعة وعشـــرين ســـنة من الترحال أملى ابن بطوطة أخبار

٨٩- المصدر السابق، ص/٥ .

رحلته على العالم محمد بن محمد بن جزي المتوفي سنة ٧٥٧هـ الذي كتبها. ويوجد في مكتبة باريس قسم من تلك النسخة النفسية بخط ابن جزي نفسه(٩٠).

ولقد كانت إقامة ابن بطوطة في الهند هي الأطول حيث تولى القضاء سنتين ثم في الصين حيث تولى القضاء هنالك سنة ونصف(٩١).

وقد وصف هذا الرحالة الشهير كل ما رآه، وتحدث عن السلاطين وزوجاتهم، ووصف أهل هذه البلاد وملابسهم وعاداتهم وخلاقهم ومأكلهم ومشربهم، وما حدث في أثناء إقامته من حروب وغزوات وما إلى ذلك . وكانت عاطفته الدينية تدفعه إلى زيارة المساجد . وزار المكان الذي يقال إن فيه أثر لآدم أبو البشر عليه السلام في جبل «سرنديب» . وقد أسمى رحلته «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» ولكنها تعرف اليوم «برحلة ابن بطوطة»(٩٢).

وعند بداية هذه الرحلة ينقل ابن جزي ما قاله ابن بطوطة: يقول الشيخ أبوعبدالله (ابن بطوطة): كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة ١٣٢٤م معتمدا حج البيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول، عليه أفضل الصلاة والسلام، منفردا عن رفيق أنس بصحبته، وركب أكون في جملته، لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازم (الواحد حيزوم: وسط الصدر).

فجزمت أمري على هجر الأحباب من الإناث والذكور. وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكر. وكان والداي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا، ولقيت كما لقيا من الفراغ نصبا، وسني يومئذ إثنين وعشرون سنة(٩٣).

٩٠- المصدر السابق، ص/٦ .
٩١- المصدر السابق، ص/٦ .
٩٢- المصدر السابق، ص/٦ .
٩٣- المصدر السابق، ص ص/٩-١٠ .

جُدَّة بعدسة ذاكرة ابن بطوطة:

في بعض رحلاته الأربع إلى مكة المكرمة كان قدوم ابن بطوطة إليها وخروجه منها يتم عبر بوابة الحرمين الشريفين، جُدَّة. ولقد زار ابن بطوطة جُدَّة مرتين: المرة الأولى كانت عام ٧٣٠هـ بعد أن فرغ من حجته بعد إقامة بمكة المكرمة استمرت ثلاث سنوات وبعد حج عام ٧٣٠هـ غادر ابن بطوطة مكة المكرمة حتى وصل حدة التي قال إنها نصف الطريق بين مكة المكرمة وجُدَّة[٩٤]. وبعد ذلك غادرها إلى جُدَّة التي يصف وصوله إليها قائلاً:

ثم وصلت إلى جُدَّة، وهي بلدة قديمة على ساحل البحر، يقال إنها من عمارة الفرس، وبخارجها مصانع قديمة، وبها جباب للماء منقورة في الحجر الصّلد يتصل بعضها ببعض تفوت الإحصاء كثرة. وكانت هذه السنة قليلة المطر، وكان الماء يجلب إلى جُدَّة على مسيرة يوم، وكان الحجاج يسألون الماء من أصحاب البيوت[٩٥]. وكان الأمير بها أبو يعقوب بن عبدالرزاق، وقاضيها وخطيبها الفقيه عبدالله من أهل مكة شافعي المذهب، وإذا كان يوم الجمعة واجتمع الناس للصلاة، أتى المؤذن وعدَّ أهل جُدَّة المقيمين بها، فإنْ أكملوا أربعين خطب وصلى بهم الجمعة، وإن لم يبلغ عددهم أربعين صلى ظهراً أربعاً، ولا يعتبر من ليس من أهلها وإن كانوا عدداً كثيراً[٩٦].

اتجه ابن بطوطة بعد ذلك من جُدَّة إلى اليمن. ولا شك أن اتخاذ ابن بطوطة جُدَّة منطلقاً لبعض رحلاته لهو دليل واضح على أهمية هذه المدينة العريقة كميناء بحري وكنقطة عبور إلى مختلف موانئ البحر الأحمر وغيرها. وإن كانت هذه الأهمية لم تحظ باهتمام كبير من ابن بطوطة لأسباب ربما كانت تتعلق بأسلوبه في تدوين (رحلته) إذ إنه كان يولي بعض الجوانب اهتماماً كبيراً بينما يغفل البعض الآخر. كما أن طول إقامته في بعض الأماكن جعلها تستحوذ على نصيب أوفر في

٩٤- المصدر السابق، ص/١٤١ .
٩٥- المصدر السابق، ص/١٤١ .
٩٦- المصدر السابق، ص/١٤٢ .

عدنان عبدالبديع اليافي أثناء رحلته إلى مدينة طنجة بالمغرب – المصدر: أرشيف المؤلف

كتاباته عن غيرها من المدن مما أدى إلى عدم توسعه كثيراً في الحديث عن جُدَّة عندما كتب عن مروره بها وإقامته فيها . إلا أن ذلك لم يمنع ابن بطوطة من تسجيل بعض ما شاهده فيها وذكر بعض ملامح هذه المدينة عند تواجده فيها. وتعد تلك الكتابات بمثابة إطلاله على جُدَّة بعدسة ذاكرة هذا الرحالة العربي المسلم الشهير، نتعرف من خلالها على بعض خصائصها في القرن الثامن الهجري.

مما سبق يُلاحظ أن ابن بطوطة تطرق في البدايات بإشارات موجزة لتاريخ هذه المدينة، فذكر أنها بلدة قديمة، وأن بنائها يعود للفرس منذ القدم، وهي روايات يظهر أن العامة كانوا يتداولونها في ذلك العصر(وعلى أي حال هي مقولة يتحفظ كثير من المؤرخين اليوم عليها). ويبدو ابن بطوطة اكتفى بنقل ما سمع وربما دون أن يتحرى صحة هذه المعلومات من عدمها . وقد نجد له العذر في ذلك فلربما لا نتوقع منه في ضوء الزخم الكبير من المعلومات التي أوردها في كتابه أن يتحقق من كل ما يذكر.

وإذا كان ابن بطوطة قد تطرق بإيجاز إلى تاريخ جُدَّة فإنه يشير إلى ظواهر

أخرى فيها بأسلوبه المتميز . فنجده يذكر صاحب جُدَّة في زمنه، أبا يعقوب بن عبدالرزاق، ويذكر أن قاضيها وخطيبها كان من أهل مكة المكرمة. ومن ذلك يفهم أن جُدَّة كانت عندئذ تتبع مكة المكرمة إدارياً كما هو دأبها منذ أن مصرت على يد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، ولذلك كان أميرها نائباً عن أمير مكة المكرمة وقاضيها يعين من قبله، بالرغم من أنها قد شهدت بعد عصر ابن بطوطة وتحديداً في عهد المماليك الجراكسة محاولات قام بها سلاطين تلك الدولة لسلخ جُدَّة إدارياً عن مكة المكرمة، ولكنها باءت بالفشل، وأن كانوا قد استطاعوا أن يضعوا أيديهم على نصيب وافر من إيرادات جمركها والتي أخذت بالتزايد في تلك الأثناء فخشي السلاطين المماليك أن يستغل أمراء مكة هذه الموارد فيحققوا من خلالها طموحاتهم في بناء دولة مستقلة، فشاطرهم المماليك هذه الموارد كما شاركوهم في إدارة هذه المدينة .

وعندما تحدث ابن بطوطة عن قاضي جُدَّة وخطيبها عبدالله، والذي قال ابن بطوطة إنه كان شافعي المذهب، وقال عنه: إنه كان يلتزم في إقامة صلاة الجمعة أن يكون عدد الحضور في المسجد أربعين رجلاً من أهل المدينة نفسها، فهل هذا يعني أن عدد الرجال من أهل جُدَّة لم يكن يصل في زمنه أحياناً إلى أربعين رجلاً آنذاك. لا نظن ذلك بل ربما دل ذلك على كثرة أسفار أهل جُدَّة للتجارة وطلباً للرزق في زمن ابن بطوطة كما في الأزمان الأخرى. فهذا كان واقع هذا الميناء تاريخياً كما تشير كثير من المصادر، حيث إنها كانت قد بدأت بالتحول إلى أحد الموانئ الرئيسية لتجارة النقل والتوزيع بالإضافة إلى كونها ميناء عبور المسافرين.

وبالرغم من أن ابن بطوطة لم يتحدث بإسهاب عن عمران جُدَّة إلا أنه ذكر مسجد الأبنوس والذي يسمى اليوم مسجد عثمان بن عفان وهو أول مسجد بني في جُدَّة خلال خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبأمر منه رضي الله عنه.

وعن هذا المسجد قال ابن بطوطة: «إنه مسجد مبارك يجاب فيه الدعاء»[٩٧] وسماه مسجد الأبنوس. ومن المعروف أنه كان لهذا المسجد في الماضي ساريتين

٩٧- المصدر السابق، ص/١٤٢ .

من الأبنوس.

وأشار ابن بطوطة إلى شح الماء في جُدَّة حيث قال: «إن الحجاج والغرباء على العموم يطرقون أبواب بيوت جُدَّة يسألون شربة ماء».

كما أشار ابن بطوطة في ثنايا حديثه هذا إلى الصهاريج الكثيرة المحفورة في الصخر والتي حفرها أهل جُدَّة لتأمين المياه.

وفي سنة ٧٣٢هـ زار ابن بطوطة جُدَّة مرة ثانية قادماً من مكة المكرمة في طريقه إلى اليمن ومنها إلى الهند. وعن هذه الزيارة الثانية لمدينة جُدَّة يقول ابن بطوطة: ولما انقضى الحج توجهت إلى جُدَّة برسم ركوب البحر إلى اليمن والهند، فلم يُقضَ لي ذلك ولا تأتى لي رفيق. وأقمت بجُدَّة نحو أربعين يوماً. وكان بها مركب لرجل يعرف بعبدالله التونسي يروم السفر إلى القصير من عمالة قوص، فصعدت إليه لأنظر حاله فلم يرضني ولا طابت نفسي بالسفر فيه. وكان ذلك لطفاً من الله تعالى، فإنه سافر فلما توسط البحر غرق بموضع يقال له رأس أبي محمد. فخرج صاحبه وبعض التجار في العُشاري بعد جهد عظيم، وأشرفوا على الهلاك وهلك بعضهم وغرق سائر الناس، وكان فيه نحو سبعين من الحجاج[٩٨].

ثم ركبت البحر بعد ذلك في صنبوق برسم عيذاب، فردتنا الريح إلى جبل يعرف برأس دوائر. وسافرنا منه في البر مع البجاة. يقول ابن بطوطة: إنه بعد تسعة أيام من السفر من رأس دوائر وصل إلى عيذاب[٩٩].

هكذا بدت جُدَّة عندما زارها ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري. وشتان بين ذلك، وبين ما هي عليه اليوم كمدينة عالمية يسكنها الملايين من الناس وأصبحت بحق عروس البحر الأحمر وتفخر بكونها الميناء الرئيس لوطننا الحبيب المملكة العربية السعودية.

٩٨- المصدر السابق، ص/١٦٣ .

٩٩- المصدر السابق، ص/١٦٣ .

لودفيكو دي فارثيما
Luodovico Di Varthema
(الحاج يونس المصري)

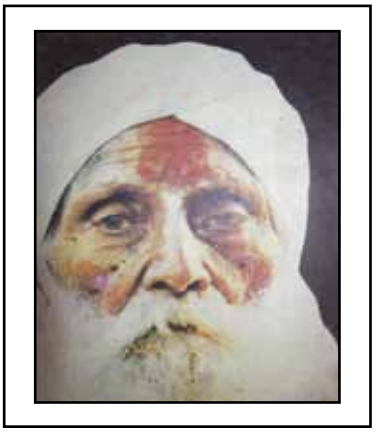

لودفيكو دي فارتيما (الحاج يونس المصري) – المصدر: كتاب رحلات فاثيما

عندما يتحدث الكاتب القدير الأستاذ سمير عطاالله في كتابه الموسوم (قافلة الحبر) عن الرحالة والمغامرين الغربيين الذين قدموا إلى جزيرة العرب فإنه يضعنا أمام زمن كانت المسافات فيه شاسعة بين الإنسان والإنسان. ويبين أن التواصل الذي يعيشه الإنسان الحديث إنما ندين به لرجال مغامرين من الشرق والغرب دفعوا ثمناً غالياً وهم يحاولون اكتشاف الآخر وخاصة في منطقتنا التي نقل عطاالله وصف بيتربرنت لها بقوله: إن الشمس ظلت طوال الآف السنين تحولها دون هوادة إلى رمل وصخر[١٠٠]. ويقول عطاالله: إن هذه الحياة المطلقة بين الرمل والفضاء، بين القمر والشمس، حركت مخيلات الشعراء الغربيين[١٠١]. وكذلك الرحالة

١٠٠- عطا الله، سمير : قافلة الحبر، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٩٩٨م)، ص/٨.
١٠١- المصدر السابق، ص/٨ .

صورة من كتاب يبين رسماً للمغامر لودفيكو دي فارثيما – المصدر: Cover design of Ludvico Di Varthema›s book

والمغامرون الذين جاءوا إلى بلادنا. وقد تعددت أسباب قدومهم لتشمل أغراضاً من بينها الفضول العلمي والشخصي.

ومن هؤلاء المغامرين الأوائل، المغامر الإيطالي لودفيكو دي فارثيما. وكتابات بعض هؤلاء المغامرين والرحالة ضمنها سمير عطا الله كتابه المشوق الموسوم (قافلة الحبر). وحكايات بعض هؤلاء المغامرين تصل في غرابتها تخوم الدهشة.

وبالرغم من أن لودفيكو دي فارثيما لم يكن رحالة إلا أنه كان مغامراً من أول (أن لم يكن أول) الأوربيين قدوما إلى جزيرة العرب وأول أوربي عُرِفَ بأنه زار مدينة جُدَّة في التاريخ الحديث.

ولا شك أن المغامرين من أمثال دي فارتيما يختلفون عن الرحالة المستكشفين. فالمستكشفون الذين لم يبدأوا بالقدوم إلى هذه المنطقة إلا منذ القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن العشرين الميلادين، كان يدونون السجلات ويكتبون عن أدق التفاصيل ويتحدثون على الآثار والمساكن وشعوب المنطقة، بعكس المغامرين

الذيــن كانت أســباب قدومهم إلى بلاد العرب تختلف في أهدافها عن أســباب قدوم الرحالة إليها وأن كانوا قد سبقوا الرحالة في المجيء إلى بلاد العرب. فربما كان الســبب الرئيس لقدوم هؤلاء المغامرين، المغامرة والتسلية وليس الاستكشاف. ولم يترك هؤلاء المغامرون تسجيلا مفصلا ودقيقا لما شاهدوه، ولم يقوموا برسم خرائط للمنطقــة أو رصداً لبيئتها ومناخها أو غير ذلك من الأعمال العلمية المفيدة. إلا أنــه وعلى أي حال من المفيــد أن نتعرف عليهم وعلى ما دونوه من كتابات عن البلدان التي زاروها وإن لم تكن هذه الكتابات موسعة أو موثقة.

من أشهر هؤلاء المغامرين، أحد رجال النهضة الإيطاليين، لودفيكو دي فارثيما (LUDOVTCO DI VARTHEMA)، الذي زار المنطقة في بداية القرن السادس عشر الميلادي بعد أن غادر إيطاليا عام (١٥٠٢م).

ترجمة لودفيكو دي فارثيما (الحاج يونس المصري):

يقول الدكتور عبدالرحمن الشــيخ محقق ومترجــم كتاب (رحالات فارتيما): إنه بالرغم من أهمية رحلة فارتيما، فإننا لا نكاد نعرف عن حياته إلا النزر اليسير، إذ يقول المستشــرق بيرسي بادجر إن معظم ما نعرفه عن فارتيما هو ما ذكره فارتيما عن نفســه. وفي موســوعة التراجم العالمية في القديم والحديث المطبوعة في باريس ســنة (١٨٢٧م) نجد نصا فرنسيا نعرف منه أنه رحالة إيطالي قام برحلة في القرن الســادس عشــر (هكذا دون تحديد للسنة أو للســنوات) وأن هذه الرحلة هامة جداً للمشتغلين بتاريخ الجغرافيا، وللمؤرخين بشكل عام، وأنها إضافة حقة تعرفنا بالعــالم من حولنا، ويعجب بادجر مــن أن المراجع التي كتبها الإيطاليون أغفلت فارتيما أو كادت. فالمؤلف الإيطالي زورلا (Zurla) لم يذكره ضمن أشــهر الرحالة الإيطاليــين. أما المؤرخ الإيطالي فانتوزي (Fantazzi) فلم يتعرض لفارتيما إلا من خلال أسطر قلائل شَكَّاَ في مطلعها من قلة المعلومات عنه وأنهاها بالتشكيك في عودته إلى إيطاليا، وتفســير ذلك (كما يرى فانتوزي) أن فارتيما لم يكن فيه من إيطاليا سوى أنها موضع مولده، ومصدر لغته، أما فيما عدا ذلك يقول فانتوزي: إن الرجل كان يعمل لحســاب ملك البرتغال، الــذي مول رحلته، والذي قدم له

صورة توضيحية لقافلة الحج الشامي إبان زمن لودفيكو دي فارتيما

نائبه في الهند براءة الامتياز والفروسية، وضمه لجيوشه المحاربة أحيانا، لذلك فإن بعض المصادر تشير إليه على أنه رحالة برتغالي، تماما مثل كولومبس الذي تعارف الناس على أنه رحالة أسباني مع أنه من أصول إيطالية[١٠٢].

ويستطرد مترجم ومحقق كتاب (رحلات فارتيما)، د/عبدالرحمن الشيخ قائلا: ومع كل هذا الغموض الذي يحيط بحياة هذا الرحالة فهناك إجماع على أنه ولد في بولوينا (Boloyna) بإيطاليا وأنه رحل منها إلى البندقية وأن والده كان طبيبا وربما كان هو عسكريا كما أنه كان زوجا وأباً[١٠٣].

ويناقش الدكتور عبدالرحمن الشيخ الظروف التاريخية التي تمت خلالها الرحلة فيقول: أن معرفة الظروف التاريخية التي تمت خلالها الرحلة ضرورية لفهم هذه الرحلة والاستمتاع بها في آن . لقد كان لا بد لأروبا في أواخر القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر أن تعيد تقويم معارفها عن العالم الإسلامي وأن تعيد ترتيب أوراقها لمواجهته بأساليب جديدة قوامها العلم والمعرفة. بالإضافة إلى أسباب عملية ملحة تلح على الأوربيين لتعميق معرفتهم بالنظم السائدة في العالم

١٠٢- فارثيما، لودفيكو: رحلات فارثيما، مصدر سابق، ص/١٠ .

١٠٣- المصدر السابق، ص/١٠ .

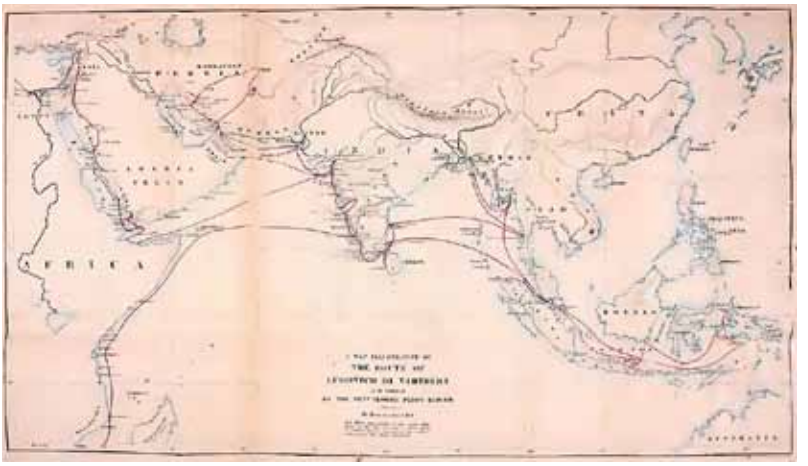

خط سير الرحلة للحاج يونس المصري – المصدر: www.goodreads.com

الإســـلامي خاصة. فالتاريخ الأوربي الحديث –كما يذكر أكتون (ACTON)– يبدأ تحت مطارق العثمانيين المســـلمين. فالدور الإســـلامي في تشـــكيل التاريخ الأوربي لم ينته بنهاية العصور الوسطية وإنما استمر فاعلاً مؤثراً في التاريخ الحديث، فقد أسهم المسلمون في تشكيل التاريخ الأوربي –في أوروبا ذاتها– بقدر قريب من إسهام الأوربيين في تشكيل تاريخنا الحديث.

ويتحدث الدكتور عبدالرحمن الشـــيخ عن القرصنة في البحر الأبيض المتوســـط والتي ظهرت بعد ســـقوط غرناطة ويناقشن تأثيرها على اقتصاديات بعض الدول الأوربية مثل إيطاليا وأســـبانيا والبرتغال. كما يبين الدكتور الشيخ أن فارتيما كان يقســـم المسلمين إلى مسلمين ومماليك ويعني بالمماليك هؤلاء البيض الذين تحولوا إلى دين الإسلام. ويعزي الشيخ ذلك إلى تعصب فارتيما وثقافته.

كما يتحدث الدكتور الشـــيخ عن تغلغل المســـلمين العثمانيين في عمق القارة الأوربية ويبين أن المســـلمين واليهود الذين طردوا من الأندلس وجدوا ملاذا آماناً لدى الدولة العثمانية(١٠٤).

١٠٤– المصدر السابق، ص/١١ .

خط سير رحلة فارتيما إلى جُدَّة :

يقول فارتيما: إن الرغبة التي دفعت الآخرين لمشاهدة دول العالم المختلفة، «هي نفسها التي دفعتني للقيام برحلاتي هذه». ولما كانت كل البلدان مطروقة على نحو كبير بالنسبة لشعبنا، فقد فكرت أن أرى البلاد التي لم يرها أهل البندقية، أو لم يترددوا عليها كثيراً. ولذا نشرنا أشرعتنا في يوم ذي ريح مواتية، طالبين من الله المساعدة، وأسلمنا أنفسنا للبحر، وعندما وصلنا للإسكندرية، إحدى (موانئ) مصر تطلعت لكل جديد. ولأن الإسكندرية معروفة للجميع فسرعان ما غادرتها إلى القاهرة عن طريق النيل. وعند وصوله إلى القاهرة قال دي فارتيما: وجدتها ليست كبيرة جداً كما أخبرتنا التقارير إلا أن بها مساكن أكثر من روما كما أن سكانها أكثر عدداً.

ومن مصر أبحر فارتيما إلى بيروت التي قال: إنها تبعد مسافة ٥٠٠ ميل ومكث بها بعض أيام. وقال عن بيروت: إنها مدينة مزدحمة جداً بالسكان المسلمين، وتزخر بالبضائع المختلفة ويضرب البحر بأمواجه في سورها.

وغادر فارتيما بيروت إلى طرابلس وقال: إن الرحلة إلى طرابلس استغرقت يومين. وعن طرابلس قال: إن كل سكانها مسلمون. ومن طرابلس ذهب فارتيما إلى حلب في رحلة قال إنها استغرقت ثمانية أيام. وقال: إنها مدينة جميلة. وأنها سوق لسوريا وتركيا وتخضع لسلطان مصر. ومن حلب ذهب إلى دمشق في رحلة قال: إنها استغرقت عشرة أيام، توقف في منتصفها في مدينة حماة. فلما وصل فارتيما إلى دمشق مكث بها عدة أشهر تعلم خلالها اللغة العربية.

وعن دمشق قال: انه لا يمكنه وصف جمالها، وقال: إن سكانها من العرب والمماليك والمسيحين اليونانين وأن حاكمها يتبع لسلطان القاهرة . وتحدث عن قلعة دمشق وقال: إن من بناها هو مملوك من فلورنسا. وقال إن هذا المملوك كان حاكم (دمشق) وقتها. وتحدث فارتيما عن دمشق بإسهاب. وذكر أهلها وطرق معيشتهم ولباسهم وعاداتهم وغير ذلك[١٠٥].

١٠٥- المصدر السابق، ص/٣١ .

وعن زيارة فارتيما إلى دمشق يقول الأستاذ سمير عطا الله: أمضى هذا الإيطالي زمنا في دمشق يتعلم اللغة العربية ويدرس طباع أهلها ويسير معهم على ضفاف بردي كما فعل ابن بطوطة قبله بقرنين. وتعرف دي فارتيما هناك على «أمير الحج» الذي وافق له على السفر مع القافلة تحت اسم «يونس» الجندي الهارب إلى خدمة المماليك[١٠٦].

ويستطرد عطا الله ناقلاً عن فارتيما فيقول: «انطلقت القافلة من دمشق وفيها (٤٠) ألف نسمة و(٣٥) ألف جمل . وكانت القافلة تسير (٢٢) ساعة في اليوم. وبعد استراحة قصيرة كانت الأبواق تُنفخُ ثانية فتقوم القافلة من جديد. وقد اعتاد أهلها النوم على ظهور الجمال وهي ترتج في الاتجاهين»[١٠٧].

يقول عطا الله عن فارتيما: لا ندري مدى جدية هذا الإيطالي المرح والمحب للمبالغة. لكننا لا نلبث أن نراه في جُدَّة ثم في عدن. وفي عدن حُكم على فارتيما بالإعدام وألقي في السجن لكن عقوبة الإعدام تبقى دون تنفيذ، وبعد ٢٥ يوما في السجن يخرج وسط هتافات تطالب بقتله وينقل للمثول أمام السلطان في قرية تدعى «الرضة» حيث تظاهر بالجنون، فتُرك يعود إلى عدن حيث استقل باخرةً متجهة إلى الهند... وإلى بقية المغامرات[١٠٨].

وعوداً إلى مغادرة فارتيما دمشق في الثامن من إبريل عام (١٥٠٣م) مع القافلة التي كانت في طريقها إلى مكة المكرمة في رحلة قال فارتيما: إنها تستغرق أربعين يوماً وليلة. توقفت القافلة في المدينة المنورة. ولقد تحدث فارتيما عن المسجد النبوي الشريف ووصفه وذكر أن طوله يبلغ مائة خطوة وعرضه ثمانين خطوة.

وتحدث عن سقف المسجد وأبوابه وذكر إن به (٤٠٠) عامود و(٣٠٠) مصباح.

١٠٦- عطا الله، سمير: قافلة الحبر، مصدر سابق، ص/٤٩ .
١٠٧- المصدر السابق، ص/٤٩ .
١٠٨- المصدر السابق، ص/٥٠ .

ومن المدينة المنورة غادرت قافلة الحج ومعها فارتيما في طريقها إلى مكة المكرمة. عن ذلك يقول فاريثما: جهزنا أنفسنا للرحيل مع مرشدينا الذين راحوا يتفحصون البوصلات والخرائط الضرورية للسفر. وبدأنا الإتجاه جنوباً، ووجدنا بئرا رائعة كانت زاخرة بكميات هائلة من المياه، وقد تركنا هذه البئر وقد نفد ماؤها.غادرنا هذه البئر وظللنا في سفر مستمر طوال عشرة أيام إلى أن وصلنا إلى مكة[١٠٩].

وقال فارتيما إنهم وصلوا مكة المكرمة في الثامن عشر من شهر مايو[١١٠]. ووصف مكة المكرمة وقال عنها: إنها مدينة رائعة الجمال، قد أحسِنَ بناؤها، وتضم حوالي (٦٠٠٠) سريراً، ومنازلها جيدة تماما كمنازلنا في إيطاليا، وتوجد منازل يساوي الواحد منها ثلاث أو اربع آلآف دوكاتو، ولا يحيط بمكة سور، وتمثل الجبال أسواراً لمكة المكرمة.

وتحدث فارتيما عن أهل مكة في وقته وتحدث عن الحجاج الذين صادفهم في مكة المكرمة[١١١]. وقال إنه مكث في مكة المكرمة عشرين يوما[١١٢]. وتحدث عن المسجد الحرام. وقال إنه رأى اثنين من حيوان وحيد القرن في مكة المكرمة[١١٣].

ومن مكة المكرمة غادر فارتيما إلى جُدَّة في قافلة غير القافلة التي أتى معها وكان ذلك ظهر يوم الجمعة. وقال: إنه مع منتصف الليل وصلنا إلى إحدى المدن ومكثنا بها طوال الليل وحتى ظهر اليوم التالي ولعله يقصد (بحرة). وفي يوم السبت شرعنا في المسير وظللنا في ترحال دائم حتى منتصف الليل، حين دخلنا ميناء جُدَّة[١١٤].

١٠٩- فارتيما، لودفيكو: رحلات فارثيما، مصدر سابق، ص/٥٠ .
١١٠- المصدر السابق، ص/٥١ .
١١١- المصدر السابق، ص/٥١ .
١١٢- المصدر السابق، ص/٥٣ .
١١٣- المصدر السابق، ص/٥٨ .
١١٤- المصدر السابق، ص/٦١ .

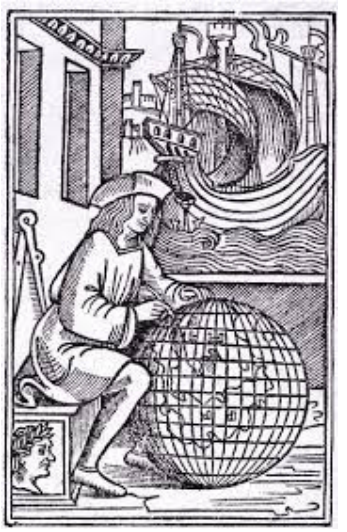

رسم خط سير الرحلة للإيطالي لودفيكو دي فارتيما عام ١٥١٠م

جُدَّة في أوائل القرن السادس عشر الميلادي بعدسة ذاكرة فارتيما:

تحدث فارتيما عن جُدَّة التي مكث بها سبعة عشر يوماً ووصفها ووصف أهلها وقال: لا يحيط بجُدَّة سور، وإنما هي محاطة بمنازل في غاية الجمال، كالمعتاد في إيطاليا، لذا لن نغرق كثيراً في وصفها. إنها مدينة مزدحمة جداً لأن عدداً كبيراً من المسلمين يأتون إليها. وعندما وصلت إلى هذه المدينة (جُدَّة) دخلت بسرعة مسجداً كان يوجد به (٢٥,٠٠٠) فقير على الأقل، وانزويت في أحد أركانه ومكثت فيه أربعة عشر يوماً.

(ولا بد أن أشير هنا إلى أن فارتيما يكثر في المبالغة أحياناً) .

ولا تنبت الأرض شيئاً في (جُدَّة)، وثمة ندرة شديدة في المياه العذبة ويلطم البحر جدران المنازل، وكل أنواع الضروريات متوفرة هنا، إلا أنها تُجلبُ من القاهرة واليمن ومن أماكن أخرى. وقال: إنه في زمنه كان يوجد دائما عدد كبير من المرضى في

جُدَّة، ويعزي ذلك لرداءة الهواء. وقال: إنه كان بجُدَّة حوالي (٥٠٠) سرير[١١٥].

ثم يستطرد فارتيما قائلاً: وفي نهاية اليوم الرابع عشر، اتفقت مع ربان سفينة كانت مبحرة إلى فارس، إذ كان في ميناء جُدَّة حوالي مائة سفينة بين كبيرة وصغيرة. وبعد ثلاثة أيام غادرت سفينتنا مبحرة في البحر الأحمر[١١٦] وقال عن البحر إنه ليس أحمر، مياهه كمياه أي بحر آخر. وقد أبحرنا في هذا البحر طوال النهار وحتى مغيب الشمس، فالإبحار فيه ليلاً غير ممكن. وكان هذا دأبنا نبحر نهاراً ونرسو ليلاً حتى وصلنا لجزيرة كمران (Chameran) التي تقع بين جزيرة فرسان وعدن، وبعد هذه الجزيرة يمكن الإبحار بأمان. وبين فارتيما أن السبب الذي جعل الإبحار ليلاً غير ممكن هو وجود عدد كبير من الجزر والصخور، ومن الضروري أن يكون هناك – دائماً – في أعلى الصاري رجل ليستطلع الطريق، وهو أمر لا يمكن حدوثه ليلاً. لذا فقد كان بالإمكان الإبحار نهاراً فقط[١١٧].

هكذا بدت جُدَّة للمغامر الإيطالي لودفيكو دي فارثيما والذي كان أول أوربي عُرف عنه إنه زار جُدَّة في التاريخ الحديث، عندما أتى إليها عام (١٥٠٣م) وترك لنا وصفاً مكتوباً سجله في كتابه (رحلات فارتيما) الذي ترجمه وحققه الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ والذي يقول: «لا شك أن النظرة الأوربية قد تغيرت على نحو ما لبلاد الشرق منذ قيام فارتيما (الحاج يونس المصري) برحلته، لكن هذه الوثيقة لا تخلو من دلالات تاريخية على أقل تقدير. وكتب الرحلات ليست عدة للمؤرخ فحسب، وإنما تضم بين دفتيها أدباً وفناً وعلماً ومتعة»[١١٨].

١١٥- المصدر السابق، ص/٦٢ .
١١٦- المصدر السابق، ص/٦٢ .
١١٧- المصدر السابق، ص/٦٢ .
١١٨- المصدر السابق، ص/٥ .

العياشي

أبو سالم العياشي .. الرحالة الأديب و العالم المتصوف

عبدالله بن محمد العياشي (المعروف بالعياشي)، قام العياشي بأداء فريضة الحج عدة مرات في أوائل القرن الحادي عشر الهجري وكتب عن رحلة حجه كتاباً أسماه (ماء الموائد)، وتُعرَفَ هذه الرحلة أيضاً بالرحلة العياشية. وقد قام الشيخ حمد الجاسر —رحمه الله— بتحقيق هذه الرحلة التاريخية.

وعن هذه الرحلة يقول الجاسر: الرحلة العياشية، واسمها: «ماء الموائد» من أوفى رحلات الحج، بل هي أوفى رحلة اطلعت عليها.

كما يقول الجاسر إن هذه الرحلة هي «ديوان علم لما حوته من المباحث العلمية المتنوعة، ومن الكلام على منازل الحج ومشاعره المقدسة، ومن وصف شامل لبلاد الحرمين في القرن الحادي عشر الهجري في مختلف حالاتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والإدارية. ثم هي كتاب سَمَر ومحاضرة لما تخللها من مباحث أدبية

وقصص وأخبار ومقطوعات شعرية»[١١٩].

ويستطرد الجاسر قائلاً : وتعتبر رحلة العياشي مصدراً لكثير ممن جاء بعده من الرحالين المغاربة، كابن ناصر وابن عبدالسلام والزبادي وغيرهم، ولهذا وصفه ابن ناصر في رحلته بأنه (إمام المرتحلين في زماننا)[١٢٠] ولخص كثيراً مما جاء في رحلته.

ترجمة حياة العياشي:

يترجم الشيخ حمد الجاسر محقق (ماء الموائد) صاحب هذا الرحلة الهامة قائلاً: هو أبو سالم، عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربي المالكي من أهل فاس.

وهو منسوب إلى قبيلة من البربر، تدعى إيت عياش. ولد سنة سبع وثلاثين بعد الألف، وتلقى العلم عن مشاهير علماء بلده كالإمام الأبار، والشيخ ميارة، وأبي زيد بن القاضي، وعبدالقادر الفاسي، وهو عمدته. وفي درعة أخذ عن الإمام ابن ناصر الدرعي، وفي مصر عن الشيخ علي الأجهوري والشهاب الأمين شارح «الشفاء»[١٢١].

وحج مراراً، أولها سنة ١٠٥٩هـ، وسنة ١٠٦٤هـ، وسنة ١٠٧٢هـ. وجاور في الحرمين وفي القدس، وفي الخليل. وتوفي في شهر ذي القعدة سنة ١٠٩٠هـ.

خط سير رحلة العياشي :

يبين الجاسر – رحمه الله – خط سير العياشي مبيناً أنه خرج لرحلته يوم الخميس أول ربيع الآخر سنة ١٠٧٢هـ للحج من مراكش، ووصل القاهرة في ٢٦ رمضان سنة ١٠٧٢هـ، ومكث بالقاهرة حتى غادرها يوم ٢٧ شوال من نفس العام . ووصل إلى مكة المكرمة في اليوم الخامس من ذي الحجة عام ١٠٧٢هـ وخرج من

١١٩– العياشي، عبدالله بن محمد: مقتطفات من رحلة العياشي (ماء الموائد)، مصدر سابق، ص/٧ .
١٢٠– المصدر السابق، ص/٧ .
١٢١– المصدر السابق، ص ص/٧–٨ .

مكة المكرمة بعد أن حج، ووصل إلى المدينة المنورة في ثاني المحرم عام ١٠٧٣هـ .

وأقام في المدينة المنورة حتى ١٥شعبان من عام ١٠٧٣هـ، ثم رحل ثانية إلى مكة المكرمة لأداء الحج ثم عاد إلى المدينة المنورة في ١٨ذي الحجة سنة ١٠٧٤هـ. ثم عاد من طريق العقبة، التي وصل إليها في آخر شهر المحرم عام ١٠٧٤هـ.

ومن العقبة سار إلى غزة في ٢٩ المحرم سنة ١٠٧٤هـ، فبلغها سابع صفر من نفس العام. ومنها سار إلى مدينة الرملة ثم إلى القدس. ومن القدس سار في ٢٣صفر إلى بلدة الخليل، ثم غادرها في ٢٦صفر إلى غزة.

وسار من غزة في سابع ربيع الأول سنة ١٠٧٤هـ إلى الخان، ومنه إلى العريش فدمياط، ومن دمياط براً إلى بولاق، فالقاهرة، ومنها إلى الإسكندرية (بطريق النيل) فبلغها سادس ربيع الآخر من نفس العام.

ومن الإسكندرية سار عائدا إلى طرابلس فبلغها في ٢٢ربيع الآخر. وأقام فيها إلى اليوم الخامس من شهر شعبان سنة ١٠٧٤هـ.

وسافر من طرابلس إلى بلده حيث وصل في اليوم السابع عشر من شوال سنة ١٠٧٤هـ[١٢٢].

العياشي في جُدَّة :

عندما كان العياشي مجاوراً في مكة المكرمة زار عدداً من المدن المحيطة بها ومنها مدينة جُدَّة التي قال إنه عزم على الوصول إليها وزيارتها وزيارة ما بها من المشاهد، «كالمحل الذي يقال: إن فيه قبر أمنا حواء»[١٢٣].

ويستطرد العياشي قائلاً: فخرجت إلى زيارتها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة العشر من شوال (١٠٧٣هـ) مع طائفة من أصحابنا المجاورين، وأكرى لنا شيخنا

١٢٢- المصدر السابق، ص ص/٩-١٠ .

١٢٣- المصدر السابق، ص/٩٩ .

أبو مهدي حماراً للركوب(١٢٤).

وقال عن حمير القافلة إنه لم ير أسرع منهن مشيا ولا أوطأ مركباً ولا أقل تعباً.

وعن سرعة هذه الحمير قال العياشي: ولقد أُخبِرتُ أنه كان حمار عند رجل من أهل مكة يصل المغرب بجُدَّة، فيركب عليه، ويصلي الصبح بمكة، وهي مسافة القصر تحقيقاً، وهم يتغالون في ثمن ما هذه صفته منها، فيبلغ الحمار مئة دينار ذهبا، ولقد رأيت حماراً عند فقيه الحنفية الشيخ الجنزبيل (هكذا وردت)(١٢٥) رافقنا عليه من المدينة إلى مكة تقبحه العين، فأُخبِرتُ أنه اشتراه بقريب من ذلك الثمن.

ويذكر العياشي أنهم لما خرجوا من مكة المكرمة عن الثنية السفلى، عدلوا إلى اليسار قليلا وسلكوا في شعاب ليست بالوعرة(١٢٦).

وعن الطريق بين مكة وجُدَّة، ذكر العياشي أنه كانت توجد هناك ثمانية قهاوي، ينزل المارون في كل قهوة، فيستريحون ويشربون القهوة أو الماء، ويشترون علفا للدواب. وتحدث بإسهاب عن هذه القهاوي التي بين أن أولها كان في مقابلة (التنعيم). والثانية في منفسح الوادي الذي يوصل إلى الحديبية. والثالثة عند منتهى الحرم عند بئر الحديبية (أي ما يعرف اليوم بالشميسي) والرابعة في قرية حَدة. والخامسة عند مزرعة كبيرة (قد تكون قرب بحرة اليوم). والسادسة عند مطلع الجبال. والسابعة عند منقطع الجبال. والثامنة عند مدخل مدينة جُدَّة(١٢٧).

وعندما وصل العياشي إلى جُدَّة كان الحر شديداً وكانت الشمس مرتفعة. وقال عن جُدَّة: إنها مدينة كبيرة، ممتدة مع ساحل البحر نحو ميلين في كلا طرفيها فيها حصار(قلعة) متقن البناء، فيه مدافع كثيرة، وعسكره لا يفارقه، وقال إنه رأى في القلعة الغربية ما يستغرب وصفه من المدافع طولا وكبراً. وقال: إنه رأى مدفعاً له

١٢٤- المصدر السابق، ص/٩٩ .
١٢٥- المصدر السابق، ص ص/٩٩-١٠٠ .
١٢٦- المصدر السابق، ص/١٠٠ .
١٢٧- المصدر السابق، ص/١٠٠ .

خمسة أفواه بصنعة غريبة(١٢٨).

وعن ميناء جُدَّة قال العياشي: وفي مرساها سفن كثيرة كبار وصغار، وهي مع ذلك كبيرة المقدار، متباينة الأقطار واسعة الأنحاء، تحمل أضعاف ما يحمل غيرها من السفن(١٢٩).

أسواق جُدَّة زمن العياشي :

وأسواق البلد ممتدة من جانب البحر، وغالبها أخصاص واسعة، مفتوحة إلى البحر وإلى ناحية البلد، فيها قهاوي ومجالس حسنة، يبالغ أصحابها في كنسها وتنظيفها ورشها بالماء، وفيها جلوس غالب أهل البلد، وقد اتخذوا فيها أسرة كثيرة منسوجة بشرط المسَدِ وبصنعة محكمة . وكان نزولنا بوكالة هناك قريبة للمسجد، فإذا كان الليل خرجنا إلى جانب البحر، واكترينا لكل واحد سريراً يرقد عليه بدرهم إلى الصباح(١٣٠).

المسجد الجامع بجُدَّة بعدسة ذاكرة العياشي:

ومسجدها الكبير من أجلِّ المساجد، فيه أعمدة من الساج، مخروطة على هيئة أعمدة الرخام المخروط، صليب عودها، يحسبها من يتأملها رخاماً أحمر، وأخبرني شيخنا أبو مهدي أنه يقال: إن أعمدة ذلك المسجد جلبت في صدر الإسلام من أرض الحبشة(١٣١).

مقبرة أمنا حواء زمن العياشي:

«وزرنا المحل الذي يقال إن فيه قبر أمنا حواء في مقبرة معلم عليها بحجارة سوداء، عند رأس القبر وعند رجليه وفي وسطه، وقد ذرعه بعض أصحابنا فكان

١٢٨- المصدر السابق، ص/١٠٠ .
١٢٩- المصدر السابق، ص/١٠١ .
١٣٠- المصدر السابق، ص/١٠١ .
١٣١- المصدر السابق، ص/١٠١ .

قريبا من ثلاث مئة ذراع، والله أعلم بصحة ذلك»[١٣٢].

هذه ملامح من مدينة جُدَّة كما سجلتها عدسة ذاكرة الرحالة أبي سالم عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي، صاحب كتاب (ماء الموائد) والذي قصد هذه المدينة عندما كان مجاوراً في مكة المكرمة بعد أداء فريضة الحج في أوائل القرن الحادي عشر الهجري وترك لنا تسجيلا دقيقاً للمدينة وميناءها وأسواقها ومسجدها الكبير فجزاه الله خيراً على ما فعل من تسجيل لتاريخ جُدَّة.

١٣٢- المصدر السابق، ص/١٠١ .

أوليا جلبي

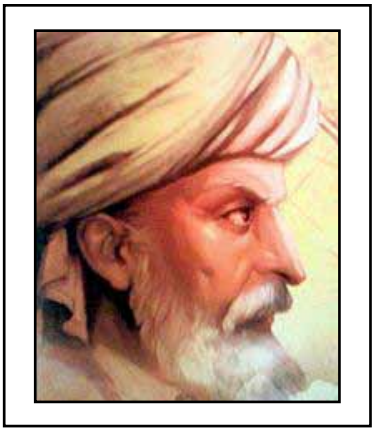

الرحالة التركي أوليا جلبي

رحالة مسلم تركي زار جُدَّة عام (١٠٨٢هـ — ١٦٧١م) خلال رحلة حجه التي وثقها في كتابه الموسوم (الرحلة الحجازية).

تحدث جلبي في كتابه عن هذه المدينة وأهلها ومساكنهم وأسواقهم كما تحدث عن الميناء والقلعة وعن مقبرة أمنا حواء، وتحدث عن المدارس والخانات التي كانت بجُدَّة آنذاك وذكر معاناة أهل جُدَّة مع الماء بسبب شح المطر، ووصف مساجد جُدَّة وجوامعها وبين أعداد هذه المساجد ومواقعها وغير ذلك من مآثر هذه المدينة التاريخية.

وسنذكر بشيء من التفصيل ما قاله الرحالة أوليا جلبي عن جُدَّة بعد أن نترجم لحياته باختصار.

ترجمة حياة أوليا جلبي :

يقول الدكتور الصفصافي أحمد المرسي في مقدمة ترجمته لكتاب أوليا جلبي، (الرحلة الحجازية): إن الأراء تجمع على أن ميلاد أوليا جلبي هو العاشر من محرم

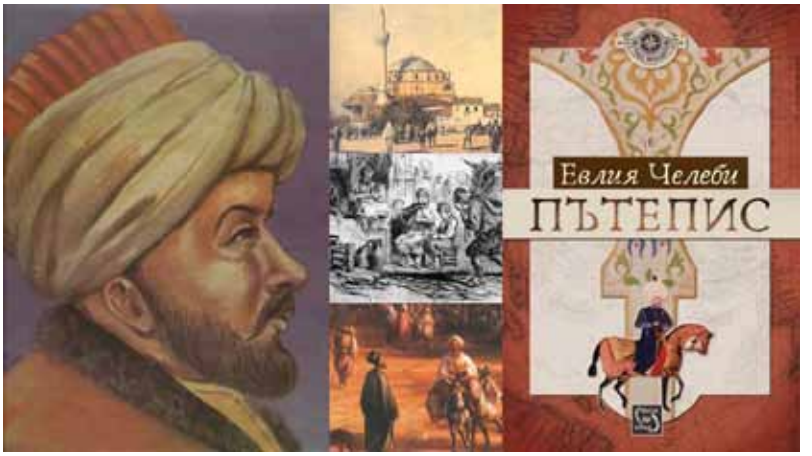

أوليا جلبي – راوي الحكايات من القرن الـ١٧

سنة ١٠٢٠هـ الموافق ٢٥ من مارس سنة ١٦١١م في أنوقباني بمدينة إستنبول وأطلق عليه والده اسم «أوليا جلبي» تيمناً باسم صديق حميم له، صار فيما بعد أستاذاً لأوليا.

ويبين الدكتور الصفصافي أن هذا الرحالة ذو حسب ونسب من جهة والده ومن جهة والدته كذلك.

قام جلبي بعدة رحلات إلى مدن تركية مختلفة منها (بورصه) و(إزميت) و(طرابزون) وغيرها من المدن . وسافر إلى أذربيجأن وطورطوم.

وفي عام (١٠٥٨هـ – ١٤ تموز /يوليو سنة ١٦٥٠م) رحل إلى الشام وظل بها حتى عام (١٠٦٠هـ – ١٨ سبتمبر ١٦٤٨م) وزار خلال تلك الفترة أجزاء كثيرة من بلاد الشام مثل لبنان وغزة وغيرها.

أتيحت الفرصة لـ(جلبي) ليقوم بأول رحلة له في بلاد الروميلي، واستمرت هذه الرحلة من (١٠٦٢هـ – ٢٣ أغسطس سنة ١٦٥١م) إلى نهاية (١٦٥٤هـ – حزيران ١٦٥٣م) ثم سافر إلى البوسنة عام (١٦٦١م) ثم طاف ببلاد االأرناووط، والبلغار، والمجر، وظل بها حتى (١٠٧٣هـ – مارس ١٦٦٢م).

وبعد أن أمضى الشتاء في بلجراد عاد إلى إستانبول ثم خرج منها إلى النمسا مع الجيش المتجه اليها تحت قيادة فاضل أحمد باشا.

وزار أسبانيا والدنمارك وهولندا والسويد وتحدث عن عادات وتقاليد ومعالم تلك البلاد، ووصل فيما بعد إلى بلاد القرم كما زار «داغستان» وتجول فيها[١٣٣].

يقول مترجم كتاب رحالتنا إن (جلبي) أصابه نوع من الحزن والكآبة لعدم قيامه بالحج وزيارة الأماكن المقدسة فحزم أمره وأعد عدته للقيام بالرحلة الرابعة عشر، والأخيرة في حياته ألا وهي رحلة الحج.

وبدأ جلبي في الإعداد لرحلة الرحلات التي رافق فيها قافلة الحج التركي والتي كانت تضم حجاج كل دول البلقان وإسطنبول[١٣٤].

رحلة حج جلبي للديار المقدسة:

في رحلة حجه يصف أوليا جلبي مراسم توديع قافلة الحج التي رافقها وتحدث عن مراسم تسليم الجمل الذي كان يحمل المحمل وتحدث عن حضور السلطان والصدر الأعظم لهذه المراسم.

وكتب جلبي عن رحلته واصفاً إياها وصفاً دقيقاً وممتعاً. وتحدث عن معاناة المسافرين في الطريق. ووصف بعض القلاع والحصون والمساجد التي صادفها في الطريق إلى الديار المقدسة. وقدم جلبي في كتابه وصفاً مفصلاً للحرمين الشريفين.

وبعد انتهائه من أداء المناسك بعث جلبي مساعديه بأغراضه على متن إحدى البواخر المتوجهة إلى السويس وذهب هو إلى مصر عن طريق العقبة وطور سيناء حيث وصل إلى السويس ومنها إلى القاهرة. ومن مصر ذهب جلبي إلى السودان والحبشة ومكث هنالك مدة طويلة عاد بعدها إلى مصر عن طريق ساحل البحر الأحمر وسجل كل ملاحظاته ومشاهداته خلال هذه الرحلة في مجلده العاشر

١٣٣- جلبي، أوليا: الرحلة الحجازية، مصدر سابق، ص ص/٥٣ – ٦٥ .

١٣٤- المصدرالسابق، ص/٦٦ .

والأخير في مجموعة رحلاته المعروفة بـ(سياحتنامه)[١٣٥].

جُدَّة بعدسة ذاكرة أوليا جلبي:

عندمـــا قدم جلبي لأداء فريضة الحج توجه أولاً إلى المدينة المنورة ومكث هنالك عدة أيام تشـــرف خلالها بالصلاة في المسجد النبوي الشريف والتشرف بالسلام على صاحبه صلى الله عليه وسلم.

ومن المدينة المنورة توجه جلبي إلى مكة المكرمة حيث أدى مناســـك الحج. ومن مكة المكرمة وبعد الانتهاء من أداء الفريضة توجه إلى جُدَّة التي ســـيغادر منها إلى مصر.

وقد قدم لنا جلبي وصفاً جيداً لهذا الثغر الإســـلامي العريق حيث وصف الميناء ووصف المســـاكن الموجودة بهذه المدينة آنـــذاك. كما تحدث عن مقبرة أمنا حواء وجاء على ذكر قلعة جُدَّة وغير ذلك.

يقـــول أوليا جلبي: إن جُدَّة تعتبر مينـــاء الهند، واليمن، وعدن، والبصرة، ولحا، والحبش، والســـويس، يأتيها سنوياً ألف قطعة من سفن الجَلَبَة GELEBE البولطة POLTA والقارقـــة KARKA، والقليون GALYON، ويأخذ عنها جمارك، تقع دائرة الجمارك على شاطيء البحر ويسمونه خوردة.

ويصف جلبي قلعة جُدَّة فيقول: والقلعة على شفة القلزم (البحر الأحمر) دائراً ما دار ألفين خطوة شداد، بناء متين، ثرية البنيان وعلى الطرف الجنوبي لهذه القلعة، وعلى شاطيء بحر القلزم أيضاً، قلعة داخلية، وهي متصلة بالقلعة الكبيرة الرئيسية. محيطها الدائري ستمائة خطوة. وهي أيضاً من المباني الصخرية. وقائد جُدَّة وجميع جنوده يســـكنون في هذه القلعة الداخلية. بابها مكشوف على ناحية قلعة اليمن. كما أن لها باب مطل على ناحية الشـــرق. ولها بوابتان كبيرتان.. باب كل منهما

١٣٥- المصدرالسابق، ص ص/٦٧ – ٦٨ .

مكـــون من ضلفتين. إحداهما بوابة مكة، وتطل علـــى البحر، قائدها من قباطنة مصـــر، يحمل طوغا، أو طوغين معه ثلاثمائة رجل من رجال البحرية. وهي قضاء مخصصاته مائة وخمسين آقجة، ويحصل قاضيها على ألفين قرشاً سنوياً.

ويقـــول جلبي إنه كان بجُدَّة آنذاك: ثلاثمائة دكانٍ ما بين كبير وصغير. لها خان كبير (فندق) على شـــاطيء البحر وكأنه قلعة منيفة. من مآثر بقلاجي محمد بك المعمارية. يمد القلعة بالكثير. تحته الكثير من المخازن، والعنابر والدكاكين.. وعداه هناك ســـبعة خانات أخرى، وكلها مملؤة بالأشـــياء ذات القيمة، ولكن ليس بها حمامات، أو عمائر خيرية، أو مدارس . فالجميع يذهب إلى البحر ويغتســـل فيه. تعتمد على مياه الرحمة (المطر)، لذا فمياهها قليلة. بها جامعين كبيرين، جماعتهما غفـــيرة، أحدهما قريب من الجمارك وعلى شـــاطيء البحر، وهو جامع من الطراز القديم، ذو منـــارة واحدة. يتقاضى المؤذنون، والأئمـــة مخصصاتهم من الجمارك. والجامـــع الآخر في الضواحي وهذا الجامع هو المفيد المختصر أو المختصر المفيد.. وعدا هذين الجامعين فالباقي كلها مســـاجد.. ويقال إن مياهها كانت جارية في الأزمنة السابقة . وكانت حينذاك عامرة، ذات حدائق غناء، وكأنها باغ إرم .

ويقول جلبي: أنه كان هناك حي يسمى «جُدَّة» تنساب فيه مياه ثلاث سواقي فتكفيه. ويقول أيضاً: والغريب فيها ما إن تجري على ترابها المياه حتى تغيب. يقول هذا الرحالة: أنه يعتقد أن من الممكن تسيير المياه في جُدَّة بجهد يسير.. ثم يقول: «ولوتم ذلك لكانت جُدَّة بندراً للفرجة، والمشاهدة» (١٣٦).

ويصف جلبي إرسال أمتعته وعتاده إلى مصر على متن عدة سفن فيقول:

ولما كانت أمتعتنا المرسلة من مكة المكرمة قد وصلت، فقمنا بوضعها في سفينة الريس — القبطان فنجاني رئيس ووضعت عشرة أجولة من البن في فرقاطة القبطان حســـن رئيس وخمســـة أجولة في مركب النائب مع اثنين من الطواشية وواحد من مماليكنا.. وبعد أن وضعنا باقي الأمتعة في السفن توكلنا على الله وودعت أخي في

١٣٦- المصدرالسابق، ص ص/٢٩٠ — ٢٩٢ .

الرضاعة جلبي، وحاكم جُدَّة بقلاجي محمد بك، وتوجهت عائداً إلى مكة المكرمة مع ثلاثة من الغلمان وطوال الطريق وأنا اقرأ القرأن الكريم وبعد ثمان ساعات متواصلة، وصلنا إلى مكة المكرمة(١٣٧).

ويذكر أوليا جلبي أنه في مساء يوم السابع والعشرين من ذي الحجة عام ١٠٨٢هـ: «تحركت قافلة الحج المصري المكونة من أربعين حاجاً مصرياً من مكة المكرمة متجهة إلى المدينة المنورة»، وكان جلبي مرافقاً لهذه القافلة في طريقه إلى مصر بعد أن أدى فريضة الحج.

١٣٧- المصدرالسابق، ص ص/٢٩٢ .

جوزيف بتس
Joseph Pitts

ترجمة جوزيف بتس (الحاج يوسف) (Joseph Pitts):

كان جوزيف بتس أول إنجليزي يزور جُدَّة في التاريخ الحديث وكان أول غربي يصف طريق الحج المغربي، أو درب الحجاج (البري والبحري) من بلاد المغرب مروراً بمصر حتى يصلوا إلى الديار المقدسة. ومعروف أن الأدب العربي مليء بالكثير من المعارف عن درب الحج الشامي، أي قوافل الحج القادمة من الشام، ودروب الحج العراقي، القادمة من العراق، لكن القاريء العربي كان لا يجد الكثير عن دروب الحج القادمة من المغرب مروراً بمصر وعن ما عاناه هؤلاء الحجاج في الطرق البرية والبحرية خلال ذهابهم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقد كتب بتس كتاباً عن رحلته وسمه (رحلة جوزيف بتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة).

وفي مقدمة ترجمته لهذا الكتاب، ينقل مُتَرجِمهُ الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ ما قاله الرحالة الشهير رتشارد بيرتون في الملحق الخامس لكتابه (الحج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة) عن سيرة حياة جوزيف بتس فيقول: «إذا كان جوزيف بتس هو أول إنجليزي وثاني أوروبي بعد الإيطالي لدفيكو دي فارتيما يزور مكة المكرمة (وجُدَّة) في التاريخ الحديث، فهو أيضاً أصغر الرحالة سناً، حتى إنني كدت أجعل عنواناً لترجمتي هذه (رحلة الصبي بتس لمصر والديار المقدسة)»[١٣٨].

ولد البريطاني جوزيف بتس في مدينة إكستر (EXETER) البريطانية الساحلية سنة (١٠٧٤هـ - ١٦٦٣م) ولشدة ولعه بالسفر أصبح بحاراً وهو في سن

١٣٨- بتس، جوزيف: رحلة جوزيف بتس الى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ص/١٧

الخامسة عشر(١٣٩).

كان عمل بتس في البحر في فترة الحروب البحرية التي قال عنها الباحث السعودي المعروف الأستاذ أحمد محمد محمود في موسوعته التي أسماها (جمهرة الرحلات) ما ننقل منه هنا بتصرف:

«حروب الجهاد البحري التي كان يشنها المجاهدون المسلمون ممن طردوا من الأندلس في البحر المتوسط بمؤازرة الدولة العثمانية، تلك الحروب التي أطلق عليها الأوربيون، (حرب القراصنة)»(١٤٠).

وفي إحدى رحلاته، وقعت سفينة جوزيف بتس بالأسر بأيدي بحارة جزائريين من هؤلاء البحارة وقاموا بأسره. ثم أُخِذَ جوزيف بتس إلى الجزائر بصفته عبداً على مألوف العادة السائدة في تلك العصور، التي يبين الأستاذ أحمد محمود أن البرتغال وحدها في ذلك الوقت استعبدت عام (١٦٥٠م) مليون ونصف مليون إنسان من واحدة فقط من مستعمراتها –أنجولا– اليوم. كما يبين الكاتب نفسه أن تجارة العبيد ازدهرت في بريطانيا وقتها، كما يذكر أن أسبانيا وهولندا وفرنسا ساهموا في تجارة العبيد من الكاريبي وجنوب إفريقيا. ويقول الباحث أحمد محمود: إن وصف بتس لسوق العبيد في الجزائر، ينطبق على نفس هذه الأسواق في بعض دول الغرب(١٤١).

قام سيد جوزيف بتس في عام (١٦٨٠م) باصطحابه إلى جُدَّة ومنها إلى مكة المكرمة التي قضى فيها أربعة أشهر ثم توجه هو وبتس ورفاقهم إلى المدينة المنورة. وكان الغرض من رحلتهم أداء فريضة الحج وزيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام، والتشرف بالسلام عليه –صلى الله عليه وسلم– وبعد الحج اعتقه سيده وكتب له ما يفيد عتقه وعاد بتس بطوعه واختياره إلى الجزائر وعاش هناك سنوات

١٣٩– رالي، أغسطس: مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، تحقيق د. محمود السرياني ود. معراج نواب مرزا، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، (١٤٣٠هـ)، ص/٩٩ .

١٤٠– محمود، أحمد محمد: الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م)، ص/٣٦ .

١٤١– المصدر السابق، ص/٣٦ .

طويلة قبل أن يغادرها عائداً إلى بلاده(١٤٢).

خط سير رحلة جوزيف بتس إلى جُدَّة:

بدأ جوزيف بتس رحلته إلى الديار المقدسة على ظهر سفينة استقلها من الجزائر في طريقها إلى الإسكندرية وكان ذلك عام (١٠٩١هـ - ١٦٨٠م)(١٤٣) ووصل إلى الإسكندرية بعد حوالي أربعين يوماً من مغادرة الجزائر ومكث بها هو وصحبه حوالي عشرين يوماً، وقال بتس عن هذه المدينة العريقة: أنه رأى أثناء تجواله بها كثيراً من الأروقة المقنطرة تحت الأرض، وأنه تصل الإسكندرية ترعة من النيل (قناة) لتملأ آبارها، ومن هذه الآبار تتزود الإسكندرية الجديدة التي قال: إنها تبعد عن الإسكندرية القديمة زهاء ربع ميل وكذلك تتزود كل السفن التي تأوي إليها بالماء العذب. وقال: إنه يعتقد أن كل أسوار الإسكندرية وبواباتها الحديدية ما زالت قائمة. وتحدث بتس عن الآثار القديمة التي شاهدها في الإسكندرية خلال إقامته فيها. ووصف المسجدين الذين كانا في الإسكندرية القديمة وقال: إن أحدهما كان يطلق عليه اسم: مسجد بن بيردريك، وبَيَّنَ: أن هذا الاسم يعني ألف عمود وعمود، وهو عدد الأعمدة بذلك المسجد. كما تحدث بتس عن أعمدة قديمة ضخمة وعالية، أحدهما كان من السماكة بحيث أن ثلاثة أو أربع رجال لا يمكنهم تطويقه، وارتفاعه شديد بحيث أنه حاول رمي حصاة لأعلاه فلم يستطع بلوغ القمة بالحجر الذي رماه(١٤٤).

وبعد عشرين يوماً من وصولهم إلى الإسكندرية ذهب بتس ورفاق رحلته إلى مدينة(رشيد) التي قال: إنها تبعد حوالي فرسخين عن مجرى النيل الرئيس الذي كان يسمى (بحر النيل). ونقل بتس عن من قال إنهم ثقات: أن بعض الإيطاليين الجنويين (أهل جنوه) والبنادقة (أهل البندقية) يحصلون على الماء العذب من مصب النيل دون أن يعترضهم أحد(١٤٥).

١٤٢- بتس، جوزيف: رحلة جوزيف بتس الى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، مصدر سابق، ص/٨ .
١٤٣- رالي، اغسطس، مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، مصدر سابق، ص/١٠٠.
١٤٤- بتس، جوزيف: رحلة جوزيف بتس الى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، مصدر سابق، ص/٢٦ .
١٤٥- المصدر السابق، ص/٢٧ .

وتحــدث بتس عن تردي الأمن في تلــك الفترة التي كان الحجاج يتوجهون فيها من مصــر للحج وهم يحملون المال، وتحدث عن إطــلاق نار لإخافة اللصوص الذين هربوا(١٤٦).

وبعد وصول بتس ورفاقه إلى الســويس اشتروا ماءً عذباً لرحلتهم بحوالي «ست بنســات» وبعد يومين في «الســويس» أبحروا إلى «الطور» التي قال عنها: «إنها مدينة صغيرة جداً ذات ميناء»(١٤٧).

ومــن الطور أبحروا إلى بئر التي قال: إن بني إســرائيل عــبروا منه البحر الأحمر، وأنه المكان الذي غرق فيه فرعون بأمر الله سبحانه وتعالى بعد عبور بني إسرائيل. وقَدَّرَ بتس عرض البحر الأحمر في هذا الموضع بحوالي سته فراسخ أو سبعة(١٤٨).

وعــن إبحارهم في البحر الأحمر قال بتس: إن الإبحار في البحر الأحمر غير آمن ليلا، إلا في موضع واحد لا يســتغرق عبوره أكثر من ليلتين، وذلك بســبب كثرة الشــعاب التي «ما نكاد ننتهي من رؤية بعضها حتى نرى بعضها الآخر، وأحيانا تكون قريبة من الســطح، وبعض هذه الصخور أضخم من غيرها، وبعضها يبدو كجزيرة وبعضها يبرز بالفعل فوق سطح الماء وبعضها تحت سطح الماء بقليل، لذا فقد كنا نرسوا كل مساء بإتجاه الريح قرب صخرة أو أخرى»(١٤٩).

وقال: «إن البحر الأحمر ضيق حول الســويس»، «يقصد خليج الســويس»، واســتطرد قائلا: «ولمــا أبحرنا للطور كانت الصحراء قريبة عن يســارنا ولم نر أي ساحل عن يميننا ويُعتَقَدُ أن ماء البحر الأحمر في هذه المنطقة أشد ملوحة منه في أي مكان آخر»(١٥٠).

وقــال بتس: إنهم مكثوا مبحرين في هذا البحر زهاء شــهر، وبعد ذلك ببضعة

١٤٦- المصدر السابق، ص/٣٠ .
١٤٧- المصدر السابق، ص/٤١ .
١٤٨- المصدر السابق، ص/٤٢ .
١٤٩- المصدر السابق، ص/٤٢ .
١٥٠- المصدر السابق، ص/٤٣ .

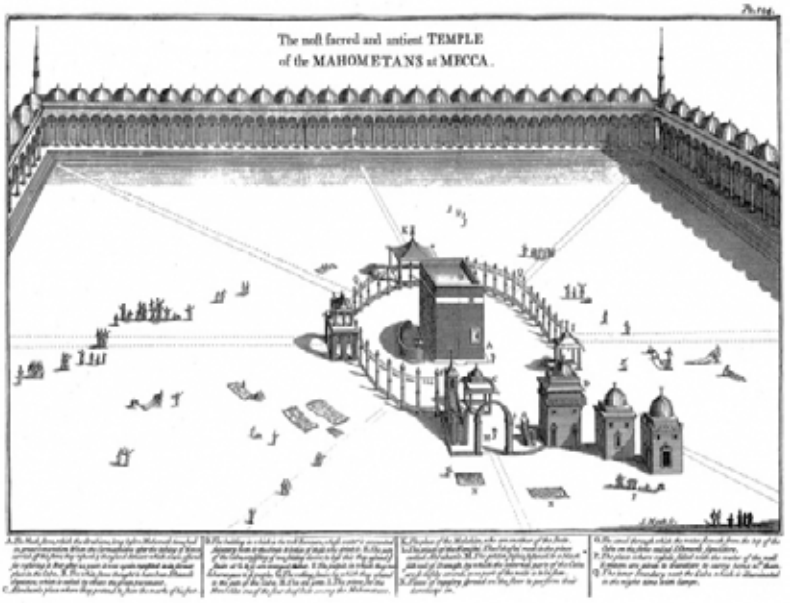

رسم قديم للمسجد الحرام بيد الرحالة الإنجليزي الأصل جوزيف بتس عام ١٠٩١هـ ،١٦٨٠م – المصدر: كتاب رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر مكة المكرمة والمدينة المنورة، ص/١٧

أيام وصلوا (رابغ)، ولبس الحجاج لباس الإحرام هناك[١٥١].

ومن (رابغ) أبحروا إلى (جُدَّة) التي قال عنها: «إنها أقرب الموانئ إلى مكة المكرمة التي لا تبعد عنها أكثر من يوم، وان السفن تُفرِغُ حمولاتها في جُدَّة».

وقال بتس: إنهم استقْبِلوا عند وصولهم إلى جُدَّة من قبل الأدلاء (الوكلاء) مندوبي المطوفين (وهذا يدلنا على عراقة وقدم مهنة الوكلاء في خدمة حجاج بيت الله الحرام ويوضح أهمية الدور التاريخي الذي يقوم بها الوكلاء و باقي أرباب الطوائف من مطوفين وأدلاء وزمازمة وغيرهم في خدمة ضيوف الرحمن)[١٥٢].

ومن جُدَّة ذهب جوزيف بتس ورفاقه إلى مكة المكرمة. وقد وصف بتس

١٥١- المصدر السابق، ص/٤٤ .

١٥٢- المصدر السابق، ص/٤٤ .

المسجد الحرام والكعبة المشرفة وكسوتها وتحدث عن المآذن والمكبريات ومقام إبراهيم وبئر زمزم وغير ذلك.

وعندما ذهب بتس للحج تحدث عن عرفات وعن منى ومزدلفة ووصف منطقة المشاعر المقدسة وتحدث عن الحجاج ووصف طواف الوداع(١٥٣).

وعند انتهاء فترة إقامتهم في مكة المكرمة غادر بتس ورفاقه في قافلة سارت لمدة عشرة أيام قبل أن تصل إلى المدينة المنورة(١٥٤).

زيارة بتس للمدينة المنورة :

ولقد تكلم جوزيف بتس عن المدينة المنورة باختصار حيث مكث بها ثلاث أيام لذا فإنه لم يتمكن من رؤية المدينة جيداً ولا من التعرف على أهلها عن قرب، ولا على عاداتهم وتقاليدهم وما إلى ذلك.

ومع ذلك فقد سجل جوزيف بتس بعدسة ذاكرته بعضاً من ملامح المدينة المنورة في زمن رحلته إليها ضَمّنَها كتابه، حيث يقول: «وفي حوالي اليوم العاشر من هذه الرحلة السهلة بعد خروجنا من مكة المكرمة، دخلنا إلى المدينة المنورة، حيث دفن الرسول صلى الله عليه وسلم، رغم أنني أعتقد أن المسافة بينهما في خط مباشر في الطريق إلى مصر لا تزيد عن يومين أو ثلاثة، وذلك حتى يمكن الحجاج زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الرحيل في اليوم الثالث. ويقول عن المدينة المنورة: إنها مدينة صغيرة يحيط بها سور وبها مسجد كبير (يقصد المسجد النبوي الشريف) الذي قال: إنه أصغر من المسجد الحرام، وذكر أن بأحد أركانه مبنى مساحته حوالي أربعة عشر أو خمسة عشر خطوة مربعة، به نوافذ ضخمة مغطاة بشبك نحاس، وداخل هذا المبنى الصغير(يقصد القبر الشريف)، بعض المصابيح والزينات وهو مقنطر، وقد قيل إنه يوجد ما لايقل عن ثلاثة آلآف مصباح حول القبر الشريف وهو قول غير صحيح إذ لا يوجد —كما اعتقد— أكثر من مائة»(١٥٥).

١٥٣- المصدر السابق، ص/٦٣ .

١٥٤- المصدر السابق، ص/٧١ .

١٥٥- المصدر السابق، ص/٧٢ .

وقال بتس: «إنه يتم تزويد المدينة المنورة بالمؤن من الحبشة على الساحل الآخر للبحر الأحمر، فمن الحبشة تأتيهم السفن محملة بالقمح وغير ذلك من الضروريات، وهي سفن غريبة لم أرَ لها مثيلا، فاشرعتها من حصير، كالحصير الذي يستخدمونه في بيوتهم ومساجدهم»(١٥٦).

مغادرة بتس للمدينة المنورة:

يقول بتس: وبعد أن قضينا في المدينة المنورة يومين، غادرناها في اليوم الثالث، ولما قطعنا عشرة أيام أخرى قابلنا عددا كبيرا من سكان الصحراء قدموا لنا كميات وافرة من الفاكهة خاصة الزبيب، ولا أدري من أين أتوا بها. ولما وصلنا بعد ذلك بخمسة عشر يوما لمصر قابلنا جمعاً غفيراً وقد حَمّلوا جِمَالَهُم بالهدايا التي أرسلها الأصدقاء والأقارب للحجاج، كالحلوى وما إلى ذلك. لكن بعض هؤلاء القادمين أتوا بقصد التجارة أي لبيع المؤن الطازجة للحجاج والاتجار معهم(١٥٧).

وبعد أن وصل بتس إلى القاهرة وجد مرض الطاعون منتشراً، وقال إنه: قد قِيلَ: إن الطاعون قضى على ستة الآف شخص خلال أسبوعين، لذا فقد أسرعوا مغادرين القاهرة إلى (رشيد) ومنها إلى (الإسكندرية) حيث وجدوا سفينة جاهزة لتنقلهم إلى الجزائر. ولكن انتشار الطاعون في الإسكندرية تسبب في إصابات بهذا المرض على ظهر سفينتهم نتج عنها أنهم ألقوا في البحر عشرين جثة ممن ماتوا بسببه –على حد قول بتس– الذي أصابه الطاعون مجرد وصولهم إلى سواحل الجزائر. ويقول بتس: أنه نجا من الموت بالطاعون بفضل عناية الله سبحانه وتعالى(١٥٨).

ولقد استمر بتس في البقاء زمناً في الجزائر ولكنه بدأ فيما بعد يفكر في الرحيل إلى بلده. أخيراً قادت معرفته بتاجر إنجليزي إلى تقديمه إلى السيد بيكر (Baker) وهو القنصل البريطاني في الجزائر آنذاك، وكانت مسألة الفدية مطروحة للنقاش. لكن القنصل لم يكن قادرا على جمع المبلغ المطلوب، وهو مئة جنية استرليني،

١٥٦- المصدر السابق، ص/٧٣ .
١٥٧- المصدر السابق، ص/٧٤ .
١٥٨- المصدر السابق، ص/٧٦ .

فأجهش بتس بالبكاء لضياع الفرصة. وبعد فترة سَنَحَتْ لجوزيف بتس فرصة للسفر من الجزائر، إذ أرسِلَتْ بعض السفن الجزائرية إلى مدينة (سميرنا) التركية لمساعدة الأتراك، وكان بتس على متن إحداها. حمل بتس معه رسالة من السيد بيكر إلى القنصل البريطاني في (أزمير) وفي تركيا صعد على متن باخرة فرنسية بلباس أوروبي. وصلت السفينة بأمان إلى مدينة (ليجهورن) (Leghorn)، فسجد بتس لله تعالى وقبل الارض[١٥٩]. ولما عاد بتس إلى مدينة (إكستر) (Exeter)، التقى والده الذي كان ما زال على قيد الحياة لكن والدته كانت قد ماتت قبل سنة من ذلك. وكان وصول بتس إلى مدينة «إكستر» عام (١١٠٥هـ - ١٦٩٣م) ولا يُعرَفُ تاريخ موته على وجه التحديد، لكن يُعتَقَدُ أنه كان سنة (١١٤٨هـ - ١٧٣٥م). ويوجد دليل قوي على أنه في عام (١٧٣١م) كان ما زال حياً في مسقط رأسه[١٦٠].

هذه قصة الإنجليزي المسلم جوزيف بتس ورحلته للحج ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومجيئه إلى جُدَّة، كأول بريطاني يزور المنطقة في التاريخ الحديث في عام ١٦٨٠م.

١٥٩- رالى، أغسطس: مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، مصدر سابق، ص/١٠٣.
١٦٠- المصدر السابق، ص/١٠٤ .

كارستن نيبور
CARSTEN NIEBUHR

كارستن نيبور – المصدر: جريدة الرياض، العدد ١٥٩٥٩ – ٢٠١٢/٣/٤م

أول رحالة حقيقي يأتي إلى جُدَّة في رحلة علمية استكشافية هو «كارستن نيبور» الذي ترك كوبنهاجن عاصمة الدنمارك في العام ١٧٦١م مع بعثة علمية مؤلفة من ستة أشخاص في رحلة شاقة وخطيرة ماتوا خلالها جميعهم باستثناء نيبور. مات رفاق نيبور من المرض والتعب في واحدة من أكثر المغامرات مشقة في التاريخ.

أعضاء البعثة الآخرون هم :

بتيرفور سكال (من السويد) وهو طبيب وعالم نبات شهير، كاريستيان كارل كريمر وهو دنمركي، جورج ويلهلم بور نيفذ وهو رسام ألماني، كريستان فون هافن وهو دنماركي غليظ الطباع ورئيس البعثة، أخيراً خادم البعثة «برغن» (١٦١).

١٦١- جريدة الرياض، العدد ١٥٩٥٩ – ٢٠١٢/٣/٤م .

مخطط لمدينة جُدَّة عام ١١٧٥هـ/١٧٦٢، رسمه الرحالة الدنماركي كارستن نيبور
– المصدر: كتاب رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها

كانت هذه أول رحلة علميـــة أوربية إلى جزيرة العرب عموما وجُدَّة خصوصا. ما هي حكاية هذه الرحلة الطويلة المثيرة التي ترســـم لنا (على قول الأســـتاذ سمير عطـــاالله)، بدقائق مذهلة أو محزنـــة، صورة الرحالة ورحلاتهم من الداخل ... قبل الوصول وبعد الوصول (١٦٢).

بل ومن هو كارســـتن نيبور الذي قام بتســـجيل هذه الرحلة في كتاب هام وثقه بالصـــور والخرائط التي رسمها هـــو ورفاقه للبحار التي أبحروا فيها ولبعض المدن التي رســـوا فيها . ومن هو أول رحالة حقيقي يأتي إلى جزيرة العرب ويدخلها من ثغر البحر الأحمر، جُدَّة قبل أن يبحر منها إلى اليمن والعراق وعُمان وغيرها في طريقه لاستكمال رحلته العلمية الاستكشافية الهامة .

١٦٢– المصدر السابق، ص/١٩ .

ترجمة حياة كارستن نيبور:

يقول الدكتور محمود حسين الأمين مترجم كتاب (رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر):

كارستن نيبور Carsten Niebuhr : رحالة ألماني الأصل، كان أبوه فلاحاً من سليزيا، وقد ولد في مدينة «لدنفورث – Ludingworth» في مقاطة «لاوبنرغ– Lauenberg» في السابع عشر من مارس من عام ١٧٣٣م وقد بدأ حياته فلاحا يساعد والده في الزراعة، ولم تفته فرصة استغلال الفراغ للدراسة وتعلم (المساحة– Surveying)، دخل بعد ذلك جامعة (كوتنكن–Gottingen) لدراسة الرياضيات وعلم الفلك . وقد بدأ تعلمه في سن الثانية والعشرين .

وفي عام ١٧٦٠م حين قرر ملك الدنمارك – فردريك الخامس– إيفاد بعثة علمية مشتركة إلى بلدان الشرق الأدنى وجنوبي الجزيرة العربية، لتقصى الأخبار والمعلومات العلمية عنها، استدعى نيبور للانضمام إليها . وأنيطت إلى نيبور مسؤولية الدراسات الجغرافية والفلكية والرياضيات. وأنيطت المسؤوليات الطبية والصحية للفريق للطبيب الدنماركي كارل كريمر الذي كان عضواً فعالاً في هذا الفريق العلمي. وقد كان من مهامه جمع النباتات التي كانت تستعمل كأدوية بالإضافة لعلاج أعضاء فريق الرحلة وتقديم الخدمات الصحية لسكان المناطق التي ستزورها هذه البعثة الإستكشافية .

خط سير رحلة كارستن نيبور إلى جُدَّة:

بدأت رحلة كارستن نيبور ورفاقه في مدينة كوبنهاجن عاصمة الدنمارك يوم ٤ يناير ١٧٦١م حيث استقلوا باخرة ضمن أسطول حربي متوجه إلى مدينة أزمير التركية . إلا أن هذه الباخرة لم تبحر إلا بعد يومين أي في السابع من يناير عندما أصبحت الرياح مواتية للإبحار حيث وصلوا مرفئ هلسنيوري (Helsingor) عند المساء . وفي السادس عشر من يناير وصلوا جزيرة ليسويه (Lessoe) . إلا أنهم

عادوا في اليوم التالي ١٧٦١/١/١٧م بسبب الرياح إلى هلسنيوري حيث وجدوا في ذلك المرفئ بعض السفن التي كانت قد غادرت معهم، أما بقية تلك السفن فقد التجأ بعضها إلى مرافئ أخرى بينما غرق البعض الآخر.

وقد بدأ نيبور في تحديث خرائطه الجغرافية البحرية منذ البداية حيث استخدم الآلة المسماة (ثمينة هادلي – Hadley) وفي ١٧٦١/١/٢٦م غادر نيبور ورفاقه مرفئ هلسنيوري للمرة الثانية وكانت الرياح مواتية[١٦٣] ومع نهاية شهر يناير وصلوا إلى بحر الشمال .

في بداية شهر فبراير تعرضوا إلى عاصفة شديدة تسببت في سقوط أحد البحارة وفقدانه في البحر .

وجاءت رياح مواتية استطاعوا معها أن يتجاوزوا في ٣٠ ساعة المسافة التي سبق واجتازوها في ١٥ يوم عند انطلاقهم . ولقد عانى البحارة الأمرين – على حد قول نيبور – حيث مات بعضهم ومرض البعض الآخر . وتم استعاضة بعض الرحالة والمؤن من قبل حكومة الدنمارك [١٦٤].

واستمروا في إبحارهم في أعالي البحار، وصادفوا في طريقهم ثلاث مراكب تجارية دنماركية . وفي الخامس من يونيو أعادوا الإبحار من (سان استاشن) وكانوا قد صادفوا إحدى سفن أسطولهم خارج مضيق جبل طارق.

وخلال إبحارهم في السادس من يونيو عام ١٧٦١م راقب علماء الفلك ضمن فريق الرحلة الظاهرة النادرة وهي مرور كوكب الزهراء أمام الشمس، وتلقى نيبور الأمر بمراقبة هذه الظاهرة أينما كان . وفي الرابع عشر من يونيو وصلوا إلى جزيرة (مالطا) ورسوا في مينائها الكبير . وقال نيبور: إن هذه المدينة بنيت منازلها على الطريقة الشرقية أي مسطحة من الأعلى . وقال إن الصخر الذي تقوم عليه هذه الجزيرة هو من الحجر الكلس اللين الذي يمكن حفره بسهولة كالخشب. وقال

١٦٣- نيبور، كارستن: رحلة الى شبه الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص/١٦ .

١٦٤- المصدر السابق، ص/١٧ .

كارستن نيبور في إحدى رحلاته – المصدر: كتاب رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها

نيبور إن طول جزيرة مالطا هو أربع فراسخ وثلاث أرباع أما عرضها ففرسخان وربع [١٦٥].

غادر نيبور ورفاقه مالطا في ٢٠ يونيو ١٧٦١م وقال: إنهم لم يروا الأرض حتى الخامس والعشرين من نفس الشهر وكانت أرض جزيرة سابينزا (Sapienza). ولم يستطيع نيبور متابعة خط سير رحلته لفترة بعد ذلك نظراً لإصابته بنزيف حاد مما اضطره للراحة داخل المركب .

وفي الثالث من يوليو وصلوا إلى مرسى أزمير التركي . وقال نيبور : إن رفاقه نزلوا إلى اليابسة بينما ظل هو على متن المركب بسبب المرض . غادر نيبور ورفاقه ازمير في العاشر من يوليو ووصلوا في الثالث عشر من نفس الشهر إلى جزيرة تنادس (Tenados)، حيث شاهدوا بعض الآثار التي ذكر أنهم اعتقدوا أنها تعود لطرواده [١٦٦].

في تنادوس تلقى نيبور ورفاق رحلته أوامر تقضي بمغادرة سفينتهم والتوجه

١٦٥- المصدر السابق، ص/٢٦ .

١٦٦- المصدر السابق، ص/٢٩ .

إلى عاصمة الإمبراطورية العثمانية برفقة المترجم الذي أرسله للقائهم سفير ملك الدنمارك في القسطنطينية السيد دي غابلر(De Gabler).

هناك على ظهر السفينة التي أقلتهم إلى القسطنطينية (إسطنبول) قابلوا المسلمين لأول مرة، إذ صعد العديد من الأتراك على متن المركب معهم. وقال نيبور: «بدت لنا لغتهم ولباسهم وطريقة عيشهم غريبة للغاية».

كانت الرياح غير مواتية لخط سيرهم من تنادوس إلى القسطنطينية التي لم يصلوا إليها إلا يوم ٣٠ يوليو حيث رسوا قرب غلطة (Galata)، ومنها رافقوا المترجم إلى منزل سفيرهم دي غابلر في بيرا (Pera) وسكنوا بمنزله وساعد ذلك نيبور على استرداد عافيته

بعد أن تحسنت صحة نيبور استعد هو ورفاقه للسفر من القسطنطينية إلى مصر. وقال نيبور : «كان بإمكاننا الحفاظ على لباسنا الاوربي في الإسكندرية، لأن سكان هذه المدينة اعتادوا رؤية الإفرنج أي الاوربيين». إلا أنه بين أن لباسهم الأوربي هذا «كان من الممكن أن يسبب لهم مشاكل وأسئلة مزعجة في القاهرة وفي شبه الجزيرة العربية»، لذا فقد تحصلوا في القسطنطينية على ما أسماه (ملابس شرقية)، كما اشتروا عدة طبخ وبعض المؤن الضرورية للرحلة . وتزودوا بإذن مرور من السلطان، ورسائل توصية، ونقوداً مصرية، وأبحروا في الثامن من سبتمبر على متن سفينة من (دلسينيو – Dulcigno) وهو مرفئ بحري على الخليج الأدرياتيكي . وفي الخامس عشر من نفس الشهر وصلوا إلى الدردينل . وأبحروا يوم ١٧ سبتمبر ١٧٦١م . وفي ٢١ من نفس الشهر رسوا في جزيرة رودس وأبحروا من هناك منها في اليوم التالي، ووصلوا إلى ميناء الإسكندرية يوم السادس والعشرين من سبتمبر من نفس العام .

في يوم ٣١ أكتوبر ١٧٦١م ذهب نيبور ورفاقه إلى القاهرة عن طريق رشيد حيث أبحروا نحو عالية النيل إلى القاهرة من رشيد بعد توقفهم في أبوقير . وفي السابع من نوفمبر وصلوا ديروط . وكان نيبور ورفاقه يسجلون ملاحظاتهم العلمية طوال هذه الطرق .

عندما وصل نيبور ورفاقه إلى القاهره في مساء العاشر من نوفمبر ١٧٦١م قام بكتابه وصف تاريخي للمدينة وبين أن العرب أسموها «الفسطاط» ثم بين أن القاهرة بنيت عام ٣٥٨هـ على يد جوهر قائد جيش الخليفة الفاطمي المعز، وقال إن هذه المدينة لم تعتبر ضاحية الفسطاط إلا عام٥٧٢هـ، بعد أن سورها صلاح الدين الأيوبي رحمه الله .

غادر نيبور وصحبه القاهرة في صباح الثامن والعشرين من أغسطس عام ١٧٦٢م في طريقهم إلى السويس في قافلة تتكون من (٤٠٠) جمل[١٦٧] محملة بالقمح، ومعدات بناء السفن .

تحدث نيبور عن صناعة السفن بالسويس التي وصل إليها يوم ٢٩ سبتمبر عام ١٧٦٢م للسفر منها بحراً إلى جُدَّة[١٦٨].

أبحر نيبور من السويس في اليوم العاشر من شهر أكتوبر ووصل قرب جيروندل قبل ظهر اليوم التالي ومروا بالقرب من الشعاب المرجانية الخطرة على الملاحة البحرية . ووصلوا إلى (الطور) حيث كان عرض البحر أكثر من خمسة إلى ستة أميال» .

وفي الرابع عشر من أكتوبر ١٧٦٢م خرجوا من الطور باتجاه الجنوب الشرقي حيث رسوا بعد الظهر في رأس محمد .

وفي الخامس عشر من أكتوبر مروا أمام جزيرة (سفن البحر) وكانت جزيرة تيران تبعد عنهم بحوالي خمسة أميال.

وفي السابع عشر من أكتوبر راقبوا كسوف الشمس وكانوا قد تنبأوا بهذا الكسوف . وتعرضوا لحريق على متن مركبهم إلا أنهم استطاعوا السيطرة عليه .

وفي الواحد والعشرين من أكتوبر أصبحوا أمام جبال (رضوى) .

١٦٧- المصدر السابق، ص/١٨٦ .
١٦٨- المصدر السابق، ص/١٨٩ .

وفي يوم ٢٣ أكتوبر وصلوا إلى ميناء (ينبع) حيث نزل كثير من الحجاج واتجهوا إلى المدينة المنورة، بينما بقي الآخرون ومنهم أعضاء هذه البعثة على متن السفينة للذهاب إلى جُدَّة .

وفي ٢٧ أكتوبر توجهوا جنوباً حيث وصلوا في اليوم التالي إلى (أبحر) التي قال عنها: «إنها حيث يدخل الخليج عميقا في اليابسة حتى يظنه المرء نهراً، وقال عن أبحر: «إن مدخل هذه المرسى ضيق للغاية، لكنه آمن حتى إننا لم ننزل المرساة واكتفينا بربط السفينة من الجهتين بحجارة كبيرة في أرصفة مرجانية».

وفي يوم ٢٩ أكتوبر عام ١٧٦٢م غادروا أبحر إلى جُدَّة حيث رسوا على بعد نصف ميل إلى غرب المدينة التي وصلوا إليها الساعة الثانية بعد الظهر من نفس ذلك اليوم في جو عاصف ومغبر، ورسوا عند خط عرض ٢١، ٢٧، كما سجلت آلة نيبور، وكما ذكر هو في كتاب رحلته [١٦٩].

جُدَّة في القرن الثامن عشر الميلادي بعدسة كارستن نيبور:

أمضى نيبور ورفاقه ستة أسابيع في جُدَّة في انتظار الوقت المناسب لإكمال رحلتهم إلى اليمن. وكان سبب تأخرهم هواء الرياح الشمالية.

ويقول نيبور : «إن سفن شحن البن التي كانت ستقلنا في الرحلة الأخيرة جنوباً، قد أخرتها الرياح المعاكسة وهي في طريقها من مخا إلى جُدَّة» [١٧٠].

يقول الأستاذ سمير عطا الله في كتابه (قافلة الحبر): إن الكاتب الدنماركي ثور نكيلد هافن يصف فترة بقاء نيبور ورفاقه في جُدَّة قائلاً: لم يبد أي من أعضاء البعثة أي تذمر من هذه الإقامة القسرية . إذ بعد ما تعرضوا له من مضايقات قبل وصولهم إلى جُدَّة أدهشهم هنا في جُدَّة «الود الذي أظهر الناس. وللمرة الأولى

١٦٩- رحلة إلى شبه الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص/٢٢٩ .

١٧٠- عطا الله، سمير، قافلة الحبر، مصدر سابق، ص/٢٢ .

استطاعوا أن يسيروا في الشوارع وأن يزوروا المقاهي كما يشاؤون» (١٧١).

وقال هافن: إن أهل جُدَّة لم يعتبروا وجود الأوربيين بينهم إهانة كما اعتبره غيرهم من أهل بعض المدن الأخرى، بل كانوا على كثير من الود وشيء من الفضول، وبين أن نيبور نصب إسطرلابه في قصر الباشا الذي كانت له اهتمامات فلكية هو أيضاً.

تحدث نيبور في كتابه (رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها) بإسهاب عن مدينة جُدَّة التي كان هو ورفاقه في أشد الخوف من سكانها حتى اكتشفوا خطأ ذلك الظن. عن ذلك يقول نيبور: «تبين لنا أننا على خطأ»(١٧٢).

وعن إقامته في جُدَّة يقول نيبور: «زرنا المقاهي والأسواق وتنزهنا قرب البحر وفي المدينة ومحيطها دون أن يتعرض لنا أحد».

ويقول نيبور عن بعض الرسائل التي كانوا قد زُوِدُوا بها من مصر لبعض أهل جُدَّة: «وساعدتنا رسائل التوصية التي حملناها، فقد أوصى بنا السيد دى غابلر الباشا حاكم جُدَّة والذي يعرفه من القسطنطينية . وكنا نحمل رسالتي توصية من تاجرين في القاهرة إلى أكبر تجار جُدَّة، وأخرى من شيخ إلى قاضي المدينة، وهذا الشيخ هو كاتب أحد كبار علماء جامع الأزهر في القاهرة، ولم نكن نتوقع الكثير من رسالة التوصية التي زودنا بها الشيخ، لكنها أفادتنا أكثر من الأخريات».

وقال نيبور إن هذا الشيخ الأزهري كان قد ساعدهم في التمرن على اللغة العربية، وتعلم منهم في المقابل استخدام المجهر وتتبع الأفلاك في السماء، وتحدث نيبور عنه بإيجابية شديدة إذ يقول عنه: «إنه رجل شريف مؤمن وصديق وفيّ لغيرِهِ من الرجال». وقال نيبور: إن هذا الشيخ تعلم الرسم منه .

كان لنيبور خادم يوناني أحضره معه، هو الذي قام بتسليم هذه الرسائل بأمر

١٧١- المصدر السابق، ص/٢٢ .

١٧٢- نايبور، كارستن: رحلة إلى شبه الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص/٢٣١ .

من نيبور، ما عدا رسالة الباشا التي سلمها له نيبور شخصيا. وكان الباشا يحسب «نيبور» يميل نحو علم الفلك «وأراد منه أن يحضر ساعته الشمسية ويقيس ارتفاع الشمس أمامه، وطلب منه إعطاءه وصفا مفصلا للآلة، وطلب من أحد العلماء احتساب خط عرض جُدَّة استناداً إلى ارتفاع الشمس الذي راقبته» (١٧٣).

وعن مكان سكن البعثة في جُدَّة، يقول نيبور: «وزرنا منازل عدة منذ اليوم الأول، واستأجرنا واحدا كبيرا يقع على البحر».

وفي اليوم الأول من نوفمبر من عام (١٧٦٢م) نقل نيبور ورفاقه متاعهم من الباخرة إلى اليابسة، وكانت إجراءات دخولهم مسهلة كما يصفها نيبور، وكان ذلك تاريخ بداية مدة إقامتهم في جُدَّة.

تحدث نيبور عن مقبرة أمنا حواء في جُدَّة وقال:»إن المصادر العربية ترى أن وجودها منذ الزمن القديم في نفس المكان بحسب المصادر التاريخية العربية يدل على أن مياه البحر المحيطة بجُدَّة لم تتراجع أو تراجعت بقدر بسيط . إلا أن لنيبور رأي آخر في هذا الشأن حيث يرى: أن مياه البحر تعرضت إلى تغيرات عدة حيث وجد في شمال غرب المدينة قرب قبر حواء (المزعوم) تلالاً عالية تكثر فيها الأصداف وأحجار المرجان المتحجرة أو المدفونة في الرمال ويكفي أن نراها وأن نقارنها مع صخور المرجان الموجودة بكثرة تدريجياً في هذا المكان. ويقول نيبور: إن جُدَّة تتوسع أكثر فأكثر نحو الغرب . وعن مستوى الماء في الميناء فيقول: «إن مستوى المياه في المرفئ منخفض للغاية، حتى إن المراكب الصغيرة تضطر لانتظار المدّ لنقل البضائع إلى اليابسة أو لتحمّلها».

ويقول نيبور: إن مياه البحر على شواطئ جُدَّة لا تحتفظ بالارتفاع نفسه طوال فصول السنة، وإنما ترتفع تدريجياً من شهر نوفمبر وحتى شهر إبريل، حين تهب الرياح الجنوبية، ثم تنخفض أثناء الأشهر الستة الأخرى، حين تهب رياح الشمال. ولا يظهر الفرق بشكل عام لكن حين وصلت إلى جُدَّة، رأيت المسافة بين المرفئ

١٧٣- المصدر السابق، ص/٢٣٢ .

الكبير ومرفئ السفن الشراعية جافة خلال الجَزْرْ،وعندما حان موعد رحيلنا، وجدت المياه تغطي المكان باستمرار كما تغطي المياه حين يرتفع مستواها، سهلا، يقع في الجنوب خارج المدينة، وبعد أن تتبخر بفعل حرارة الشمس المرتفعة تترك وراءها ترسبات من الملح . زد على ذلك أن ضواحي جُدَّة رملية وغير صالحة للزراعة (١٧٤).

قام نايبور برسم خريطة لجُدَّة، ولكنه قال إن أجزاء منها خاصة باتجاه باب مكة ليست بالدقة التي يتمنى لأنه لم يسمح له بالذهاب إلى تلك المنطقة لأسباب ذكرها. وقال إنه لم يَقِس طول السور إلا الجزء الواقع من جهة البحر. وحدد في هذه الخريطة موقع جزء من سور جُدَّة . وقد أسقط نيبور على هذه الخريطة الأماكن التالية:

١.منزل الباشا، ٢. باب صريف، ٣. باب جديد، ٤. باب مكة، ٥. مراقب قرب الدرب المؤدي إلى مكة، ٦. سهل، ٧. مدافن المسيحيين، ٨. برج تهدم كليا، ٩. مرفئ السفن الحربية، ١٠. المنزل الذي نزل هو فيه، ١١. الجمارك، ١٢. منزل القاضي، ١٣. مقبرة أمنا حواء، ١٤. تلال عالية مغطاة بالأصداف وأحجار المرجان، ١٥. مرسى السفن القادمة من السويس والهند.

هذه الخريطة التي رسمها نيبور مع بساطتها فإنها تعتبر في غاية الأهمية لأنها رُسِمتْ من قبل عالم متخصص،جاء لمدينة جُدَّة ضمن فريق علمي ورسم خريطتها في وقت لم يكن لهذه المدينة خرائط معتمدة كثيرة .

وعندما تُقارن هذه الخريطة بالصورة التي رسمها البرتغاليون لجُدَّة حين حاولوا احتلالها فإننا نجد تشابهاً كبيراً بينهما باستثناء ما فعلته عوامل الزمن من تغير لحجم هذه المدينة العريقة .

هذه قبسات من ملامح مدينة جُدَّة كما سجلتها عدسة ذاكرة الرحالة الأوربي كارستان نيبور عندما قدم إلى هذه المدينة العريقة للسفر منها إلى بقية محطات

١٧٤- المصدر السابق، ص/٢٣٤ .

رحلته في اليمن والهند وغيرها من البلدان والدول هو ورفاقه أعضاء أول بعثة أوربية علمية تأتي إلى جزيرة العرب بغرض البحث العلمي والاستكشاف، واختار أعضاء هذه البعثة العلمية جُدَّة لتكون أول محطة يتوقفون فيها نظراً لموقعها الاستراتيجي في منتصف الساحل الشرقي من البحر الأحمر قبل أن يستكملوا رحلتهم إلى بقية المناطق التي أتوا لزيارتها والتعرف عليها.

غادر نيبور ورفاقه جُدَّة في الثالث عشر من ديسمبر من عام (١٧٦٢م) متوجهين إلى (مخا) في اليمن على متن سفينة كانت قد جاءت إلى جُدَّة قادمة من عُمان من النوع الذي كان يُسمى (طرّاد) وقد وصفها نيبور بقوله: «هذا المركب أشبه بعربة مكشوفة منه بسفينة، إذ لا يتعدى طوله سبع قامات وعرضه قامتين ونصف القامة، ويفتقر إلى سطح، كما لم أر فيه مسماراً، بل أخشاب رقيقة وكأنها مخيطه ببعضها، وقد نزعت صواريه ووضع أرضا لإصلاح هيكله».

ويصف نيبور الأسرّة التي سينامون عليها خلال الرحلة على متن هذا المركب فيقول: «وكانت أسرّتنا، وهي عبارة عن قاعدة مربعة ومستطيلة، محشوة بحبال من قش، وقد علّقت فوق الصناديق والرزم، فكانت لنا مجلسا خلال النهار ومكانا للنوم في العراء عندما يحل الليل. وخصصت في مقدمة السفينة زاوية صغيرة لطهو الطعام ولتحضير الخبز».

ونظراً لأن هذا المركب كان متوجهاً إلى الحديدة فقد قرر نيبور ورفاقه أن يذهبوا إلى (مخا) براً بعد وصولهم (الحديدة).

وهكذا بدأت المرحلة الثانية من رحلة نيبور ورفاقه من أعضاء البعثة الدنماركية إلى جزيرة العرب. وهي المرحلة التي سيموت فيها معظم أعضاء هذه البعثة العلمية ويبقى نيبور وحده حياً ويؤلف كتاباً عن هذه الرحلة الهامة ويصبح مرجعاً علمياً أساسياً لكل رحالة أوربي يأتي إلى جُدَّة خاصة أو المنطقة بشكل عام بعد صدور هذا الكتاب القيّم.

رفيع الدين المراد أبادي

الرحالة الهندي رفيع الدين المراد أبادي الذي جاء إلى جُدَّة في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، وسجل رحلته في كتاب قيم قام الباحث سمير عبدالحميد إبراهيم بترجمته إلى اللغة العربية تحت مسمى (الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية).

يقول الباحث سمير عبدالحميد إبراهيم: إن أدب الرحلة يحتل مكانة عالية في جميع لغات العالم، فالرحلات من فنون الأدب، فهي تقدم للقراء قصصاً وحكايات وقد تتضمن أيضاً أساطير وخرافات، بالإضافة إلى مادة تندرج اليوم تحت مسمى التراث الشعبي، ذلك لأن بعض الرحالة كانوا من الأدباء، فغلب الطابع الأدبي على كتاباتهم، وزخرت مادة رحلاتهم بالعناصر الأدبية[١٧٥].

ويستطرد سمير إبراهيم قائلاً: وهذه الرحلة الهندية إلى الأراضي المقدسة كتبها صاحبها – وهو هندي – باللغة الفارسية منذ أكثر من قرنين من الزمان . وبين مترجم الرحلة أن الكتابة في شبه القارة الهندية عن الرحلة إلى الأماكن المقدسة بدأت باللغة الفارسية التي كانت لغة العلم والعلماء، بينما كانت اللغة الاوردية لغة عامة الشعب.

ويقول هذا الباحث إنه : إذا كانت أول رحلة بالفارسية خارج شبه القارة الهندية قد كُتِبت سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م بقلم ناصر خسرو، وهي تلك الرحلة التي ترجمها الأستاذ يحيى خشاب – رحمه الله – إلى اللغة العربية، فإن أول رحلة كُتبت داخل شبه القارة الهندية بالفارسية كانت بعنوان «جذب القلوب إلى ديار المحبوب» للشيخ عبدالحق محدث الدهلوي، عن زيارته للأماكن المقدسة سنة ٩٩٧هـ/١٥٨٩م[١٧٦]. ويستمر المترجم في مقدمته قائلاً : ورغم أن القرن الثامن

١٧٥– المراد أبادي، رفيع الدين ،الرحلة الهندية الى الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص/٥ .
١٧٦– المصدر السابق، ص/٥ .

عشر الميلادي/الثالث عشر هجري شهد تطور النثر الأدبي في مراحله الأولى، إلا أن الغلبة ظلت للكتابة بالفارسية، ومن هنا كتب الحاج رفيع الدين المراد أبادي — وهو تلميذ شـــاه ولي الله الدهلوي — رحلته بالفارسية وذلك بعنوان «مشاهدات حرمين شريفين».

ويبين إبراهيم أن نسيم أحمد فريدي أمروهي نقلها إلى الأوردية (١٧٧).

مُترجم الرحلة يُترجم صاحب الرِحَلة رفيع الدين أبادي:

أورد سمير عبدالحميد إبراهيم ترجمة لحياة صاحب هذه الرحلة، رفيع الدين المراد أبادي ما ننقل منه هنا بعضه بتصرف:

مؤلف الرحلة هو رفيع الدين بن فريد الدين المراد أبادي، حفيد نواب عظمة الله خان الفاروقي حاكم مراد أباد، وُلِدَ في (مراد أباد) سنة (١١٤٣هـ)، وأخذ العلوم على يد العالم الهندي المعروف «شـــاه ولي الله الدهلوي» صاحب كتاب حجة الله البالغة، كما تتلمذ أيضاً على يد علماء هنود كبار.

وقـــد ترك رفيع الدين المراد أبادي مؤلفات كثيرة منها: «ســـلوى الكئيب بذكر الحبيب» وهو في الســـيرة النبوية، و«شـــرح الأربعـــين» (في الحديث)، و«تذكرة المشايخ» و«كتاب الأذكار»، و«تذكرة الملوك» وغيرها، بالإضافة إلى هذه الرحلة المترجَمَة.

وقال سمير إبراهيم: إنه اعتمد في ترجمته على بعض النسخ الفارسية مع الاستفادة من الترجمة الأوردية التي قام بها نسيم أحمد فريدي أمروهي.

وقد بدأ المؤلف رحلته من مسقط رأسه مراد أباد سنة ١٢٠١هـ وعاد من رحلته ســـنة ١٢٠٣هـ بعد رحلة اســـتغرقت —كما ذكر — سنتين وشهرين وأسبوعين. وقد توفي رفيع الدين المراد أبادي في الخامس عشر من ذي الحجة سنة ١٢٢٣هـ، بعد عودته من الرحلة بعشـــرين سنة، عن عمر يناهز التاسعة والثمانين، ودفن في

١٧٧- المصدر السابق، ص/٦ .

مسقط رأسه (مراد أباد).

دَوّنَ المؤلف مشاهداته في سفره البري والبحري من مسقط رأسه إلى أرض الحرمين مروراً باليمن كما دون ملاحظات مهمة، مسهبة أحياناً، وموجزة أحياناً، وحرص على التاريخ والتعريف بالبلدان وبقضايا فقهية وعلمية، كما استشهد في كتاباته بآيات الذكر الحكيم، وبالحديث النبوي، وبأبيات عديدة من الشعر، ذكر أصحابها أحياناً وغفل عن ذكرهم أحياناً أخرى . واعتمد المؤلف بالإضافة إلى المشاهدات العينية على ما سمعه من أخبار، أو ما طالعه من رحلات سابقة، أو كُتُبٌ كُتِبَت في موضوعات مختلفة تتعلق بموضوعه.

كما يقول المترجم عن صاحب الرحلة: لقد وصف الطريق والرفيق ووصف المدن والقرى وكتب عن الأمور الاجتماعية التي تضمنت وصفه للبشر، وفئات المجتمع، وطبقاته، كما ذكر العلماء، والأدباء والمدارس وحلقات الدرس أينما ذهب وحل، ليس هذا فقط بل كتب عن الأمور الاقتصادية في تلك الحقبة من الزمان ذاكراً الأسواق والعملات النقدية، والبيع والشراء والكراء وحتى الصناعة وتطورها(١٧٨).

ولا شك أن الإطلاع على هذه الرحلة التي مضى عليها أكثر من قرنين من الزمان ودراستها تضيف جديداً إلى أدب الرحلات وإلى ما نتعلمه من الرحالة الذين أتوا إلى جُدَّة تحديداً وفتحوا لنا نوافذ نطل منها لنرى قبسات وملامح من جُدَّة هذه المدينة العريقة في أزمان تلك الرحلات.

خط سير رحلة رفيع الدين المراد أبادي:

يقول صاحب الرحلة: إنه بدأ رحلته إلى الحرمين الشريفين من مسقط رأسه – مراد أباد – صباح يوم السبت الموافق الثامن عشر من محرم سنة (١٢٠١هـ) حتى وصل «سنبهل» ثم إلى «ديك» ثم وصل يوم الجمعة الثاني من صفر (١٢٠١هـ) إلى «بوندي» الجديدة وفي العاشر من صفر ١٢٠١هـ عبر نهر «تشنبل». وفي

١٧٨- المصدر السابق، ص/٨ .

الثالث عشر منه وصل إلى «كوته» التي تبعد عن مراد أباد حوالي (٥٠٦ كيلومترا) وغادرها يوم السبت السابع عشر من صفر المذكور إلى « مكندرة». وفي اليوم الخامس والعشرين وصل إلى «أجين» حيث أقام ثلاثة أيام توجه بعدها إلى «أنور» التي وصل إليها يوم الجمعة غرة ربيع الأول. ومن هناك ذهب إلى «راج كره» ومنها إلى «ديوى» ثم إلى «بهروب» ومنها إلى «إكليسر» ومنها إلى «سورت» التي ذكر أن أحد التابعين مدفون بها.

وفي يوم الخميس التاسع من جمادى الآخر عام (١٢٠١هـ) غادر الرحالة رفيع الدين المراد أبادي مدينة «سورت» على ظهر سفينة قال إن اسمها (سفينة الرسول) متوجهاً إلى الديار المقدسة. وقال إن السفينة أبحرت في يوم السادس عشر من جمادى الآخر، وقال إن هذه السفينة صغيرة بالمقارنة بالسفن الأخرى وأنها تحمل (٦١٢) راكبا مقارنة مع سفينة أخرى أخبره عنها أحد معارفه كانت تحمل ألفاً ومائتين راكباً وأربعين فرساً مع بضائع تصل زنتها مائة ألف طن[١٧٩].

وتحدث عن رحلته البحرية وذكر بعض الأسماك التي اصطادها بعض البحارة ومنها سمك «الأبنوس» الذي قال: إنه يشبه سمك «رهو» الكبير، ولونه جميل، وطعمه لذيذ، وقد بيع في مزاد على ظهر السفينة، وقال إنه رأى سمكة ضخمة تشبه العجل الصغير بالقرب من جزيرة «سوقطرة»[١٨٠] التي وصلوا إليها يوم الاثنين العاشر من شهر رجب والتي قال إنها جزيرة آهلة بالسكان ومنها تزداد السفن بالماء العذب حيث يُحمل الماء إلى السفن في قوارب كبيرة . وفي صباح يوم الحادي عشر من رجب بدت لهم جزيرة «هائى شامى» . وفي يوم الثالث عشر من رجب شاهد جبلين كبيرين قال إنه يُطلقُ عليهما «أبا الجوزاء»[١٨١].

وقال: وإنه بسبب سكون الريح فقد قطعت السفينة في خمسة أيام ما تقطعه عادة في يوم واحد .

١٧٩- المصدر السابق، ص/٣٨ .

١٨٠- المصدر السابق، ص/٤٠ .

١٨١- المصدر السابق، ص/٤١ .

وفي اليوم التاسع عشر مرت السفينة بجبل «كاكي» ثم اتجهت إلى «عدن» ورغم أن «عدن» قريبة من جبل «كاكي» إلا أن السفينة قطعت هذه المسافة في أربعة أيام بسبب سكون الريح، وظهر لهم «جبل عدن» ظهر يوم السبت الثالث والعشرين من رجب[١٨٢]. ومن «عدن» توجهت السفينة نحو «مخا» التي تبعد عن «عدن» (٣٢٤) كيلو متر، ولأن الريح كانت مواتية فقد وصلت السفينة إلى باب المندب والذي يبعد (٧٩) كيلو متر ظهر يوم الرابع والعشرين من رجب، ورسوا في «المخا» التي قال :إنها تبعد عن «جُدَّة» (١٦٢٠) كيلو متراً وقال إن المسافة الإجمالية من «سورت» إلى «جُدَّة» حوالي (٦٤٨٠) كيلو متراً .

وقد تحدث الرحالة عن مدينة «مخا» التي نزلوا بها في السادس والعشرين من رجب وأقاموا فيها في رباط يسمى»وكالة المدينة» . وقال: إن «مخا» من أكبر الموانئ في اليمن وأشهرها وقال: إنها مدينة صغيرة محاطة بالأسوار ومعظم بيوتها مكونة من ثلاثة أو أربعة طوابق[١٨٣].

وتحدث «المراد أبادي» عن طريقين يمكن للمسافر سلكهما من مخا إلى جُدَّة وهما:

الطريق الأولى: هي طريق البحر الكبير، والتي تكون مياهه عميقة وفي وسط البحر، وتستغرق هذه الطريق عادة سبعة أو ثمانية أيام، إذا كانت الريح مواتية، وإلا اضطرت السفن إلى العودة من حيث أقلعت .

الطريق الثانية: هي طريق البحر الصغير والمتصلة بساحل اليمن والموازية له، وهنا المياه ليست عميقة، وهي محفوفة بمخاطر الصخور الموجودة على مقربة من سطح الماء، وتستغرق هذه الطريق خمسة عشر أو ستة عشر يوماً . ولا يخشى فيها أن تعود السفن من حيث أقلعت، لأنها تبحر نهاراً، ثم تتوقف في أحد الموانئ إذا حل الليل، وإذا صارت الرياح غير مواتية، تبات في مرساها، وإذا احتاج المسافرون إلى الماء شروه من أهل القرى الموجودة على الساحل، كما أن الركاب يمكن أن

١٨٢- المصدر السابق، ص/٤٢ .

١٨٣- المصدر السابق، ص/٥٠ .

ينزلوا من السفينة في أي وقت شاءوا، ويكملوا رحلتهم بالطريق البري .

وقد أبحرت سفينتهم من «مخا» مساء يوم الجمعة التاسع والعشرين من رجب[١٨٤]. ثم وصلت سفينتهم إلى « الحديدة» يوم الجمعة الحادي والعشرين من شعبان[١٨٥]. ثم وصلوا إلى جزيرة»كمران» التي قال: إنها تقع في منتصف الطريق بين «الحديدة» و «اللحية» وكان ذلك يوم الجمعة الثامن والعشرين من شعبان . وقال عن «كمران» أنها ميناء عامرٌ لكنها في زمن زيارته لها أصبحت خربة وصارت «اللحية» ميناء بدلاً منها[١٨٦].

وأبحروا من «كمران» في الثاني من شهر رمضان وتوقفوا عند ميناء «اللحية» وغادروها في الخامس من رمضان . وفي الثالث عشر من رمضان رست سفينتهم على ساحل جزيرة «مرسا» ومنها أبحروا إلى « القنفذة» التي قال: إنها تبعد عن «جازان» (٢٦٩) كيلو متراً[١٨٧].

دخلت سفينتهم إلى « القنفذة» في الثامن والعشرين من رمضان . وقال: إن: «القنفذة» من أعمال «جُدَّة» يسكن أهلها على الساحل[١٨٨].

ونظراً لهبوب الرياح الشمالية فلقد توقف السير من «القنفذة» إلى «جُدَّة» فاضطر الرحالة إلى النزول من السفينة وسلوك الطريق البري . وبعد أن قضى هذا الرحالة أيام العيد في «القنفذة»، غادرها على ظهر بعير يوم السبت الخامس من شوال. وكان سفرهم وقت الليل وراحتهم في النهار . وفي يوم الخامس عشر من شوال وصل إلى قرية صغيرة على ساحل البحر تدعى «ميناء إبراهيم»[١٨٩]. وبعد يومين منها وصل إلى « السعدية»[١٩٠].

١٨٤- المصدر السابق، ص/٥٢ .
١٨٥- المصدر السابق، ص/٥٣ .
١٨٦- المصدر السابق، ص/٥٤ .
١٨٧- المصدر السابق، ص/٥٩ .
١٨٨- المصدر السابق، ص/٦٠ .
١٨٩- ميناء إبراهيم يقع في السودان مقابل الليث جنوب سواكن ولا يزال معروفاً بهذا الاسم ويستخدم لتصدير الماشية .
١٩٠- المراد أبادي، رفيع الدين ،الرحلة الهندية الى الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص/٦٢ .

ووصل إلى «يلملم» وهي ميقات أهل اليمن وقال عنها: إنها منطقة جبلية تقع في «السعدية»، وأحرم من هناك . وبعد يومين وصل رحالتنا إلى مكة المكرمة وتلاشت عنه متاعب السفر –كما قال– عندما رأى الكعبة المشرفة . وأدى فريضة الحج في ذلك العام . وقد تحدث كثيراً عن مكة المكرمة وعن المسجد الحرام وعن منى ومزدلفة وعرفات. وعن علماء مكة المكرمة وأهلها وعن عاداتهم وأخلاقهم الطيبة(١٩١).

ومن مكة المكرمة توجه رحالتنا إلى جُدَّة التي وصل إليها وقت السحر .

جُدَّة بعدسة ذاكرة الرحالة رفيع الدين المراد أبادي:

عندما وصل الرحالة رفيع الدين المراد أبادي إلى جُدَّة في وقت السحر وقال إن جُدّة – بضم الجيم وتشديد الدال بمعنى الساحل، وسبب تسميتها كذلك وجود الميناء فيها، وهي غرب مكة . عمرها سيدنا عثمان –رضي الله عنه – وكان ميناء مكة من قبل في مكان آخر .

وقد أُعجب بها وتحدث عنها وقال إنها: أصبحت مدينة كبيرة وميناء مشهوراً، يفد إليه التجار من بلاد بعيدة حاملين جميع أنواع البضائع والتحف النفيسة، فتصدر هذه البضائع من جُدَّة إلى البلدان المختلفة، ويبين المراد أبادي أن «إيرادات الدولة من هذا الميناء كبيرة جداً، فضريبة البن اليمني تربو على مائتي ألف، أما ضرائب السلع الأخرى فنصفها يعد وقفاً من قبل السلطان العثماني يدفع مصاريف مكة المكرمة والمدينة المنورة ورواتب موظفيها وعمالها وما إلى ذلك».

وقال :إنه في خارج مدينة جُدَّة من ناحية الشمال يوجد ما يقال إنه قبر حواء أم البشر رحمها الله، . لذا سماها بعض العوام جَدَّة، بفتح الجيم . كما تحدث الرحالة عن مزار السيد (علوي) –رحمه الله– أنه يقع في داخل المدينة، وتحدث عن ما كان يقوم به بعض العوام من عادات خرافية عند هذا المزار آنذاك(١٩٢).

١٩١– المصدر السابق، ص/٩٢ .

١٩٢– المصدر السابق، ص ص/ ١٠٠–١٠١ .

وغـــادر المراد أبادي جُدَّة يـــوم الاثنين الموافق ٢٢صفر مـــن عام (١٢٠٢هـ) فخيـــم في مكان بالقرب من مقـــبرة أمنا حواء، حيث ثم تهيئـــة قافلتهم وتنظيم أمورها، وترتيبها، وغادروا ذلك الموقع في الرابع والعشرين من صفر عام (١٢٠٢هـ) متجهـــين إلى المدينة المنورة ووصلـــوا «رابغ» يوم ٢٨ صفر[١٩٣]. وفي صباح يوم الاثنين السادس من ربيع الأول عام (١٢٠٢هـ) وصل رفيع الدين المراد أبادي إلى المدينة المنورة على ســـاكنها أفضل الصلاة والتسليم بعد رحلة طويلة شاقة وشيقة ومكث بها اربعة أشهر وعشرين يوماً قبل أن يغادرها[١٩٤].

١٩٣- المصدر السابق، ص/١٠١ .

١٩٤- المصدر السابق، ص/١٣٤ .

علي باي العباسي
Domingo Badia Leblich

دومينغو باديا لابلخ (علي باي العباسي) – المصدر: كتاب رحلة إسباني في شبه الجزيرة العربية

في أحد البحوث المقدمة خلال ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية الذي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز في الرياض في أكتوبر عام ٢٠٠٠م يقول الباحث أسعد عيد الفارس: إن الشريف علي بك العباسي يقول : «بعد أن قضيت عدة سنوات في بلاد المسيحيين أدرس علوم الطبيعة والفنون التي لا يستغني عنها الإنسان، عزمت أخيراً على زيارة بلاد المسلمين، ومن خلال أداء فريضة الحج سوف يتسنى لي دراسة سلوك وعادات وطبيعة البلاد التي سوف أمر بها، خدمة للوطن الذي اخترته مثواي الأخير» ... يقول الفارس: هكذا قال الشريف علي بك العباسيي قبل الشروع في رحلته إلى الشرق(١٩٥).

يتساءل الفارس: فمن هو علي بك العباسي ؟! ثم يقول لنا: إن آثار هذا الرحال لا تشير إلى هويته، فتركنا في لغز أمام شخصيته، لكن من الراجح أنه إسباني من

١٩٥- الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية: بحوث مقدمة في ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ج/٥ دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، (رجب ١٤٢١هـ- أكتوبر٢٠٠٠م)، ص/٥٧٨.

مواليد برشـــلونة حوالي عام ١٧٦٦م، واسمه الأصلي دمنجوبادي لبليخ جاء يحيط به الخدم والأتباع مدعياً أنه من سلالة العباسيين، وأنه جاء إلى مكة لتأدية فريضة الحج، فورعه الظاهر وإتقانه للغة العربية والفقه الإســـلامي جعله فوق الشـــبهات أمام كل من جالســـه من المسلمين، فبعد مشاورات أجراها مع شخصيات مهمة في باريس ولندن وصل طنجة عام ١٨٠٣م، فأمضى فيها سنتين قضاهن صديقاً للســـلطان الذي أمده بكل ما يحتاجه، وفي طريقه إلى الحج وصل إلى الإسكندرية عام ١٨٠٦م، فقابل هناك «شـــاتوبريان» الفرنســـي . يقول الفارس: كانت أول إشارة توحي بأنه كان يعمل لصالح الفرنسيين الذين كانت تهمهم معرفة المسلمين في الشرق من الحركة الإصلاحية التي قامت في وسط الجزيرة العربية[١٩٦].

ويســـتطرد الفارس قائلاً: وفي مصر التقى محمد علي باشا حيث اتجه إلى ميناء الســـويس في ديســـمبر عام ١٨٠٦م ضمن قافلة تحملها عشرة من الإبل وثلاثة جنود، بعد أن ترك في القاهرة كل ما يملكه . وبعد رحلة عاصفة في البحر الأحمر وصل إلى مكة في ٢٣ يناير عام ١٨٠٧م فحل في منزل مجاور لحاكم مكة، كيف لا، وهو الذي يدعى أنه من العباســـيين، بل إن الحاكم كما يدّعي كان يصاحبه في أثناء التجوال في المدينة، فكان أول رحالة غربي يصف مكة وصفاً علمياً دقيقاً، ويحدد موقعها على الخريطة، ويصف تجارتها، ويقدّر عدد سكانها .

ويقول الفارس: إن هذا الرحالة وبعد أن أدى مناســـك الحج وشارك في غسيل الكعبة . غادر مكة المكرمة في الثاني من مارس عام ١٨٠٧م في طريقه إلى جُدَّة، ومنهـــا إلى ينبع يريد المدينة المنورة، لكنه عـــاد من ينبع إلى مصر، ومن هناك قرر العودة إلى أوروبا فأنهى رحلته في رومانيا عام ١٨٠٧م[١٩٧].

رحلة علي باي العباسيي دومينغو باديا :

يقول الدكتور صالح بن محمد السنيدي في ترجمته لكتاب رحلة (دومنجوباديا –

١٩٦- المصدر السابق، ص/٥٧٩ .

١٩٧- المصدر السابق، ص/٥٧٩ .

علي بك العباسي إلى مكة المكرمة) سنة (١٢٢٢هـ – ١٨٠٧م) أن ما توافر لدينا من معلومات لا يتناسب وحجم هذه الشخصية وما قامت به من مغامرات وأدته من أدوار، لكنها مع ذلك تلقي أضواءاً كافية حول حياة هذا الرحالة والتقلبات السياسية التي عاشها وشارك في أحداثها.

ويقول السنيدي: لم يلقَ باديا الاهتمام الذي يستحقه من قبل مواطنيه الأسبان بشكل عام، لكنه وجده أخيراً من قبل الباحثين الكتلان الذين خصوه بدراسات وبحوث، آخرها مجموعة من المقالات والبحوث تحت عنوان : «علي باي Ali Bei» حاج كتلاني في ديار الإسلام «باللغة الكتلانية» نشر في برشلونة سنة ١٩٦٦م[١٩٨].

ترجمة دومينغو باديا لبليخ Domingo Badia Leblich:

يقول أغسطس رالي: يُعرف باديا على نحو أفضل بلقبه المستعار (علي بك العباسي) . ولد في بيسكاي (Biscay) عام ١٧٦٦م . ويقول إن لغة باديا الأصلية سهلت عليه تعلم اللغة العربية ونطقها الصحيح .

ويقول رالي: تلقى باديا تعليما عاما ثم أكمل معرفته ودرس الطب والفلك وعلم المعادن . وفي عام ١٨٠٢م زار باريس ولندن وعاد إلى أسبانيا في ثياب إسلامية بعد سنتين[١٩٩].

كما يبين الدكتور صالح بن محمد السنيدي في ترجمته لكتاب (رحلة دمنجو بايدا إلى مكة المكرمة) أن الباحثين الذين درسوا هذا الرحالة الأسباني قالوا : إنه ينتمي إلى أب كتلاني كان يعمل سكرتيراً لحاكم برشلونة وأم بلجيكية اسمها : كاتلينا ليبلخ Catalina Leblich[٢٠٠].

١٩٨- باديا، دمنجو (علي بك العباسي): رحالة أسباني في الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص/١٩ .
١٩٩- رالي، أغسطس: مسيحيون في مكة، ترجمة رمزي بدر، الوراق، (٢٠٠٧م)، ص ص/٥٢ – ٥٣ .
٢٠٠- باديا، دمنجو (علي بك العباسي): رحالة أسباني في الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص/١٩ .

كما يقول السنيدي: إن الرحالة نفسه واسمه دمنجو باديا واي لبليخ Dominego badia Y leblich، ولد في برشلونة في الأول من إبريل سنة ١٧٦٧م الموافق للثاني من ذي القعدة ١١٨٠هـ . انتقل أبوه إلى غرناطة ثم إلى مدريد يرافقه ابنه الذي تبدو عليه علامات النجابة والنبوغ، فوجهه والده لدراسة الإدارة . وعندما بلغ الرابعة عشر من عمره أصبح معاوناً إدارياً لوالده في بلده على ساحل غرناطة، ثم خلف والده في منصبه عندما انتقل إلى مدريد وعمره وقتها تسعة عشر عاماً . وبعد أن بلغ أربعة وعشرين سنة تزوج من فتاة غرناطية، وفي هذه الأثناء تحول إلى قرطبة ليعمل في مصلحة التبغ، وأثناء ذلك كان الطموح وحب المغامرة يدفعانه إلى البحث والدراسة وإجراء التجارب العلمية المتعددة التي كان آخرها تجربته الاستطلاعية حول الغاز وتأثيره في رفع المناطيد وغير ذلك مما يدل على شخصيته المتميزة(٢٠١).

تقدم باديا لبيلنخ بمشروع رحلته في شهر أغسطس من سنة ١٨٠١م/ ١٢١٦هـ إلى الحكومة الأسبانية باسم (مشروع رحلة إلى شمال إفريقيا ذات أهداف سياسية وعلمية) وقد تمت الموافقة عليها مع ما يتطلبه ذلك من تمويل وتجهيز . وكان وراء المشروع والداعم الأول له رئيس الحكومة الأسبانية آنذاك مانويل جودي (Godoy) الذي تحمس له وأقنع الملك كارلوس الرابع Carlos IV بالموافقة عليه(٢٠٢).

ويذكر السنيدي أن باديا : أخذ يستعد للرحلة ويحضّر لمستلزماتها من أجهزة ومعدات وتهيئة نفسية ولغوية ومعرفة تتناسب والبلاد المقصودة، فرحل إلى لندن وهناك التقى أعضاء الجمعية الإفريقية وبحث معهم إمكانية إجراء بعض الاكتشافات في القارة الإفريقية جنوب جبال الأطلسي.

كما يقول السنيدي إن باديا قام في هذه الأثناء بمبادرة شخصية فختن نفسه تأكيداً لشخصيته الإسلامية التي سوف يتقمصها فيما بعد، ثم انتقل إلى باريس

٢٠١- المصدر السابق، ص/٢٠ .

٢٠٢- المصدر السابق، ص/٢٠ .

وأجرى بعض الاتصالات الخاصة، وأعد بعض الأجهزة العلمية التي تلزمه في رحلته هذه(٢٠٣).

ويستطرد الدكتور صالح السنيدي قائلاً: وبعد سنتين من الاستعدادات والتجهيزات انطلق صوب المغرب حيث وصل إليها في التاسع والعشرين من شهر يونيو سنة ١٨٠٣م الموافق للتاسع من ربيع الأول سنة ١٢١٨هـ معلناً بداية الرحلة، ومتنكراً بالزي العربي مدُعياً أنه من أصل عربي، وينتمي إلى الأسرة العباسية ومتخذاً من علي باي اسماً له، موصيا أن الظروف دفعته إلى ترك بلاده الإسلامية والانتقال إلى أوروبا، وفي معاهدها درس العلم ونهل من معينه وتنقل ما بين دولها من إيطاليا وفرنسا إلى أسبانيا، مما جعله ينسى لغة آبائه وأجداده، لكنه مع ذلك ظل محافظاً على تعاليم دينه الإسلامي(٢٠٤).

وعن البلدان التي زارها باديا خلال رحلته يقول السنيدي: في رحلته هذه جاب المغرب وولاية طرابلس وقبرص وبعض جزر اليونان ومصر والحجاز وفلسطين وسورية وتركيا، ثم عاد إلى بلاده عن طريق فرنسا سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م التي كانت الأمور فيها مضطربة، حيث اقتحمها نابليون بونابارت وأسقط حكومتها، ونصب فيها ملكاً موالياً له هو أخوه جوزيف بونابارت وضمها إلى حكمه المباشر فتردد رحالتنا هذا ما بين تفرغه لأبحاثه ومشروعاته العلمية أو الدخول في معترك السياسة ودهاليزها، فجذبته الأضواء وتقلب في مناصب متعددة تحت إدارة أخي نابليون جوزيف، وعندما انتهى الحكم الفرنسي في إسبانيا آثر باديا الرحيل معه والانخراط في خدمة الفرنسيين، وتحت حمايتهم بعد أن أحرق جميع أوراقه الوطنية(٢٠٥).

وبعد زمن عاود الكرة للمغامرة وشد الرحال من باريس باتجاه الشرق وقيل إنه انتدب في مهمة جديدة تتعلق بالهند وبدأ يعد لها متخذاً من موسم الحج ووفد

٢٠٣- المصدر السابق، ص ص/٢٠ -٢١ .
٢٠٤- المصدر السابق، ص/٢١ .
٢٠٥- المصدر السابق، ص/٢٢ .

الحجيج الهندي وسيلة للبداية في مشروعه الجديد، لكنه لقي مصرعه وهو في طريقه إلى مكة المكرمة مع نهاية شهر أغسطس من سنة ١٨١٨م الموافق نهاية شوال ١٢٣٣هـ في ظروف غامضة، ولا يستبعد البعض أنه تم تسميمه من قبل أعدائه(٢٠٦).

أهمية رحلة باديا:

يقول الدكتور السنيدي: إذا نظرنا إلى هذه الرحلة من حيث الأهمية والمكانة فسنجد أنها تتبوأ مكانة مميزة بين مثيلاتها، ليس لأنها الأقدم فقط، بل للجرأة التي صاحبتها من قبل باديا الذي اخترق الحُجُب بصفته أحد أبناء الدار، ليصل إلى ما عجز عنه غيره ممن سبقوه أو جاؤوا بعده، وفي هذا الصدد يمكن لنا أن نقارن بما كتبته جون بوركهارات الذي جاء إلى مكة بعده بسنوات واعتمده في كثير من النقاط التي وردت في كتابه على الرغم من محاولته إخفاء ذلك بحجة أنه اطلع على مذكرات باديا بعد عودته إلى مصر، مع أنه فصَّل في مواضع غفل عنها باديا، وتوسع في أخرى اختصر فيها، إلا أن اطلاعه واستفادته منها لا يمكن إنكارها.

ويبين الدكتور السنيدي: أن الكثيرين ممن تناول سيرة باديا وسجل رحلته هذه، يؤكدون مكانتها وقيمة ما قدمته من معلومات قيمة تعد توثيقاً لأحداث عايشها واطلع عليها بنفسه.

كما يبين السنيدي أن اهتمام باديا بالقضايا السياسية لم ينسه التصوير الوصفي الدقيق لما شاهده وعايشه من مشاهد اجتماعية وانتروبولوجية وجغرافية وأثرية وعلمية، سواء في مكة المكرمة أو في جُدَّة أو في غيرها من الديار والمواقع التي مر بها، مستخدما أدواته القياسية ابتداء من قياس كثافة الرطوبة الجوية إلى آلة السدس والثمن وأجهزة الرصد الأخرى، ومما حمله معه من أدوات تحليل التربة والمياه، ولذا فقد أمد علم الجغرافيا والفلك بمعلومات قيمة تتجلى في تلك الملحوظات الفلكية من تحديد مواقع الأماكن التي مر بها على البحر الأحمر طولاً

٢٠٦- المصدر السابق، ص/٢٣ .

وعرضا في إحداثيات تعد دقيقة وأولية، محددا موقع المدينة المنورة بشكل تقريبي، مع أنه لم يصل إليها، ومكة المكرمة بشكل صحيح، ولأول مرة تمكن من تحديد الموقع العرضي لبعض الأماكن داخل شبه الجزيرة العربية بالنسبة إلى خط الاستواء.

كما كانت ملحوظاته عن الناس وملابسهم وسلاحهم، عاداتهم وتقاليدهم، إلى جانب التعليم ومدارسه، والنباتات وأنواعها. والجبال والصخور والعملة المتداولة والأسواق، خاصة في مكة المكرمة وجُدَّة بمثابة أضاءة جديدة للباحثين في تاريخ هذه الحقبة.

ويستطرد السنيدي قائلاً: أما حديثه عن الحرم بمرافقه المتعددة والمناسك بمشاهدها المختلفة، فقد كان بمثابة آلة تصوير تنقلنا من مشهد لآخر(٢٠٧).

خط سير رحلة باديا إلى جُدَّة:

انطلق رحالتنا من مدينة قادس في جنوب أسبانيا بعد أن وصل إليها من لندن، عابراً مضيق جبل طارق من ميناء (طريفة) Tarifa في مركب صغير قطع به هذا المضيق في أربع ساعات، وصل بعدها إلى مدينة (طنجة) المغربية في التاسع والعشرين من شهر يونيو سنة ١٨٠٣م الموافق التاسع من ربيع الأول ١٢١٨هـ.

ومن هناك توجه إلى (مكناس) ثم (فاس) التي وصف زلزالاً ضعيفاً تعرضت له هذه المدينة وأكد أن مركزه الأساس قد يكون في جبل طارق، وأنه استمر عشرين ثانية، وقد رصده بأدواته التي يحملها واصفا إياه بدقة(٢٠٨). ومن فاس ذهب إلى (مراكش) بعد أن مر (بالرباط) وقد وصل إلى مراكش في الواحد والعشرين من مارس . ومع اقتراب موعد الحج أعلن باديا عن رغبته في الرحيل إلى مكة المكرمة فتمت الموافقة له على ذلك، فسافر من مراكش إلى فاس ومنها إلى الجزائر.

إلا أن حربا بين الجزائريين والأتراك أرغمته للعودة إلى طنجة والسفر منها بحراً،

٢٠٧- المصدر السابق، ص/٤٤ .
٢٠٨- المصدر السابق، ص/٥٧ .

إلا أن القافلة التي سافر معها أخذته إلى (العرائش) بدلاً من طنجة حيث كانت تنتظره باخرة صغيرة على الساحل تم استئجارها خصيصاً له، وترك المغرب يوم الأحد الثالث عشر من أكتوبر سنة ١٨٠٥م الموافق العشرين من رجب سنة ١٢٢٠هـ(٢٠٩).

وبعد رحلة مليئة بالأهوال بسبب التقلبات المناخية وأمواج البحر العاتية ولمدة شهر تقريباً رست باخرة باديا في ميناء طرابلس في الحادي عشر من نوفمبر التاسع عشر من شعبان(٢١٠).

ومن طرابلس بدأ باديا رحلته باتجاه الإسكندرية وقد غادر في السادس والعشرين من يناير ١٨٠٦م الموافق للسادس من ذي القعدة عام ١٢٢٠هـ .

وخلال الرحلة قام باديا ببعض القياسات الفلكية فاكتشف أن باخرتهم قد تحول خط سيرها بدلاً من الإسكندرية إلى الشمال، فنبه القبطان، وانتهى بهم الحال أن توقفوا على الساحل اليوناني . ثم استمرت الرحلة باتجاه الإسكندرية التي تراءت ملامحها أمامهم في الثالث من مارس الموافق الثاني عشر من ذي الحجة . وعندما أوشكوا على الدخول إلى ميناء الإسكندرية ضرب إعصار هائج مما أذهل القبطان الذي حاول إعادة الرسو في ميناء المدينة الثاني (أبو قير) إلا أنهم بدلاً من ذلك ابتعدوا عن الشط وأصبحوا مرة أخرى في أعلى البحر. وقال باديا واصفاً الوضع: «حالات من الإعياء الشديد واليأس والرعب والحياة والموت تسود القارب نتيجة للعواصف التي تعصف بالمركب والمياه المتساقطة من أمواج كالجبال»: «اعتقدت بأن ساعاتي الأخيرة قد اقتربت، وأصبحت في حالة شديدة من الهلع»(٢١١). وبعد ثلاثة أيام في بحر مائج هائج أعلن قبطان مركبهم أنه لن يستطيع الوصول إلى الإسكندرية، وسيتجه عوضا عن ذلك إلى قبرص . فوصلوا إلى (ليما سول) في السابع من شهر مارس سنة ١٨٠٦م الموافق للسادس عشر من ذي الحجة

٢٠٩- المصدر السابق، ص ص/٦٢ – ٦٣ .
٢١٠- المصدر السابق، ص/٦٣ .
٢١١- المصدر السابق، ص/٦٨ .

١٢٢٠هـ وقد تحدث عن هذه المدينة ووصفها وتحدث عن علاقات ببعض الأشخاص هناك. ثم زار نقوسيا ووصفها ووصف مساجدها. وقد صرّح باديا عن إعجابه الشديد بقبرص.

بعد ذلك قرر باديا استئناف رحلته للحج عن طريق الإسكندرية، فأبحر في باخرة يونانية صغيرة، خُصِّص له فيها غرفة مستقلة، خرجت في السابع من مايو (الثامن عشر من صفر ١٢٢١هـ) لكنها أُجبرت على العودة نظراً للامواج العاتية، فاعادت الكرة مرة أخرى في رحلة كانت موفقة . وصلوا الإسكندرية في اليوم الثاني عشر من مايو سنة ١٨٠٦م الموافق للثالث والعشرين من صفر ١٢٢١هـ بعد رحلة استغرقت يومين ونصف[٢١٢].

بدأ باديا جولته في مصر وخصها بأربعة فصول في كتابه الذي يقول فيه : «ليس من الصعب تأليف مكتبة متكاملة لوصف هذا البلد».

وفي يوم الاثنين العاشر من نوفمبر سنة ١٨٠٦م الموافق التاسع والعشرين من شعبان سنة ١٢٢١هـ وصل القاهرة ودخلها في حفل صوره لنا بالفخامة . ويصف باديا المدينة ويتحدث عن شوارعها ومحلاتها التجارية ويتحدث عن الجامع الأزهر والمساجد الكبرى الأخرى ووصف المستشفى العام بالقاهرة . وبعد شهر وخمسة أيام أي في الخامس عشر من ديسمبر سنة ١٨٠٦م الخامس من شوال ١٢٢١هـ غادر القاهرة متجهاً إلى جُدَّة سالكاً طريق السويس ثم البحر الأحمر[٢١٣].

ويقول باديا عن مدينة السويس إنها مدينة صغيرة وإنها مفتاح مصر السفلي . وقال إن ميناءها سيء . وقال إن شوارعها منتظمة وليس بها ماء إلا ما يجلب إليها من خارجها[٢١٤].

أبحر باديا من السويس قاصداً جُدَّة يوم الجمعة السادس والعشرين من ديسمبر

٢١٢- المصدر السابق، ص/٧١ .
٢١٣- المصدر السابق، ص/٧٦ .
٢١٤- المصدر السابق، ص ص/١٠٥ – ١٠٦ .

١٨٠٦م. وفي الثامن والعشرين من نفس الشهر توقفوا على مسافة قريبة من الطور.

وفي السابع من يناير عام ١٨٠٧م وصل باديا ورفاقه إلى ميناء ينبع. وفي التاسع من نفس الشهر وصلوا إلى ميناء الجار.

وفي الثالث عشر من يناير عام ١٨٠٧م وصل باديا ورفاقه إلى مدينة جُدَّة[٢١٥].

جُدَّة بعدسة ذاكرة علي باي العباسي(باديا) :

بعد أن وصل باديا إلى جُدَّة في ذلك اليوم من فصل الشتاء وصف لنا بعض تفاصيل ما فعله وما شاهده في هذه المدينة وما سجلته عدسة ذاكرته عنها، ما ننقل منه هنا بتصرف. يقول علي بك العباسي (باديا) :

أُلقيت مرساة مركبنا بحبالها في ميناء جُدَّة بنجاح، وهو ما يعني نهاية تلك الرحلة البحرية . وفي الحال بعثت مع أحد أتباعي رسالة إلى ذلك التاجر المكلف بشؤون سيدي محمد ناس، وبعد قليل من انتصاف النهار جاؤوا بطلبي في قارب لنقلي إلى اليابسة حيث وصلت في حدود الساعة الثالثة، وقد أحسنوا استقبالي في غرفة تحوي كل مظاهر الزينة المشرقية وقدموا لي الطعام الفاخر . وعند الغروب دخلت السفينة إلى الميناء، وفي اليوم التالي وبعد إنزال خدمي وأمتعتي توجهت للإقامة في منزل اتخذته سكناً لي ولأتباعي[٢١٦].

ثم يبدأ باديا في وصف جُدَّة فيقول : مدينة جُدَّة هي مدينة جميلة بشوارع منتظمة، وبيوت لطيفة ذات طابقين أو ثلاث طوابق، مبنية جميعها من الحجر، وإن كان بناؤها أقل متانة نوعاً ما، وفيها عدد كبير من النوافذ الواسعة والسطوح المنبسطة . وفيها خمسة مساجد ليست بذات شأن . ويحيط بالمدينة سور رائع ذو

٢١٥- المصدر السابق، ص/١٢١ .

٢١٦- المصدر السابق، ص/١٢٢ .

أبراج غير منتظمة، وعلى بعد عشـــر خطوات من الجانب الخارجي، هناك خندق غير ذي فائدة . إذ لا يرى فيه أي بناء يدعمه، وعوضا من الجســـر المتحرك أمام بوابة المدينة، فإن هذا الخندق لا يملؤه غير التراب، وعلى الرغم من البناء الحديث فلا يبدو أنه سيعمر طويلاً لأن جدرانه مقطوعة عموديا من دون إنحراف ولا نتوء، ويبلغ عرضه تسعة أو عشرة أقدام بينما عمقه اثنا عشر قدماً(٢١٧).

وعن أســـواق جُدَّة يقول باديا: الأســـواق العامة في جُدَّة تحتوي على كثير من البضائع، لكن الأســـعار فيها مرتفعة جدا فســـعر الدجاجـــة الواحدة يبلغ دوروا اســـبانياً وتحمل البقول إليها من أماكن بعيدة، وليس بالقرب منها نهر ولا ينابيع كما أنها تخلو من الحدائق والمزارع والبساتين، والماء الذي يشرب في جُدَّة هو ماء الأمطـــار وهو ماء عذب لأنه يحفظ جيداً في الخزانات، ولكني لن أقول الشـــيء نفسه عن الخبز الذي لم يبد لي أنه جيد النوعية(٢١٨).

ويستطرد باديا قائلا : وتنتشر في جُدَّة دائما الروائح العطرة، ففي جميع الأماكن العامة هناك أناس يبيعون أقداحاً من الماء للشـــرب، ويضعون دائما بالقرب منهم مواقد يحرقون فيها البخور والعطور الأخرى، ويحدث الشـــيء نفســـه في المقاهي والحوانيت والبيوت وفي كل مكان(٢١٩).

وعن ســـكان جُـــدَّة وأعدادهم يقول باديا: وتقطن جُدَّة حوالي خمســـة آلاف نســـمة ويمكن اعتبار هـــذه المدينة مركزا لتبادل التجـــارة الداخلية للبحر الأحمر، فســـفن مخـــا تحمل إليها القهوة وغيرهـــا من البضائع من الهنـــد ومن جميع بلدان الشرق، حيث تُنْقل في سفن أخرى إلى السويس وينبع والقصير ومراكز أخرى في سواحل الجزيرة العربية وإفريقية(٢٢٠).

ويبين باديا أن جُدَّة كانت مدينة تتم فيها المبادلات التجارية إذ يقول: يشـــتري

٢١٧- المصدر السابق، ص/١٢٤ .
٢١٨- المصدر السابق، ص/١٢٤ .
٢١٩- المصدر السابق، ص/١٢٥ .
٢٢٠- المصدر السابق، ص/١٢٥ .

تجـــار جُدَّة من مخا، أو بالأحرى فإن تجار مخا يبعثون بضائعهم إلى جُدَّة ويرســـل تجار القاهرة عن طريق وسطاء السويس أموالهم إلى جُدَّة للشراء . وتصل إلى جُدَّة عن طريق الســـويس بعض المواد من أوروبا وخصوصا الأقمشـــة، لكنها لا تكفي لســـداد أثمان بضائع الهند وقهوة اليمن، وتُدْفع معظم الأثمان بالدورو الأسباني أو بالأســـكودو الألماني الســـميك، وهذه العملة الأخيرة هي المرغوبة في جُدَّة لأنها تعادل الكثير في اليمن ومخا(٢٢١).

ويســـتطرد باديـــا في حديثه عن تجـــارة جُدَّة فيقول: ويلحـــظ البذخ الكبير في الملابس والسكن، ولكن هناك من ينتمون للطبقات الأفقر في المجتمع .

كمـــا يقول باديا إنه: توجد حامية تركية بها مائتي جندي عرب وأتراك . ويقول أيضاً: إنه لم يشاهد أي أوربيين في جُدَّة ولكنه ذكر أنه كان يوجد بعض الأقباط فيها .

وقال أيضاً: إن التاجر الرئيس في البلد هو ســـيدي العربي الجيلاني وقال عنه : « هـــو رجل ذو نبوغ وصاحب علاقة قوية مع الإنجليز، ومعهم يقوم بكل تجارته تقريباً»(٢٢٢).

وتحدث باديا عن وسائل النقل من الحيوانات في جُدَّة فقال: «لا يوجد في جُدَّة خيول إلا ما لدى أغنياء تجارها، كما لم أشـــاهد بغالاً، أما الحمير فممتازة فهي كبيرة وحســـنة الهيئة، وهناك عدد كبير من الجمال، وهي حيوانات النقل الوحيدة في البلاد»(٢٢٣).

أمـــا عن وســـائل النقل البحرية فيول باديا : «هناك مـــا يقرب من مائة مركب تقوم بالنقل الساحلي البحري ما بين جُدَّة والسويس، كما أن هناك أخرى غيرها تعـــبر إلى مخا، وبما أن الموجود منها إما معطوبـــة أو يجري إصلاحها، فإن عددها

٢٢١- المصدر السابق، ص/١٢٦ .
٢٢٢- المصدر السابق، ص/١٢٧ .
٢٢٣- المصدر السابق، ص/١٢٨ .

باعتقادي سينخفض إلى الثمانين . والواقع أنه لا يمر عام دون أن يغرق عدد منها في شعب البحر الأحمر، ولكن هناك صناعة مستمرة للسفن في جُدَّة والسويس ومخا»(٢٢٤).

وذكر باديا أن المدينة محاطة بسور وأنه كانت توجد أعداد كبيرة من الأكواخ خارج السور يسكن بها بعض الناس.

وعن الطقس في جُدَّة زمن زيارته لها يقول باديا: تقع جُدَّة في سهل هو في الحقيقة صحراء، وطقسها متقلب باستمرار، فمن يوم لآخر كنت أرى مقياس الرطوبة ينتقل من أقصى درجات الجفاف إلى أقصى درجات الرطوبة . وتبلغ الرياح الشمالية التي تقطع صحراء جزيرة العرب درجة من الجفاف تجعل الجلد ناشفاً، والورق يفرقع وكأنه وضع في بوابة فرن، كما يأتي الهواء محملاً بالتراب، فإن تبدلت الرياح لتصبح جنوبية، بدت فجأة الأعراض المعاكسة، فالهواء وكل ما يلمسه مشبع برطوبة لزجة تجعل الغضاريف الحيوانية رخوة، وهو شديد الإزعاج على الرغم من أن السكان يعتقدون أنه أكثر صحة من ريح الشمال الجافة . وأعلى درجة حرارة شعرت بها كانت (٢٤) في مقياس الحرارة (ذلك لأنه زار جُدَّة وقت الشتاء) ولقد وجدت الجو أثناء هبوب رياح الجنوب محملاً نوعاً ما بالضباب .

وفي إحدى الليالي كان القمر في سمت الرأس، وفي ليلة أخرى كان ناحية الشمال، وبتأثير خط العرض فقد كنت على بعد درجتين تقريباً جنوب المدار(٢٢٥).

ويبين باديا أن ماء زمزم كان متوفرا في جُدَّة وقت زيارته لها إذ يقول عن ذلك: «ومنذ لحظة وصولي كانت تُقدم لي كل يوم جرار صغيره من ماء بئر زمزم، وكنت أشرب وأدفع أجرته»(٢٢٦).

٢٢٤- المصدر السابق، ص/١٢٩ .
٢٢٥- المصدر السابق، ص/١٣٠ .
٢٢٦- المصدر السابق، ص/١٣٠ .

هــذه ملامح من مدينة جُدَّة عندما أتــى إليها الرحالة دمنجو باديا (علي بك العباســي) والذي كان أول أســباني يأتي إلى الجزيرة العربية ويزور جُدَّة في طريقه لأداء مناسك الحج .

وبعد أن مكث باديا في جُدَّة حوالي عشــرة أيــام غادرها إلى مكة المكرمة يوم الأربعــاء الحادي والعشــرين من يناير عام ١٨٠٧م الموافق الثاني عشــر من ذي القعدة سنة ١٢٢١هـ .

أولريخ ياسبر سيتزن
Ullrich Jasper Seetzen

أولريخ ياسبر سيتزن

ترجمة الرحالة سيتزن :

يقدم الأستاذ أحمد محمود ترجمة لحياة الرحالة سيتزن فيقول: ولد الألماني أولريخ ياسبر سيتزن (Ullrich Jasper Seetzen) في قرية سوفيا بجرودن في – ييفر – (Jevery) أو قُريز الشرقية عام ١٧٦٧م . لوالد ثري اعتنى بتعليمه، وأظهر ميلاً في بداية تعلمه للأمور الميكانيكية والطبية . وحصل على شهادة في الطب من جامعة – جوتنجن (Gottingen) – وخلال ترحاله في طلب العلم بين ألمانيا وهولندا، حصل على قسط من التعليم في علم الحيوان، وعلم النبات، والمعادن، والمناجم، والصناعة، والمخترعات في زمانه، وحصل على الجنسية الروسية القيصرية، وعمل مستشاراً في إحدى الإمارات الألمانية الصغيرة التابعة آنذاك لقيصر روسيا، ومتسلحاً بأسلحة المعرفة هذه، حصل على حماية – فون زاخ – (Baron Von Zach) القائد الأعلى في بلاط «ساكس غوتا» (Augustus OF

Gotha) ومحرر المجلة العلمية – الرسالة الجغرافية والفلكية – وخطط لأولى رحلاته إلى الشرق عام ١٨٠٢م، وتلقى دعم العديد من الوجهاء، فأعانوه بأجهزة الرصد الفلكي، وأموال، ودعم لمتحف كان يخطط لإقامته، وأراد في مفتتح رحلته زيارة واستكشاف خرائب مدينة – جزارة – القديمة التي كانت تمر بها قديماً القوافل في أيام الرومان، في مناطق اللجا وحوران « حيث كل قرية تحوي إما كتابات أثرية يونانية، أو أعمدة، أو بقايا ذلك الازدهار القديم، بلاد لا يظهر فيها للعين سوى الحجارة الصوانية المسامية، التي تشكل في أماكن كثيرة صحاري شاسعة من الحجارة والقرى المتهدمة، وانعدام الأشجار في المنطقة يضفي عليها مشهداً قاتماً كئيباً يبعث في النفس الذعر» .

ويصف الكاتب – سيتزن – فيقول عنه: إنه كان ذا بنية ضعيفة، لكن إرادته كانت قوية، وعزيمته ماضية .

ثم يتحدث الكاتب عن رحلة سيتزن فيقول: بدأ رحلته إلى الشرق، وصاحبه الجراح يعقوب، لكنه انهار عندما وصلا إلى سيرنا فعاد يعقوب إلى بلاده وترك سيتزن وحيداً، فقضى ستة أشهر في القسطنطينية، وواصل منها إلى آسيا الصغرى، وقضى عاماً في حلب، وعاماً آخر في دمشق تلميذاً يدرس العربية ويتعرف على عادات العرب، فأتقن ذلك عام ١٨٠٥م، ما أهله للقيام بالرحلات في الأراضي العربية التي أكسبته الشهرة لاحقاً، قبل أن يلقى حتفه في أواخر ١٨١١م في صنعاء مسموماً كما قيل، بعدما شك اليمنيون في أنه جاسوس(٢٢٧).

ويبين الأستاذ أحمد محمود أنه عُرف عن سيتزن معاناته من خلل نفسي، فكان مقتنعاً بأن مرافقيه – عندما كان في رحلته إلى صربيا – سوف يقتلونه، لكن هؤلاء ألقوا بأنفسهم في نهر الدانوب المتجمد في الشتاء لإنقاذ – سيتزن – من الغرق عندما ألقى بنفسه في البحر في إحدى النوبات النفسية التي كانت تنتابه(٢٢٨).

٢٢٧- محمود، أحمد محمد: جمهرة الرحلات – الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، مصدر سابق، ص/٧٤ .
٢٢٨- المصدر السابق، ص/٧٤ .

ويقول الكاتب إن – سـيتزن – قام برحلاته في الشـرق، في كل مرة متخفياً: ففي رحلته إلى البحر الميت تخفى في زي –شـحاذ– . وعرف بأنه هو مكتشف –جرش– في الأردن، ثم تجول في مدينة البتراء، وغيرها من أطلال المدن القديمة في منطقة الشـام، ونجح في رسم أول خريطة للبحر الميت، ثم سافر عبر فلسطين إلى مصر وبقي فيها حتى عام ١٨٠٩م، وكان قد خطط لاستكشاف الجزيرة العربية، وزيارة مكة والمدينة «منتحلاً اسم موسى» حتى يكتسب لقب «حاج» مما يسهل له الترحال في البلاد الإسلامية.

ويستطرد الكاتب قائلاً:

أطلق سيتزن على نفسه لقب – مستشرق– لكن مهمته الحقيقية كانت إرسال التقارير إلى – قيصر روسيا، عن الوضع العسكري في آسيا الصغرى، والتي كانت روسيا توليها اهتماماً كبيراً[٢٢٩].

ويبين الأستاذ أحمد محمود أن – سيتزن– وجد في عام ١٨٠٦م دليلاً من أتباع المذهب الأرثوذكسي كان قد عاش منذ الخامسة عشر من عمره بين قبيلة «عنزة» يرافق التجار عادة، ويتعاطى التجارة ومنه تعلم الكثير عن حياة عرب الصحراء .

ويقول الكاتب: إن تلك المعلومات أعانت – سـيتزن– عندما كان في القاهرة على تدوين كتابه بحيث يصلح للتعرف على القبائل العربية في سـوريا وفي البتراء وفي غيرها.

خط سير رحلة سيتزن :

يتوسع الكاتب أحمد محمود في الحديث عن خط سير رحلة سيتزن فيقول: وبعد اسـتكمال جولاته في بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية، استأنف رحلته براً فوصل إلى مصر «وفيها أعلن اعتناقه الإسلام ... وتتبع مجرى قناة السويس القديم الذي احتفره « سيثي الأول» ثم أبحر مع ١٥ حاجاً من مدينة السويس إلى ينبع يوم ٢٧

٢٢٩– المصدر السابق، ص/٧٥ .

خريطة توضح جزء من رحلة سيتزن عام ١٨١٠م

أغسطس من عام ١٨٠٩م، وكان يحمل رسالة إلى أحد التجار فيها الذي نصحه أن يتوجه رأساً إلى جُدَّة بدلاً من الذهاب إلى المدينة المنورة فتوجه إلى رابغ حيث أحرم ملياً مع الحجاج، ووصل إلى جُدَّة في سبتمبر (١٨٠٩م)، وبقي فيها مدة من الزمن في منزل تاجر يدعى عبدالله السقاط – ليدرس قواعد الدين الإسلامي التي لم يكن درسها من قبل(٢٣٠).

وفي يوم ١٠ أكتوبر غادر – سيتزن- جُدَّة على قدميه متوجها إلى مكة المكرمة(٢٣١).

ويقول الكاتب: إن سيتزن بقي في مكة شهراً، يدرس عند علمائها، وعاد إلى جُدَّة، انتظاراً لموسم الحج، ثم قرر زيارة المدينة المنورة، فغادر جُدَّة مع قافلة ومعه خادمه، واستقلا محفة على أحد الجمال، ووصل إليها ليصف المسجد النبوي

٢٣٠- المصدر السابق، ص/٧٥ .

٢٣١- رالي، اغسطس: مسيحيون في مكة، مصدر سابق، ص/٦٩ .

«بأنه واسع إلى حد كبير، وبه الكثير من الإسطوانات». وزار الأماكن الأثرية داخل المدينة وخارجها ورسم خريطة للمدينة المنورة. ثم وبناء على طلب من صديقه عبدالله السقاط عاد إلى جُدَّة.

وفي يوم ١٠ يناير من عام ١٨١٠م توجه – سيتزن- إلى مكة المكرمة وأدى مع صديقه عبدالله السقاط مناسك الحج . ومن شرفة نزله في وادي منى أمكنه يوم ١٤ يناير (١٨١٠م) رؤية مشهد النفرة إلى عرفات «حيث تدفقت الجمال، والخيول، والبغال، والحمير، والمشاة، فوصلنا إلى عرفات، حيث كانت الخيام تغطي نصف صعيد عرفات، فيما أكثرية الجميع كانت تحتشد على سفح جبل الرحمة، وأنظارهم جميعاً مشدودة تجاه الجبل، وهم يرددون – لبيك اللهم لبيك» ... وبعد نفرته من عرفات قضى ليلة باردة في مزدلفة .

«ويوم العيد كانت منى تشهد الأضاحي»[٢٣٢].

ويذكر الأستاذ أحمد محمود أن – سيتزن- قضى في مكة المكرمة شهرين بعد أدائه الحج، ومنها حمل اسم – الحاج موسى- نجح خلالها في رسم خريطة لمكة، وشوارعها وما حولها، وأخرى للحرم الشريف، منتقداً كافة خرائط الأروبيين التي رُسمت من قبله .

ويبين الكاتب أن سيتزن تذوق الجراد لأول مرة في مكة ووجد مذاقه طيباً إذا غمس في الزبدة، ثم كرر تعاطيه لاحقاً، خاصة خلال رحلته إلى اليمن .

ويقول محمود: إن سيتزن – وصف ركب حجاج نجد ذلك العام ممن أدوا فريضة الحج[٢٣٣].

ثم يتحدث محمود عن ذهاب سيتزن إلى جُدَّة مرة أخرى فيقول: غادر سيتزن مكة المكرمة في ٢٦ مارس ١٨١٠م عائداً إلى جُدَّة، وفيها لقي – الشيخ حمزة–

٢٣٢- محمود، أحمد محمد: جمهرة الرحلات - الرحلات المحرمة الى مكة المكرمة والمدينة المنورة، مصدر سابق، ص/٧٧.
٢٣٣- رالي، أغسطس: مسيحيون في مكة، مصدر سابق، ص/٧٣.

ويبدو أنه كان – الأستاذ – الذي تلقى منه التعليمات لخطة وصوله إلى مكة المكرمة لأداء الحج، ثم رافقه أستاذه هذا في رحلته إلى اليمن، وأقنعه بتسجيل يوميات لرحلتهما بالعربية، وكانت النتيجة حصيلة باهرة .

ويستطرد أحمد محمود قائلا: غادر سيتزن جُدَّة بحراً إلى اليمن فتوقف في الحديدة ثم إلى زبيد المشهورة بعلمائها، ومنها توجه إلى دوران عن طريق حجه . وعندما اقترب من صنعاء هبت عاصفة مطرية، بللته، فالتقط منها حمى الملاريا طرحته أرضاً، فهزل جسمه وضعف، حتى إنه لم يقو على قطع السيل إلا محمولاً، ونجح بعد شهر في الوصول إلى صنعاء في الثاني من يونيو ١٨١٠م، وصرف اهتمامه للبحث عن الكتابات الأثرية التي تحدث عنها من قبله الرحالة الدنماركي – نيبور– فوصل إلى – ظفار– وعثر فيها على القليل من الكتابات الأثرية .

ثم يستطرد الأستاذ أحمد محمود في حديثه عن خط سير رحلة سيتزن في بلاد العرب فيقول: إن سيتزن توجه عبر طريق لم يسلكه قبله أوربي إلى – المخا – براً ومنها كتب «إلى أحد من بسطوا عليه حمايته – فون باخ– ليهدي إليه باكورة ما وجده من آثار، فأرسل إليه نسخة من كتابات أثرية قام بنسخها في اليمن، وبفضل ما أرسله، عرفت أوروبا لأول مرة: ما هي الكتابة الحميرية الأثرية، فكان – سيتزن– هو أول أوربي استفاد من معرفتها والتعريف بها « ومنها أكمل رحلته إلى عدن تسبقه الشائعات على أنه من السحرة، وكان آخر ما سُمع عنه رسالتان بعث بهما من – المخا– بتاريخ ١٤ و ١٧ من نوفمبر ١٨١٠م، ذكر فيهما أنه غادر – المخا– على أمل اختراق الجزيرة العربية إلى الخليج العربي، فسلك لذلك طريق اليمن الداخلية، فعاد من الطريق التي سلكها في رحلته إلى اليمن مؤملا الوصول إلى مسقط، ومنها يعود إلى – البصرة– وبعد يومين من مغادرته – المخا– اغتيل مسموماً في تعز في ديسمبر ١٨١٠م، بعد أن اكتشف قاتلوه مجموعته الخاصة من العينات التي جمعها من الصخور، والحيوانات الميتة، فصادروا شحنته منها بحجة أنه يستخدمها في عمليات سحرية تتسبب في تجفيف ينابيع المياه، فأراد التوجه إلى صنعاء ليشكو إلى إمام اليمن مصادرة مجموعته، وقد أضفت عليه

اهتماماته بتجميع عينات النبات وحتى الأفاعي غرابة بين سكان اليمن . واقتنع بعضهم أنه كان يمارس أعمالاً سحرية فقتلوه.

ثم يذكر الكاتب أحمد محمود أنه عُرف لاحقاً أن رحلة – سيتزن– الأخيرة كانت تضم ١٧ جملاً، وأغرت هذه القافلة الكبيرة به أولئك الذين اغتالوه متسائلين عن دواعي سفره بهذه الجمال العديدة المحملة بالأثقال، لكنه كان يعتقد أن معرفته التامة باللغة العربية ستكون حصنا له من كل شكوك، وقد أرسل قاتلوه حمولة جماله من عينات حيوانية ومعدنية إلى إمام اليمن، على أنها من أعمال السحر «وقد دهش الإمام الذي ظن أنه أمام ثروة هائلة، ليجد أن محتويات ما كان يحمله – سيتزن– لا يعدو كونه أدوات فلكية، وأعشاباً مجففة، وكتاباً ومبلغ ٦٠٠ قرش .

وكانت هذه الحقائق عن موته قد ظهرت إلى النور من قبل الرحلة جيمس سيلك باكنجهام (James Silk Buckingham) وهو صحفي مؤسس صحيفة (Athenaeum) وقد ذكر هذه الحقائق في رسالة إلى بوركهارت أرسلها له في ٩ فبراير ١٨١٥م[٢٣٤].

وكان –سيتزن– كان قد نجح في إيداع مذكراته عند إيطالي في –المخا– يدعى –بنزوني[٢٣٥]. ولكن هذا الرجل مات وتركها لسمسار هندي من شركة الهند الشرقية وتم احتجازها، بعد وصول أخبار موت سيتزن[٢٣٦].

٢٣٤– محمود، أحمد محمد: جمهرة الرحلات – الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، مصدر سابق، ص ص/٧٦-٧٧ .

٢٣٥– المصدر السابق، ص ص/٧٧-٧٩ .

٢٣٦– رالي، أغسطس: مسيحيون في مكة، مصدر سابق، ص/٧٤ .

جون لويس بوركهارت
John lewis Burckhardt

بوركهارت في شبابه، المصدر: رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان

جون لويس بوركهارت أول سويسري مسلم يزور جُدَّة في طريقه لأداء فريضة الحج عندما وصل إلى هذه المدينة العريقة في صباح الخامس عشر من شهر تموز/ يوليو، سنة ١٨١٤م قادماً من مصر(٢٣٧).

وقد زار بوركهارت في رحلته هذه كلاً من مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وينبع بالإضافة لجُدَّة .

وقد دون بوركهارت يومياته خلال هذه الرحلة، وجُمعت هذه اليوميات في كتاب نشر بعد وفاته بعنوان (Travels in Arabia) وقد صدر هذا الكتاب عام ١٨٢٩م . ويعتبر من أهم المصادر التاريخية عن الحياة في مدن الحج ومحطاته في تلك الفترة . وقد نوه كثير من الكتاب عن أهمية هذا الرحالة وحققوا كتاباته وعلقوا عليها.

٢٣٧- بوركهارت، جون لويس: رحلات إلى شبه الجزيرة العربيه، مصدر سابق، ص/١٥ .

أحد هؤلاء الكتاب هو الدكتور محمد بن حسن الشريف الذي يقول في كتابه الهام الموسوم «المختار من الرحلات»: «إن رحلاته مملوءة بالمعلومات التفصيلية»[٢٣٨].

كما يصف علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر –رحمه الله– بوركهارت بأنه: «على جانب عظيم من الشهرة في عالم الرحالين»[٢٣٩].

ترجمة حياة جون لويس بوركهارت :

ولد بوركهارت في لوزان بسويسرا عام ١٧٨٤م، ودرس في ألمانيا، وغادر إلى بريطانيا في عام ١٨٠٦م ودَرَسَ بها علوم اللغة العربية، ودفعته رغبته في تكريس نفسه للارتياد إلى عرض خدماته على الجمعية الإفريقية البريطانية التي مولت عدداً من البعثات الاستكشافية إلى منطقة النيجر وانتهت هذه الرحلات بهلاك المستكشفين، فقبلت الجمعية عرضه وتعاقدت معه على أن يعمل لحسابها مقابل أجر يومي قدره جنيه واحد، فأخذ يعدّ نفسه، وَيْدرُس اللغة العربية والكيمياء والطب في جامعة كمبردج، ويتمرن على قطع مسافات طويلة مشياً في الشمس مكشوف الرأس ويفترش الأرض ولا يأكل إلا الخضار ولا يشرب إلا الماء .

في ١٤ فبراير ١٨٠٩م أبحر بوركهارت إلى مالطا ومنها سافر إلى حلب متنكراً كتاجر مسلم تحت اسم إبراهيم عبد الله، واستفاد من إقامته في حلب ودمشق بالتعمق في دراسة اللغة العربية والقرآن الكريم والفقه والجغرافيا والتاريخ الإسلامي، ثم قام بأعمال ميدانية هامّة تمثلت بالترحال في بادية الشام والإقامة مع أهلها ودراسة حياتهم، وكذلك البحث عن الأماكن الأثرية، وكان من أهم إنجازاته اكتشاف البتراء .

وبعد الإقامة في بلاد الشام أكثر من عامين غادرها إلى مصر التي وصل إليها

٢٣٨– الشريف، محمد بن حسن بن عقيل موسى: المختار من الرحلات الحجازية الى مكة والميدنة النبوية، المجلد الأول، مصدر سابق، ص/١٠ .

٢٣٩– قلعجي، قدري: أكتشاف جزيرة العرب، مصدر سابق، ص/١١ .

خارطة مكة المكرمة باستخدام الخطوات كمقياس رسمها جون لويس بوركهارت عام ١٢٢٩هـ/١٨١٤م – المصدر: كتاب ترحال في الجزيرة العربية

في سبتمبر ١٨١٢م، حيث قرر أن ينحدر مع النيل حتى منطقة النوبة، ووصل إلى مسافة مائتي ميل جنوب أسوان واكتشف معبد أبو سنبل ولم يستطع أن يتقدم أكثر فعاد أدراجه .

بعد ذلك قرر أن يقوم برحلة إلى شبه الجزيرة العربية وخاصة مكّة المكرمة، فانضم إلى قافلة حج مؤلفة من نوبيين وسودانيين وسار مع القافلة حتى وصل سواكن، ومنها ذهب بحراً إلى جُدَّة فوصل إليها بعد أسبوعين . ومكث في المنطقة مدّة استغرقت أحد عشر شهراً، وقد أصيب بالملاريا حال وصوله جُدَّة وكاد أن يفارق الحياة بسببها ولم يلبث أن شُفي فسافر إلى الطائف ومنها إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وأدى مناسك الحج قبل أن يعود إلى القاهرة وانشغل بمراجعة مذكراته التي كتبها عن رحلاته تمهيداً لإرسالها للجمعية، وكان يأمل في إنجاز مشروعه الأصلي وهو أن يسافر مع قافلة الحج القادمة من مكّة ومن ثم يحاول اكتشاف منابع نهر

النيجر، ولكنه أصيب بالطاعون ووافاه أجله في القاهرة في أكتوبر ١٨١٧م الموافق ١٦ذي الحجة ١٢٣٢هـ بعد عودته من الحج(٢٤٠).

جـاءت نتائج رحلات بوركهارت في أربع مجلدات منها : «رحلات في بلاد الشام»، «رحلات في بلاد النوبة»، «رحلات في شبه الجزيرة العربية».

وقد حققت هذه الأعمال لبوركهارت شهرة واسعة بسبب دقته وحياديته، وغزارة المعلومات التي يوردها وتنوعها في الأنثروبولوجيا والآثار والجغرافيا والاقتصاد .

ونظرا لإنصافه فقد كان صادق الوصف للمسـلمين، كما كان يحمل مشـاعر وعواطف إيجابية حيال معتقدات المسـلمين بل وقال إنه أسلم . ولما أحس بدنو أجله أوصى أن يدفن في مقابر المسـلمين فدفن فيها وكتب على قبره اسمه الذي تسمى به وهو إبراهيم المهدي بن عبدالله بوركهارت اللوزاني(٢٤١).

بوركهارت يصل جُدَّة:

عندما وصل جون لويس بوركهارت إلى جُدَّة ذات صباح صيفي شـديد الحرارة وكثير الرطوبة في الخامس عشـر من يوليو عام ١١٨٤م كان في وضع مالي ونفس سيء .عن ذلك يقول واصفاً وضعه:

لقـد أحاط بوصولي إلى جُدَّة بعض الظروف غير السـارة حيث قصدت منزل رجل أحمل له معي خطاب ائتمان نقدي، تسـلمته عند مغادرتي القاهرة في شهر يناير عام ١٨١٣م، ولم أكن حينها قد عزمتُ أمري تماماً على تمديد فترة أسفاري في شبه الجزيرة العربية.

وكان اسـتقبال الرجل لي فاتراً جـدا إذ إن الخطاب كان من القدم بمكان حتى يحظى بالاهتمام.

٢٤٠- محمود، أحمد محمد: جمهرة الرحلات – الرحلات المحرمة الى مكة المكرمة والمدينة المنورة، مصدر سابق، ص/١٠١ .
٢٤١- المصدر السابق، ص/١٠١ .

ومما لا شـــك فيه أن مظهري المهمل الرث كان ليحمل أي شخص على الحذر والاحـــتراس من التورط مع مُراســـليه، وذلك بإعطائي مبلغـــاً كبيراً من المال على حســـابهم . فضلاً عن ذلك، فإن السندات وخطابات الائتمان النقدي غالباً ما تكون موضع اســـتخفاف في التعامل المتبادل بين التجار الشرقيين . وهكذا، فقد جوبهـــت برفض تام، غير أنه رفض مصحـــوب بعرض وهو إقامتي في منزل الرجل ذاك . وقد قبلت العرض لليومين الأولين ظاناً بأني قد أنجح، عبر معرفة شـــخصية أكثر حميمية، في إقناعه بأني لســـت أحد المغامرين أو الدجالين، إلا إني انتقلتُ، بعد أن ألفيتُه صلباً وعنيداً[٢٤٢].

انتقل بوركهارت بعد ذلك للسكن في إحدى خانات جُدَّة، وكان كل ما بحوزته من المال هو دولارين وبعض النقود الذهبية القليلة[٢٤٣].

وفي اليوم الرابع من وصوله إلى جُدَّة أصابته حمى شديدة . تعافى منها بعد حوالي أسبوعين[٢٤٤].

ولأنـــه كان مصممـــاً على البقـــاء في المنطقة حتى يؤدي مناســـك الحج، بدأ بوركهارت في البحث عن وسيلة لتأمين معيشته ريثما يصله بعض المال الذي كان قد طلبه من القاهرة.

وكان يحمل رســـالة تعريف من أكبر تجار القاهرة، سيد محمد المحروقي إلى أغنى تجار جُدَّة آنذاك، عرابي الجيلاني، مما دعاه للتفكير في تســـليمها إلى الجيلاني إلا أنه عدل عن ذلك لأن الرسالة لم تكن كتاب اعتماد .

ولما علم بوركهارت أن محمد علي باشا كان متواجد في الطائف فكر بالاتصال به مباشـــرة. وكان بوركهارت قد قابل هذا الباشا عدة مرات في مصر وأطلعه على شغفه بالرحلات .

٢٤٢- بوركهارت، جون لويس: رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص/١٥ .
٢٤٣- عطا الله، سمير: قافلة الحبر، مصدر سابق، ص/١١٩ .
٢٤٤- المصدر السابق، ص/١١٩ .

لــذا فعندما تعافى رحالتنا من الحمى كتب إلى طبيب الباشــا وهو أرمني يدعى (بوســاري) طالباً منه عرض موضوعه على الباشــا وأن يبلغه أن كتاب الاعتماد الذي كان يحمله إلى جُدَّة لم يُدفع، وأن يسأله ما إذا كان يقبل كمبيالة مسحوبة على عميلة في القاهرة ويأمر خازنه في جُدَّة بدفع المبلغ .

كان على بوركهارت الانتظار حوالي عشــرين يوماً حتى يرد إليه الجواب، فشغل وقته خلال ذلك الوقت في نسخ يوميات رحلته إلى النوبة .

كان وكيل بوســاري في جُدَّة قد ذكر اســم بوركهارت إلى يحيى أفندي طبيب طوســون باشــا ابن محمد علي . وكان هذا الطبيب قد سمع ببوركهارت وهو في القاهــرة وعرف أنه رحالة فطلب لقاءه وتم ذلــك اللقاء . وأقرضه مبلغاً من المال على أن يسترده منه في القاهرة

وعندما علم محمد علي بوجود بوركهارت في جُدَّة أمر له بملابس وبمبلغ خمسمائة قرش نفقات انتقال، وطلب منه التوجه إلى الطائف للالتقاء به.

غادر بوركهارت جُدَّة إلى الطائف وكان ذلك خلال شهر رمضان المبارك .

وقد وصف الطريق بين جُدَّة والطائف وصفاً مفصلاً، كما وصف الطائف بدقة بعد أن ذهب إليها .

جُدَّة بعدسة ذاكرة بوركهارت:

كان بوركهــارت قد خصص حوالي ١٠٠ صفحة من كتابه (رحلات إلى بلاد العــرب) عن مدينة جُدَّة كتبها خلال تواجده في هذه المدينة، مســجلاً في هذه الصفحات بعدسة ذاكرته كثيراً مما رأى في هذه المدينة العريقة، فتحدث عن سورها وبواباته، وعن أهلها وعن مساكنهم وملابسهم، وعاداتهم، وأسواقهم، وأعمالهم، وطريقة معيشتهم، وغير ذلك . كما ترك لنا سجلاً مفصلاً عن الصناعة والتجارة في جُدَّة وما في هذه المدينة من دكاكين وورش للنجارة والحدادة، وعدد الأكشاك فيها، والــوكالات التجارية، والمطاعم، والبقــالات، والمقاهي، ومحلات العطارة،

ومحـــلات الصرافة وتغيير العملات وغير ذلك مـــن الأماكن التجارية والحرفية التي كانت موجودة في جُدَّة في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، إبان زيارته لها .

فقد دون ملاحظات عن جُدَّة عندما زارها فوصفها بأنها قلعة لا يمكن اقتحامها، وتحـــدث عن موقع جُدَّة المميز وبيّن أنها شـــيدت علـــى أرض مرتفعة قليلا يصل البحر إلى الجزء الأدنى منها . وتمتد على طول الشاطئ بما يناهز الألف وخمسمائة خطـــوة، بينما لا يتعدى عرضها نصف تلك المســـاحة في أعرض الأماكن . وقد أحاطها من جهة اليابسة جدار لا بأس بحالته ولكنه غير متين ولم يمض على بنائه سوى بضع سنوات وقد بناه السكان أنفسهم عبر اتحاد جهودهم لحماية مدينتهم من المخاطر . وقد فعلوا ذلك لأن سور جُدَّة السابق والذي بناه (قانصوه الغوري) عـــام ٩١٧هـ كان قد دمر تقريبا . أما بنية الحائط الحالية، فإنها تعتبر حاجزا كافيا للدفاع عن جُدَّة . وقد تم تدعيم الحائط عند كل أربعين أو خمسين خطوة بواسطة أبـــراج مراقبة مجهـــزة ببعض البنادق الصدئة . وقد حفـــر خندقاً ضيقاً على طول امتداده لدعم وزيادة وســـائل الدفاع . وهكذا تتمتع جُدَّة بشهرة في الجزيرة العربية بأنها قلعة حصينة منيعة . ويقف الحائط القديم على الشاطئ بمواجهة المدينة لكنه في حالـــة متداعية . ويقع قصر الحاكم عند الطرف الشـــمالي، قرب النقطة التي يتلاقـــى فيها الحائط الجديد مع البحر، وعند الطـــرف الجنوبي قلعة صغيرة مجهزة بثماني أو عشـــر بنادق . فضلا عن ذلك، هناك بطارية مدفعية لحراســـة مدخل المدينة وحمايته من جهة البحر وللسيطرة على الميناء بأسره، وهنا أيضاً نصب مدفع قديم ضخم عليه «كلّه» تزن خمســـمائة باوند، وهي من الشهرة بمكان في منطقة البحر الأحمر كلها بحيث أن شهرتها هذه فقط تعد حماية لمدينة جُدَّة[٢٤٥].

ثم يصف بوركهـــارت طريقة الوصول إلى ميناء جُدَّة قائلا : « يتم الوصول إلى جُدَّة بحراً عبر رصيفين، عليهما تنزل قوارب صغيرة حمولة السفن الكبيرة التي يحتم عليها أن ترسو في موضع قرب الشاطئ يبعد عنه حوالي ميلين . ولا تدنو قريبا من الشـــاطئ إلا المراكب المسماة «ســـعي» وهي المراكب الأصغر حجما التي تبحر

٢٤٥- بوركهارت، جون لويس: رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ص/١٨-١٩ .

في البحر الأحمر . وتقفل أرصفة الميناء كل مساء عند الغروب، فتمنع بالتالي أية اتصالات ليلية بين المدينة والسفن بمجملها»(٢٤٦).

ثم يستطرد بوركهارت وصفه لجُدَّة من جهة البر قائلا: «إن لمدينة جُدَّة من جهة البر بوابتين وهما باب مكة في الجانب الشرقي وباب «المدينة» في الجانب الشمالي. وقد أغلقت مؤخرا بوابة صغيرة في الحائط الجنوبي . كما أن المنطقة المحاطة بالحائط الجديد (ويبلغ محيطها نحو ثلاثة آلاف خطوة) وبالبحر لا تكثر فيها الأبنية . فهناك أرض خالية فسيحة تمتد على طول الحائط من الداخل، وهناك كذلك مساحة كبيرة من الأرض غير المستغلة قرب باب « المدينة» وفي الطرف الجنوبي. فبعد عبور تلك المساحة قدوماً من البوابة، تدخل ضواحي المدينة وهي لا تشمل سوى أكواخ مصنوعة من القصب والقش فضلا عن الأجمة، وتحيط الضواحي بالمدينة الداخلية المؤلفة من أبنية حجرية ويسكن تجار المدينة الأغنياء في أحياء تقع قرب البحر حيث يمتد شارع طويل بموازاة الشاطئ وقد غص بالدكاكين واتسع لعدد غير قليل من الخانات (الفنادق) التي يرتادها التجار باستمرار . ومدينة جُدَّة متقنة البناء، بل إنها تفوق في ذلك أية مدينة تركية بالحجم نفسه زرتها حتى الآن . كما أن طرقاتها فسيحة ومهواة مع أنها غير معبدة والمنازل عالية وقد بنيت بأكملها من الحجر الذي أحضر من الشاطئ وهو من حجر المرجان والأحجار البحرية الأخرى . ولكل منزل تقريبا طابقان مع نوافذ صغيرة عديدة ومصاريع خشبية وبعضها له نوافذ مقوّسة تبدي عرضا رائعا لأعمال النجارين . وهناك بشكل عام ردهة فسيحة عند المدخل لاستقبال الضيوف وهي خلال فترة النهار الحارة أبرد من أي جزء آخر من المنزل، ذلك أن أهل جُدَّة يحرصون على ابقاء أرضها مبللة تقريبا باستمرار(٢٤٧).

وعن الخضرة في جُدَّة، فإن بوركهارت يخبرنا بأنه لم تكن بجُدَّة خضرة تذكر، إذ يقول: «مدينة جُدَّة خالية من الحدائق أو الخضرة من أي نوع باستثناء بضع

٢٤٦- المصدر السابق، ص/١٩ .

٢٤٧- المصدر السابق، ص ص/١٩-٢٠ .

نخـــلات بمحاذاة أحد المســـاجد. وحتى خارج المدينة، فالبـــلاد بأكملها صحراء جرداء مغطاة على الشاطئ بتربة مالحة وبالرمال في مناطق أكثر ارتفاعا حيث نجد بعض الشجيرات وبعض الأقاقيا»(٢٤٨).

وذكـــر بوركهارت أنه خلف باب مكة، كان بعض الســـكان يكســـبون رزقهم بقطع الأخشـــاب من مناطق نائية بـــين الجبال . كما ذكر أنه كانت توجد هناك قرب باب مكة سوق جملة للماشية والخشب والفحم والفاكهة والخضروات . كما تباع القهوة في عدد من السقائف في هذا المكان . وكان بعض فئات صغار تجار جُـــدَّة آنذاك يحضرون إلى هذا المكان للاطـــلاع على المعلومات الواردة من مكة والتي كان يحضرها ساعي البريد كل صباح بعد شروق الشمس(٢٤٩).

وقد ذكر بوركهـــارت أسماء بعض تجار جُدَّة الذين التقاهم حيث يقول : «من المعـــروف أن أكبر وأعظـــم تاجرين في المنطقة هما «جيلاني» و«مســـقاط» وهما يمتلكان من مئة وخمسين إلى مائتي ألف جنيه استرليني»(٢٥٠).

وبيّن أنه كان بجُدَّة ما يفوق الإثني عشر منزلا ممن يمتلك أصحابها من أربعين إلى خمسين ألف جنيه إسترليني . وقال إنه تمارس بجُدَّة تجارة الجملة بسهولة وربح أكبر بكثير وبأقل خداع وغش من أي مكان رآه في الشـــرق(٢٥١). وقســـم بوركهارت التجارة في جُدَّة إلى قسمين أو فرعين رئيسيين: تجارة القهوة والتجارة الهندية، وهما متصلتان بتجارة مصر . وتصل السفن المحملة بالقهوة من اليمن على مدار السنة دون أن تحد بموســـم معين، وتوزع تلك الســـفن حمولتها مقابل الدولار الأمريكي وهي تكاد تكون العملة الوحيدة التي يقبلها تجار اليمن في المقابل .

وتجـــارة القهوة عرضـــة لتقلبات كبيرة، ويمكن اعتبارهـــا ضربا من ضروب الحظ الذي يجب ألا يتورط فيه ســـوى أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة الذين يتحملون

٢٤٨- المصدر السابق، ص/٢٢ .
٢٤٩- المصدر السابق، ص/٢٢ .
٢٥٠- المصدر السابق، ص/٢٤ .
٢٥١- المصدر السابق، ص/٢٤ .

الخسائر الكبيرة أحيانا . ويقول بوركهارت أنه عندما وصل جُدَّة، كان سعر البن غير المطحون (الحب) خمسة وثلاثين دولارا لمئة كيل، وبعد ثلاثة أسابيع هبطت الأسعار لتصل إلى أربعة وعشرين دولارا وذلك نتيجة السلم بين أمريكا وإنكلترا ونشوء التوقعات باستيراد البن من غرب الهند مجددا بكميات كبيرة، بدلا من قهوة اليمن التي كانت ترد إلى جُدَّة وترسل إلى السويس ومنها إلى تركيا وغيرها(٢٥٢).

أما الاتجار بالبضائع الهندية، فإن بوركهارت يقول إنه أكثر أمانا وأقل خطورة، كما أنه مريح بالدرجة نفسها . وبين أن الأساطيل الآتية بشكل خاص من «كالكوتا» و«سوارت» وبمباي إلى جُدَّة كانت تأتي في بداية شهر مايو، عندما يجدون أن التجار قد تحضروا لوصولهم وجمعوا كمية كافية من الدولارات والسكوين (نقد ذهبي إيطالي وتركي قديم) بالقدر الذي سمحت به الظروف، بحيث يعقدون صفقات الجملة عند أول وصول للسفن . وكان تجار جُدَّة يرسلون كثيرا مما يشترون من البواخر الهندية إلى القاهرة لتباع هناك لصالحهم . وتعود الأساطيل الهندية في شهر مايو أو يوليو، وعندها ترتفع الأسعار فيزيد ربح التجار بعد رحيلهم بأكثر من عشرة بالمائة مقارنة بما كان عليه الوضع عند وصول تلك البواخر . كما كان تجار جُدَّة ينقلون جزءا من بضائعهم إلى مكة المكرمة لبيعها على الحجاج هناك .

إن طبيعة تلك التجارة هي التي تجعل من جُدَّة مدينة مكتظة جدا خلال وجود الأساطيل فيأتي الناس إلى هنا من كل مرفئ على البحر الأحمر لعقد الصفقات التجارية بالدرجة الأولى، ويجمع تجار جُدَّة ومكة وينبع سويا كل دولار في حوزتهم لينفقوها في هذه الصفقات . والسبب الآخر الذي يجعل من التجارة بين الهند وجُدَّة تجارة أكثر ربحا وأقل خطورة هو وصول سفن التجارة مرة واحدة فقط في السنة، وفي فترة محددة وبقاؤها لعدة أسابيع، فلا شيء بالتالي يسد السوق حيث أن سعر السلع يحدد نسبة إلى الطلب المعروف وكمية الاستيراد . ولم يحدث أبدا أن هبط ذلك السعر حتى عودة الأسطول التالي . أما في تجارة القهوة، فكانت الحال معكوسة(٢٥٣).

٢٥٢- المصدر السابق، ص/٢٥ .

٢٥٣- المصدر السابق، ص ص/٢٥-٢٦ .

أمـــا عن التجارة البرية، فـــإن بوركهارت يقول : « لا تمارس في جُدَّة أية تجارة برية سوى مع « المدينة « ومكة حيث تنطلق قافلة إلى « المدينة « مرة كل أربعين أو خمسين يوما محملة بالسلع الهندية والأدوية خاصة، ويضاف إليها دائما حشد من الحجاج الذين يرغبون في زيارة مســـجد الرســـول صلى الله عليه وسلم. وهذه القوافل عبارة عن ستين إلى مائة جمل . كما ترسل بعض البضائع بحرا من جُدَّة إلى ينبع، ثم ترســـل برا من ينبع إلى المدينة المنورة . وإلى جانب القوافل المذكورة آنفا، تنطلق قوافل أخرى إلى مكة كل مساء تقريبا ومرتين في الأسبوع على الأقل، محملة بالســـلع والمؤن . وخلال الأربعة أشهر التي تسبق الحج، تأتي كل سفينة بالحجاج إلى جُدَّة، تتطور هـــذه العملية، فتنطلق القوافل حينها بانتظام من بوابة مكة كل مساء بعد مغيب الشمس .

وتحتـــاج الجمـــال المحمّلة ليلتين لاتمـــام الرحلة وتســـتريح في منتصف الطريق . وبالإضافـــة إلى ذلك، تنطلق قوافل صغيرة من الحمير بحمولة خفيفة كل مســـاء، وتقوم برحلة تدوم خمســـة عشر أو ستة عشر ساعة في ليلة واحدة فتصل بانتظام إلى مكة في الصباح الباكر . وعبر قوافل الحمير تلك، تنقل الرسائل بين المدينتين . وتبلغ أجرة الجمال من جُدَّة إلى مكة من عشرين إلى خمس وعشرين (ليرة) . وفي وقت قلتها أو مع اقتراب موسم الحج، تبلغ من ستين إلى سبعين (ليرة) . وخلال إقامتي، كانت أجرة حمار من جُدَّة إلى مكة عشـــرين (ليرة)، وتعتبر هذه الأسعار باهظة في أي جزء آخر من الشرق، حيث أن أجرة جمل من القاهرة إلى السويس تبلغ خمس عشر (ليرة) فقط، وهي ضعف المسافة بين جُدَّة ومكة[٢٥٤].

ويلقي بوركهارت الضوء على تجارة وتجار جُدَّة في زمن زيارته لها عن طريق تعداد وإحصاء المتاجر وغيرها من المنشآت بالسوق الجدّاوي في أوائل القرن التاسع عشر الميـــلادي . ويبدأ بوصف المتاجر قائلا: «إن المتاجر في جُدَّة (كما هي في تركيا) ترتفع عـــادة عن الأرض، ويبرز أمامها باتجاه الشـــارع مقعد حجري يجلس عليه الزبائن، وهو محمي من الشمس بواسطة مظلة تصنع عادة من حصير مشدود إلى

٢٥٤- المصدر السابق، ص ص/٣٠-٣١ .

أعمدة عالية . ويبلغ عرض واجهات العديد من المتاجر ستة أو سبعة أقدام . أما العمق، فهو عادة من عشـــرة أقدام إلى اثني عشر قدما مع غرفة صغيرة خاصة أو مخزن في الخلف. وهناك ســـبعة وعشرون مقهى . وتشرب القهوة بإفراط في جُدَّة. فمن الشـــائع أن يشرب الناس من عشـــرين إلى ثلاثين فنجانا في يوم واحد . أما العمال الفقراء، فلا يشربون أقل من ثلاثة أو أربعة فناجين . ويمكن تناول القشرة من بعض مقاهي جُدَّة . كما تدخن الغلايين الفارسية في تلك المقاهي وهي على ثلاثة أنواع : القدرة والبوري والشيشة وتدعى في سوريا «الأرجيلة»(٢٥٥).

أما عن أعداد متاجر جُدَّة، فإن بوركهارت ســـجل أنـــه كان بجُدَّة آنذاك ٢١ بائع للســـمن والعسل والزيتون وأشار إلى أن الإنتاج المحلي من السمن لا يكفي، لذا يتم اســـتيراد كميات إضافية من ســـواكن ومصوّع ومن القصيم ومن مصر . ويؤتى بالعسل من جنوب الطائف . وكان الإفطار الشائع بين أهل جُدَّة في زمن بوركهارت مزيج من الســـمن والعســـل والخبز والزيت . وكان في جُدَّة وقتها ١٨ منصة فاكهة معظمها يؤتى بها من الطائف . أما البطيخ، فكان يجلب من وادي فاطمة وكذلك الخضار . وكان يوجد بجُدَّة ثمانية أماكن لبيع التمور . وعن صناعة الحلويـــات، قال بوركهـــارت إنه كان بجُدَّة أربعة من صانعـــي الفطائر المحلاّة التي كانت تباع صباحا . كما كان بسوق جُدَّة خمسة باعة للمربيات والسكاكر مثل البقـــلاوة والكنافة، أما بائعو الفول فكانوا خمســـة . أما عن مطاعم جُدَّة، فكان هناك دكانان للكباب وللحســـاء بائعان وللســـمك المقلي بائع واحد ولبيع الخبز عشـــر منصات وللبن الرائب بائعان وهو نادر وعالي الســـعر . وكان هناك دكان واحد يباع فيه الجبن اليوناني واللحم المقدد والفاكهة المجففة وكان معظم زبائنه من الأتراك . وكان هناك أحد عشـــر دكانا كبيرا لشراء الحنطة المصرية والشعير والفول والعـــدس والذرة . كما ذكر بوركهارت أنه كان يوجـــد بجُدَّة ٣١ دكاناً لبيع التبغ و١٨ دكاناً لبيع العقاقير وأحد عشر دكاناً لبيع السلع الصغيرة من الصناعة الهندية ومن الخزف الصيني ورؤوس النارجيلات والملاعق والسكاكين والسبح وخرز العقيق وكان معظـــم أصحاب هذه الدكاكـــين من الهنود . كما كان هناك ١١ محلاً لبيع

٢٥٥- المصدر السابق، ص ص/٣١-٣٢ .

الملابس المختلفة بالمزاد العلني كل صباح وفي مواسم الحج يبيعون الأحاريم . وعن الحرفيين في جُـدَّة، قال إنه كان بها أربع دكاكين للحلاقة وكان الحلاقون يعملون في نفـس الوقت كجراحين وأطباء . أما الخياطون، فكان عددهم أربع، كما كان هناك خمسـة من صانعـي الأحذية والنعل، وثلاثة دكاكـين لبيع وتصليح جلود المياه المجلوبة من سـواكن ومصر . وكان هناك خراطان يثقبان أنابيب النارجيلات ويصنعان الخرز . وكان يوجد بالسوق ثلاثة بائعين للزيت الحلو والعطور وساعاتي تركي وسـبعة صرافين وعن أسـعار العملة في جُدَّة عندئذ، يقول بوركهارت : « وتتغير قيمة المال هنا بسـرعة لم أشـهدها في أي جزء آخر من الشرق . ويتقلب سـعر الدولار والسكوين يومياً تقريباً، والصرافون هم دائماً الرابحون . وترتفع قيمة الدولار ارتفاعا ملحوظا خلال فترة بقاء أسـطول السـفن الهندية . وحين كنت في جُدَّة، ارتفعت هذه القيمة لتبلغ أحد عشـر وإثني عشـر (ليرة) . وبعد رحيل السـفينة، أي حين ينعدم الطلب المباشر على الدولار، تهبط قيمته بسرعة . كان سـعر الدولار في يناير عام ١٨١٥م، تسع ليرات، كما يتغير سعر العملة الذهبية نسبة لذلك[٢٥٦].

وعن العملة المسـتخدمة في جُـدَّة وقت زيارته لها، فـإن بوركهارت يخبرنا أنه في السـابق كانت العملة القديمة المتداولة هنا هي سـكوين البندقية والسـكوين الهنجاري والدولارات الإسـبانية والعملة المضروبة في القسطنطينية . أما (البارة) أو أصغر عملة تركية (تدعى هنا «ديواني»)، فكانت شـائعة في المنطقة ويكثر الطلـب عليها لأنهـا تتمتع بقيمة حقيقية وفعلية أكثر مـن الليرة رغم أنها مثلها وكانت تسك في القاهرة . وكل أربعين بارة تساوي ليرة واحدة ما عدا وقت الحج حيث تصبح قيمتها خمس وعشـرين بارة مقابل الليرة . كما نرى بعض الروبيات الهندية في سوق جُدَّة غير أنها ليست منتشرة[٢٥٧].

٢٥٦- المصدر السابق، ص ص/٣٣-٤٥ .
٢٥٧- المصدر السابق، ص/٤٥ .

مغادرة بوركهارت جُدَّة ونهاية رحلته:

في الثامن من سبتمبر عام ١٨١٤م دخل بوركهارت مكة . ثم غادرها بعد أيامٍ قليلة إلى جُدَّة حيث اشترى مملوكاً وأدوات كان في حاجة إليها . وعاد إلى مكة، فأدّى الحج واستقر فيها مطلع السنة الميلادية التالية . وسافر من هذه البلدة المقدّسة إلى المدينة المنوّرة حيث بقي ثلاثة شهور عانى في كثير من أيامها مرضاً شديداً . ثم سافر منها إلى ينبع التي كان قد حّل بها وباء مات بسببه كثير من سكانها . وبعد ثلاثة أسابيع من وصوله إليها استقّل سفينة متجهة إلى مصر . فوصل إلى القاهرة في الرابع والعشرين من شهر يونيو عام ١٨١٥م .

ومع أن الأمراض التي تعرّض لها بوركهارت خلال رحلته إلى الحجاز قد أضرّت بصحته كثيراً إلا أنه كان توّاقاً إلى الحصول على قافلة يسافر معها إلى تمبكتو . لكنه لم يدرك ما كان توّاقاً إليه . ولأن وباء الطاعون قد انتشر في القاهرة غادرها إلى صحراء سيناء حيث بقي شهرين بين قبائلها الرحّل . ثم عاد إلى العاصمة المصرية ليكمل تدوين ملاحظاته في رحلاته. وفي الخامس عشر من شهر أكتوبر عام ١٨١٧م وافاه الأجل في العاصمة المذكورة، ودفن في مقبرة المسلمين[٢٥٨].

هذه الصورة الدقيقة لجُدَّة كما تركها لنا جون لويس بوركهارت بعد أن سجلها أولا بعدسة ذاكرته ثم خطها يراعه في كتابه القيّم رحلات إلى شبه الجزيرة العربية هي من أفضل التسجيلات التاريخية لجُدَّة وأسواقها وناسها وأنسها وحجرها وبشرها فلله درّ مثل هؤلاء الرحالة لمساهمتهم في المحافظة على تاريخ هذه المدينة العريقة .

٢٥٨- بوركهارت، جون لويس: رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ص/٣-٦ .

جورج فورستر سادلير
George Forster Sadleir

يستعرض الشيخ حمد الجاسر –رحمه الله– في كتابه «رحالة غربيون في بلادنا» رحلة الإنجليزي سادلير ويقول إن هذه الرحلة هي مذكرات كتبها رجل إنجليزي عسكري برتبة (كابتن) يدعى (جورج فورستر سادلير George Forster Sadleir) ووجهها إلى حاكم (بومبي) في حكومة الهند حين كانت تلك البلاد تحت حكم التاج البريطاني، وقد جمعها من سجلات تلك الحكومة أحد موظفيها ويدعى (ب ريان P. Ryan) ونقلها إلى العربية الأستاذ أنس الرفاعي بطلب من الأستاذ سعود بن غانم الجمران العجمي الذي تولى نشرها وتحقيقها والتعليق عليها، على ما جاء في المقدمة، فصدرت عن (دار الفكر في دمشق سنة (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، وقد بذل الأخ سعود جهداً مشكوراً فيما أضافه إلى الكتاب من وثائق ونصوص زادت فائدته في صفحات تزيد على ثلثه[٢٥٩].

ويقول الشيخ الجاسر –رحمه الله– إن غاية سادلير من رحلته تتلخص بالاتصال بإبراهيم باشا[٢٦٠].

ترجمة حياة سادلير:

يقدم الشيخ الجاسر ترجمه لحياه سادلير فيقول: هو(جورج فورستر سادلير George Forster Sadleir) عاش بين سنتي (١٧٨٩و١٨٥٩م)، (١٢٠٥و ١٢٧٧هـ) وقد تحدث عنه ناشر رحلته باللغة الإنجليزية حديثاً مطولاً لم ينقل إلى العربية، كما تحدث عنه مؤلف كتاب «دليل الخليج» وملخص ما ذكر الأخير:

٢٥٩– الجاسر, حمد: رحالة غربيون في بلادنا, دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر, الرياض, (١٤١٧هـ), ص/٢٧ .
٢٦٠– المصدر السابق, ص/٢٧ .

(أنه ولد في يناير سنة ١٧٨٩م في بلده (كورك) والتحق بالجيش سنة ١٨٠٥م وعمل فيه إلى سنة ١٨٣٠م حيث بلغ رتبة عقيد وتقاعد سنة ١٨٣٧م، وقد تنقل في عدد من البلاد ومنها الهند وإيران، حيث عمل في قوات المشاة (فتح على شاه) واشتغل بالسياسة، وقام في سنة ١٨١٩م برحلته إلى بلاد العرب، ثم أُرسِلَ سفيراً إلى السند، ووقّع هناك إتفاقية (حيدر أباد) الخاصة بالهنود، وبين سنتي ١٨٢٤ و١٨٢٦م تولى قيادة فرقة البنغال البريطانية في (بورما)، وأخيراً هاجر إلى (نيوزيلند) سنة ١٨٥٥م ومات في (اوكلند) سنة ١٨٥٩م وقد وصفه أحد من عمل معه من رجال الجيش: بأنه عالم من علماء اللغة، لكنه كان حاداً عنيف الطبع[٢٦١].

خط سير رحلة سادلير:

يقول سادلير في مذكراته التي بدأ كتابتها الرابع عشر من نيسان (إبريل) عام ١٨١٩م: في صبيحة الرابع عشر من نيسان (إبريل) تلقيت تعليمات للإشراف على هذه المهمة التي تم ترتيبها بأمر من السيد بنيان حاكم بومباي وانطلقت على السفينة الحربية – ثيتيس – بقيادة الكابتن تَنَر، وقد تلقى قائد السفينة تعليمات بالتوجه أولا نحو مسقط لأتمكن من الاتصال بإمامها، لذلك هيأنا أنفسنا للإبحار دون أي تأخير، لكن أملي في أنجاز عبور سريع قد أحبط بسبب هذا الفصل من السنة الذي جعلنا نضجر من الرحلة من بدايتها[٢٦٢].

وفي الرابع من مايو بدأ بر بعيد يظهر على الأفق لركاب السفينة وفي يوم الخامس منه اتضح أنه بر الخليج العربي .

وفي السابع من مايو وصلوا إلى مسقط بعُمان[٢٦٣].

٢٦١- المصدر السابق, ص/٢٩ .

٢٦٢- سادلير, جورج فورستر: رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م , الطبعة الثانية, ترجمة أنس الرفاعي, تحقيق ونشر سعود بن غانم الجمران العجمي, الكويت, (٢٠٠٥م), ص/١٩ .

٢٦٣- المصدر السابق, ص/٢٠ .

وفي الســـابع من يونيو سافر سادلير إلى (بوشـــهر) والتي أبحر منها متوجها إلى القطيف التي وصل إليها في صباح الحادي والعشرين من الشهر المذكور .

ومن القطيف سار إلى الإحساء في الثامن والعشرين من يونيو عام ١٨١٩م .

وبعد ذلك توجه إلى مدينة الهفوف التي وصل إليها ليلة الحادي عشر من شهر يوليو ١٨١٩م الموافق (١٨رمضان ١٢٣٤هـ) .

ووصل إلى قرية رماح في الثامن والعشـــرين من يوليو ١٨١٩م الموافق (٦ شوال ١٢٣٤هـ) .

وفي الثالث أغســـطس ١٨١٩م (١٢شـــوال ١٢٣٤هـ) وصل سادلير إلى قرية منفوحة وأقام فيها حتى الثالث عشـــر من أغســـطس . وقد نزل وقتها المطر على منفوحة بالرغم من أن الوقت كان زمن الصيف وقد أبدى ســـادلير اســـتغرابه عن ذلك وتحدث عن نزول المطر في مذكراته قائلاً: «كان بالنسبة لي ما لم أكن أتوقع حصوله، في الجزيرة العربية في هذا الفصل من الســـنة، وقد أخبرني القرويون أنه لم يسبق أن حدث مثل هذه الظاهرة، خلال ما يتذكره أسن رجل في هذه القرية .

ومن منفوحة ذهب سادلير إلى الرياض التي غادرها في الثالث عشر من أغسطس متوجها إلى الدرعية ومنها إلى (العيينة) ثم إلى (شقراء) وزار عنيزة كذلك.

في الثامن والعشـــرين من أغسطس ١٨١٩م الموافق (٨ ذي القعدة ١٢٣٤هـ) بدأ ســـادلير رحلته في اتجاه المدينة المنورة، ووصل إلى «أبيار علي» التي بعث منها في ١٠ سبتمبر (٢١ ذي القعدة) كتابا إلى القنصل البريطاني في مصر .

وقد أبدى سادلير أسفه لعدم استطاعته كتابة وصف كامل للمدينة المنورة إذ لا يُســـمح لغير المسلمين بدخولها، إلا أنه تحدث عن جغرافيتها وبعض المشاهد التي كان يراها عن بعد مثل المآذن والنخيل وغير ذلك .

ومـــن المدينة المنورة توجه ســـادلير إلى (ينبع) التي وصل إليها في العشـــرين من سبتمبر (الأول من ذي الحجة) وقال عن ينبع: بلاد ينبع:

كان الوصول إلى (ينبع) في العشرين من أيلول (سبتمبر) (الأول من ذي الحجة) وهو ميناء عربي قديم محاط بسور من الحجارة غير متماسكة، ويبدو عليه أنه يتداعى، وقد قاموا برفعه حديثا على نمط الأسوار القديمة ذات التطويق الكامل ليؤمن حماية لجميع السكان، ولا تزال الأسوار القديمة وإحدى بواباتها قائمة، لكنها لا توحي بقدم تركيبها على الرغم من أن (ينبع) ميناء قديم جداً . والمنطقة التي يطوقها هذا السور فسيحة تكفي لاستيعاب خمسة أضعاف عدد البيوت .

وتحدث سادلير عن الماء في ينبع قائلاً: ليس لينبع مصدر ثابت للماء إذ يُحصل عليه بجمع ماء المطر في حفر عميقة مغطاة .

وتحدث سادلير عن (ينبع النخل) وذكر كثرة ما فيها من المياه والحدائق التي تمول المرفئ البحري(٢٦٤).

الذهاب إلى جُدَّة:

أبحر سادلير من ينبع إلى جُدَّة وقد استغرقت رحلته في زورق مكشوف أربعة أيام ووصل إليها ضحى اليوم السابع والعشرين من سبتمبر (١٨١٩م) .

جُدَّة بعدسة ذاكرة سادلير :

يصف سادلير جُدَّة فيقول:

«أما مدينة جُدَّة فهي ذات بناء جيد، إذ تحوي كثيراً من المنازل الفسيحة الشامخة، ونادراً ما تتمكن من استيعاب الحجاج والأشخاص الذين تهيأت لهم ظروف الثراء».

ثم ذكر سادلير أنه كانت توجد بجُدَّة عدة مخيمات خارج المدينة للحجاج الأقل ثراء.

٢٦٤- المصدر السابق, ص ص/٤٢-١٢٨ .

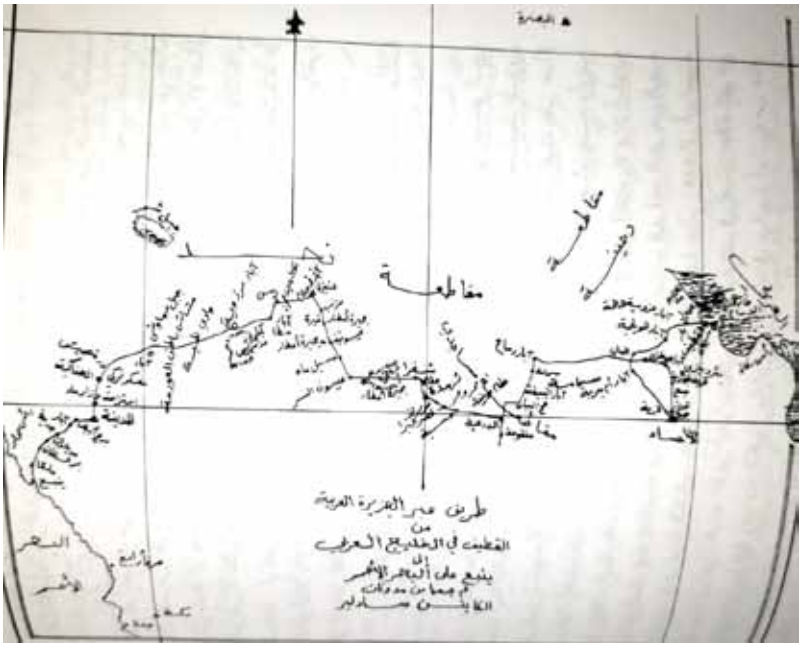

خريطة توضح طريق عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمر
– المصدر: رحلة عبر الجزيرة العربية عام ١٨١٩م

وذكر أنه كان بجُدَّة خلال زيارته لها حجاج من الهند والملايو وعمان وتركيا ومصر. والتقى سادلير مع إبراهيم باشا خلال تواجده في جُدَّة . وحَمّل إبراهيم بك سادلير هدية إلى حاكم (بومبي) وهي عبارة عن فرس عربي أصيل. خلال وجوده بالمدينة التقى سادلير بمجموعة من تجار جُدَّة منهم التاجر الشهير (عربي جيلاني) وبين سادلير أن إبراهيم باشا قبل أن يرحل من جُدَّة عين لها حاكما جديداً كان قائدا للأسطول قبل ذلك واسمه (حجي حسن) بدلا من حاكمها السابق. وقال إن هذا الحاكم الجديد جاء مع التجار الذين قدموا للقائه بعد رحيل إبراهيم باشا(٢٦٥).

٢٦٥- المصدر السابق, ص/١٢٩-١٣٩ .

قرر سادلير البقاء زمنا في جُدَّة قبل مغادرتها بحراً إلى (مخا) باليمن.

وفي الثالث والعشـــرين من يناير ١٨٢٠م وصل إلى جُدَّة مركب إنجليزي سُـــرَ سادلير لرؤيته وعبر عن سروره بقوله:

«غمرني السرور بعد ظهر اليوم الثالث والعشرين من كانون الثاني (يناير) عندما رأيت مركبا إنجليزياً يقترب من جُدَّة، حيث تبين أنه الطراد الذي عبر (قُصير) وهو الآن في طريق عودته إلى مخا . وكان قد حالفه سوء الحظ مما عاناه في طريقة، لأنه لولا ذلك لاســتطاع حمل مسؤولية اتصالي بالسيد صولو الذي لم أتلق منه جواباً على الرغم من أن الأشـــخاص الذين وجهت معهم رسائلي أخبروني أنها أرسلت إليه مع أن رســـائل كثيرة كُتبت من قبل إبراهيم باشـــا بعد وصوله إلى القاهرة قد وصلت إلى جُدَّة»(٢٦٦).

كان هذا المركب الإنجليزي يســـمى «أمير ويلز» وقد أبحر عليه ســـادلير إلى مخا التي وصل إليها في الحادي عشر من فبراير بعد رحلة شاقة.

وقد وصف سادلير تلك الرحلة قائلاً :

«وصل المركب أمير ويلز إلى مخا في الحادي عشـــر من شـــباط (فبراير ١٨٢٠م) بعد عبور عانى فيه من عواصف شـــديدة، وقد اضطررنـــا للتأخر لأننا كنا ننتظر جواب الرســـالة التي أرســـلت إلى صنعاء حتى الثامن والعشرين من آذار (مارس) حين نشرنا شراع المركب متجهين إلى الهند، وقد وصلنا بومباي في الثامن من أيار (مايو ١٨٢٠م)».

هكذا سجل لنا سادلير مشاهداته في جُدَّة إبان زيارته لها في أوائل القرن التاسع عشـــر الميلادي بعد أن قضى فترة من الزمن في هذه المدينة العريقة في نهاية رحلته الطويلة التي عبر خلالها الجزيرة العربية من شرقها إلى غربها قبل أن يتوجه إلى جنوبها ليعود من هناك إلى الهند من حيث بدأ رحلته .

٢٦٦- المصدر السابق, ص/١٥٧ .

الشيخ إسماعيل جغمان

صورة عنوان مخطوط نيل الوطر في ذكر أحوال السفر إلى الحرم الأزهر والنبي الأنور–صلى الله عليه وسلم، المصدر: دارة الملك عبدالعزيز، الكتاب التاسع، (١٤٢٦هـ)، ص/١١٠ .

هذه رحلة حج قام بها العلامة إسماعيل جغمان في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي من صنعاء إلى مكة المكرمة حيث غادر صنعاء يوم الاثنين الخامس عشر من شوال سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف للهجرة وكان بصحبته جماعة من أصدقائه ومعارفه ووثق رحلته تلك في كتاب أسماه (نيل الوطر في ذكر أحوال السفر إلى الحرم الأزهر والنبي الأنور (–صلى الله عليه وسلم–).

ومن صنعاء انطلق الرحالة وصحبه إلى مرسى الحديدة، ثم إلى مرسى القنفذة عن طريق البحر، ثم إلى مكة المكرمة عن طريق البر.

وتعد هذه الرحلة مصدراً يخدم الدراسات التاريخية المتصلة بوصف طرق ومسارات الحج جنوب الجزيرة العربية في ذلك الزمن[٢٦٧].

ويعطي محقق هذا الكتاب الدكتور محمد بن عبدالرحمن الثنيان في مقدمته

٢٦٧– جغمان، إسماعيل: نيل الوطر في ذكر أحوال السفر إلى الحرم الأزهر والنبي الأنور»صلى الله عليه وسلم»، تحقيق محمد بن عبدالرحمن الثنيان، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، (١٤٢٦هـ)، ص/٨ .

للكتاب الذي أصدرته دارة الملك عبدالعزيز بالرياض عام ١٤٢٦هـ فكرة عامة عن رحلات الحج اليمنية فيقول: تشير المصادر العلمية المتاحة إلى أن أبا يوسف بن أبي فضالة الأبناوي يُعد أول رحالة يمني في العصر الإسلامي المبكر تعرض لوصف مراحل رحلته ومسارها إلى مكة المكرمة، ونظم في محجة صنعاء إلى مكة المكرمة أرجوزة شعرية، إلا أنها «كانت ضعيفة فاهتجرت وأُزيلت حتى دَرَسَت وفقد من ينشدها غير الأبيات التي لا قوة بها ولا طبع» كما ذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب.

ويقول الثنيان إنه يبدو من السياق التاريخي للهمداني (وفاته تقريباً بعد ٢٤٤هـ/٩٥٥م) المتعلق بأرجوزة الأبناوي أنها نُظمت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري (القرن التاسع الميلادي).

ثم يقول المحقق: وتلا الأبناوي في النصف الثاني من القرن الهجري نفسه الشاعر أحمد بن عيسى الرادعي صاحب أرجوزة الحج المشهورة باسم الرادعية، والذي يُعد أول شخصية إسلامية يمنية يضع الأسس الأولية في تدوين الرحلات اليمانية للحج . فقام بنظم وصف شيق لرحلته المكية بأبيات شعرية منظومة على بحر الرجز.

ثم بين الثنيان أنه بعد مرور مدة ليست بالقصيرة دَوّن مؤلف كتاب (فاكهة الزمن) السلطان الرسولي العباس إسماعيل (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) مجريات رحلة ذهاب السلطان على بن الملك المؤيد داود (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) من قاعدة سلطنته في مدينة تعز إلى مكة المكرمة وعودته منها . ويلاحظ الثنيان أنه حصل انقطاع في توثيق وصف الرحلات اليمانية الشخصية لتأدية فريضة الحج منذ القرن التاسع الهجري تقريباً (القرن السادس عشر الميلادي) حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري (القرن الثامن عشر الميلادي) . ولكنه يبين أنه في بداية القرن الثالث عشر الهجري (القرن التاسع عشر الميلادي) عندما أدى يحيى بن المطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين (ت ١٢٦٨هـ/١٨٥١م) فريضة الحج وثق رحلته المكية هذه عندما قام بها في عام (١٢١١هـ/١٧٩٦م) في كتاب «لم يزل مخطوطاً».

ثم يقول الثنيان إنه بعد مضي ما يقارب ستة أعوام من رحلة ابن الحسين هذا أدى لطف الله بن أحمد جحاف (ت ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م) فريضة الحج في عام (١٢١٧هـ/١٨٠٢م)، ودون مجريات رحلته ومساره في كتاب قال عنه الثنيان أيضاً: إنه لم يزل مخطوطاً . كما قال الثنيان إن محسن بن عبدالكريم بن أحمد بن محمد بن اسحاق (ت ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م) نظم أرجوزة شعرية تحكي رحلة ذهابه للحج في عام (١٢٣٧هـ/١٨٢١م) ثم في عام (١٢٤١هـ/١٨٢٥م) تبع ابن إسحاق هذا رحالتنا إسماعيل بن حسين بن جغمان (ت ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م) في رحلته إلى الحج ودوَّن تفاصيل رحلته ومساره إليها في الكتاب موضوع هذا البحث.

كما يذكر الثنيان أنه مستهل القرن الرابع عشر الهجري قام عبدالملك بن حسين بن محمد بن عبدالفتاح الآنسي (ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م) بتوثيق رحلته ومساره للحج في عام (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) في كتاب بين أنه «لم ير النور بعد».

وكذلك ذكر الثنيان أنه في منتصف القرن نفسه ارتحل محمد بن محمد بن يحي بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد زبارة في عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) من مدينة صنعاء إلى مكة المكرمة بقصد مقابلة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله، وقام بتوثيق مجريات رحلته ومراحلها في أبيات شعرية[١٦٨].

ترجمة الشيخ إسماعيل جغمان:

يترجم محقق كتاب (نيل الوطر في ذكر أحوال السفر إلى الحرم الأزهر والنبي الأنور –صلى الله عليه وسلم–) الدكتور محمد بن عبدالرحمن الثنيان لحياة صاحب الرحلة العلامة إسماعيل جغمان فيقول:

وُلد إسماعيل بن حسين بن حسن بن هادي بن يحيى بن صلاح جغمان الخولاني الصنعاني في مدينة صنعاء سنة (١٢١٢هـ/١٧٩٧م)، حيث تلقى علومه الدينية والدنيوية من جُل شيوخ عصره وفقهائه، ومنهم الفقيه محمد بن

١٦٨– المصدر السابق، ص ص/١٤–١٦ .

أحمد السودي الصنعاني (ت ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م) والفقيه محمد بن صالح حريوة السماوي الصنعاني (ت ١٢٤١هـ/١٨٢٥م)، ومنه تلقى علومه الدينية. وفي سنة (١٢٤١هـ/١٨٢٥م) انتقل جغمان إلى مقر أسلافه في قرية بني شايع من خولان الطيال على إثر قتل الفقيه محمد بن صالح السماوي (ابن حريوة)، ثم عاد جغمان من خولان في عام (١٢٥٢هـ /١٨٣٦م) واستقر في الروضة ليشتغل بالتدريس، وتزامن انتقاله مع ظهور دعوة الإمام الناصر عبدالله بن الحسن بن المتوكل (١٢٥٢-١٢٥٦هـ/١٨٣٦-١٨٤٠م) الذي ولاه قضاء صنعاء بعهده ولم يزل في هذا المنصب ملازماً للإمام الناصر حتى مات مقتولاً –رحمه الله– مع الإمام الناصر عبدالله سنة (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م) في وادي ضهر.

ويقول الثنيان إن إسماعيل جغمان يُعد من جهابذة علماء عصره في الفقه وعلوم العربية، بجانب قاضي القضاة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، وتتلمذ على يديه كوكبة من علماء بلاد اليمن المشهورين، أمثال المؤرخ محمد بن إسماعيل بن محمد الكبسي (ت ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م).

والاطلاع على رحلة جغمان يُظهر الحفاوة التي غُمر بها هو ورفاقه من بعض ولاة الأقاليم التي مروا بها مثل الحديدة، واللحية، والليث وغيرها.

ويذكر الثنيان في مقدمته أسماء بعض مؤلفات رحالتنا الكثيرة والتي تتصف بالتنوع في موضوعاتها. ويقول الثنيان: إن هذه المؤلفات تتنوع أماكن حفظها بين المكتبة الغربية بالجامع الكبير في مدينة صنعاء والمكتبة البريطانية (قسم المخطوطات الشرقية) في لندن.

وتشمل هذه المؤلفات على الكتابات التاريخية والدينية وعلم الحديث وأدب الرحلات وغيرها[٢٦٩].

٢٦٩- المصدر السابق، ص ص/١٧-١٨ .

خط سير رحلة الشيخ إسماعيل جغمان:

يبين تفحص نص رحلة جغمان إلى الحج أنها تنقسم إلى عدة مراحل هي:

أولا: المرحلة الأولى من مدينة صنعاء إلى مرسى الحديدة عن طريق البر.

ثانياً: من مرسى الحديدة إلى ميناء القنفذة عن طريق البحر.

ثالثاً: من القنفذة إلى مكة المكرمة براً.

رابعاً: من ميناء مدينة جُدَّة إلى مرسى اللحية عن طريق البحر .

خامساً: من اللحية إلى صنعاء براً[٢٧٠].

جُدَّة بعدسة ذاكرة إسماعيل جغمان:

بعد رحلة شاقة تحشم خلالها رحالتنا الصعاب وعايش خلالها تجارب قاسية وصل الرحالة إلى مكة المكرمة وظل بها فترة أدى خلالها مناسك الحج والعمرة.

ومن مكة المكرمة سافر جغمان إلى مدينة جُدَّة التي دخلها يوم الخميس ٢٠ محرم ١٢٤٢هـ وظل بها حوالي ثمانية أيام صلى خلالها صلاة الجمعة مرتين، وغادر جُدَّة عصر يوم الجمعة ٢٨ محرم من ذلك العام في ساعية استقلها من جهة باب البنط.

وباب البنط هذا هو أحد أبواب ميناء مدينة جُدَّة . وقد جاء ذكر لباب البنط هذا في كتابات بعض الرحالة الذين وصفوا سور جُدَّة في كتب رحلاتهم . أحد هؤلاء الرحالة الذين وصفوا سور جُدَّة كان الطبيب العربي اللبناني عبدالغني شهبندر الذي ذكر باب البحر في كتابه عن رحلة حجه التي قام بها عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٦م) عندما أتى مع باخرة حجاج لبنانين كمسؤول طبي وصحي عن تلك المجموعة من الحجاج.

٢٧٠- المصدر السابق، ص ص/١٩-٢٠ .

يقول شهبندر عن جُدَّة في كتابه: إنها محاطة بسور قديم له سته أبواب وهي باب المدينة وباب مكة وباب الشريف وباب البحر وباب المغاربة وباب الشهداء[٢٧١].

ويؤكد ذلك الأستاذ محمد يوسف محمد حسن طرابلسي في فصل عن سور جُدَّة في كتابه (جُدَّة .. حكاية مدينة) عند ذكره لأبواب سور جُدَّة التي يقول: إنها تسعة أبواب «منها ثلاثة رئيسية وكان المحمل يخرج من باب مكة وباب المغاربة باعتبارهما مرتفعان». ثم يذكر طرابلسي أسماء الأبواب التسعة ويذكر منها باب البنط الذي يقول عنه: باب البنط «الباب البحري» عند مدخل شارع قابل[٢٧٢].

وأعود إلى ما ذكره جغمان عن مغادرته مدينة جُدَّة في رحلة عودته إلى صنعاء فأقول: إنه قال: إن الساعية التي سافروا من جُدَّة عليها كان يملكها شخص يدعى عبدالله نمير وقال عنها إنها ساعية عجيبة جديدة (ولو أنه نوه إلى صغر حجمها). وقال إنهم هو وصحبه جلسوا في وسط سطحها الذي وصفه بأنه نحو ثلاثة أذرع عرضاً ومثلها أو فوقها بقليل طولاً . وبين أن المسافة التي كانت متاحة لهم لكي يناموا فيها كانت ضيقة ولا تكفي .

وذكر أن اسم الناخوذة (القبطان) كان عبدالعزيز الجداوي . وقال الرحالة: إنهم جلبوا معهم من جُدَّة كل مستلزمات الرحلة مثل الماء والأكل والموقد وغير ذلك ولم يحتاجوا أي شيء من القبطان أو مساعديه الذين لم يكونوا متعاونين مع الركاب حسب قول جغمان.

وبعد سير يومين أو أكثر قليلاً في البحر وصلوا إلى الليث . ومنها إلى القنفذة ثم جازان فاللحية بحراً ومنها عن طريق البر إلى ديارهم في صنعاء التي وصلوا إليها يوم الجمعة الموافق ٢٠ صفر ١٢٤٢هـ بعد رحلة حج طويلة قام الشيخ إسماعيل

٢٧١- شهبندر، عبدالغني: رحلة الحجاز، مصدر سابق، ص/١٦ .

٢٧٢- طرابلسي، محمد يوسف محمد حسن: جُدَّة .. حكاية مدينة، الطبعة الثانية، مصدر سابق، ص/٥٠ .

جغمـــان رحمه الله بتســـجيلها في مخطوطة وحققها الدكتـــور محمد بن عبدالرحمن الثنيان وأصدرتها دارة الملك عبدالعزيز عام ١٤٢٦هـ[٢٧٣].

٢٧٣- جغمان، إسماعيل: نيل الوطر في ذكر أحوال السفر إلى الحرم الأزهر والنبي الأنور»صلى الله عليه وسلم»، مصدر سابق، ص ص/٨١-٩٦ .

موريس تاميزية

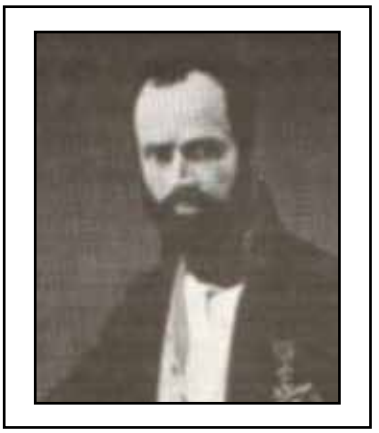

الفرنسي موريس تاميزية

في عام (١٨٣٤م) قدم رحاله فرنسي شاب يدعى موريس تاميزييه . وكان أول رحاله فرنسي يزور جُدَّة وكتب عن زيارته لها كتابا قيما وصف فيه هذه المدينة العريقة وسكانها ومساكنهم وعاداتهم وتقاليدهم وما إلى ذلك وصفا مفصلاً.

يقول الشيخ حمد الجاسر –رحمه الله– في كتابه (رحالة غربيون في بلادنا) عن موريس تاميزييه : إن هذا الشاب الفرنسي «يعد من أقدم الغربيين الذين زاروا بلادنا وكتبوا عنها».

ويقول الجاسر: «قام هذا الشاب برحلته بعد رحلة (بيركهارت) بثماني عشر سنة، وتمكن من أن يضيف معلومات عن البلاد التي مرّ بها وشاهدها أوفى مما سجله (بيركهارت) في رحلته، بل أتى فيما دَوّنَهُ من مشاهداته وانطباعاته عن (بلاد عسير) و(تهامة) بمعلومات لم يُسبق إليها».

ويستطرد الجاسر قائلاً : ولعل أول من لفت النظر إلى رحلته تلك هو (فيلبي)

الــذي عده هو وزميله أقدم من توغل في بلاد عســير وتهامــة، إذ قال في كتابه (النجــود العربية) الذي نُشِــر باللغة الإنجليزية عام (١٣٧١هـ)، كان الفرنســي (تاميزييه) أول من زار هذه المنطقة سنة (١٨٣٥م) وكرر ذكره وذكر زميله (إدوارد كمبس) في صفحات أخرى ونقل عنهما[٢٧٤].

في عــام (١٢٤٩هـ - ١٨٣٣م) كان الفتى الفرنســي (تاميزييــه) ذو الواحد والعشــرين عاماً في القاهرة واتصل بأحد الفرنســيين الذي كان قد أُختير رئيســاً لأطباء الحملة العسكرية التي أمر محمد علي باشا ابنه أحمد للذهاب بها إلى عسير لإخضاعها لحكمه بعد أن ثارت ضد الأتراك للتخلص من سيطرتهم . وكان رئيس الأطباء هذا في حاجة إلى كاتب وأمين ســر، فهيأ لهذا الشاب (تاميزييه) والذي كان يريــد التجوال في بلاد العرب أن يرافقه مع البعثــة الطبية، فتحققت أُمنيته بالقيام بتلك الرحلة التي مكث خلالها ما يقرب من تسعة شهور، منذ وصوله إلى (جُدَّة) في العاشر من يناير (١٨٣٤م) أول رمضان (١٢٤٩هـ) إلى آخر سبتمبر (١٨٣٤م) عندما رجع إلى جُدَّة مرة أخرى بعد أن تم صلح بين أمير عسير والوالي التركي أحمد باشا[٢٧٥].

يقول الجاسر : «ولكن حب المغامرة في نفس هذا الفتى، وقوة الرغبة في مواصلة الســياحة في فجاج تلك البلاد الواســعة ما زالا يســيطران على فكره، ويحفزانه لإعــداد العدة لرحلة أخرى، وهكذا كان، فقد اتفق مع شــاب من قومه يدعى (إدوارد كمبــس) يتفق معه في الأهداف والغايات والرغبــات والميول، فأبحرا من (جُدَّة) في أوائل سنة (١٨٣٥م) حتى بلغا (القنفذة) ومنها سارا براً إلى (جازان) ثم (اللحيــة) و(الحديدة) و(بيت الفقيه) و(زبيد) حــتى بلغا (المخا) حيث أبحرا إلى جزيــرة (دَهْلَــك) ثم جازا البحر الأحمر إلى الضفة الغربية وســارا براً متوغلين في بلاد (الحبشــة) ومكثا هناك سنتين ثم عادا إلى فرنسا وألفا عن رحلتهما كتاباً عنوانه «رحلة إلى الحبشة» في خمسة أجزاء نالا عليها جائزة من (الجمعية الجغرافية الفرنسية)».

٢٧٤- الجاسر، حمد: رحالة غربيون في بلادنا، مصدر سابق، ص/٧٥ .

٢٧٥- المصدر السابق، ص/٧٦ .

أما كتاب (تاميزييه) «رحلة إلى الجزيرة العربية» فيقع في جزئيين، سُجِّلتْ فيهما المشاهدات والانطباعات بأسلوب اليوميات»[٢٧٦].

ويحوي الجزء الأول المتضمن لرحلة (تاميزييه) إلى (بلاد عسير) وصفاً شيقاً لما مر به من البلاد منذ مغادرته السويس .

أما الجزء الثاني من هذا الكتاب والموسوم (رحلة في بلاد العرب، الحملة المصرية على عسير ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م) والذي ترجمه وعلق عليه الدكتور محمد آل زلفة الذي يقول عن هذا الجزء الثاني : «إن ذلك الجزء يمثل مصدراً مهماً اعتمدت عليه في إعداد رسالتي للماجستير».

ويستطرد الدكتور آل زلفة قائلاً : «وتعود أهمية هذا الكتاب إلى أن المؤلف الرحالة موريس (تاميزييه)، كان أحد المرافقين لواحدة من أكبر الحملات المصرية على عسير في عام (١٢٤٩هـ/١٨٣٤م)، سجل وقائع تلك الحملة بدقة، ولهذا اعتبرته من أهم المصادر، ليس لتسجيل وقائع الحملة فقط، ولكن لما اشتمل عليه من معلومات سياسية وجغرافية واقتصادية واجتماعية قل العثور عليها في أي مصدر آخر عن تلك الفترة» [٢٧٧].

خط سير رحلة تاميزييه إلى جُدَّة :

غادر موريس (تاميزييه) القاهرة في قافلة كان بها بعض الأوربيين متوجهاً إلى السويس يوم ٩ ديسمبر (١٨٣٣م) وخيم في «عصوة» التي قال عنها إنها مكان للتوقف يقع بين القاهرة وصحراء السويس.

وفي يوم ١٠ ديسمبر واصل هو ورفاقه رحلتهم باتجاه السويس، التي وصلوا إليها بعد عدة أيام .

وفي يوم ١٨ ديسمبر (١٨٣٣م) ركبوا مركباً شراعياً سوف ينقلهم إلى السفينة

٢٧٦- المصدر السابق، ص/٧٦ .

٢٧٧- تاميزييه، موريس: رحلة في بلاد العرب، مصدر سابق، ص/٧ .

التي ستقلهم إلى جُدَّة . وكان اسم هذه السفينة «أبو جاموس» . وقال (تاميزييه) إنها كانت مكتظة بالحجاج .

في يوم ١٩ ديسمبر انطلقت السفينة مبحرة ومروا «بعيون موسى» التي قال إنها بئر محفورة بمهارة.

وبعد ذلك قال إنهم داروا بنجاح من أمام حمام يحتوي على نبع دافئ ثم ألقوا مرساهم.

وفي حوالي منتصف يوم ٢١ديسمبر(١٨٣٣م) وصلوا بمحاذاة القرية المعروفة باسم «بلد النصارى» وتصادف وجود «طابور من السفن التي كانت قد وصلت من القصير وينبع وجُدَّة في طريقها إلى السويس للقيام بمهمة نقل حشود جنود محمد علي إلى الجزيرة العربية».

وفي يوم ٢٤ ديسمبر جرفت ريح عاتية السفينة باتجاه «رأس محمد» حيث «تصل الجبال إلى نهايتها».

في يوم ٢٦ ديسمبر توارت الجبال الإفريقية وبدت لهم قلعة «المويلح» التي قال إنها حصنٌ يضم حوالي (٥٠) رجلاً، وهو بمثابة محطة لقوافل الحجاج.

في يوم ٢٨ ديسمبر واصلوا رحلتهم باتجاه جزيرة «نعمان» التي قال إنها : تشمل على مرفئ صغير كانت ترسوا فيه اثنتان من المراكب في طريقهما نحو المغادرة إلى كل من السويس والقصير .

وفي يوم ٢٩ ديسمبر وصلوا إلى «إسطبل عنتر» التي وصفها قائلاً: إنها قرية كبيرة تقع على الطريق الرئيسية لقوافل الحجاج.

وفي يوم ٣٠ ديسمبر أبحر تاميزيه ورفاق رحلته من جزيرة «كامرين Kamerin» حتى رسوا في مرفئ صغير قال إن اسمه «عويش Aoeuch» .

وفي الأول من يناير(١٨٣٤م) عبروا جزيرة «طمبيه Tambeia» التي ذكر أنها:

«محاطة بعدد لا حصر له من طيور النورس» .

وفي الرابع من يناير (١٨٣٤م) وصلوا إلى ينبع حيث قام كل حاج «بارتداء أبهى حلة لديه من الملابس». وبمجرد وصولهم إلى ميناء ينبع قامت القوارب بنقلهم في رحلات متتابعة نحو اليابسة.

وفي السادس من يناير (١٨٣٤م) بدأ الحجاج في العودة إلى السفينة التي أبحرت بهم في طريقها إلى جُدَّة .

وفي الثامن من يناير وصلوا إلى محاذاة رابغ، وقال عن هذه البلدة: إنها كانت محاطة بكميات «لا يستهان بها من النخيل».

وفي التاسع من يناير ألقوا مرساهم قرب «ثول» والتي قال: إنها مدينة صغيرة تقع بعيداً عن البحر لدرجة أنهم لم يكن بمقدورهم حتى التفكير في زيارتها.

وفي صباح العاشر من يناير (١٨٣٤م) بدأ الحجاج وركاب السفينة في الاستعداد للوصول إلى هدفهم .عن ذلك يقول تاميزييه : في ذلك اليوم بذل كل منا محاولة كي يكون مستعداً وجاهزاً تماماً، كما يحدث في كل سفينة عندما تكون الرحلة قد شارفت على انتهائها . وقد برز كل منا على السطح مرتدياً أفضل ما لديه من ملابس بغرض الظهور بالمظهر اللائق وهو على الأرض المقدسة . وقد قمنا نحن الأوربيون بتقليد ما يقوم به المسلمون.

وصلت سفينتهم إلى محاذاة «أبحر» التي ظن أنها نهرٌ يتدفق ليصب في البحر ولكن القبطان أخبره أن ذلك لا يعدو أن يكون «أكثر من بوغاز ضيق يقوم بالتغلغل لعدة أميال داخل اليابسة». وبعد فترة وقبل انقضاء وقت طويل أعلن ربان السفينة أنهم وصلوا إلى جُدَّة.

عن أول نظرة له إلى هذه المدينة يقول تاميزييه: « لم نُضيع وقتاً في إلقاء نظرة على الأشرعة الطويلة للسفن الراسية وكذلك على منارات المساجد».

ويستطرد قائلا: «كانت المدينة نفسها تشع بكل المظاهر الخارجية التي تدل

على الثراء الوافر الذي أدهشنا، والذي وجدنا أن هنالك ما يبرره . وبما أن المدينة كانت تمثل إحدى نقاطنا، فقد كان لزاماً علينا أن نمضي فيها فترة ليست بالقصيرة». وصادف أن كان دخولهم جُدَّة في أول أيام شهر رمضان المبارك عام (١٢٤٩هـ)[٢٧٨].

ماذا قالوا عن وصف تاميزييه لجُدَّة :

يقول الشيخ حمد الجاسر – رحمه الله- في كتابه (رحالة غربيون في بلادنا): أما مدينة جُدَّة التي أقامت فيها (البعثة الطبية) وفيها (تاميزييه) فكان المكث فيها أربعة شهور من اليوم العاشر من كانون الثاني (يناير) عام (١٨٣٤م) إلى اليوم السابع عشر من شهر أيار (مايو) من نفس العام، ولهذا توسع في وصفها، وهو وإن كان استقى هذا الوصف مما كتبه (بيركهارت) قبله، إلا أنه قد يأتي بزيادات طريفة كحديثه عما سماه (قبر حواء) .

ووصف (تاميزييه) شوارع جُدَّة بالسعة والنظافة، وبيوتها بالجمال، وقال: إنها تتكون من طابقين أو ثلاثة تزينها المشربيات[٢٧٩].

كما يقول الدكتور آل زلفة في مقدمة ترجمته لكتاب (تاميزييه): «أن (تاميزييه) أفرد لمدينة جُدَّة – المدينة التي أدهشته – عدداً من فصول كتابه هذا تعد من أدق وأمتع ما كتب عن تلك المدينة في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، إذ تعرض للبدايات الأولى لتاريخ نشوء المدينة والقصص والأساطير التي يتداولها الناس حول هذا الموضوع» .

ويستطرد الدكتور آل زلفة قائلاً: أن تاميزييه يتحدث عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتركيبة السكانية لمدينة جُدَّة وكذلك العمرانية بشكل مفصل وجذاب وبروح حيادية[٢٨٠].

٢٧٨- المصدر السابق، ص ص/١٣-٦٦ .

٢٧٩- الجاسر، حمد: رحالة غربيون في بلادنا، مصدر سابق، ص/٧٩ .

٢٨٠- تاميزييه، موريس: رحلة في بلاد العرب، مصدر سابق، ص/١٠ .

جُدَّة بعدسة ذاكرة تاميزييه:

سنستعرض هنا بتصرف بعضاً مما جاء في كتاب تاميزييه (رحلة إلى بلاد العرب – الحجاز–) عن مدينة جُدَّة وسكانها وشيئاً مما سجلته عدسة ذاكرته عنها:

يقول تاميزييه واصفاً (جُدَّة): «شـيدت مدينة جُدَّة على حصباء رملية . وقد كانت منازلها العالية ومناراتها الشـاهقة تقف سامقة مثلما تقف وسائل الإسناد المسرحي في مواجهة القماش الخلفي الذي يرسم لوحة لسماء لازورديه . وقد كان بمقدور المواطنين وهم يجلسـون على أسطح منازلهم كل مساء، أن يحدقوا في تأمل روحاني في انعكاس ضوء النجوم على سـطوح البحر الرقيق، أو أن يستلقوا وهم في حالـة من النعاس على أصوات هدير البحر الذي يتحول إلى هيجان صاخب بفضل قوة هبوب الرياح الشمالية . وخلال ساعات النهار يكون الميناء والطرقات بالمدينـة عرضة لكثير من الازدحـام، وتجتازها جيئة وذهاباً أرتـال من المركبات الخفيفة، مُشـكِلة نوعاً من وسائل النقل المتحركة التي تَعبُر بين المدينة نفسها وبين السفن الراسية على البعد . وقد كان الأثر الإجمالي عموماً غاية في الروعة» .

ويصف تاميزييه المنزل الذي سكن فيه عندما وصل إلى جُدَّة فيقول :

«وفي اليوم التالي لوصولنا تم إسكاننا بمنزل جميل ذي موقع يطل على كل أسطح المنـازل المجاورة له . ومن الأبراج العالية تمتد البانوراما باتجاه الريف الداخلي حيث تطـل هذه الظاهرة في كل يوم ، وحول الشـوارع التي تعـج بالحركة نتيجة لقدوم السفن التي تقوم بنقل الحجيج»[٢٨١].

ويتحدث (تاميزييه) عن صداقات أقامها مع بعض أهل جُدَّة فيقول :

«خلال فترة إقامتي في جُدَّة سـنحت لي الفرصة لإقامة صداقات جادة وسط العديد من الأشـخاص المتفهمين في تلك المدينة، وقـد قُوبلت منهم بالترحيب الجيد والحار، وكنا نتحدث بصورة محدودة فقط في المسـائل الدينية، وكنت عادة

٢٨١– المصدر السابق، ص ص/٦٩ – ٧٠ .

مـــا أرتب الحديث بصورة تســـلط الضوء على طريقة حيـــاة العرب والحالة الراهنة والمتعلقـــة بظروف حضاراتهم الخاصة . وقد ســـاعدت ذقني الـــتي أطلقتها وزيي الشـــرقي الذي كنت أرتديه عادة في تمتعي بشـــكرهم وترحابهم الحار، وكان ذلك بصفة عامة ينطبق على مواطني المدينة من شتى الطبقات الاجتماعية . وقد كانوا يميزون بيني وبين بقية الأوربيين الآخرين حليقي اللحى والشـــوارب، وكانوا يطلقون عليّ عبارة «Cheik – Frangi» «شـــيخ فرنجي» وقد كنت أُفضل بشـــدة عدم الاختلاف مع أي شـــخص عن طريق مجادلتـــه في آرائه أو الاعتراض على وجهة نظـــره. كما كنت أحترم عادات المواطنين وتقاليدهم وممارســـاتهم، وفوق كل هذا وذاك ديانتهم»(٢٨٢).

ويتحـــدث تاميزيه عن جولة قـــام بها في مدينة جُدَّة مع أحـــد الأدلاء، ويذكر طواحين الهواء التي كانت مركبة على رابية من روابي جُدَّة وقال: إنه تم تشييدها بأمر من إبراهيم باشا على نسق الطواحين التي كانت موجودة في الإسكندرية عندئذ .

ثم يتحدث تاميزيه عن سور جُدَّة وعن الحجاج وهم خارجون من إحدى بوابته هـــي باب مكة أحد أبواب ســـور جُدَّة فيقول: «كنـــا آنذاك نقترب من إحدى النقـــاط المواجهة لباب مكـــة وقد كان عدد الحجاج الذيـــن عبروا من خلاله في رحلتهم كبيراً، مثل عدد قطرات الماء التي تتكون منها المحيطات».

وقد اشتمل هذان البرجان على العديد من قطع المدفعية التي تم جلبها هنا منذ مغادرة «تركجه بياز (قائد ســـلاح الفرسان وكان متمرداً على محمد علي باشا). وقد زينت جدران الأســـوار مقتطفات من الآيات القرآنية التي كانت تســـتخدم بصورة لا متناهية تبجيلاً للقرآن الكريم»(٢٨٣).

وتحدث تاميزيه عن بعض النباتات في الجانب الشـــمالي من مدينة جُدَّة قائلاً: وفي الجانب الشمالي من المدينة تنتصب بعض النباتات والصخور الجلمودية واقفة وســـط الرمال متخذه شكل المســـاحة التي تؤلف نوعاً من النقلة أو الفاصل بين

٢٨٢- المصدر السابق، ص ص/٧١ – ٧٢ .
٢٨٣- المصدر السابق، ص ص/٧٨-٧٩ .

الأجـــزاء المجدبة وتلك المخصصة أساســاً لنمو النباتات . وفي اتجاه الجنوب، فإن الخط الساخن يتكون من صحراء جرداء يتخللها هنا وهناك نمو الطحالب البحرية الخضراء مثل العشب البحري، وقد تكدس فوق جنباته بعض الزبد الرغوي الذي يتم جلبه عن طريق حركة انتقال المد المستمر .

ويبين تاميزيه أن ســكان جُدَّة تعلموا كيف يســتفيدون مــن النباتات فيقول: «تعلم ســكان مدينة جُدَّة كيفية اســتخلاص الفوائــد وجنيها من هذه النباتات العقيمة، فعلى ســطحها كانوا يقومون بإحداث تجويفات مشــابهة للحفريات أو الثقوب المجوفة لكي تطفو مع مياه البحر . ونتيجة للتبخر تتسرب كمية من الملح في أسفل هذه الأحواض تكفى لاستهلاك المدينة وتزيد» .

ويصــف تاميزيه الجهة الشــرقية من جُدَّة والخندق المعــروف بها فيقول: أما في الواجهة الشرقية (من جُدَّة) فقد كانت الأطراف محمية بواسطة خندق مائي يبدو بحالة جيدة للغاية لكنها كانت بحالة سيئة في الناحية الجنوبية والشمالية(٢٨٤).

ثم يبدأ رحالتنا في الحديث عن سور جُدَّة إبان زيارته لها فيقول :

أما الســور الذي يحيط بالمدينة، فقد كانت تتخلله القلاع، التي تختلف حالتها من واحدة لأخرى، والتي كانت الأجزاء الرئيســية منهــا مدعومة ومحصنة بقطع المدفعية . وقد شيدت اثنتان من القلاع وكانتا شبه جيدتين عموماً، في كل طرف مــن أطراف الميناء الرئيس . وقد شــيدتا خصيصاً بغرض اســتغلالهما في مراقبة أمن الميناء وحمايته وســلامته . وقد تمت تعلية القلعة الواقعة في وســطهما حديثاً وفي الفترة الأخيرة . كما أن هناك ســوراً عملياً يقوم على امتداد الرصيف الخاص بالميناء يصل إلى ذلك الواقع في الناحية الشمالية. وتتخلل هذا السور أربع بوابات تطــل على البحر، وهو بذلك يقوم بتكملة نظام التحصينات الخاصة بمدينة جُدَّة كلها(٢٨٥).

٢٨٤- المصدر السابق، ص/٨١ .
٢٨٥- المصدر السابق، ص ص/٨١ – ٨٢ .

ويقول تاميزييــه أنه كانت توجد في جُدَّة «مطحنــة» للبارود (ذخيرة) تتكون من مســتودع متواضع ومعزول لحفظ الذخيرة، وهــو يقع بين بوابة مكة والمدينة، وبالقرب من أطراف المدينة . وهناك دائماً جندي يقوم بواجب الحراسة .

أما بالنسبة للمنطقة المحيطة، فهي مزدحمة بالمخيمات الشبيهة بالأكواخ والمشيدة من الأخشاب وجلود الأبل .

وبما أن هذه المساكن معرضة دائماً لحرارة الشمس في هذا الإقليم المتقد الحرارة، فإنهــا تكون عرضة للاشــتعال بصورة عالية . وفي حالة حــدوث أي حريق فإنه ســوف ينتشر بصورة واســعة، وبالتالي تكون سلامة المدينة بكاملها عرضة للتأثر بشدة .

ثم يستطرد رحالتنا قائلاً :

ثم من جانب الحصن المواجه للطرف الشمالي لاحظنا على الواجهة المطلة على المياه بطارية من أربع قطع مقاس (١٨) وللغرابة الشديدة لم تكن تُباشر أية رقابة أو حراسة أحد ما على الإطلاق. وسيكون من البساطة بمكان بالنسبة للعدو أن يقوم بحصرها وتطويقها دون أن يعترضه أو يلحظه أحد[٢٨٦].

وبعد ذلك يتحدث تاميزييه عن مساجد جُدَّة فيقول : كان عدد أهم المساجد الموجودة بمدينة جُدَّة خمسة، وكان أولها يحمل اسم مسجد جامع السلطان حسن (مســجد السلطان حســن) . وقد كان مربع الشكل، وقد تم بناؤه من الأحجار المرجانية الخالصة المنقوشــة بصورة ناعمــة. وفي ركنه الجنوبي ارتفعت المنارة بصورة معزولة، وقد كانت في أعلاها تظهر مائلة بطريقة واضحة وظاهرة .

ثم يصف لنا هذا المســجد من جهة الغرب، فيقول: أما من جهة المغرب، فقد كان المســجد يحتوي على درج يتكون من العديد من الســلالم المبلطة في شكل قوس دائرة يقود المتعبدين إلى داخل وســط هذا المبنى . بالإضافة إلى ذلك يوجد

٢٨٦- المصدر السابق، ص/٨٢ .

هناك القليل مما هو لافت للأنظار، إن كان هناك من ذلك شيء .

ثم يقول عن أحد المساجد الأخرى : أما المسجد الثاني، والمخصص للشافعية، فقد كان يقع مباشرة على أحد أطراف بوابة مكة . أما المسجد الثاني الذي يوجد بجوار مكان وصول ركاب البحر فيطلق عليه اسم «عكات» (لعله يقصد مسجد « عــكاش» – الموجود اليوم أمام عمارة آل عبدالبديع اليافي المطلة على شــارع قابل والخاسكية — المؤلف).

وباتجاه وسط المدينة تماما يوجد ذلك المسجد التابع للحنفية (المسجد الحنفي). أما الخامس فيســمى (مســجد محمد) . وهناك مســاجد أخرى أصغر حجماً علماً بأن بعضها قد تم تحويلها إلى مســتودعات للذخــيرة بناء على أوامر محمد علي(٢٨٧).

وبعــد ذلك يتطرق موريس تاميزييــه إلى وصف المدارس في جُدَّة في زمن زيارته لها فيقول:

تقع مدارس الاطفال بجُدَّة تحت إشــراف أحد الأئمة أو المشــايخ الذي يقوم بإلقاء دروســه داخل المسجد نفسه . ولا تحتوي المدارس هنا على أي شيء غير عادي بالنسبة لأي شخص يكون قد شاهد تلك الموجودة في الجزائر أو القاهرة أو إستنبول . إنها تمثل دائماً مشهداً للصغار وهم يجلسون القرفصاء وأرجلهم مخلوفة على بساط عادي مصنوع من سعف النخيل . وهناك لوح خشبي مصقول بشدة يكون موضوعاً في منتصف غرفتهم بالضبط حيث تتم عليه كتابة دروسهم أمامهم . وهم يقومون بقراءة أجزاء من القرآن الكريم أو تجويدها بأصوات مرتفعة . ويتمتع الشيخ بمظهر صارم، وله نظرة قاسية، ويظل يراقبهم ويشرف عليهم في حزم، وهو يأخذ مجلســه وسط المدرسة وهو يمسك بيده وفي كل الأوقات بعصا لكي يكون بمقدوره تأديب الطلبة المشاكسين أو المشاغبين ومعاقبتهم .

٢٨٧- المصدر السابق، ص ص/٨٣ — ٨٤ .

وتبدو هذه المدارس ظاهرة من مسافات بعيدة بسبب الأصوات العالية المستمرة التي تبدو أكثر ملاءمة لأحد أسواق الأوراق المالية أو أحد الأسواق العامة[٢٨٨].

ثم يبدأ تاميزييه في وصف أسواق ومنازل جُدَّة فيقول: يقع البازار الكبير على أطول أحد الشوارع العريضة التي تبدو مستقيمة بصورة مناسبة . أما المنازل فهي تظهر عالية وترتفع على ركائز، وهي مزينة بكثير من الأشكال الملونة التي جرى تصميمها طبقاً لتصور فردي. أما المستودعات نفسها فتتكون من عدة متاجر مشيدة على ركائز مزدوجة وتعلو سطح الأرض . هناك تجار يقومون بعرض عينات من بضاعتهم فقط، لكن مستودعاتهم الرئيسة تكون موجودة في غرفة أو صالة بيع خلفية يمكن للشخص الدخول إليها فقط عبر مدخل يكون منخفضا للغاية (كالقبو) وضيقا أيضاً[٢٨٩].

ويقارن تاميزييه بين تجار أوروبا ونظرائهم في جُدَّة فيقول:

وبينما يكمن حظ التاجر في أوروبا في عرضه للبضائع داخل متجره، حيث يُعد ذلك ضروريا ولازما من أجل كسب الزبائن، فان الأمر هنا يعد مختلفا للغاية، وتبدو الأشياء معكوسة تماماً، إذ يشكل العدد المعروض من البضائع نسبة ضئيلة للغاية من الثروة التي يمتلكها التاجر.

ويصف تاميزييه المحلات التجارية فيقول:

المحلات التجارية مغطاة ومظللة بحصائر من القش الذي يساعد على حفظ البضائع سليمة دون أن تتلفها أشعة الشمس . ويقوم التجار بتخصيص مساحة محدده لأنفسهم يغطونها ببساط أو سجادة، حيث يتخذونها مكاناً لجلوسهم يرتمون عليها بكل ثقلهم، وبحيث تكون أرجلهم مخلوفة ويشغلون أنفسهم بمضغ نوع من الجوز أو تدخين التبغ من أنبوبة طويلة ويخصص كل جزء من البازار لمجموعة مختلفة من المنتجات والحرف بحيث يشعر الشخص من كل الجوانب بأن

٢٨٨- المصدر السابق، ص ص/٨٤ – ٨٥ .
٢٨٩- المصدر السابق، ص/٨٥ .

هناك نوعا من الترتيب والتنظيم الذي يندر وجوده في أوروبا ذاتها والتي يكون فيها سـنان المطرقة لا يبتعد مكانه كثيراً أو يفصله عن غرفة بيع القبعات النسـائية إلا فاصل رفيع للغاية .

وعن محلات بيع الطعام في هذا السوق يقول تاميزييه:

بعد ذلك مررنا باتجاه الشـمال، بالمخابز وأصحـاب المطاعم الذين يقومون، مقابـل مبالغ محدده، ببيع أنواع من الأطعمة الجاهزة والمطبوخة مسـبقا للجمهور وخـلال تقدمنا إلى الأمام قابلتنا محلات بيع الأسـلحة وبائعـو الخزف والأواني الزجاجيـة وأصحاب المقاهي . بعدها تحركنا هابطين إلى الجزء الجنوبي حيث مررنا بمحلات بيع الفاكهة المجففة والزيوت والزبدة والأعشـاب والفواكه والقمح والفول والبرتقـال والعدس والأرز، وكل أنواع الحبوب المختلفـة. ثم يبين تاميزييه أنه كان يوجد خارج ذلك البازار سوق آخر أصغر منه حجما يقول عنه إنه: أصغر حجما وهو مكون من ممرين على شـكل أقواس حيث يقوم التجار ببيع سـلعهم . وهنا يقـوم خياطو الملابس ودابغو الجلود والنحاسـون وصانعو الجراك وبائعوه وغيرهم بعرض خدماتهم، وفي الوقت نفسه أقاموا مساكنهم في المكان.

وعن حراج جُدَّة يقول تاميزييه:

وفي كل يوم يقـوم المحرجون والدلالون المعنيون بصفة رسمية بالصياح بغرض بيع كل الأشـياء عن طريق المزاد العلني، وتعد الجماعات التي تتجمع هنا بعضها مع بعض شـيئا ضروريا وأساسيا، وخاصة خلال موسم الحج. ويقوم هؤلاء الدلالون بالتجوال وسط هذه الحشود من البشر، وهم يلوحون بأيديهم عارضين الأصناف والسلع التي يريدون التخلص منها . ويقومون بترسيتها على المزاد الأخير في حالة الاتفاق على السـعر . ويقومون بالحصول على كل هذه المبيعات لكنهم ملزمون بسداد رسوم معينة للحكومة(٢٩٠).

ثم يتحدث تاميزييه عن القهاوي في جُدَّة ويصنفها ويصف روادها فيقول:

علـى امتداد البازار كان من الملاحظ وجـود كثير من المقاهي التي تعج بالناس

٢٩٠- المصدر السابق، ص ص/٨٥-٨٧ .

سواء من المواطنين أو الأجانب الذين اعتادوا التجمع فيها . وقد كانت هذه الأماكن العامة للتجمعات مقامة تحت مظلات كبيرة مشيدة في شكل عشة . وفي مواجهة الطرف البعيد، وعلى كومة من الأتربة كانت هناك نار وقودها الفحم الحجري، تتقد باستمرار، وذلك بغرض القيام بإعداد القهوة وكذلك لإشعال دخان الغلايين وترتيبها بشكل متناسق على امتداد البازار .

أما بالنسبة للأسِرَّة التي تم الاضطجاع عليها، فقد كان يتم صنعها من فروع الأشجار التي صُنعت بطريقة خشنة ويتم تزيينها بطريقة مبسطة. وقد كان يتم نثرها بغرض الاستعمال الداخلي خلال ساعات النهار، وبمجرد هبوط المساء كان يتم نقلها إلى الخارج . وإلى هذا المكان يأتي البعض للجلوس والاسترخاء عليها، حيث يتم تقديم القهوة لهم بدون سكر، مضافاً نكهة القرفة والقرنفل والزنجبيل، ثم هناك الشربيت وهو نوع من الخليط الذي يحتوي على الماء والتوابل المعدة لنقعها وشربها(٢٩١).

بعد ذلك يتحدث تاميزييه عن الحلاقين في جُدَّة وعن صالونات الحلاقة تحديداً، فيقول : هي تعمل بمثابة مراكز للتجمع . وفيها يتم انتشار الأخبار وتناقلها . ويحدد لوازم ممارسة هذه المهنة قائلاً إنها : لوحة إعلانية مكتوب عليها «حلاق»، منقوشة بأحرف نحاسية مفضضة، حزام جلدي طويل مربوط على خاصرة الحلاقين ويتدلى تقريباً حتى أقدامهم، كمية من شفرات الحلاقة، بعض الفوط القطنية وأخرى من الحرير، ومرآة مستديرة من الفضة(٢٩٢).

بعد ذلك تحدث تاميزييه عن ميادين جُدَّة فقال :

تشتمل مدينة جُدَّة على العديد من الميادين العامة التي جرى تعميمها وتخطيطها بما يكفي من الجودة . وأكثرها شهرة هو الميدان البحري الذي يشكل مسجد «عكاش» أحد جنباته . ويمكننا المرور باثنين آخرين ما زالا موجودين حتى الآن (زمان زيارته لجُدَّة)، أحدهما في مواجهة باب مكة، والآخر في قلب المدينة، لكنهما

٢٩١- المصدر السابق، ص/٨٨ .

٢٩٢- المصدر السابق، ص/٨٩ .

لا يحتويان على أي نوع من الديكور أو التزين الذي يستدعي انتباهنا[٢٩٣].

وأبدى تاميزييه إعجابه بتخطيط مدينة جُدَّة وسعة شوارعها وتنظيمها وجمالها ونظافتها فقال : لقد جرى تخطيط مدينة جُدَّة بطريقة أفضل كثيراً من غيرها من مدن المنطقة، وقد كانت طرقاتها وشوارعها واسعة ومخططة بطريقة جيدة وجميلة، كما أنها كانت عموماً منظمة ومشهورة بنظافتها، وخصوصاً خلال شهر رمضان المعظم، وقد كانت المنازل تتكون عادة من طابقين، وأحياناً من ثلاثة طوابق . وهي مشيدة من الأحجار البركانية المسامية المستخرجة من البحر، والتي تُحمل إلى المدينة على ظهور الحمير . هناك العديد من المنازل التي كانت أبوابها ومداخلها مزينة بلمسة جمالية ناعمة تنم عن ذوق رفيع . وقد كانت هذه النقوش الجمالية تحتوي على أناقة وذوق لم أشهده في أي مكان آخر بالجزيرة العربية[٢٩٤].

وقدر تاميزييه عدد سكان جُدَّة في وقت زيارته لها بحوالي عشرة ألاف (١٠,٠٠٠) نسمة. وقال إنه كان بجُدَّة وقتها بعض الإغريق الذين تخصصوا في تجارة الحديد والأدوات المعدنية[٢٩٥].

وقال إنه شاهد في جُدَّة سفناً تجارية قادمة من الهند لا تقل حمولتها عن ألف (١٠٠٠) طن فما فوق[٢٩٦].

وتحدث تاميزييه عن السفن العربية التي شاهدها في جُدَّة والتي كانت تسمى «البغلات» (Baglas). (ولقد سمعت من والدي –رحمه الله– هذا الاسم لبعض المراكب الكبيرة التي كانت موجودة في زمنه والتي كان أهل جُدَّة يستعملونها لنقل البضائع بين جُدَّة وينبع والليث وبورتسودان وغيرها – المؤلف).

وقال تاميزييه : إن هذه السفن العربية (البغلات) كان بمقدورها أن تلقي بمراسيها قرب الرصيف، وبعد أن يتم تفريغها تواصل تقدمها على امتداد ساحل

٢٩٣- المصدر السابق، ص/٩٠ .
٢٩٤- المصدر السابق، ص ص/٩١- ٩٢ .
٢٩٥- المصدر السابق، ص/٩٦ .
٢٩٦- المصدر السابق، ص/١٢٦ .

البحر شمالاً . وقال: إنه يكون رسو السفن العربية على بعد حوالي ميل واحد من الأسوار، بعكس السفن الكبيرة التي كانت ترسو على بعد حوالي ثلاثة أميال تقريباً[٢٩٧].

ويبين تاميزييه أن القوارب كانت تُصنع في جُدَّة إذ يقول : كنت أقوم بمشاهدة بناء أحد هذه القوارب الشراعية وكذلك أحد قوارب الصيد التي يتم تصميمها من كتلة خشبية واحدة . وتوقع (تاميزييه) أنه في المستقبل سيكون في جُدَّة ميناء بحري عميق بحق وأنها ستصبح مركزاً هاماً للغاية . وعليه «سيكون بالإمكان تصميم المراكب وإنشاؤها هناك وإنزالها إلى البحر، وستكون جُدَّة بمثابة مركز ذي أهمية بالغة عندما يحين الوقت للتعامل التجاري بين كل من أوروبا والهند للعبور مباشرة من خلال برزخ قناة السويس»[٢٩٨].

هذه ملامح من مدينة جُدَّة كما سجلها لنا الرحالة الفرنسي الشاب موريس تاميزييه الذي زار جُدَّة في القرن التاسع عشر الميلادي، عام (١٨٣٤م) الموافق (١٢٤٩هـ) . وظل فيها حوالي تسعة أشهر وسطر لنا بقلمه ما سجلته عدسة ذاكرته عن هذه البلدة وأهلها ومساكنهم وأسواقهم وطريقة معيشتهم ودوّن كل ذلك في كتابه الموسوم (رحلة في بلاد العرب) .

٢٩٧- المصدر السابق، ص/١٢٧ .
٢٩٨- المصدر السابق، ص ص/١٢٨ – ١٣٠ .

ريتشارد فرانسيس برتون
Richard Francis Burton

رتشارد برتون بالزي العربي – المصدر: البيان، مستشرقون لبسوا ثياب الحج إلى مكة

لم يكن رتشـــارد برتون شـــخصاً عادياً، وإنما رحالة ودبلوماســـي وعالم طبقت شـــهرته الآفاق. خلف خلفه ٤٠ مجلداً عن رحلاته واستكشافاته في العالم . كما ترك ٣٠ مجلداً لترجمات كتب شهيرة . منها ترجمته لكتاب ألف ليلة وليلة في عشرة أجزاء. قام بعده برحلات أهمها رحلته إلى مصر والديار المقدسة.

وكتـــب عن هذه الرحلة كتابا وسمـــه «رحلة برتون إلى مصر والحجاز». وقد قام الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ بترجمة هذا الكتاب إلى العربية.

يقول الدكتور الشيخ عن لغة رحلة برتون: «عرض برتون رحلته بأسلوب صعب المرتقى كثير التلافيف طويل الجمل، كما أغرق في اســـتعمال الصياغات البلاغية والتشبيهات التي استقاها من ثقافات مختلفة إغريقية وأوربية معاصرة وعربية قديمة، وعربية حديثة، وهندية وإفريقية مما يرهق قارئه، ومترجمه من باب أولى»[٢٩٩].

٢٩٩- برتون، رتشارد: رحلة برتون إلى الحجاز ومصر، الجزء الأول، مصدر سابق، ص/١٣

وكتـــاب برتون هذا من ثلاثة أجزاء، عن ذلك بقول الدكتور الشـــيخ: «تعرض برتـــون في الجزء الثاني من كتابه للمدينة المنورة غالبا، وتعرض في الجزء الثالث منه لمكة المكرمة»(٣٠٠).

يقول أغطســـن رالي مؤلف كتاب (مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى) والذي نقله إلى العربية الأســـتاذ الدكتور حسن ســـعيد غزالة وقام الأستاذ الدكتور محمد محمود الســـرياني والدكتور معراج نواب مـــرزا بترجمة هذا الكتاب وهي الترجمة التي أصدرتها دارة الملك عبدالعزيز: إن اكبر اسم (لرحالة غربي) ارتبط بمكة المكرمة هو الســـيد رتشـــارد برتون. وكان برتون في الثانية والثلاثين حينما انطلق في أول رحلة لـــه تعد أحيانا أكثر رحلاته أهمية وإثارة. اعتزم القيام بأســـفار موســـعة في جزيرة العـــرب . وبعد أن زار مكة المكرمة أولا وأصبـــح لقبه (حاج) صار في نيته عبور الصحراء الجنوبية للجزيرة العربية التي لم يُعرَفْ عن أحد آخر (قبله) من (الغربيين) أنـــه عبرها . إلا أنه أقلع عن الفكـــرة نهائياً حينما انطلقت معارك جعلت الطريق غير مأمون»(٣٠١).

ترجمة ريتشارد برتون Captin Sir Richard Francis Burton

يترجم الأســـتاذ أحمد محمد محمود في كتابه الموســـوم (الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة) الرحالة ريتشـــارد برتون فيقول ما ننقله هنا بتصرف(٣٠٢): ولد ريتشارد برتون في ١٩ مارس ١٨٢١م في بارم هاوس بمقاطعة هارتفورد شاير – لعائلة رفيعة النسب، افتقرت بعد غنى، وتجمعت فيه دماء إيرلندية وأسكتلندية وفرنســـية، لازمه ســـوء الطالع منذ طفولته، فقد قضى جَدُّه لأمه وهو في طريقه لكتابـــة وصية له بثروة ضخمة – نصف مليون جنية – فخســـر هذه الثروة التي آلت لخاله، فنشـــأ عاشقاً للترحال والتشرد . وفي سن التاسعة عشر التحق بجامعة أكسفورد لكنه كره الجامعة لنظامها الصارم، وفيها تعلم اللغة العربية، وبعد تخرجه من الجامعة التحق بجيش بريطانيا بالهند عام ١٨٤٢م، وتزوج من ايزابيل : سليلة

٣٠٠- المصدر السابق، ص/١٣ .

٣٠١- رالي، أغسطس: مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٣٠هـ، ص/١٩٦ .

٣٠٢- محمود، أحمد محمد: جمهرة الرحلات – الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، مصدر سابق، ص/١٤٠ .

السير ريتشارد برتون (١٨٢١–١٨٩٠) في الزي العربي ، ١٨٥٤ بواسطة توماس سيدون – المصدر: www.meisterdrucke.ae

أســرة لندنية عريقة . وهناك اتفق مع الجمعية الملكية الجغرافية في لندن على تمويل رحلة استكشافية يقوم بها إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة عام ١٨٥٣م «للكشف عن أســرارها» فوضع تفاصيل رحلته هذه في مجلدين . ثم قرر اكتشاف منابع نهر النيل فرحل إلى إفريقيا، ومناطق لم تكن معروفة من الحبشة خاصة مدينة المسلمين – هرر – عام ١٨٥٤م، واكتشــف بحيرة تانجانيقــا – وزار أمريكا للتعرف على حياة المسيحين المورمن الذين يؤمنون بتعدد الزوجات، ووضع عنهم كتابه – مدينة القديســين – وعمل قنصلاً لبريطانيا في – فرناندوبو – الأســبانية على الساحل الغــربي لإفريقيــا عام ١٨٦١م، وعلــق على هذا التعيين قائلاً: « أرســلوني هنا لأموت» ثم انتقل عمله الدبلوماســي إلى – سانتوس – بالبرازيل عام ١٨٦٥م، قبل أن تحقق الخارجية البريطانية رغبته، فتعينه قنصلاً لها في دمشق عام ١٨٦٩م. كان برتون شــديد الاعتداد برأيه مما تســبب له في عداوات حتى من بني جِلدته خاصة من المبشرين لأنه منعهم من توزيع النشرات التبشيرية بين المسلمين .

انتهت مهمته الدبلوماســية في دمشق عام ١٨٧١م فعاد إلى بريطانيا وكان قد

رفض تولي منصب الحاكم العام لبلاده في دارفور بالسودان، وقبل منصب قنصل في – تريه – الإيطالية عام ١٨٧٢م، وفيها أتم ترجمة –ألف ليلة وليلة في ١٠ أجزاء، ومنحته الملكة فيكتوريا لقب – سير – تقديراً لجهوده في مجال البحث والاستكشاف، ومنحته جمعيتي الجغرافيا في بريطانيا وفرنسا ميداليتيهما الذهبيتين.

توفي رتشارد برتون عام ١٨٩٠م بعد أن بلغ ٧٠ عاماً ودفن في مقبرة مور تليك– في قبر يشبه خيمة عربية من الحجارة والرخام . وأقامت له –مدام توسو– في متحف الشمع بلندن مجسماً له وهو بملابس الإحرام.

خلف برتون ٤٠ مجلداً عن رحلاته واستكشافاته في العالم و٣٠ مجلداً لترجمات كتب شهيرة، وبعد وفاته أحرقت زوجته مذكراته .

يقول الأستاذ أحمد محمود: إن الملاحظة البارزة في حياة برتون، بحثه عن المعرفة الروحية، وتجربته للكثير من المعتقدات من: هندويوجا البوذية، والكاثوليكية، وتعرف على الإسلام من – ميرزا حسين – المقرب من الآغا خان بالهند . وتمكن برتون من الإسلام حتى إنه حفظ ثلث كتاب الله العزيز– القرآن الكريم – .

خط سير رحلة برتون إلى جُدَّة:

وعن رحلة برتون للحج يقول الأستاذ أحمد محمود: «بدأ برتون رحلته للحج في ٣ إبريل من عام ١٨٥٣م في باخرة غادرت ميناء ساوث هامتون– جنوبي بريطانيا متجهة للإسكندرية، واستقلها منتحلاً صفة ولباس رجل من شيعة فارس، وبقي في الإسكندرية شهراً، ضيفاً على جون ثوربيرن (John Thurburn) الذي كان قد استضاف الرحالة –السويسري– بوركهارت قبله».

وهنا وبمساعدة أحد علماء المسلمين تعلم كيف يتوضأ وكيف يصلي وتعلم سوراً من القرآن الكريم وعن ذلك يقول: «فأنعشت ذاكرتي بمعلومات عن الطهارة وأصبحت خبيراً بمواضع السجود»[٣٠٣].

٣٠٣– المصدر السابق، ص/١٤١ .

الطريق بين جُدَّة ومكة حسب وصف برتون:

بعد أن انتهى برتون من أداء مناسك الحج وعاد إلى مكة المكرمة واعتمر وقام بزيارة بعض الأماكن التاريخية وتحدث عنها ووصفها في كتابه وصفاً دقيقا شيّقاً[٣٠٤].

وزار أحد الزمازمة المشهورين في زمن زيارته لمكة المكرمة وتناول طعام العشاء بمنزله ووصف السفرة المكية وتحدث عن أنواع الطعام والخبز وعن الأواني التي كان الطعام يقدم فيها وما إلى ذلك[٣٠٥].

استأجر برتون جملين بخمسة وثلاثين قرشاً دفع نصفها مقدماً وودع أصدقاءه وبدأ رحلته إلى جُدَّة[٣٠٦].

عن وصف خط سير الرحلة من مكة إلى جُدَّة، يقول برتون ما ننقل منه هنا بتصرف: «ليس من هدفي على وجه التحديد وصف الطريق الذي سلكناه هذه الليلة، فقد أعطى بوركهارت عن هذه المنطقة لقرائه معلومات كاملة»[٣٠٧].

إلا أن برتون تحدث قليلا عن هذه الطريق من خلال ما قابلوه وما حدث لهم خلال رحلتهم فيقول: «ولما غادرنا مكة المكرمة هبطنا لطريق مباشر يمتد جنوب وادي فاطمة واجتزنا مسطحا – محاطا بالتلال – في حوالي ساعة، ثم دخلنا واديا باجتياز درجات حجرية وعرة متعرجة، أحجارها متعلقة خطرة- بغية تيسير- أمر المنحدر على الجمال والدواب المحملة وفي منتصف الليل تقريبا عبرنا واديا محاطا بالتلال كان تارة مغطى بالرمال العميقة، وتارة أخرى يابساً مغطى بالطين اليابس، أخيراً عند الفجر تقريبا- رأينا سهل جُدَّة الحجري».

لقد التحق بجماعتنا – بعد مغادرتنا مكة المكرمة بفترة يسيرة – مسافرون آخرون، وحتى المساء وجدنا أنفسنا بحكم النظام لا نسير فرادى في الطريق،

٣٠٤- برتون، رتشارد رحلة برتون إلى مصر والحجاز، مصدر سابق، ص/١٠١ .
٣٠٥- المصدر السابق، ص/١٠٧ .
٣٠٦- المصدر السابق، ص/١١٠ .
٣٠٧- المصدر السابق، ص/١١٠ .

قبل وصوله إلى مكة المكرمة بأربع وأربعين ميلاً، قام برتون برسم كيف كان يبدو الإحرام في ذلك الوقت – المصدر:رحلة برتون إلى مصر والحجاز

وكانت المقاهي، وأماكن الاستجمام كثيرة على الطريق، فكنا نتوقف كل خمسة أميال لنريح أنفسنا وحميرنا. وعند غروب الشمس صلينا صلاة المغرب بالقرب من مقر حراسة تركي، حيث أمدني أحد العساكر –كرماً منه– بماء للوضوء .

وفي حوالي الساعة الثامنة مساء عبرنا العلمين (الأعلام) وهو الموضع الذي يحدد حدود مكة المكرمة وبالقرب منهما يوجد مقهى ومصلى صغير . وفي الطريق – كلما توغل الليل بنا –كنا نقابل قوافل جمال بعضها يحمل شقادف وأخرى تحمل عوارض خشبية ضخمة وغيرها تحمل أكياس بن وغلالاً وبضائع . وعند منتصف الليل وصلنا إلى (حدة) وقد جعلها الرحالة على بك (العباسي) على بعد ثمانية فراسخ من (جُدَّة) . وعند الحد (الميقات) الذي يمثل محطة التوقف الوسطى يتعين على الحجاج ارتداء ملابس الإحرام، بينما يذهب المسافرون من غير المسلمين والقاصدين الطائف عن طريق آخر يمتد إلى الشمال من عرفات.

وكان الحجاج يزودون في (جدة) بالقهوة والماء.ويتحدث المسافرون عن شدة حرارتها نهاراً . والمنطقة هنا تنحدر بالتدريج تجاه البحر الأحمر فالتلال تتراجع،

وكل ظواهر الطبيعة تشـــير إلى مغادرتنا هضبة مكة المكرمة . لقد توقفنا للراحة في (حدة) مدة ساعة وحصلنا على حصير وماء وغير ذلك من الضروريات من أحد المقاهي وبمجرد انتهائنا من العشاء انطرحنا لنأخذ قسطا من نوم غير عميق . وبعد انقضاء حوالي نصف ساعة، وضعت البرادع على الحمير ومشينا .

ويقول برتون إنهم توقفوا خلال سيرهم في مقهى آخر لفترة ثم عاودوا السفر(٣٠٨).

وبعد مغادرتهم هذه القهوة يقـــول برتون: «وبعد مغادرتنا «قهوة تركي» بوقت قصـــير وجدنا آخر نتوء صخـــري (Spur) للمرتفعات التي تبدأ في الانخفاض نحو سهل جُدَّة. ولم تر العين شجرة ولا بقعة خضراء .

وســـرعان ما تبينا ملامح جُدَّة – خاصة المآذن- وبدأت الشمس تسطع بقوة، وفرحنا لدخولنا (باب مكة) في حوالي الساعة الثامنة صباحاً.

لقد قطعت دوابنا مســـافة تتراوح بين أربعة وأربعين وأربعة وستين ميلاً، وكنا قد ســـرنا أحدى عشر ساعة ســـيرا فعليا، وتوقفنا حوالي ثلاث مرات، وكان مسيرنا ذات ليلة – بشكل عام – في رمال عميقة . لقد عبرت هذه الحمير مدخل جُدَّة المقنطر، وهي تجري خببا برشاقة تكاد تماثل رشاقتها عند بوابة الرحلة»(٣٠٩).

رتشارد برتون في جُدَّة:

دخل رتشارد برتون إلى جُدَّة يوم ٢٢ من ذي الحجة عام ١٢٦٩هـ الموافق ٢٦ سبتمبر ١٨٥٣م،(٣١٠). وقال عن هذه المدينة العريقة: «لقد شعرت وأنا في جُدَّة أنني عدت لموطني مرة أخرى، فقد كان منظر البحر باعثا على النشاط»(٣١١).

ويذكر برتون أن عدة كتّاب قاموا بوصف جُدَّة. وذكر أن بركهارت خصص لها مائة صفحة في كتابه . وقال: إن كتب م ماري(Mari) وشـــيدفوا(CHEDUFU)

٣٠٨- المصدر السابق، ص/١١٣ .

٣٠٩- المصدر السابق، ص/١١٥ .

٣١٠- رالى، اغسطس، مكة لمكرمة في عيون رحالة نصارى، مصدر سابق، ص/٢١٩.

٣١١- برتون، رتشارد: رحلة برتون إلى مصر والحجاز، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص/١١٥ .

تحدثت عن جُدَّة أيضاً . وبين برتون أن رحالان فرنسيان هما جلينر (GALINIAR) وفرى(FERRET) قاما بنشـــر قوائم المواد التجارية المتداولة في جُدَّة في أيامهما، وقال برتون: إنهما رجعا لمصادر كالتي رجع إليها باحث الدراسات العربية الشهير م. فرزنـــل(FRESNEL) وقد قام مؤلف كتاب (الحياة في الحبشـــة) بترجمة هذه الأعمال(٣١٢).

ويستطرد برتون قائلاً: «وقد أخبرنا عبدالكريم الذي كتب سنة ١٧٤٢م: أنه كان للفرنســـيين مصنع في جُدَّة، وفي سنة ١٧٦٠م – عندما عاود بروس(BRUCE) زيارة جُدَّة، وجد أن لشركة شرق الهند مركزاً تتخذه منطلقا لتوزيع بضائع في المناطق المجاورة»(٣١٣).

جُدَّة بعدسة ذاكرة رتشارد برتون:

ســـطر يراع رتشـــارد برتون بعضاً مما سجلته عدســـة ذاكرته عن مدينة جُدَّة . فهذا الرحالة الذي عشـــق بحر جُدَّة والـــذي قال عن أهل جُدَّة إنهم «متحضرين جداً»(٣١٤).

اكتفـــى بما كتبه بعض الرحالة الغربيين الذين ســـبقوه في القدوم إلى هذه المدينة العريقة، فلم يتحدث كثيراً عن مســـاكن جُـــدَّة أو متاجرها أو غير ذلك واكتفى بالحديـــث عن بعض الاضطرابات والقلاقل التي كانت جُدَّة تمر بها أبان زيارته لها كما تحدث عن بعض التجارب الشـــخصية التي مر بها عندما كان في جُدَّة، ما ننقل بعضاً منه هنا:

لقد كانت جُدَّة عندما زرتها في حالة مضطربة بسبب العبور المستمر للحجاج، وكانت المؤن للســـبب نفسه – وهو كثرة عبور الحجاج- نادرة شحيحة والوكالتان الكبيرتـــان اللتان تفخر بهمـــا جُدَّة، كانتا مزدحمتين بالمســـافرين فلم يجد كثيرون مناصاً من الإقامة في الميادين .

٣١٢- المصدر السابق، ص/١١٧ .
٣١٣- المصدر السابق، ص/١١٧ .
٣١٤- المصدر السابق، ص/١٢٠ .

ويقول برتون في وصفه للحجاج في جُدَّة:

كانت الساحة الواسعة الواقعة أمامنا تشهد وصول حجاج ومغادرة آخرين .

وكان برتون يقضي بعض الوقت في قنصلية بلده في جُدَّة ويصف زيارته للقنصلية بقوله: «تعودت أن أقضي نهاري في مقر نائب القنصل وهو تصرف قد لا يكون آمناً لكن إغراء مقابلة أهل وطني والدردشة عن العمل، كان إغراء لا يمكن مقاومته».

ويتحدث برتون عن مقابلته بعض كبار تجار جُدَّة في القنصلية فيقول:

«قابلت هناك كبار تجار جُدَّة، ومنهم الخواجا سوير (Sower) اليوناني وانتون (M.Anton) وهو مسيحي من بغداد وغيرها» .

ثم يتحدث برتون عن مقبرة أمنا حواء التي زارها وأفرد عدة صفحات من كتابه لها قائلا: «أسرع الآن في القيام بآخر زياراتي . فخارج مدينة جُدَّة توجد مقبرة «ستنا حواء» اتجهت شمالاً أنا والولد محمد على متن حمارين وعبرنا بوابة مكة واتخذنا اتجاها شماليا شرقيا في سهل رملي . وبعد نصف ساعة وصلنا ووجدنا الباب مغلقاً . وكان قبر «ستنا حواء» يقع بين عرائش وأكواخ ومقاهي»[٣١٥].

ثم يصف برتون القبر المزعوم لأم البشر حواء، فيقول:

«طول القبر من الرأس للخصر ١٢٠ خطوة، ومن الخصر لعقب القدم ٨٠ خطوة، أما طرفا القبر (المزعوم) فينتهيان بحواجز من أوتاد خشبية. وكان محيط القبر مائة خطوة وتسعين خطوة»[٣١٦].

ويقارن برتون شكل قبر حواء المزعوم عندما رآه مع أوصاف هذا القبر كما أوردها عدة رحالة زاروا المقبرة قديماً وكتبوا عنها في كتب رحلاتهم. ويستنتج برتون من ذلك أن: «البناء الحالي للقبر حديث» .

٣١٥- المصدر السابق، ص/١٢٠ .
٣١٦- المصدر السابق، ص/١٢١ .

ويقــول برتون إنه قيل له في جُــدَّة أن: «القبر القديم كان عبارة عن حجر عند الرأس وآخر عند القدمين، وقبة عند السُّرّة»[٣١٧].

برتون يغادر جُدَّة:

يصــف برتون مغادرته لمدينة جُدَّة قائــلا: «وهكذا انتهت رحلاتي إلى حين . فركبت في السادس والعشرين من سبتمبر السفينة (الدورقة–Dwarka) وقد أرهقني التعب، وأنهكتني الحرارة الشــديدة – وكنت ممتنا للكرم واللطف الذي شملني بهما الســيدان: ولي Wolley (قائد السفينة) وتايلور Taylor (كبير ضباط السفينة)، واندهشت –للحظة– كيف أن الحجاج الأتراك المتزاحمين في السفينة لم يقذفوا بي إلى البحر. وفي الوقت المحدد وصلت إلى السويس»[٣١٨].

هكذا كانت مدينة جُدَّة عندما زارها الرحالة البريطاني الشــهير الســير رتشارد برتون، وسطر لنا ببراعة بعضاً مما سجلته عدسة ذاكرته مما شاهده في مدينة جُدَّة في وقت زيارته لها في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي وتحديداً في عام١٨٥٣م.

٣١٧– المصدر السابق، ص/١٢٢ .

٣١٨– المصدر السابق، ص/١٢٣ .

شارل ديديه
Charles Didie

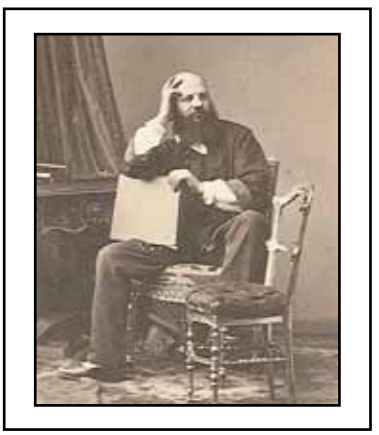

شارل ديديه – المصدر: البيان، مستشرقون لبسوا ثياب الحج إلى مكة .

الرحالة الفرنسي شارل ديديه الذي قدم إلى جُدَّة عام ١٨٥٤م . وقد قال ديديه إن رحلته تلك «ليس لها أي هدف سياسي، وأن المصادفة وحدها هي التي قادته إلى الجزيرة العربية»[٣١٩].

وقد سجل ديديه وقائع رحلته في كتاب وسمه (رحلة إلى الحجاز) . وقد قدم الأستاذ الدكتور محمد خير البقاعي في كتابه (من رحلات الفرنسيين إلى الجزيرة العربية) تلخيصاً لهذه الرحلة ننقل منه هنا بتصرف:

ونخلص من قراءة الرحلة أنها بدأت في سنة ١٢٧٠هـ (١٦ يناير ١٨٥٤م) من القاهرة وانتهت في ١٢٧٠هـ (١١ مارس ١٨٥٤م). تقع الرحلة في ٣١١ صفحة قسمها الكاتب ثلاثة عشر قسماً عداً المدخل، وجاءت عناوينها كالأتي:

القسم الأول من (١) إلى (٢٢) صحراء السويس، من (٢٣) إلى (٣٢)

٣١٩- ديديه، شارل: رحلة إلى الحجاز، دار الفيصل الثقافية، (١٤٢٢هـ)، ص/ ٢ .

السويس، من (٣٣) إلى (٤٥) الطور، من (٤٦) إلى (٩٢) جبل سيناء، من (٩٣) إلى (١٢٠) البحر الأحمر، من (١٢١) إلى (١٤٦) جُدَّة، من (١٤٧) إلى (١٦٣) لوحة نابضة بالحياة، من (١٦٤) إلى (٢٠٣) الأشراف، من (٢٠٤) إلى (٢٣٥) من جُدَّة إلى الطائف، من (٢٣٦) إلى (٢٦٥) في الطائف، من (٢٦٦) إلى (٢٩٢) من الطائف إلى جُدَّة، من (٢٩٣) إلى (٣٠٢) بعض التأملات، من (٣٠٣) إلى (٣١٠) مغادرة جُدَّة، وفي ص (٣١١) ثبت المحتويات .

ثم يقول البقاعي: إن أهم ما في هذه الرحلة مما يخص الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي هو حديث المؤلف عن مجموعة من المدن الحجازية، وهو حديث العارف لأن الرجل أقام فيها، واختلط بأهلها، واستقبله القائمون على الأمور فيها، وإن كان حديثه عن السويس والطور وجبل سيناء لا يخلو من أهمية نلمسها في ذلك الوصف الرائع للأماكن التي مر بها المؤلف.

ويسجل الدكتور البقاعي إعجابه بالرحلة وصاحبها فيقول :

«يدعي مؤلف هذه الرحلة أنه ليس في مهمة سياسية أو عسكرية، وإنما هو مسافر يسجل ملاحظاته، ويتمتع بإحساس مرهف يلتقط الأشياء، إنه أديب مثقف تبدو براعته في تلك اللوحات الوصفية الرائعة التي رسمها بكلماته للطبيعة باختلاف أنواعها البحر والبر، والجبل والسهل، والصحراء والأراضي الخصبة، وللبشر أمراء كانوا أم أُناساً عاديين أم خدماً، أتراكاً وعرباً وأوروبيين . إن هذه الرحلة لوحة تزخر بجوانب الحياة كلها إبان الأشهر التي قضاها المؤلف متنقلاً بين جنبات مصر وشبة الجزيرة العربية».

ثم يستطرد الدكتور البقاعي في تسجيل إعجابه بالرحلة وصاحبها فيقول:

«إن لغة المؤلف العالية، والقدرة الوصفية الهائلة تذكرنا بالكاتب الفرنسي الكبير إميل زولا في أوصافه الرائعة، وقد كان زولا يبلغ من العمر أربعة عشر عاماً عندما قام ديدييه برحلته، وكان عمره سبعة عشر عاماً عندما نُشِرت رحلة ديدييه، فهل قرأ زولا ما كتب ديدييه؟» كل ذلك يدل على المستوى الثقافي الذي يمتلكه الكاتب، ويدعونا إلى الاهتمام برحلته، تقول مقدمة الرحلة التي يبدو أن ناشر

شارل ديدييه في صحراء السويس نحو الحجاز عام ١٨٥٤م

الكتـــاب وصفها في مدخله: «إن المؤلف الذي كره باريس وفرنســـا وأوروبا كلها بســـبب ظروف خاصة وعامة، ذهب يبحث عن الطمأنينة والنسيان في الشرق، فقضى في القاهرة فصل شـــتاء فائق الجمال ما زال يحتفظ بذكرياته الجميلة عنه، وبينما كان يســـتعد للعودة إلى أوروبا، وحصل على تأشـــيرة للذهاب إلى أثينا إذ جاءه أحد البريطانيين، وعرض عليه أن يشتركا في دفع مصروفات رحلة إلى جبل سيناء مع إمكانية الذهاب إلى الجزيرة العربية حتى جُدَّة».

ثم يقـــول البقاعـــي «إن طبع ديدييه المحب للترحال، الـــذي يدفعه إلى التنقل، وحب الحركة جعلاه يحســـم الأمر بعد ســـاعة، وكان جوابه بالإيجاب، وتحدد يوم الانطلاق في ســـنة ١٢٧٠هـ (١٦ يناير «كانون الثاني» عام ١٨٥٤م)، ووجد نفسه متجهاً إلى الجزيرة العربية بدل الذهاب إلى أوروبا»[٣٢٠].

ترجمة شارل ديدييه :

يقدم الدكتور محمد خير البقاعي مترجم ومحقق كتاب رحلة شارل ديدييه ترجمة لحياة صاحب الرحلة فيقول:

٣٢٠- البقاعي، أ.د محمد خير : من رحلات الفرنســـيين إلى الجزيرة العربية، التراث، الرياض، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، ص ص/ ٢١-٢٣ .

شارل ديدييه Charles Didier، أديب، وشاعر، وصحفي سويسري من أصل فرنسي، ولد في جنيف عام ١٨٠٥م، وكانت أسرته البروتستانية قد هربت إليها طلباً للحرية الدينية، درس ديدييه في جنيف، القانون، وعلم النبات، والرياضيات، ثم عاد إلى باريس وأستقر فيها، وأكتشف ميله إلى الرحلات . ونشر أولى قصائده الشعرية في جنيف عام ١٨٢٥م، وفي عام ١٨٤٨م أرسلته حكومته في مهمة رسمية إلى بولندا، فأصبح خبيراً بشؤون تلك البلاد، وكذلك ألمانيا وما جاورها. وعمل في الصحافة، وأدار جريدة سياسية وأدبية اسمها Le Courrier Du Leman «لو كوريه دو لومان»، وكانت له صلاته مع مشاهير عصره، وخصوصاً الروائية الفرنسية التي برعت في تصوير الحياة الريفية ج صاند G.Sand (١٨٠٤-١٨٧٦م)، وتعاون معها، لإصدار جريدة «العالمين» Les Deux Mondas، وفي عام ١٨٤٩م أصدر كتيباً عنوانه: زيارة لدوق بوردو Un Visite M Le Duc De Bordeaux أحدث ضجة وطبع خمسة عشر طبعة خلال أسبوعين . وكان المغرب أول بلد عربي يزوره ديدييه في عام ١٨٣٣م . ثم ذهب بعد ذلك إلى إيطاليا وإسبانيا، وعندما أصابه الإجهاد والإحباط من عمله، ومن مجموعة من المشكلات العامة والخاصة كما تشير مقدمة ناشر الرحلة، قرر القيام بمجموعة من الرحلات إلى إسبانيا، ومراكش، والجزيرة العربية، وسنار، ومصر . ونستنتج مما ورد في الرحلة / ٢٧٤ و ٣٥٠/ (من الأصل الفرنسي) أن المؤلف كان على وشك أن يفقد بصره إبان الرحلة، وقد شكا في غير موضع منها ضعفه، يقول في /٢٧٤/ : « ... أرخيت العنان لبصري، ليجول في قبة السماء الواسعة المتلألأة، التي لم تكن قد انطفأت بعد في نظري كما هي الحال عليه اليوم»؛ وهذا يعني أن المؤلف كان في عام ١٨٥٦م قد فقد بصره لأن هذا التاريخ (٢٠ أكتوبر(تشرين الأول) ١٨٥٦م) هو تاريخ مقدمة الناشر، ويبدو أن ديدييه فقد بصره قبل هذا التاريخ، وأملى رحلته إملاءً . يقول في (ص/٣٠٥/): إن فقدان بصره منعه من الذهاب إلى بغداد عبر دمشق وحلب وصحراء الرافدين الواسعة، ليصل بعد ذلك إلى إستانبول، ولم ينجز من ذلك إلا مرحلة صغيرة .

وقد تلقى رسالة من أسرة صديقه محمد علي شمس الدين في ١٥ فبراير ١٨٥٥م، وكان قد نزل في بيت أسرة شمس في الطائف، وظل على علاقة بهم، وأثبت ترجمة

الرسالة (إلى الفرنسية بالطبع) في نهاية الفصل الأول الذي تحدث فيه عن الطائف (ص/٢٦٥-٢٦٦/) . وجاء في ترجمته في معجم لاروس القرن العشرين أنه مات منتحراً في ١٣ مارس في باريس عام ١٨٦٤م بعد أن أصيب بالعمى. وله كتب عديدة ؛ منها عدد من قصص رحلاته وأشهرها: سنة في أسبانيا (طبع في بروكسيل عام ١٨٣٧م)، حملة على روما (١٨٤٢م)، جولة في المغرب (١٨٤٤م)، ورحلته هذه (١٨٥٧م)، وخمسون يوماً في الصحراء (١٨٥٧م) (جاء في بعض المصادر باسم أربعون يوماً في الصحراء)، وخمسمائة فرسخ على النيل (١٨٥٧م)، وليالي القاهرة (١٨٦٠م) وغير ذلك .

ويقول البقاعي عن كتابات ديدييه: «وقد راجعنا كتب رحلات ديدييه غير المترجمة فوجدناه كما يقول كاريه في كتابة عن الرحالة والكتاب الفرنسيين في مصر: لا يهتم بوصف الآثار والقصور، وإنما يركز على البشر والجوانب الاجتماعية، وخصوصاً في كتابة «خمسمائة فرسخ على النيل»، الذي يتحدث فيه عن مشاهداته على ضفاف النيل، وعن زيارته للخرطوم، وسنار، ومقابلته رفاعة الطهطاوي، وله رواية سماها روما تحت الأرض (١٨٣٣م) Rome Souterraine، قدم فيها صورة حية وطريفة عن الحياة الاجتماعية والسياسية في إيطاليا، وعن الحركة الثورية، وهي في مجلدين صدرت لها طبعة معدلة عام ١٨٤١ و ١٨٤٨م».

ثم يخبرنا الدكتور البقاعي أن ديدييه التقى خلال رحلته من القاهرة إلى السويس بالرحالة الإنجليزي المشهور ريتشارد برتون (١٨٢١-١٨٩٠م) Richard Burton الذي كتب رحلته بعنوان : قصة رحلة شخصية للحج إلى مكة والمدينة، وترجم ألف ليلة وليلة وغيرها إلى اللغة الإنجليزية، ولما طبعت رحلة برتون لم يشر هذا الأخير إلى ديدييه إلا في حاشية علمنا منها اسم الإنجليزي الذي كان يرافق ديدييه، الذي لم يذكر اسمه أبداً، ولكنه تحدث عنه فقال : «... يتحدث العربية، ويكتبها عند الحاجة، وكان يتجول منذ سنين في الشرق...»، ثم أعاد الحديث عنه باستفاضة في الفصل الذي خصصه للطائف، لأنه كان منزعجاً من تصرفاته واستعلائه[٣٢١].

٣٢١- ديدييه، شارل: رحلة إلى الحجاز، مصدر سابق، ص ص/ ١٧-٢٢ .

خط سير رحلة شارل ديدييه إلى جُدَّة :

وصف ديدييه في كتابه خط سير رحلته من القاهرة إلى السويس، وجبل سيناء، ودير سانت كاترين، ومدينة الطور، ثم تحدث عن اجتيازه البحر الأحمر، وتحدث عن ينبع، والطائف، كما وصف الطريق بين جُدَّة والطائف ذهاباً وإياباً حيث عاد ديدييه إلى جُدَّة قادماً من الطائف في طريق غير التي كان قد سلكها في رحلة ذهابه من جُدَّة إلى الطائف

وعن خط سير رحلته وما يميز هذه الرحلة يقول الرحالة شارل ديدييه :

« لم أكن في عجلة من أمري، ولم يكن هدفي من الرحلة قطع أطول مسافة في أقصر زمن ممكن، لذلك لم ألجأ إلى أي من وسيلتي النقل اللتين ذكرتهما (العربات التي سيرتها حكومة مصر من القاهرة إلى السويس واستخدام إدارة العبور (الترانزيت) المكلفة نقل الأمتعة والركاب)، بل عمدت إلى وسيلة أكثر بطءاً، ولكنها أكثر إثارة وتثقيفاً، لقد رافقت السكان الأصليين، نصبت خيمتي على الطريق، وقضيت فيها ثلاث ليالٍ، واستغرقت الرحلة مني (من القاهرة إلى السويس) زمناً يزيد على وقت العربات بثماني مرات».

انتقل ديدييه من القاهرة إلى السويس على ظهر حمار وكان معه شخصان آخران. وقد لاحظ ديدييه أن المسلمين أكثر رفقاً بالحيوانات من غيرهم . وقد أبدى ديدييه إعجابه بحماره وقال عنه إنه: رشيق، حسن الهيئة، ممراح، قدماه دقيقتان، وأذناه مستقيمتان مدببتان. كما قال إنه : شجاع ولا ينال التعب من همته، وقناعته بالمأكل والمشرب فهي مضرب المثل؛ فهو يكتفي بقبضة من الفول في اليوم، ويمكن أن يسير ثلاثة أيام دون أن يشرب في جو ترتفع فيه درجة الحرارة ما بين ٣٥ و ٤٠ درجة، «ولا يمكن لأي حصان أن يقارعه، وهو ينافس في ذلك الجمل نفسه». ويبين ديدييه أن لهذا النوع من الحمير القوية قيمة مادية كبيرة. وذكر أن أحد أصدقائه الأطباء تلقى هدية من أحد نواب الملك (في مصر) حماراً أبيض اللون قُدِّرَ ثمنه من ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ فرنك.

وعندما وصل ديدييه إلى السويس وصفها وقال :

«إن موقع السويس الهام، في قلب خليج على البحر الأحمر، جعل منها منذ أمد بعيد مركزاً تجارياً مهماً». وقال إن السويس صحراء قاحلة وأن المدينة تكاد «لا تستحق الوصف، شوارعها وأزقتها ضيقة وملتوية». وقال عن بيوت السويس أنها: «سيئة العمارة، لا يهتم أصحابها بترميمها، وأغلبها من الخشب أو اللبن». وقال: إن بالسويس سوق واحد « يفتقر في ثلاثة أرباع السنة إلى الحاجات الضرورية جداً: تلك هي اليوم حال تلك المدينة، التي كانت في سالف الدهر مزدهرة بلا شك، ويمكن أن تعود إلى ما كانت عليه من ازدهار بل أكثر عندما يتم فتح القناة التي ستجعل منها واحداً من أهم الموانئ التجارية».

والتقى ديدييه الرحالة البريطاني الشهير رتشارد برتون في السويس . إلا أن برتون لم يكن ينوي السفر إلى جُدَّة كما هو حال ديدييه بل كان ذاهباً للالتحاق بوحدته العسكرية في بومباي . وقال ديدييه أن الحاج عبدالله (برتون) أهداه نسخة من القرآن الكريم . وكان على المصحف إهداء باللغة العربية بخط يد برتون.

وقال ديدييه أنه غادر السويس متوجهاً إلى جُدَّة بصحبة رفيق رحلة واحد، «وهو إنجليزي أيضاً، يتحدث العربية جيداً، ويكتبها عند الحاجة، وكان يتجول مسافراً في الشرق منذ عدد من السنين، وإن حياة المغامرة التي كان يعيشها تستحق أن أشير إليها، وربما سأخصها فيما سيأتي بإشارة تكاد تكون غير مشرفة».

ويذكر محقق الكتاب في الحاشية أن برتون ذكر في كتابة أن اسم مرافق ديدييه الإنجليزي هو: «هاملتون Hamilton ويقول المحقق: أن ديدييه ورفيق رحلته دفعا ١٠٠٠ قرش (ما يعادل ١٠ جنيهات إسترلينية) أجرة السنبوك من السويس إلى جُدَّة. ومن السويس أبحر ديدييه ورفاقه يوم الحادي والعشرين من يناير في الساعة الثانية متوجهين إلى الطور عبر سفح جبل أبو دراج حيث قضوا الليل هناك لأن « مراكب البحر الأحمر لا تمخر عباب البحر إلا في النهار» .

وفي الطور وجد ديدييه أن جالية يونانية تسكن الطور وأن شيخ الطور هو أحد أفراد هذه الجالية . وقال ديدييه: إن أفضل ما في الطور هو ماؤها : وان المراكب التي تمر في هذه المنطقة لا تعدم التزود بالماء وتخزينه . ومن الطور ذهب رحالتنا إلى جبل سيناء التي تفصلها عن الطور خمسة وعشرون فرسخاً بحسب ديدييه .

وقال: إن هذا يعني أن الجمل يحتاج إلى خمس وعشرين ساعة لقطعها[٣٢٢].

البحر الأحمر كما وصفه ديدييه :

وصف لنا الرحالة ديدييه المركب الذي استقله ليعبر على ظهره البحر الأحمر فقال:

يسمى المركب الذي صعدت ظهره في البحر الأحمر السنبوك . طوله ٦٠ قدماً، وعرضه ١٥ قدماً، ولم يكن مُجسراً إلا في الخلف حيث يرتفع ضرب من الكوثل، أعدوا تحته خلوة أطلقوا عليها اسم مقصورة ولا فخر . وهي واسعة تكفي لاحتواء مرتبتين ولا شيء غيرهما، كنا ننام هناك، أما في النهار فكنا نعيش في الهواء الطلق على الكوثل . وإن للسنبوك الذي يسير بالتجديف شراعين يكادان يكونان لاتينيين، أحدهما في مقدمة السنبوك، ويمتد بكاملة خارج السنبوك عندما ينفخه الهواء.

ويبين ديدييه أن هذا السنبوك كان مصنوعاً من خشب هندي قاسٍ جداً يُسمى: الساج. وقال ديدييه أن مالك هذا السنبوك هو الشيخ عبدالغفار أحد تجار جُدَّة الأثرياء . وقال : كان على متن السنبوك بالإضافة إلى الريس، فريق مكون من عشرة بحارة، بالإضافة إلى خادم .

ثم يبين ديدييه أن البحر الأحمر يُعد من «واحدً من أخطر البحار»، حيث تعبره في كل الاتجاهات تيارات مائية، وتملؤه الصخور البحرية والشعاب المرجانية بالإضافة لتعرضه لعواصف هوائية عاتية[٣٢٣].

أبحر ديدييه ورفاقه من الطور فجراً وتجاوزوا رأس محمد في بحر عنيف هائج ووصلوا خليج العقبة واضطروا للاستمرار في الإبحار ليلاً بالرغم من أن السفن عادة لا تبحر ليلاً في البحر الأحمر. ومع غياب شمس اليوم الثاني كانوا قد وصلوا إلى جزيرة رملية اسمها نعمان قرب ضبا وبدأت سلسلة من الجبال تظهر للعيان، نقل

٣٢٢- المصدر السابق، ص ص/ ٦١-٨٩ .

٣٢٣- المصدر السابق، ص ص/ ١٣٧-١٣٩ .

ديدييه أسماءها من رئيس البحارة وكان أكثرها ظهوراً: جبل رعال وسفخة وكركما.

ويصف ديدييه البحر الأحمر فيقول: «وإذا انحدر النظر من الجبال إلى البحر فإننا نُؤخذ بتنوع الألوان الذي ينتج حسب ظني، عن اختلاف الأعماق: فهو هنا لون أخضر مائل إلى السواد، وهناك لون أبيض معكر؛ وفي مكان آخر يتلون بفروق اللون الأزرق كلها من الأزرق الصافي إلى الأزرق النيلي الغامق جداً ؛ وهو في كثير من الأمكنة يكتسي اللون الأحمر القاني . وإن هذا اللون يكتسب البحر دون شك من الرصيف المرجاني الضخم الذي ينتشر فيه وفي كل الجهات، وأنه من المحتمل على الأقل أن هذا البحر اكتسب اسمه من هذا الظرف الطبيعي».

ويذكر ديدييه أنهم توقفوا في الليلة الأولى بين دكتين من الصخر تظهران على وجه الماء، ووصفهما بإنهما ملجأ ممتاز للاحتماء من المد البحري، لأن الموج يأتي ليتحول إلى زبد في كلا الجانبين، في حين أن الوسط يبقى هادئاً تماماً . وقال: إن اسم ذلك المكان هو «أبو حرير» .

ثم في الليلة التالية رسوا بين جزيرتين تفصلهما قناة ضيقة ليحتموا بهما وكان اسم الجزيرة الأولى لبانة والأخرى جبل حسان، وقال إن (جهينة) القبيلة العربية المعروفة تسكن تلك الجزيرتين أيام الرعي . وذكر ديدييه أنه يوجد هناك قبر لشخص يدعى الشيخ (حسن المرابط) بالقرب من ذلك الموقع .

وبعد الخامس من فبراير ذكر ديدييه أنهم شاهدوا اليابسة مرة أخرى حيث رأى في الأفق مدرجات جبلية قال إنها رائعة يتلو بعضها بعضاً وقال إن أقرب سلسلة لهم كانت تسمى (نبط)، وأبعدها (أبو غرير). وقال : وتعلو قمة جبل (المهْر) المخروطية على كل القمم الأخرى، وأن تلك الجبال تمتد نحو الجنوب، وخلف هذه الجبال تقع المدينة المنورة، ووراءها باتجاه الشمال الشرقي صحراء نجد الشاسعة التي يفصلها عن بغداد جبل (شمر)، ويوجد في تلك الصحراء أكثر جياد الجزيرة العربية قيمة.

ثم يقول ديدييه :

وبعد أن تجاوزنا من مسافة بعيدة جداً (رأس بريدي) توقفنا للمرة الثالثة في

عرض البحر، بعيداً عن التيارات البحرية العميقة المحملة بالصخور، يساعدنا في ذلك استمرار الطقس الرائع . وأجد نفسي عاجزاً عن وصف ذلك الجمال، الذي يستعصي عليَّ الوصف لتلك الأمسيات التي قضيناها في عرض البحر، روعة غروب الشمس التي كانت تتكرر في كل يوم، ولكنها كانت تختلف على الدوام. أما في هذا اليوم، فقد كان المشهد أكثر تألقاً أيضاً من اليوم السابق لو كان بالإمكان ذلك، كانت ألوان السماء والبحر أكثر توهجاً، والطبيعة كلها أكثر روعة وأكثر هدوءاً. لم يكن في البحر موجة واحدة، ولم يكن في السماء أية سحابة . وكانت قمة جبل (رضوى) التي كنا نراها من موقعنا الذي رسونا فيه، مضاءة وكأنها منارة ضخمة، وكانت ما تزال تلمع، مع أن الشمس اختفت خلف البحر . ومع أن نجم سهيل كان يتربصها عن قرب، ويسبح في فلكها المتوهج فإنه كان يلمع على حافة الأفق لمعاناً فريداً . وكانت النجوم الطالعة شاحبة حوله، ولا تبدأ بالالتماع إلا عندما تبدو هي نفسها تسبح في المدى الرحيب.

ثم تحدث ديدييه عن ميناء ينبع الذي قال: إنه يبعد عن المدينة المنورة مسيرة خمسة أيام إلى الشرق، وميناؤها واسع، وآمن جداً، لأنه محمي بجزيرة العباسي ويغشاه الناس كثيراً. وقد تجول ديدييه في مدينة ينبع ووصف ما رآه باختصار أحياناً وبتوسع في أحيان أخرى.

وتحدث ديدييه عن قبطان مركبهم (الريس) وقال إن اسمه خليل سلام وقال إنه كان في البحر يرتدي قميصاً من القطن، ولكنه عند النزول إلى اليابسة، كان يلبس ثياباً جميلة من الحرير . وقال إن هذا (الريس) كان «رجلاً محبباً جداً، مفضالاً، ومؤدباً»، وامتدح مهارته في الإبحار .

استمر مركبهم في التوجه إلى جُدَّة بعد مغادرة ينبع ومروا على عدد من المدن والقرى على الساحل، من بينها (الجار) (والذي يسمى في يومنا هذا في القرن الواحد والعشرين الميلادي – الخامس عشر الهجري (الرايس). وقال إنهم لم يستطيعوا رؤية تلك الأماكن إلا بالمنظار. وذكر (مستورة) وقال إنها: إحدى محطات قافلة الحج المصرية، كما ذكر (رابغ). وتحدث عن أخطار الصخور المفتتة والشعاب المرجانية في البحر الأحمر وقال إن أخطرها تدعى (أم الحبلين).

وفي اليوم الأخير من رحلتهم قطعوا ما يقارب (٧٠) ميلاً حتى الساعة الثامنة مساءاً، وهي الساعة التي دخلوا فيها (جُدَّة) بعد أن استغرقت رحلتهم إحدى عشر يوماً وهي فترة قال عنها ديدييه إنها استثنائية مما يعني «أننا كنا نبحر بسرعة ممتازة»، خاصة أنهم كانوا يتوقفون الليل كله . وذكر ديدييه أن البحر الأحمر غني جداً «بالأصداف التي تحتوي على أحجار كريمة» وأن به وخاصة في مياه جُدَّة «كثيراً من السمك الطائر الذي يسميه العرب: جراد البحر».

وقال ديدييه إن الريس (القبطان) خالف أنظمة الشرطة المحلية، عندما دخل ميناء جُدَّة في الليل . وقد عوقب على ذلك بالسجن .

وبعد أن قضوا تلك الليلة على متن سفينتهم انتظاراً لساعة المد والجزر المناسبة لمغادرة السنبوك لأن «ميناء جُدَّة مملوءة بالأرصفة الرملية، ومياهه ضحلة حتى إنه ينبغي على السفن أن ترسوا على بعد ٢ إلى ٣ أميال عن الشاطئ (آنذاك)، وقد كانت هناك في قنوات الملاحة سفينة ذات ثلاث صوارٍ جانحة، تقبع هناك شاهداً يثير القلق، ويدل على الأخطار التى يتعرض لها من يخاطرون بدخول الميناء».

ثم يقول ديدييه: «جاء مركب مسطح (صندل) ليحملنا من السنبوك إلى اليابسة، وكان هذا المركب نفسه مجبراً على القيام بالتفافات كبيرة حتى لا يغوص في الرمال، ومع ذلك فإنه اصطدم غير مرة بقاع البحر . ولكننا على الرغم من ذلك، وصلنا أصحاء سالمين، ولكن في الساعة التاسعة، إلى رصيف الجمارك الواقع غير بعيد عن حُصْنٍ، هو في حالة سيئة، ولكنه يثير الإعجاب، ويمثل موقعاً متقدماً في البحر»[٣٢٤].

جُدَّة بعدسة ذاكرة ديدييه :

بعد إن وصل إلى جُدَّة وقضى فيها مدة تقرب من الشهر، قدم ديدييه وصفاً دقيقاً ومفصلاً لمدينة جُدَّة التي زارها في عام (١٨٥٤م) وسننقل بعضاً مما قاله بتصرف هنا:

٣٢٤- المصدر السابق، ص ص/ ١٣٩-١٦٨ .

يقول ديدييه: أخبروني في القاهرة أن جُدَّة ليست إلا حياً صغيراً، وقد تكرر ذلك على مسامعي حتى إنني لم أكن أنتظر رؤيتها على ما هي عليه. كم كانت دهشتي كبيرة عندما وجدتها على العكس مدينة جميلة، مكينة البناء، جيدة التأسيس، تعج بالسكان، نابضة الحياة، ومزدحمة، وجديرة على كل المستويات أن تحمل الاسم الذي تعرف به، ميناء مكة المكرمة، وليست بأقل جدارة لحمل اسمها الذي يعني بالعربية الغنية (الجد بفتح الجيم في لسان العرب – الحظ والسعادة والغنى).

ناهيك عن مياه مينائها الضحلة وأرصفتها الرملية فهي محمية من ناحية البحر بحصن وبسرية مدفعية بينها مدفع ضخم من عيار خمس مئة مليمتر يزرع الرعب في قلوب المهاجمين . والمدينة محاطة من الجهة الأخرى بسور سميك، مرتفع بما يكفي، مصان صيانة جيدة، مسبوق بحفرة عميقة، وعليه أبراج في حالة جيدة . إن هذا المعقل لا يصمد ساعة أمام قصف المدفعية الأوربية، ولكنه على الدوام كان كافياً إبان الحروب التي تدور في البلد، لحماية المدينة ولفرض هيبتها لذلك اشتهرت بأنها مدينة مستعصية على الاحتلال وبأنها أكثر الأمكنة تحصيناً في الحجاز.

ويوجد في هذا السور ثلاثة أبواب، باب اليمن من الجنوب، وباب المدينة المنورة في الشمال، وأخيراً باب مكة المكرمة في الشرق، وهو أجملها ويقوم على حراسته برجان منخفضان منحوتان بمهارة فائقة في الذروة.

ثم يبين ديدييه أن جُدَّة تبعد عن مكة المكرمة مدة (١٥) أو (١٦) ساعة، وقدر عدد سكان جُدَّة بحوالي (١٥) ألف إلى (٢٠) ألف نسمة . وقال إن المدينة تنقسم إلى قسمين كبيرين، حي اليمن، وحي الشام، وهما مسميان بذلك بسبب وضعهما الجغرافي: فحي الشام يقع في الشمال على طريق سورية، وحي اليمن في الجنوب على الطريق إلى اليمن . ثم يبين أن هناك أقساماً أخرى من المدينة صغيرة تسكنها جماعات مختلفة من السكان . وقال إن شوارع المدينة عريضة ونظيفة، تبدأ عادة بساحات واسعة جيدة التهوية تشكل رئتي المدينة . أما بيوتها فهي متينة البنيان، وتتألف من عدة طوابق، وأبوابها على شكل أقواس، وهي مبنية من الحجر، ولها مظهر جميل، ونوافذ واسعة تطل على الخارج، وهذا شيء نادر في البلاد الإسلامية لأن الحياة المنزلية تتم على الدوام داخل البيت الذي يُبنى بطريقة

لا تدع الأنظار ولا الضوضاء ولا غير ذلك تتسرب إلى الداخل. ليس لتلك النوافذ زجاج، بل إن كل فتحاتها مغطاة بشبك من الخشب المفرغ بمهارة عجيبة، ليسمح بالرؤيــة من الداخــل دون أن يتمكن من في الخارج من رؤية من في الداخل . إن تلك النوافذ المتقنة الصنع، البارزة والمقوســة كأنها مشــربيات القاهرة أو شرفاتها، مطليــة بألوان زاهية تتباين مع اللون الأبيض للجدران . وإن كثيراً من الســطوح محاطة بحواجز مفرغة محفور فيها بأناقة زخارف تمثل نفليات (زخارف على شكل وريقات النفل الثلاث – المنهل-) وبعضها أقيم عليها مظلات خشــبية منجورة كالنوافذ، تصعد إليها النســاء لاستنشــاق الهواء الطلــق دون أن يراهن أحد . ويقضي أهل جُدَّة وقتاً طويلاً على الســطوح لأن نســيم البحر يخفف من وطأة الحر الذي لا يكاد يحتمل في الصيف.

ثم يصف ديدييه أسواق جُدَّة فيقول:

يمتد السوق على طول المدينة، ويسير موازياً للبحر، ويتصل به بواسطة شارعين جانبيين. يضم سوق جُدَّة كل أنواع البضائع، أكثرها أجنبي، وكذلك مواداً غذائية محلية أو مستوردة: ونجد أن دمشق وبغداد وفارس ومصر والهند خصوصاً موجودة في هذا الســوق عــبر منتجاتها الطبيعية أو المصنعة. وتســود فيه في كل الأوقات حركة غير عادية، وليس بالسهل أن يشق المرء طريقه بين أتراس البضائع، والجمال والحمالين، ناهيك عن الكلاب الضالة، والمســالمة التي تبحث عن رزقها في هذه الضوضاء.

وتحــدث رحالتنا عن العمالة التي تقوم بالأعمال التي تتطلب قوة في الأســواق والميناء وقال إنهم: في غاية الوســامة، مفتولوا العضلات، ذوو بأس ولون بشرتهم أسمر شديد الدكنة. وقال إنهم: يحصلون على أجور غالية لقاء خدماتهم.

وتحدث ديدييه عن تنوع اللغات والعادات في جُدَّة في زمن زيارته لها كما تحدث عــن تنوع الأجناس الموجودة في المدينة آنذاك مــن عرب المدن وعرب الصحراء، وتجار مســقط والبصرة، ومن الأتراك والســوريين، واليونانيين، والمصريين، والهنود وغيرهم.

وتحــدث أيضاً عن بعض الصناعات المحلية مثل صناعــة الخواتم من (العقيق)، والســبح من (اليســر) نظراً لتوفرها في البحر الأحمر، حيث تستخرج أجود أنواع اليسر قساوة ولمعاناً من جنوب جُدَّة.

وقال ديدييه إن الأغراب يتمتعون في جُدَّة بكامل حريتهم ويعيشــون في أمن. وأعطــى مثلاً أنــه كان يتجول وحده في أنحاء المدينة كلهــا، في كل أوقات الليل والنهار «فلم يتعرض لي أحد بشتم قط، ووجدت من الناس كلهم لطفاً وفضلاً». وقــال إن أكثــر أهل جُدَّة كانوا يعملون في التجارة «الــتي توفر المال نقداً، والتي يغتنون منها على العموم» . وقال إنهم (أهل جُدَّة) نشــيطون وخبراء، ووصف لون بشــرتهم قائلاً: «إن لون بشرتهم أسمر شديد الدكنة» وقال: إنهم يفرطون في اقتناء أدوات الزينة «شأنهم شأن أهل مكة».

ووصف رحالتنا ملابس أهل جُدَّة زمن زيارته لها فقال:

ملابس الرجــال الداخلية مصنوعة من الحرير المضلع ذي الألوان الجذابة، وهي مشــدودة على الخصر بحزام كشــميري، ويلبســون فوقها عند الخروج ثوباً طويلاً مفتوحاً من الصوف الناعم يسمى البنش أو الجبة حسب الفصل، وهي مصنوعة عادة في بغداد. أما رؤوســهم فيغطونها بطاقية بيضاء مزكرشة، يلتف حولها عمامة من الموسلين. والعامة لا يلبسون إلا ثوباً طويلاً من الكتان الخشن [٣٢٥].

وبعــد أن تحدث عن فضائل جُــدَّة ذكر ديدييه بعض ما ضايقه فيها مثل ندرة المــاء وحرارة الجو ورطوبته خاصة الهــواء الجنوبي الذي لا يتحمله الأجانب الذين لم يتعودوا عليه.

ثم تحدث ديدييه عن ثكنة عســكرية رآها في جُدَّة بالقرب من البوابة الشمالية (بوابة المدينة المنورة) وقال :

إن محمــد علي أقامها في جُدَّة . وقال : إن اســم قائد الثكنة إسماعيل بيك . كمــا قال: إنه ليس ببعيد عن الثكنة، هناك عدد من الطواحين الهوائية التي بناها محمد علي لاســتخدام قواته، ثم أهملت بعد رحيله، وهي كانت تستخدم في زمن

٣٢٥- المصدر السابق، ص ص/ ١٦٩-١٧٦ .

ديدييه مقراً للجنود غير النظاميين . وذكر أنه كان يوجد قرب الثكنة مقبرة محاطة بالأسوار، ولها باب محكم الإغلاق، وهي فريدة من نوعها « لم أر في الشرق مثلها، حيث تترك المقابر بلا سياج ولا حارس . وذكر أن تلك المقبرة تسمى مقبرة أمنا حواء .

وتحدث ديدييه عن بعض الظواهر الطبيعية مثل قصر مدة الغسق فقال :

لقد توفرت لي اليوم فرصة مراقبة قِصَر فترة الغسق في هذه المنطقة الاستوائية . كانت الشمس قد غابت منذ قليل، ولم يكن قرصها المتوهج قد غاص بعد في عرض البحر، بينما كان الظلام قد بدأ يلف الجهة المقابلة من السماء، وكان الليل قد نزل تماماً عندما دخلت جُدَّة عبر بوابة المدينة المنورة، وكان سكننا قريباً من هذا الباب، في المنطقة المرتفعة من الحي الشامي (حارة الشام) .

هناك في جُدَّة عدد من الخانات أو الوكالات لسكن المسافرين، يجدون فيها في الوقت نفسه مستودعاً لأمتعتهم أو بضائعهم . ولأنفسهم غرفة خالية من كل شيء ولكن هذه الأمكنة مخصصة للتجار، ولما لم نكن تجاراً ولا نريد أن نظهر كذلك، فإننا حصلنا على منزل كان فيما مضى يقيم فيه قنصل فرنسا، وهو اليوم متروك لسكن العصافير. كان مالك المنزل يقيم في مكة المكرمة، وكان وكيله المفوض في جُدَّة لا يريد أو لا يجرؤ على تأجيرنا المنزل في غياب صاحبه، وكان يقول إنه سيرسل إليه رسالة للحصول على موافقته، ولكننا كنا على عجلة من أمرنا، وبينما كان يتردد، ويطلب وقتاً للتفكير، استقر بنا المقام في المنزل مؤقتاً، ودام هذا المقام المؤقت حتى مغادرتنا جُدَّة، أي شهراً كاملاً: ولما كنا لم نحدد أي مبلغ فإننا دفعنا عند مغادرتنا (٥) تلرات، وهو مبلغ مناسب للأجرة إن لم يكن كبيراً، بسبب الحالة التي كان المكان عليها . إن لم يكن في الحقيقة من السهل إزالة الأنقاض التي كانت تملأ المكان .

وقد استطعنا في نهاية الأمر أن نجعل غرفتين من المنزل مناسبتين للسكن، وكانت أمتعة الرحلة من سجاد ووسائد وفرش كافية تماماً لفرشها .

واستولى طباخنا غاسبارو على المطبخ الذي كان يقع على السطح، أما بقية

الخدم فإنهم أقاموا حيث اســتطاعوا، وكما استطاعوا، وها نحن في مسكننا نعيش كبرجوازيين متحضريين .

ويصف لنا ديدييه الغرفة التي سكن فيها في ذلك المنزل فيقول :

كانت غرفتي في الطابق الثاني، نُقبت لها نافذة ضخمة، مغلقة، أو من المفترض أنها كذلك، بنظام بالغ التعقيد هو عبارة عن مصاريع للضوء تسمح بدخول الهواء والغبار والشــمس والعصافير، لأن الغرفة كانت مليئة بأعشاشها . هاكم ما كنت أراه وأسمعــه عــبر تلك النافذة في الأيام والليالي كلها . بادئ ذي بدء، كنت أرى البحر يمتد امتداداً شاسعاً ليلامس السماء في أخر حدود الأفق، وكان هناك قليل من الأشــرعة التي ترصع هذا الحقل الأزرق، ولكن عُري ذلك البحر كان يزيد من جماله، ويجعل الفكر مستغرقاً في هواجس المطلق التي لا يمكن الحديث عن كنهها .

وإذا عدت إلى الأرض فإنني كنت أرى من علٍ القسم الشمالي من المدينة كله، الســوق الذي كانت تتناهي إليَّ منه أصوات النــاس والجمال، وكنت أرى أيضاً الأســطح التي كنت ألمح عليها في الليل خيال الناس، وكنت أرى أخيراً عدداً من المســاجد التي ترتفع مناراتها . وكان على بعد خطوات مني مسجد صغير وأنيق، وله رواقان خارجيان، وكان له مؤذن كبير في الســن، يصدح بالأذان خمس مرات في اليوم : الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشــاء . وكان بالمسجد منزل يتصل به ويسكنه العلماء .

ثم يصف لنا ديدييه شعوره عندما رأى سفينة فرنسية من نافذته وهو ينظر منها باتجاه البحر فيقول :

كانت نافذتي مَطَلاً أشــرف من خلالها على الميناء كله، لا يدخله أو يخرج منه شيء دون أن أراه. ولقد وصل عدد من القلعيات أو ثلاثيات الصواري المحملات بالسكر والأرز، ناهيك عن مراكب البلد التي كانت تذهب وتجيء في كل يوم.

لقد كانت مفاجأة سعيدة لي، عندما رأيت في صباح أحد الأيام العلم الفرنسي يرفرف على سفينة حربية وصلت في الليل، كانت الحراقه البخارية التي تحمل اسم لوكيمــان Le Caiman، الكابتن كورميــه Cormier من قاعدة الهند، وصل إلى

جُدَّة في رحلة استطلاع . وتحمل السفينة على متنها، ناهيك عن طاقمها المعتاد، حوالي مئة من المدغشقريين المجندين مؤقتاً من جزيرتهم للخدمة على متن السفينة.

ثم يقول ديدييه واصفاً شعوره عند لقائه بطاقم السفينة:

إننا أبناء بلد واحد جمعتهم المصادفة في جُدَّة، وتم التعارف بيننا بعد وقت قليل، وأصبحنا أصدقاء من الساعة الأولى . تناولت طعام الغذاء على متن السفينة غير مرة، وفعل مثل ذلك قائد السفينة وطبيبها في منزلي، وأقيمت في القنصلية الفرنسية حفلة عشاء رسمية كان الواجب يفرض حضورها بسبب مرض القنصل.

وتحدث ديدييه عن التمثيل القنصلي للدول الأوربية في جُدَّة في زمن زيارته لها فقال:

إن لقوتين أوربيتين هما فرنسا وبريطانيا وحدهما قنصلين في جُدَّة . القنصل الفرنسي هو: روشيه دير يكور Rochet D›Hricourt، كان حينئذ على حافة الموت، وقد مات منذ ذلك الحين . أما القنصل أو نائب القنصل البريطاني فهو كول M.Cole وهو في الوقت نفسه، شأنه شأن زميله في السويس، وكيل تجاري لشركة الهند الشرقية.

ويبين ديدييه أن مسكنه كان بجانب مسكن السيد كول، وقال: إنه كان يقضي في منزل كول وقتاً كبيراً . «لقد حملت إليه رسالة من صديق مشترك هو السيد برتون، وقد أسدى لي طوال مدة إقامتي في جُدَّة خدمات جليلة».

ويبين ديدييه أن الغرض من رحلته لم يكن لزيارة جُدَّة فقط، بل وللذهاب إلى الطائف أيضاً. وقال عن الطائف أنها: مدينة صغيرة تبعد مسيرة خمسة أيام إلى الداخل، وهي مشهورة في الجزيرة العربية بغزارة مياهها، وجودة ثمارها، وخضرة بساتينها (٣٢٦).

غادر ديدييه جُدَّة في يوم ٢٣ فبراير (شباط) بصحبة شخص يدعي (الشريف حامد) وبعض الحراس الذين أمنتهم الحكومة لاصطحابه إلى الطائف على ظهور

٣٢٦- المصدر السابق، ص ص/ ١٦٩-١٩٤ .

الهجن . ورافق السيد دوكيه، موثق العقود والمترجم في القنصلية الفرنسية ديدييه إلى الطائف بناءاً على موافقة القنصل الفرنسي بجُدَّة . ورافق ديدييه بالإضافة إلى دوكيه ورفيق رحلته، ستة خدم بينهما أوربيان بالإضافة للشريف حامد وأحد أقاربه، وشخص يدعى أحمد حمودي وهو رئيس جمالة الشريف، بالإضافة إلى اثني عشر حارساً لهم وكانوا مسلحين بالرماح والخناجر.

غادر ديدييه ورفاقه مدينة جُدَّة عن طريق بوابة مكة المكرمة، وتوقفوا في أحد المقاهي قرب منطقة الرغامة، وقابلوا في طريقهم قافلة طويلة من الجمال كانت ماشية في الاتجاه المعاكس.

ويصف ديدييه رحلتهم فيقول:

بدأنا بعد بضعة أميال نرتقي أحد الشعاب المحصورة بين جبلين منخفضين، وكانت النجوم تلمع على قمتيهما كأنها النيران . وكان هناك في أسفل السفح المقابل مقهى البياضة، وهو ثاني مقاهي الطريق . وكنا ننوي الاستمرار في المسير حتى المقهى الثالث، بل أبعد من ذلك، ولكني أصبت بنوبة من الحمى مفاجئة وعنيفة، مما جعل من المستحيل المضي أبعد من ذلك، واضطرت القافلة إلى التوقف في المقهى الثاني لقضاء الليل . في الصباح شفي ديدييه من الحمى وتابعوا طريقهم فوصلوا إلى (حَدّة) وتوقفوا في مقهى حَدّة أكبر المقاهي الأحد عشر كلها، «وتقع تقريباً في منتصف الطريق بين جُدَّة ومكة المكرمة» .

ووصف ديدييه مقهى حَدّة وقال إنه يتألف من سقيفة من أغصان الأشجار يحيط بها عدد من السقائف الصغيرة، وكل ذلك يتشرف بوجود مسجد في الجوار. نجد في هذه المقاهي حليباً وأرزاً، بل إننا وجدنا خروفاً قدمناه هدية للرجال الذين يرافقوننا فأتوا عليه بسرعة كبيرة . كان الحر شديداً، فجلسنا في ظل السقائف نستريح بضع ساعات، ولم ننطلق إلا بعد العصر .

ويصف ديدييه خط سيرهم إلى الطائف فيقول:

كنا حتى الآن نسير بخط مستقيم نحو الشرق باتجاه مكة المكرمة التي كنا نسير على طريقها، ثم غادرنا الطريق فجأة، وانحرفنا نحو الجنوب لنتفادى المرور في المدينة

المقدسة، لأنه يحظر على غير المسلمين دخولها .

واستمر ديدييه في وصف الطريق مروراً بعرفات حتى وصلوا إلى مقهى شداد الواقع أسفل جبل كر حيث استبدلوا جمالهم ببغال، ثم وصلوا إلى (الهدا) حيث استراحوا . ثم بعد ذلك توجهوا إلى الطائف حيث وصلوا أسوارها حوالي الساعة السابعة مساءً، وكانت البوابة مغلقة ولكنها فتحت لهم وانغلقت مرة أخرى بعد دخولهم.

قام ديدييه بوصف مدينة الطائف، وتحدث عن أحد الأسر التي استضافته في الطائف وهي أسرة صديقه (محمد سيد شمس) وقال إنه سكن في منزلهم .

وذكر ديدييه أنه ورفقاءه كانوا «من أوائل الأوربيين الذين قدموا إلى الطائف علناً باستثناء قنصل فرنسي مريض جاء إلى الطائف للاستشفاء».

وقام ديدييه بزيارة لسوق مدينة الطائف ووصف السوق، كما وصف مسجد عبدالله بن العباس رضي الله عنهما.

بعد أن مكث ديدييه في الطائف حوالي أسبوع غادرها في يوم (٢مارس) متوجهاً إلى جُدَّة في طريق رحلة عودته . وقد سلك في طريق العودة طريقاً غير التي أتى منها، وأنه مع الأشخاص الذين قدموا معه ذاتهم . وقد غادروا الطائف عن طريق بوابة (الحزم) ومروا أمام قصر شبرا، وتوقفوا في قرية (القيم) للمبيت في منزل شخص يدعي (قاري).

وفي الصباح وبعد أن تناولوا طعام الإفطار بدأوا يعدون عدتهم للرحيل. وبعد فترة طويلة وصلوا إلى وادي (السيل) الذي وصفه وقال: إنه محاط بالجبال. وبعد مسيرة حوالي اثني عشر ساعة توقفوا في (الزيمه) حيث تناولوا العشاء ثم خلدوا للنوم. وفي الصباح تابعوا مسيرتهم حتى وصلوا (وادي فاطمة) حيث مكثوا في أحد البساتين لمدة سبع ساعات قبل أن يعاودوا المسير.

وصل ديدييه ورفاقه إلى جُدَّة في اليوم التالي ودخلوها عبر باب مكة في حوالي الساعة الرابعة مساءً.

مغادرة ديدييه جُدَّة :

كان ديدييه يفكر في العودة إلى القاهرة إلا أنه غير رأيه نظراً لأن الرحلة عبر البحر الأحمر إلى مصر تستغرق خمسة أضعاف الزمن الذي تستغرقه رحلة القدوم إلى جُدَّة بسبب الرياح الموسمية الشمالية التي تهب على البحر الأحمر على الدوام مما يؤثر على سرعة المراكب والتي كانت شراعية آنذاك.

لذا فقد قرر أن يعبر البحر الأحمر بخط مستقيم من جُدَّة إلى سواكن. وكان ينوي أن يذهب من هناك لركوب النيل سواء من النوبة أو الخرطوم ليذهب عبر النيل إلى القاهرة.

كان ديدييه قد قرر أن يغادر جُدَّة يوم ٩ مارس إلى سواكن على متن سنبوك تم استئجاره من قبل السيد دوكيه بمبلغ زهيد هو خمسين قرشاً.

تأخرت مغادرة ديدييه جُدَّة بسبب وفاة القنصل الفرنسي يوم ٩ مارس فتأخر لحضور مراسم دفنه مع بقية أعضاء القنصلية الفرنسية في جُدَّة آنذاك في يوم ١٠ مارس. وغادر ديدييه جُدَّة في الساعة التاسعة مساءً (١١) مارس من عام (١٨٥٤م) متوجهاً إلى سواكن عن طريق البحر بعد أن قضى في جُدَّة فترة من الزمن تقدر بحوالي شهرٍ [٣٢٧]. زار خلالها مدينة الطائف قبل أن يعود إلى جُدَّة في طريقه إلى مصر، وترك توصيفاً لما سجلته عدسة ذاكرته في كتابه الموسوم (رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٥٤م)، قامت دار الفيصل الثقافية مشكورة بنشره بعد أن حققه الدكتور محمد خيري البقاعي.

٣٢٧- المصدر السابق، ص ص/ ٢٦٥-٣٧٣ .

هاينزيش فرايهر فون مالتسان

هاينزيش فرايهر فون مالتسان، المصدر: كتاب رحلة حجي إلى مكة

عندما عاد الرحالة البريطاني الشـــهير رتشارد بيرتون إلى القاهرة قادماً من جُدَّة بعد أن أدى فريضة الحج عام ١٨٥٣م، قابل في فندق شـــيبرد شـــاباً ألمانياً اسمه فون مالتسان. كان مالتسان هذا يفكر في الذهاب إلى مكة المكرمة بعد أن يشهر إسلامه ولكنه كان متردداً بعض الشيء، إلا أن حديثه مع بيرتون شجعه للمضي قدماً في مشروعه ولكن بعد حين

«كان بحاجة إلى ســـبع سنوات من الأسفار في البلدان الشرقية قبل أن يصبح على معرفة بالعادات الإســـلامية، ويتقن اللهجة المراكشية» . وقد ذهب إلى مكة بشخصية مغربي (٣٢٨).

ترجمة هاينزيش فرايهرفون مالتسان:

تتحدث الدكتورة ريهام نبيل سالم مترجمة كتاب «رحلة حجي إلى مكة .. رحلة إلى المناطق الساحلية والداخلية لبلاد الحجاز».عن حياة صاحب الرحلة هاينرش

٣٢٨- رالي، أغسطس: مسيحيون في مكة، مصدر سابق، ص/١٨١ .

فرايهر فون مالتســـان Heinrich Freiherr Von Maltzan بأنه شخصية متعددة الجوانب، ومثلما هو رحالة فهو مستشرق وعالم آثار، وذو اهتمامات أثرية واسعة، وكذلك شاعر وكاتب روائي .

زار فون مالتســـان مكة المكرمة متنكراً باســـم جزائري، ووقف مع الحجيج في جبل عرفات، وكرّس سنوات طويلة من عمره للتعمق في دراسة المغرب العربي. وقد أســـهمت الثروة التي خلفها والده بعد وفاته ســـنة ١٨٥١م في قرار فون مالتسان الانضمام إلى عالم الرحلة والعلم والمعرفة، وتكريس حياته لهذه الأغراض .

بدأ فون مالتسان عهده بالرحلة في الرابعة والعشرين من عمره، جاب في رحلاته الأولى القارة الأوربية، لكنه كان يتطلع إلى الشـــرق، فقد عكف أثناء دراسته على تعلم اللغات الشرقية وفي مقدمتها العربية، قضى معظم حياته في الجزائر.

شملت رحلاته، بالإضافة إلى المغرب، إثيوبيا ومصر وفلســـطين والشـــام وآسيا الصغرى، وفي عام ١٨٥٣-١٨٥٤م تطلع فون مالتسان إلى المغامرة بالقيام بزيارة الديار المقدسة بمناسبة الحج، روى في كتابه الذي تم ترجمته من الألمانية إلى العربية «رحلة حجـــي إلى مكة» فكرة المغامرة وكيفية شـــروعه فيها. حيث غلبت على تقاريره وتخميناته السطحية وعدم التعمق في معلوماته.

عانى فون مالتسان من الأمراض والآلام النفسية، فوضع حداً لحياته في مدينة بيزا الإيطالية يوم ١٨٧٤/٢/٢٢م قبل أن يبلغ الثامنة والأربعين من عمره.

لقـــد خلف فون مالتســـان مجموعة من الكتب التي ألفهـــا من خلال رحلاته العديـــدة، ومن أهمها: (ثلاث ســـنوات في شمال غرب إفريقيـــا: رحلة في الجزائر والمغرب)، و (رحلة إلى جزيرة سردينيا سنة ١٨٦٩م) ، و (رحلة حجي إلى مكة) الذي صدر في سنة ١٨٦٥م، و (رحلات في الجزيرة العربية) و (رحلتي في تونس وطرابلس)، بالإضافة إلى عدة كتب أدبية ومقالات[٣٢٩].

٣٢٩- مالتسان، هاينرش فرايهر فون: رحلة حجي إلى مكة .. رحلة إلى المناطق الساحلية والداخلية لبلاد الحجاز، ترجمة د. ريهام نبيل سالم، مراجعة د. عبدالله أبو هشه، الطبعة الأولى، دار الحكمة، لندن، (٢٠١٨م)، ص/١١-١٢ .

مالتسان عام ١٨٦٣م

رحلة مالتسان للحج وخط سيرها:

بدأ فون مالتســان اســتعداداته لرحلة الحج بمدخل مثير، فعندما كان في زيارة للجزائر التقى رجلاً ســاعده في الحصول على جواز سفر فرنسي، وكافأه مالتسان — باعطائه مبلغاً كبيراً من المال .

توجه مالتســان من الجزائر إلى مرسيليا، ومنها إلى مالطا، حيث أبحر منها على باخرة إنجليزية إلى الإسكندرية منتحلاً اسماً عربياً، وديانة الإسلام .

وخــلال فترة تواجده بمصر، وإمعاناً في التخفــي، تجنب الاحتكاك بالأوربيين، وتصادف مع شــخص يدعى الشــيخ مصطفى كانت وجهته إلى الحج، وترافقا طــوال رحلة الحج، فغادرا القاهرة يوم ٢٣ إبريل من عام (١٨٦٠م) إلى — قنا — ومعهما عبد كان مالتسان قد اشتراه، وغادرا إلى ميناء القصير على البحر الأحمر،

ومنها أبحروا في زورق ليلاً – على غير المعهود حيث لا يحب البحارة العرب السير في البحر الأحمر ليلاً – متوجهين إلى – ينبع – وقضيا ليلتهما المظلمة في – العبادة – ولحسن حظه لم يكن على الزورق أحد من حجاج شمال إفريقيا، ومن ينبع واصلا رحلتهما البحرية إلى جُدَّة(٣٣٠).

وصول مالتسان إلى جُدَّة:

يبرز مالتسان أهمية جُدَّة بأنها من أهم مراكز التجارة في جزيرة العرب بحكم كونها ميناءاً وموضعاً لقدوم الحجاج القادمين من الهند والنوبة وجنوب شرق إفريقيا، وأيضاً كثير من الحجاج القادمين من سوريا ومصر وتونس وطرابلس والجزائر والمغرب؛ حيث كانت تُباع فيها جميع البضائع صعبة النقل . لقد اكتسبت جُدَّة أهمية بالغة لأنها أهم مراكز التجارة الرائجة في بلاد الإسلام، فقد كان يأتي إلى مكة في عصر خلفاء دمشق وبغداد حوالي مائة ألف حاج سنوياً(٣٣١).

فالمسافر الشرقي يبتهج ويسعد بقدومه إلى جُدَّة؛ لأنه بدلاً من الانحطاط المعتاد والبؤس الذي لا حد له، يمتع عينيه وينعش روحه بمناظر تجعله يشعر بإنسانيته حتى لو كان هذا الأمر ظاهرياً فقط . لقد كنت مندهشا ومسرورا حينها وقعت عيناي على جُدَّة، فقد كان منظراً خلاباً يثير البهجة في النفس ويجعلنا نتناسى وحشية الصحراء . لقد كانت تقع على ربوة عالية بين طريقين طويلين على جانبي البحر، محاطة بأسوار عالية تبرز عليها هنا وهناك أبراج للمراقبة بها فتحات ومدافع . لاحت لنا بطول المرسى، الذي كان يقع تحت حراسة إحدى فرق المدينة، بيوت بيضاء من الأحجار المرجانية وأحجار الكالسيت، وارتفع بينها أهم مسجدين في جُدَّة بالقباب المفرغة والمآذن الصغيرة، وتناثرت في بعض الأماكن شجيرات السنط التي تشبه أوراقها الريشة، مما زاد هذا المنظر البيوت بهاءاً وحسناً بسبب الطبيعة(٣٣٢).

٣٣٠- المصدر السابق، ص ص/١٢١-١٥٤ .

٣٣١- المصدر السابق، ص ص/١٥٨ .

٣٣٢- المصدر السابق، ص ص/١٥٩ .

يقول مالتســـان: «عندما نزلنا أخيراً إلى أحد الطريقين الطويلين شعرت بسعادة غامـــرة؛ لأني وجـــدت جُدَّة تختلف تماماً عن باقي المدن الإســـلامية . لقد أيقظ المنظـــر الخارجي الجميل في المدينة الآمال: بداخلي، يا هذا الجمال ليس زيفاً؛ بل كان دليـــلاً على حالـــة الترف ورغد العيش بها مثل البيوت والقصور والمســـاجد التي بنيت على غرار المباني في المدن الكبيرة، ورواج التجارة في المتاجر والأســـواق وانتعاش التجارة البحرية في الميناء، وحركة المرور الهائلة للحجاج في ميناء جُدَّة، كل هذه العوامل تضافرت من أجل إحداث الازدهار الذي ساد هذه المدينة»[٣٣٣].

كان صعباً على مالتســـان إخفاء ما لديه من مال عن الأعين، عندما تجرد من المخيط ولبس الاحرام قبل وصوله إلى جُدَّة في شـــهر رمضان، وبسبب جنسيته، حدد رجال الجمارك له دفع ١٠٠ قرش كرســـوم، ثم خفف اللصوص حملته المالية فسرقوا منه ٥٠٠ قرش أخرى[٣٣٤].

يتحدث مالتسان عن موقع جُدَّة وشوارعها ومنازلها: «تقع مدينة الأم الكبرى» علـــى الخريطة كما يأتي : تقع جُدَّة في شـــرق أحد الخلجـــان الرملية، ترتفع عليه أربع جزر صغيرة أو على الأصح شـــعاب مرجانية تمتد من الشمال للجنوب؛ أي تمتد هذه الشـــعاب في اتجاه الشوارع الرئيسة، من بين هذه الشوارع هناك شارعان جديـــران بالذكر؛ أحدهما هو الرصيف البحري الذي ذكرته آنفاً والذي يبلغ طوله ألـــف وأربعمائة خطوة بامتداد الميناء، والشـــارع الآخر هو الموجود خلف البيوت الواقعـــة على هذا الرصيف . تعتبر البيوت في هذين الشـــارعين فخمة جداً على الأقل بالنسبة لوجودها في بلد عربي . شيد بعضها من الأحجار المرجانية والبعض الآخـــر أعتقد أنه بني من الجرانيت الخشـــن الذي تعرفت عليـــه؛ على الرغم من الطبقة البيضاء فاقعة اللون التي تغطي البيوت، ويتكون معظمها من طابقين، وبها شرفات جميلة بدلاً من الأسقف و نوافذ كبيرة نوعا ما؛ مما كان له ضرر في الصيف وهو السماح بدخول القدر الأكبر من القيظ إلى داخل البيوت ... كان التكوين

٣٣٣- المصدر السابق، ص ص/١٦٠ .
٣٣٤- المصدر السابق، ص ص/١٦٠-١٦٤ .

الداخلي لهذه البيوت يتطابق مع شكلها الخارجي، كما اكتشفت ذلك بنفسي من خلال زياراتي المتكررة لهذه البيوت . لقد ذكرت سابقاً أن جُدَّة تختلف عن باقي الدول العربية بعدة مزايا ليس فقط لأنها حققت توقعات المشاهد السطحي وملاحظاته الدقيقة؛ بل لأنها تخطتها بمراحل . توجد على وجه الخصوص هنا هذه الغرفة الباردة؛ أي صالة البيت، فقد كانت في جُدَّة مؤسسة جيداً ونظيفة للغاية لدرجة أن من يسمح له بالإقامة فيها يكون محظوظاً . فرشت الأرض بحصائر هندية جميلة؛ لأن السجاد كان سيجعل المكان أكثر قيظاً، وطليت الجدران بأكملها وفي بعض البيوت حتى منتصفها بالصدف الذي ربما تبلغ تكلفته ثلث التكلفة في أوربا، ولا يندر وجود منضدة صغيرة من الصين مطلية بطلاء فاخر زهرية ورد من اليابان تقف على أحد الأرفف، وزين المكان ببعض التحف المصنوعة من العاج، وباختصار كان يبدو الأمر وكأن الشرق بأكمله قد ساهم في تزيين وزخرفة علبة الحلوى هذه . هذا الثراء والترف الحقيقي في العيش في الشرق، والذي لن تراه في أي مكان يمكن إرجاعه لثراء أهل جُدَّة الذي يعتبر حقاً ضخماً بالنسبة لظروف هذه البلدة الصغيرة . يعيش في جُدَّة مالا يقل عن اثني عشر ثرياً؛ أي كائنات كادت أن تصبح أسطورة الشرق، من بين هؤلاء يوجد اثنان يمتلك كل منها سفينة بخارية . كان كل أثرياء جُدَّة الذين كانوا جميعا تجاراً يقطنون في هذين الشارعين الرئيسين ويمتلك كل واحد منهم بخلاف بيته خزانًا للمياه الصالحة للشرب، ويوجد في نفس الشارعين عدد من المخازن اسمها باللغة العربية جيلانية (Dschilania)؛ وهي عبارة عن مباني كبيرة مشيدة مثل الحظائر محاط فناؤها الداخلي الفسيح بأقبية وصالات تُستخدم أيضا لتخزين البضائع أعدت جيدا لهذا الغرض[٣٣٥].

ميناء جُدَّة بعدسة مالتسان

تحدث مالتسان عن ميناء جُدَّة قائلاً: «كان للرصيف الكبير الممتد بطول الميناء أو بالأحرى للرصيفين؛ لأن هذا الرصيف كان مقسوماً عند منتصفه إلى قسمين

٣٣٥- المصدر السابق، ص ص/١٦٥-١٦٦ .

بسبب مبنى الضرائب الذي برز حتى الماء، منظر مهيب إلى حد كبير؛ نظرا لخزائن البضائع والبيوت الخاصة الفخمة وقصر الباشـــا، الذي يقع شمال الرصيف، وبوابة الباشا الشـــريف المزودة بسور ذي فتحات، والقلاع وإحدى البطاريات الموجودة في الجنوب وإحدى قلاع الحصن (كان مهدماً بطبيعة الحال) . كانت الحياة على هذا الرصيف حيوية للغاية وتتميز بالتنوع، ولم يكن مسموحاً سوى للسفن الصغيرة بالرســـو مباشرة على هذا الرصيف؛ أما البضائع التي ظلت في الميناء الخارجي فقد كان يتـــم إنزالهـــا هنا، وكانت تُصنف إما إلى مكة أو جُـــدَّة. بخلاف هذا الميناء الكبير الذي يمتد الرصيف البحري بطوله ، يوجد في جُدَّة ميناءان آخران؛ أحدهما يقـــع شمال الرصيف البحري عند باب الشـــريف مباشـــرة والآخـــر اسمه « ميناء القادس» (Galeeren - Hafen)، ولم يكن به في وقت نيبور أي قوادس)، وكان يصلح في الشتاء لصيد البط عندما يكون منسوب المياه به مرتفعا . أما الآن فقد أصبح مغمورا بالرمـــال حتى صار من الصعب تأكيد هذه المعلومة الأخيرة عنه . هذان الخليجان جعلا الجزء الذي يقع بعد الميناء وهو الرصيف البحري كأنه شبه جزيرة محاطة من ثلاث نواحي بالماء . لم يكن ارتفاع منسوب المياه واحداً في كل أوقات الســـنة . وبوجه عام كان منســـوب المياه في البحر الأحمر أعلى في الشتاء عنه في الصيف بســـبب الرياح الشمالية التي كانت سائدة في الموسم الماضي والتي ساعدت على تدفق المياه من خلال مضيق باب المندب والمحيط الهندي؛ بينما في الشـــتاء تسببت الرياح الموسمية التي هبت من اتجاه الهند جنوباً في حدوث العكس تمامـــاً. لاحظ نيبور في وقت وجـــوده (قبل مائة عام) أن الطريق بين الميناء الكبير وميناء القادس في الجنوب، الذي قلما يرتفع لقدم واحد، يكون جافاً في الصيف حتى في وقت الفيضان ويكون مغموراً تماماً بالماء في الشتاء. أما الآن فهذا الطريق لم تعد تغمره المياه وبالأخص في أوقات السنة الباردة كما سمعت من بعض شهود العيان (لأني أنا شخصياً لم أكن موجودا في جُدَّة في فصل الصيف)؛ بل تلامسه فقط»[٣٣٦].

٣٣٦- المصدر السابق، ص ص/١٦٧-١٦٨ .

وصف مدينة جُدَّة

يصف مالتسان جُدَّة قائلاً: «تتكون جُدَّة من شارعين رئيسين كبيرين، تتوالى بعدهما دستة من شوارع صغيرة توجد في بعضها المتاجر الكبيرة وفي بعضها البيوت الخاصة المشيدة من الحجارة . ولأن كل الشوارع الكبرى تمتد في الاتجاه من الشمال إلى الجنوب، بينها تصطف الأزقة الصغيرة من الشرق للغرب؛ ولأن أطوال الشوارع الطولية تقريباً متساوية وكذلك العرضية، يتضح لنا لماذا تكون جُدَّة على هيئة متوازي الأضلاع . يبلغ عرض متوازي الأضلاع هذا الذي يكاد يكون مربعاً حوالي نصف طوله . أحد أضلع الطول هو الرصيف البحري الذي تكرر ذكره هنا والضلع الآخر هو سور المدينة الشرقي الذي نقل إليه باب مكة (وهو الباب المؤدي إلى مكة) . أما ضلع العرض في جهة الجنوب فهو ميناء القوادس بينما يمتد الضلع الشمالي من عند الخليج الموجود أمام «الباب الشريف» ويوجد عند منتصفه الباب الجديد الذي يصل من خلاله الحجاج إلى قبر أمنا حواء أم البشرية كلها والذي يبعد حوالي ثلث ميل عن أبواب المدينة المذكورة هذه في اتجاه الشمال الشرقي . أحيطت الجوانب الثلاثة المقابلة للمدينة بأسوار فخمة يبلغ ارتفاع كل منها ٢٥ خطوة، ويوجد بين كل ٤٠ خطوة نقطة حراسة يبلغ طولها ٦٠ خطوة تقريبا وبه ثليات ومزاغل حربية ... لأن جُدَّة لم تكن بأي حال مدينة كبيرة حتى وإن كانت مدينة مزدهرة، ولا أعتقد أن تعداد سكانها يتعدى خمسة عشر ألف نسمة؛ على الرغم من أن روبل) (Rüppell) ذكر أن عددهم اثنان وعشرون ألف نسمة، وقدر بوركهاردت عددهم بثمانية عشر ألف نسمة . أما باقي المساحة التي لم تُشيد عليها البيوت فكانت تعج بالأكشاك والسقائف المشيدة من جريد النخل، التي تصطف فيها هنا وهناك بعض الخيام المفتوحة، حيث يسكن فيها البدو الذين جاءوا للتجارة في جُدَّة وبعض الذين اتخذوا منها موطناً دائماً لهم، وكذلك عدد لا حصر له من الزنوج الذين إن لم يكونوا عبيداً يعودون إلى حياتهم الأصلية ويعيشون في وسط المدينة على طريقة الحياة البدوية . في هذه الحجرات الفقيرة كانت توجد غالبية المقاهي والدكاكين بشكل عام؛ بخلاف الدكاكين التي يمتلكها التجار ميسوري الحال والموجودة في الطوابق الأرضية من البيوت الفخمة.

يوجد في جُدَّة حوالي نصف دستة من المعابد الصغيرة ومسجدين كبيرين رئيسين، وهما المبنيان الوحيدان القديمان في المدينة؛ لأن تجوية الأحجار المرجانية والكلسية التي بنيت منها فقط أتاحت لها البقاء لفترة أطول تتعدى نصف قرن... يقع هذان المسجدان في مركز المدينة على مسافات متقاربة من بعضها، وقد شيدا من الأحجار المرجانية الصلدة كبيرة الحجم مما جعلها تقاوم التجوية والتآكل... لأني لم أجد مأوى في ستة نُزل كانت جميعها ممتلئة؛ فمشيت من نُزل لآخر حتى وصلت أخيراً لأحد النزل الذي استطعت أن ألقي فيه بجسدي المتعب... أدى توافد الحجاج بأعداد غفيرة إلى جُدَّة إلى امتلاء النزل وارتفاع أسعار الغرف بها... نجحت في تأجير إحدى الغرف الصغيرة بعد كثير من الفصال بخمسة وعشرين قرشاً (حوالي نصف جولدن) في اليوم(٣٣٧).

الصرافة والعملات في جُدَّة

كانت التعاملات البنكية الحقيقية تتم عن طريق الهنود، وفي غرف الصرافة كانت توجد كل أنواع العملات المعدنية لجنوب أوربا وشرق آسيا مثل الليرة التركية التي تعادل مائة قرش والعملة الفرنسية التي تبلغ قيمتها عشرين فرنكا والدوكاتية النمساوية الإيطالية في مدينة البندقية والدبلون الإسبانية والجنيه الإنجليزي؛ على الرغم من أنّها كانت كلها عملات ذهبية مقارنة بالعملات الفضية كانت كل الشعوب الشرقية تحبها جداً ويبحثون عنها. كان أغلب الحجاج يحاولون تغيير عملاتهم الذهبية إلى فضية في جُدَّة؛ لأن هذه الأخيرة الفضية لها شعبية كبيرة في مكة . إن أكبر عملتين فضيتين في أوربا هما العملتان المشهورتين تالر ماريا تريزا وليس التالر الذي على شكل التاج؛ بل التالر الذي تبلغ قيمته غيلدران وأربعة وعشرون كرويتسر، أي حوالي خمسة فرنكات . ونظرا لكثرة الطلب عليه تصل قيمته إلى ستة فرنكات، أما التالر الأسباني المرسوم عليه أعمدة هرقل وليس التالر العادي بدون هذه الأعمدة فقيمته لا تتعدى الورقة النقدية التي قيمتها خمسة فرنكات فرنسية. كان العرب يطلقون على تالر ماريا تريزا اسم «أبو

٣٣٧- المصدر السابق، ص ص/١٦٨-١٧٢ .

النســـر» بسبب شعار النمسا الموجود عليه، ويطلقون على التالر الأسباني المرسوم عليه الأعمدة «أبو مدفع»؛ لأنهم يعتبرون الأعمدة مدافع . ويســـمي العرب كلا العملتين « الريال» الأول الريال أبو النســـر والثـــاني الريال أبو مدفع... بخلاف هذين الريالين كانت توجد عملات قيمتها خمسة فرنكات فرنسية والمجيدي التركي وعملات فضية قيمتها أصغر مثل البشـــليك التركي والقرش، بينها العملة الوحيدة المصنوعة من النحاس فقد كانت القرش التركي الذي كانت تتضاعف قيمته أثناء الحـــج أيضاً نظراً لبحث الحجاج عنه... عند وصولي جُدَّة كانت قطعة الخمســـة فرنكات الفرنســـية بحوالي خمسة وعشرين قرشـــاً، والمجيدي التركي باثنين وعشرين قرشاً، وبعد ذلك بشهر بلغت قيمة الأول ثلاثين والثاني ستة وعشرين قرشاً . أما البارة المصرية فكان يمكن الحصول عليها قبل موســـم الحج مقابل عشـــرين قرشاً، بينها في موسم الحج بخمسة وثلاثين، وكان وصول السعر الرسمي أربعين قرشاً ممكناً بكل سهولة(٣٣٨).

الملابس في جُدَّة إبان زيارة مالتسان

كان الخياطون في جُدَّة ينحدرون من القاهرة وســـوريا إلى حد كبير، وقد كانوا يخيطـــون الملابس العربية فقـــط ... كانت ثياب أهل مدن وســـط الجزيرة العربية كالحجاز وتهامة أخاذة جميلة وتستحق مني أن أخوض في وصفها بالتفصيل؛ فقد كانت تتكون من القفطان الطويل المصنوع من القطن أو من أقمشة سورية يدخل في تركيبها الحرير مثل الآلاجا (منسوجات من الحرير والقطن مخططة) والدامسكو (منســـوجات من الحرير والقطن مزركشـــة ومتعددة الألوان)، وهما من أشهر أنواع المنســـوجات وأكثرها انتشـــارا، وفي بعض الأحيان كان يخاط القفطان من قماش الحمصـــي (وهو عبارة عـــن الكتان الذي يأتي من مدينـــة حمص)، بالإضافة إلى الســـروال الطويل الفضفاض الذي يصل حتى الكاحـــل ويغطي القدمين وتلبس فوق القفطان كوفية أو شـــاغ من الحرير أو الكشـــمير، والفقراء يرتدونه مصنوعا من القطن أو الصوف، وفي كل طرف في نهايته تتدلى زخارف من القماش الملون

٣٣٨- المصدر السابق، ص ص/١٨٣-١٨٥ .

تثبت في النهايتين، وفوق القفطان يرتدي الفقراء لباس البدن وهو عبارة عن لباس طويل واسع مفتوح من الأمام وبدون أكمام، بينما يرتدي الأغنياء الجبة أو البنش؛ وهو عبارة عن سترة طويلة تشبه البدن في كثير من أجزائها وتختلف عن البدن في أن أكمامها أوسع وأطول، وتُخاط غالباً من خامات غالية الثمن، ولها ألوان أخاذة لافتة للنظر . في بعض الأحيان تزين بقطع من الفرو باهظ الثمن، ويعتبر هذا رفاهية فاخرة بالنسبة لظروف المعيشة العربية . كانت الرأس تُغطى بالطربوش وتُلف حوله العامة من الكشمير أو القطن . كان هذا الزي باهظ الثمن لدرجة لا تمكن الكثيرين من ارتدائه كاملاً بجميع أجزائه . لكني رأيت في جُدَّة حوالي مائة شخص يرتدونه بحالة جيدة وغير مهلهل مما آثار دهشتي . أما ما يخص ثياب البدو فقد كان شيوخ القبائل ووجهاء القوم يرتدون مثل الثياب التي وصفتها عند البدو أهل ينبع . لم يكن الرجال في حاجة للذهاب لخياط يحيك لهم ملابسهم؛ لأن هذه الثياب كانت تتألف من قطع منفصلة يؤتى بها جاهزة من الخارج؛ فالكوفية (الحرير الحمراء) من سوريا والعباءة أيضا من هناك والقميص القطني من مصر. كذلك النساء لم يكن في حاجة للذهاب للخياط، بينما في بعض البلاد الإسلامية مثل الجزائر وتونس كان النساء يذهبن للخياط لحياكة ثيابهن، أما هنا في جُدَّة فكانت القطعة الوحيدة التي يحيكها الخياط للنساء هي الصدرية؛ وهي عبارة عن قميص صغير يستخدم لتغطية وشد صدر المرأة، يلبس مفتوحاً ثم يلف حول الجسد بشرائط من الأقمشة بطريقة مشدودة جداً؛ وهو بهذا الشكل يؤدي نفس الغرض الذي يقوم به المشد الذي يربط بأشرطة من الظهر في أوربا بغرض إبراز جمال المرأة التي ترتديه... كانت تخاط صدرية الفقراء من القطن المصري، بينها تُصنع صدرية الأثرياء من الحرير، وفي بعض الأحيان تكون مذهبة . أما باقي أجزاء الزي النسائي فقد كانت عبارة عن : الثوب وهو سترة واسعة بيضاء ذو ثنيات لها أكمام طويلة جداً مسدلة على الصدرية، والسروال ويشبه ما يرتديه الرجال، والملاية البيضاء الطويلة المقلمة باللون الأزرق المصنوعة من القطن وترتديها النساء فقط في الشارع حيث تلف النساء أجسادهن بها ولا يظهر من جمالهن أي شيء . كان الشيء الوحيد الظاهر من هذه الملاية هو برقع

الوجه المصنوع من قاش القطن السميك أبيض اللون وبالتالي لا يتحلين بأي من مظاهر الجمال . أما فيما يتعلق بجمال نساء جُدَّة فأكاد أجزم أني لا أستطيع أن أحكم على هذا الأمر بشكل قاطع؛ لأني لم أر وجه أي امرأة كريمة واحدة.(٣٣٩).

مقبرة أمنا حواء زمن مالتسان

عقد مالتسان العزم مع كل المصريين على زيارة قبر أم البشر حواء، الذي يقع على بعد حوالي ثلث ميل شمال شرق جُدَّة، تلك المدينة التي معنى اسمها «الأم الأقدم». يطلق على الطريق المؤدي إلى هناك «الباب الجديد» وكذلك باب المدينة (نسبة إلى المدينة المنورة لأنها تقع في هذا الاتجاه)... قد شيدت هناك أمام الباب الجديد حوالي خمسون سقيفة وكوخ من البوص والألواح الخشبية (٣٤٠).

وتحدث مالتسان عن بعض العادات التي استنكرها إبان زيارته لقبر أمنا حواء الأمر الذي دفع الشيخ مصطفى إلى إلقاء خطبته الرادعه (٣٤١).

وصف مالتسان موقع المقبرة بأنه: «ودلفنا الآن إلى قبر ستنا حواء، الذي كان يوجد في منطقة صحراوية قاحلة مجدبة تحيط بجُدَّة من جميع النواحي. لم يكن يوجد هنا أي حدائق أو أشجار ولا أي مساحات خضراء، فقط هنا أو هناك كانت تصادفنا إحدى أشجار السنط، مما كان يجعلنا نخمن وجود بئر قريبة منها، وأحيانا كانت تصادفنا إحدى أشجار الفربيون والحلاب. لقد رأيت بنفسي هناك شجرة الفربيون الكليلة، ولمحت أزهارها الصغيرة ممتدة من كأس عميق مغطى بأوراق طويلة خشنة تشبه الصبار الأمريكي .

ترجلنا في هذه الأرض الخراب حوالي نصف ساعة، حتى مررنا بمجموعة متداخلة من الأكواخ البائسة وخيام قهوة ترتفع وسطها إحدى القباب(٣٤٢).

٣٣٩- المصدر السابق، ص ص/١٩١-١٩٢ .
٣٤٠- المصدر السابق، ص ص/٢٠١-٢٠٢ .
٣٤١- المصدر السابق، ص ص/٢٠٣-٢٠٤ .
٣٤٢- المصدر السابق، ص ص/٢٠٥.

انتهت الآن طقوس جمع البقشيش وفتح الباب ودلفنا إلى داخل المكان المقدس. كان يقع قبر أمنا حواء في سياج محاط بجدار، ولم يكن مغطى بأي سقف. يوجد فوق أم البشرية حواء ضريح مشيد من الصخور المرجانية الخام المطلية باللون الأبيض الساطع، يبلغ ارتفاعه حوالي خمسة أقدام وعرضه أربعة، تقبع خلفه قبة يبلغ ارتفاعها حوالي عشرة أقدام. من خلال الباب الوحيد المفتوح في هذه القبة نحو الاتجاه الغربي دلفنا ببطء إلى الداخل. كانت جدران هذا المكان المقدس خالية تماماً من أية زخارف ومجردة من أية صور . على أية حال لم يكن يوجد في الضريح شيء يمكن رؤيته سوى حجر مربع الشكل يقع في منتصفه ويبلغ ارتفاعه حوالي قدم ونصف وعرضه نصف قدم . هذه الأبعاد للحجر هي نفس أبعاد سرة أم البشرية حواء، ووضع في نفس المكان الذي توجد تحته سرة حواء الحقيقية . من المؤكد أن أم البشر حواء تتميز بتجويف سري عميق . كان حجر السّرة مشيداً من الجرانيت ومغطى بنقوش وكتابات تبينت بعد جهد كبير أن بعضها نُقش بالخط الكوفي.. ترجلت حتى موضع رأسها الذي يبعد عن السرة حوالي ٢٤٠ قدما، وكان معلوما لنا بواسطة أحد الألواح الحجرية الموضوع في الأرض ولكنه ليس بحجم الرأس كلها . حدد محيط الرأس بواسطة سياج من الأحجار الصغيرة التي تبتعد عن بعضها البعض بمسافات صغيرة . وطبقاً لإحدى الصور كانت رأس حواء تقريباً كروية الشكل ويبلغ قطرها ٣٠ قدما . مررت بطول الجسد الذي كان عرضه أقل من طوله؛ لأن السورين المتوازيين اللذين يشكلان العرض يبعد كل منها عن الآخر حوالي اثنا عشر قدم . ومن ثم يمكن افتراض أن أمنا حواء كانت نوعا ما نحيفة ونحيلة؛ لأن طولها كان خمسمائة قدم وعرضها اثنا عشر فقط . في طريقي من الرأس إلى القدمين مررت أولاً بالكتفين المثبت عليها شاهدي قبر كتب عليها كلمات إهداء لبنائي الضريح المشيد فوق سرة حواء . رجعت المسافة التي تبلغ ٤٥٠ قدم التي تفصل كتفي حواء عن قدميها . أخيراً وصلنا لموضع القدمين، وقد قررت من محيطها أن أمنا حواء كانت قدماها كبيرتين جداً[٣٤٣].

أما بخصوص المكان المحيط بالقبر فقد كانت منطقة قحط بوار مستوية الأرض

٣٤٣- المصدر السابق، ص ص/٢١٠-٢١٢ .

مـــن جميع الجهات فيها عدا جهة الشـــمال الغربي، حيـــث ارتفعت عن الأرض بعـــض التلال من الأحجار المرجانيـــة . لاحظ نيبور (Niebuhr) أن هذه التلال العامرة بالأصداف الحجرية والشعاب المرجانية لها نفس الشكل المعتاد رؤيته على الســـواحل من شـــعاب وصخور مرجانية، ويرى أن هذه التلال والبروز عند القبر كانت تقف فيما ســـبق في البحر وانحســـر البحر عند سواحل جُدَّة عبر القرون، وهـــذا ما يحدث أحيانا حتى الآن؛ لكن بشـــكل ضئيل قلمـــا يلحظ أثره أحد . ثم عُمِـــر بناءاً على ذلك، فإنه ليس من الصـــواب افتراض أن هذه التلال والبروز ازداد ارتفاعها عبر الزمن، ولا يزيد حجمها إلا بسبب الحمم البركانية؛ لأن النمو العضوي المعتاد للشـــعاب المرجانية يتوقف حينها يقترب مستوى سطح البحر من ثمانيـــة أقدام في حالة الجزر ولا يمكن للشـــعاب أن تنمـــو بعد ذلك . وبناءا على ذلك يكون ارتفاع هذه البروز المرجانية حاليا وهي في البر هو نفس ارتفاعها فيما مضى، ويكون البحر قد استغرق آلاف السنين كي ينحسر عن هذا المكان حيث كانت توجد هذه المنحدرات المرجانية سابقا، فالثوران البركاني هوا السبب الوحيد الذي يحول الشـــعاب المرجانية إلى صخور وتـــلال مرجانية، ربما حدث ذلك في فجـــر التاريخ أو في أحد العصور عندمـــا كانت البراكين في الجزيرة العربية لا تزال نشطة(٣٤٤).

انتهينا مـــن زيارة قبر أمنا حواء واتخذنا طريقنا للعـــودة إلى جُدَّة، وتقابلت مع رفقائي من جديد بعد فراق دام خمس ساعات؛ كي نتخذ استعداداتنا لرحلة الغد إلى مكة .

أسواق جُدَّة زمن مالتسان

يقول ماتســـان عن أســـواق جُدَّة: «في بادئ الأمر توجهنا إلى سوق السمك الذي كان مجهزاً بأنواع متعددة من الأسماك مثل ســـائر أســـواق المدن الساحلية . رأيت بعض الأنواع الأخرى التي لم أرها هنا من قبل، وهما نوعان من الماكريل، أولها (Scomber Samsun) ويلقبه العرب بأبي سمسون (Abu Samsun) وهو عبارة عن

٣٤٤- المصدر السابق، ص /٢١٥ .

سمكة فضية اللون ناصعة، والنوع الآخر (Scomber falcatus) وأطلق عليه العرب (Höckel) وهو عبارة عن سمكة مربعة الشكل عريضة ولها طرف مدبب وزعانف حادة على جانبيها وذيلها . كانت توجد أيضا عدة أنواع من سمك السلطان إبراهيم (Mullus) في هذا السوق؛ من بينها (Mullus auriflamma) التي يطلقون عليها هنا أنبير (Anbir) ولونها ذهبي لامع، و يوجد كذلك السمك أبو ذقن (Vater des Kinnbartes) وسبب هذه التسمية هو وجود بعض القشور الطويلة البارزة تحت رأس السمكة والتي يقارنها العرب بالذقن . كا رأيت سمكة (Silurus–ba jad التي تعيش في النيل وتُسمى في هذا السوق سمكة البياض؛ على الرغم من أن لونها الحقيقي ليس أبيض بل رمادي، وتشبه سمكة (Charderonnet) التي رأيتها في مرسيليا، وأعتقد أنها هي سمكة البياض التي تعيش في المياه العذبة فقط، بينها (Distelfink) أو (Silurus cornutus) تعيش في مياه البحر المالحة. اتجهنا بعد ذلك صوب سوق الزبدة، حيث اشتريت الزبدة (ذات المذاق الحلو) والسمنة (ذات المذاق المالح) بأثمان زهيدة لا مثيل لها، خمسة كرويتسر لرطل الزبدة وثانية للسمنة»[٣٤٥].

سفر مالتسان من جُدَّة إلى مكة المكرمة :

بدأت رحلة مغادرة مالتسان جُدَّة إلى مكة المكرمة في مساء الخامس والعشرين من ذي القعدة عام ١٢٧٦ هـ (١٥ يونيو ١٨٦٠م)، في قافلة تضم حوالي خمسمائة حاج، كان يركب حوالي مئة منهم النوق ومئة وخمسون يركبون الحمير الصغيرة، والباقي كان يمشي على الأقدام[٣٤٦].

وصف مالتسان الطريق المؤدي من جدة إلى مكة، والذي يسلكه عدد كبير من الحجاج: «بأن كل شيء آمناً في هذا العام وقلة الخطر به أدت إلى عدم الحاجة إلى التنظيم المعتاد لأي قافلة . لذلك لم تكن قافلتنا شيئا سوى حملة غير منظمة من الحجاج المسافرين يسيرون بدون نظام أو خطة، فقد كان كل واحد يستريح

٣٤٥- المصدر السابق، ص ص/٢١٦-٢١٧ .

٣٤٦- المصدر السابق، ص ص/٢١٩-٢٢٠ .

أو يواصل المسير وقت ما يشاء، فقط في المساحات الواسعة كانوا يسيرون خلف بعضهم»[٣٤٧].

وعن المسافة بين جُدَّة ومكة تحدث عنها مالتسان: «كانت المسافة من جدة إلى البلد الحرام تبلغ حوالي تسعة أميال؛ ولأن القافلة تحتاج ساعتين كاملتين لتقطع مسافة قدرها ميل واحد، كنا نضع في الحسبان أننا سنقضي حوالي ثماني عشرة ساعة بالجمل أو بالحمار ... وأن نصف المسافة بين جدة ومكة نقطة اسمها (Hadda)»[٣٤٨].

خرجت القافلة من مدينة جدة عن طريق باب مكة، وبعد مسيرة استمرت حوالي ثلاث ساعات وصلت القافلة إلى عين رحيمة (Ain Rahama) التي يدل اسمها على بئر مياه، بني بجانبه أحد أكشاك القهوة . وفي أثناء الطريق إلى هناك مروا بأحد الوديان الصخرية الذي كانت به حجارة صغيرة لم يُرَ مثلها من قبل في الجزيرة العربية .

في حوالي تمام الساعة الحادية عشرة وصلوا إلى قهوة تركي، وكما هو واضح من اسمها أنها إحدى المقاهي التي يملكها رجل تركي[٣٤٩].

وبعد مسير مرة أخرى استمر ساعة ونصف وصلوا البيادية (el Bejadija) حيث توجد خيام لبيع القهوة وبئر مياه . ثم واصلوا الطريق الذي كان يتجه دائماً لأعلى حتى وصلوا في الرابعة صباحاً إلى مكان صغير اسمه بحرة (Bahra) . كانت بحرة مكاناً صغيراً يتكون من حوالي ثلاثين كوخ فقط بنيت من اللباد المصنوع من شعر الماعز والإبل[٣٥٠].

انعطفت القافلة من بحرة صوب الشرق، وكان الطريق نوعاً ما ممهداً ويسهل السير فيه، وبعد ساعتين من السير وصلوا حدة (Hadda) ، وهي المحطة الوسطى

٣٤٧- المصدر السابق، ص/٢٢٠ .
٣٤٨- المصدر السابق، ص/٢٢٤ .
٣٤٩- المصدر السابق، ص/٢٢٦ .
٣٥٠- المصدر السابق، ص/٢٢٨ .

بين جدة ومكة .

وعن وصف حدة يقول مالتســـان: «يبلغ عدد البيوت في حدة حوالي مائتين، ثلثهم أكواخ من ألواح الخشب والباقي عبارة عن خيام وأكواخ الأجمة، التي كانت تتشابه جميعها في شكلها الخارجي . تتكون جميعها من فروع صلبة لأشجار مختلفة تضافرت مع بعضها البعض على شكل قفص..» (٣٥١)

تم مواصلة رحلة مالتســـان مباشرة إلى مكة المكرمة حيث دخلها وقت السحر، فنزل في بيت على ســـفح أحد تلال مكة الشـــمالية الغربية، حيث قضى (١٢) يوماً، وكان يســـكن معه أفغان والذين وصل منهم ذلك العام عدد قليل بســـبب المشـــاكل في بلادهم، وكان مرتاحاً لأنه لم ير بينهم حاجاً من شمال إفريقيا، ممن يخاف أن يتعرف على حقيقة أمره(٣٥٢).

أدى مالتســـان فريضة الحج ووصف صعيد عرفات حيث توفي صديقه الشـــيخ مصطفى ودفن هناك .

وعند نفرته من عرفات إلى مزدلفة، تســـبب قنديـــل في إحراق إحرامه، وأمكنه إنقـــاذ بقية منه . وبعد أن رمى جمرة العقبة عاد إلى مكة المكرمة « ليأخذ حماماً» وكان يرافقـــه دليل يرفع من مكانة — مالتســـان — فأطلق عليه «أمير الجزائريين» ولمـــا وصل إلى الحمام وجد أمامه عدداً من الحجاج الجزائريين، الذين سمعوا الدليل ينادي — مالتسان — بما أطلقه عليه من لقب، فظهر للجزائريين عدم معرفتهم به، فبدأوا يسألون دليله باللهجة المحلية: ثم استنتجوا أن — مالتسان — لابد أن يكون مســـيحياً، متخفياً وكان — مالتسان — يســـترق السمع لتفاصيل الحوار « فوقف شعر رأسي عند سماعي لفظ — مسيحي — وفيما كان الجزائريون يتناوبون دخول الحمام، وقبل أن يبلغ عني الجزائريون السلطات، انسحبت مغادراً مكة، عن طريق ضواحيهـــا، متخلياً عن لقبي _ أمير الجزائريين –، وعن عبدي، فاشـــتريت حماراً وأجرت دليلاً لنقلي إلى جُدَّة»(٣٥٣).

٣٥١- المصدر السابق، ص/ ٢٣٠ .
٣٥٢- المصدر السابق، ص/٢٣١ .
٣٥٣- المصدر السابق، ص ص/٢٣٢-٢٤٨ .

عودة مالتسان إلى جُدَّة من مكة المكرمة والمغادرة للديار:

استغرقت رحلة العودة من مكة المكرمة إلى جُدَّة على ظهر الحمار الذي استأجره مالتسان حوالي أربع عشر ساعة دون توقف . وفي جُدَّة ذهب مالتسان إلى الميناء حيث كانت ترسو باخرة إنجليزية «فحجزت عليها مقعداً إلى بومباي»[٣٥٤].

قضى مالســـتان بقية حياته في أسفار ذات نظام تقليدي حتى وفاته في الثالث والعشرين من فبراير عام (١٨٧٤م).

٣٥٤- المصدر السابق، ص ص/ ٤٧٨-٤٧٩ .

محمد صديق خان

محمد صديق خان – المصدر: www.lisanearb.com

يقول الباحث أيمن ياسين جازي في مقدمته للنسخة التي حققها من كتاب «رحلة الصديق إلى البيت العتيق» لصاحبها الرحالة الهندي المسلم محمد صديق خان المتوفى سنة (١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م) :

هذه رحلة تعليمية تستفيض في شرح شؤون الفقه والشعائر الإسلامية، ولا سيما ما يتعلق منها بالمناسك والواجبات والفروض اليومية المترتبة على الحاج، وإن كانت في منطلقها ومسارها رحلة حج إلى الديار المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة. فالرحالة يجهد نفسه ويجهد قارئه معه في متابعة كل ما يخطر، وما لا يخطر في بال المسلم الذي ينوي التوجه إلى بيت الله الحرام ليؤدي فريضة الحج والعمرة. والرحالة لا يترك مسألة ولا شاردة من المسائل المتعلقة بالأماكن المقدسة وكيفية زيارتها وما قيل فيها مما تعددت فيها الاجتهادات والآراء والمرويات واستأثرت باهتمام الفقهاء والباحثين وشغلت حيزاً من مدوناتهم، إلا وكان لها مكان في متن رحلته ونصيب من البحث والتدقيق حيث يأخذها من مصادرها ويستعرض أسانيدها كما وردت في أحاديث ومدونات أئمة المذاهب الإسلامية وأبرز علمائها[٣٥٥].

٣٥٥- صديق خان، محمد: رحلة الصديق إلى البيت العتيق، دار السويدي للنشر، تحقيق أيمن حجازي، أبوظبي، (٢٠٠٩م)، ص/٩ .

ويقول حجازي: إن المسلمين بدأوا بأداء فريضة الحج في العام التاسع للهجرة بعد عام من الفتح وبدؤوا يتوافدون إلى مكة المكرمة من شتى ديار الإسلام في كافة أركان الأرض ليؤدوا الفريضة وكانوا يأتون براً وبحراً واليوم جواً . كما يبين محقق الكتاب أنه كان يصل مكة أربع قوافل:

الأولى من بلاد المغرب مروراً بمصر وهي قافلة برية، والثانية من مصر، والثالثة قافلة الشام وتضم الحجاج القادمين من بلدان آسيا الوسطى وما حولها وتركيا والأناضول وبلاد الشام، أما القافلة الرابعة فهي قافلة الهند، وتحمل بضائع قيمة ومختارة يشتري منها الحجاج على مختلف جنسياتهم في مكة. وتصل هذه القوافل مكة قبل الحج بفترة.

ويبين أيمن حجازي كيف كانت محامل الحجاج قديماً تتعرض لكثير من المتاعب والمشاق والأهوال فلا يكاد يصل الحاج إلى مكة ويؤدي الفريضة ومن ثم يعود إلى دياره حتى يرى الموت نصب عينه مرات ومرات. «وهذه المخاوف والأخطار لابد أن تأخذ طريقها إلى مذكرات الحجاج وحكاياتهم ومروياتهم، فقد يقوم الحاج بسرد وقائع رحلته وتكرار ما جرى معه، كلما أوتي فرصة لذلك»[٣٥٦].

ويتحدث محقق كتاب «رحلة الصديق إلى البيت العتيق» عن هذا الكتاب وطريقة تناول المؤلف للرحلة فيقول:

رحالتنا محمد صديق خان في كتابه «رحلة الصديق إلى البيت العتيق» والذي ظهر لأول مرة في ١٢٨٩/٥/١٠هـ في المطبع العلوي بالهند وظهرت منه الطبعة الثانية سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م عمد إلى الاستطراد بذكر آيات وأحاديث لمختلف الأمور المتعلقة بالحج من الإحرام إلى الطواف إلى السعي إلى غير ذلك من الشعائر، وكان يعلق على الأحاديث ويورد الأراء فيها على اختلافها، ويميز صحيحها من ضعيفها من حَسَنها ولم يتوان في إيراد كمٍّ هائل من المعلومات المفيدة للحاج حول كل منسك من مناسك الحج مع ذكر آراء المذاهب فيها . فقد أجاب عن كثير

٣٥٦- المصدر السابق، ص ص/٩ – ١٠ .

محمد صديق خان الفقيه العاشق – المصدر: www.nidaulhind.com

من الأسئلة التي قد تجول في خاطر المسلم عن مناسك الحج وأحكامها وشروطها وكيفية أدائها، وقدمها لنا بشكل مفصل ومرتب، وقد أفرد كل منها على حدة مما لا يترك مجالاً للبس أو الخلط بينها، وهذا ما جعل استطراده على حساب نص رحلته، فهو لم يفرد لوصفها إلا عشر صفحات في آخر الكتاب أورد خلالها سير رحلته وبعض المعلومات العامة التي أبقت تفاصيل الرحلة محجوبة عن أعيننا[٣٥٧].

وقد بدأ الرحالة محمد صديق خان رحلته من بلاده إلى الحديدة، التي أقام فيها ثمانية عشر يوماً قبل أن يتوجه منها إلى جُدَّة آملاً أن يصلها في أسبوع إلا أن رحلته إلى جُدَّة وبسبب سوء الأحوال الجوية استغرقت نحو شهر، بلغ خلاله ركاب السفينة من اليأس كل مبلغ . وبعد رحلة استغرقت حوالي شهرين منذ بدئها في بلاده وصل رحالتنا إلى جُدَّة في التاسع من ذي القعدة عام ١٢٨٥هـ[٣٥٨].

٣٥٧- المصدر السابق، ص/١١ .
٣٥٨- المصدر السابق، ص/١٢ .

وقد تحدث محمد صديق خان عن جُدَّة بإيجاز ما سنذكر بعضه بتصرف بعد أن نترجم لحياته.

ترجمة الرحالة محمد صديق خان :

يقدم خير الدين الزركلي في «الأعلام» ترجمة وافية لرحالتنا قائلاً: محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب: من رجال النهضة الإسلامية المجددين. ولد عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م في قنوج (بالهند) ونشأ فيها وتعلم في دلهي، سافر إلى بهوبال طالباً للعيش ففاز بثروة وافرة . قال في ترجمة نفسه: «ألقى عصى الترحال في محروسة بهوبال، فأقام بها وتوطن وتمول، واستوزر وناب، وألفَّ وصنَّف» وتزوج بملكة بهوبال، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر، له نيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندية. منها بالعربية «حسن الأسوة في ما ثبت عن الله ورسوله في النسوة — ط» و«أبجد العلوم—ط» و «فتح البيان في مقاصد القرآن — ط» عشر أجزاء، في التفسير، و«لف القماط—ط» و«عون الباري — ط» في الحديث، و«العلم الخفاق من علم الاشتقاق — ط» و«العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة — ط» و«الطريقة المثلى — ط» في ترك التقليد، و«نيل المرام من تفسير آيات الأحكام — ط» و«خلاصة الكشاف — ط» في إعراب القرآن، و«البلغة في أصول اللغة — ط» و«غصن البان الورق — ط» رسالة في الأدب، ومثلها «نشوة السكران — ط» في شرح الدرر للشوكاني، و«التاج المكلل — ط» في التراجم، اشتمل على ٥٤٣ ترجمة[٣٥٩].

٣٥٩- الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، المجلد السادس، الطبعة الحادية عشر، بيروت، (١٩٩٥م)، ص ص/١٦٧ — ١٦٨ .

خط سير رحلة محمد صديق خان إلى جُدَّة، ثم مكة المكرمة :

يؤرخ الرحالة لمغادرة وطنه فيقول: «رحلت يوم الاثنين لسبع وعشرين قد خلت من شهر شعبان سنة خمس وثمانين ومائتين وألف (١٢٨٥هـ) الهجرية (المطابق ١٨٦٨م) على صاحبها الصلاة والتحية غب صلاة الظهر من محط رحلي (بهوبال) على جناح السلامة مغتنماً لكل فائدة وكرامة، مريداً لتأدية فريضة حج الإسلام إلى «بيت الله الحرام» ووصلت بعد ما قطعت سبعة من المنازل في اليوم الثامن إلى مجرى عجلة النار المعروفة بالبابور (قطار السكة الحديد) وحملت عليها الأثقال وركبتها يوماً وليلة ثم نزلت بمحروسة «ممبيء» (مومباي) — وهي ساحل البحر المحيط للحجاج، وأقمت بها منتظراً الحصول المركب»[٣٦٠].

وبعد أن قضى رحالتنا أسبوعين في مومباي سافر منها على متن المركب المسمى بـ«فتح السلطان» وكان على متنها ثلاثمئة شخص. وكان ركاب السفينة يغتسلون بماء البحر المالح ويشربون من ماء أحضروه من «ممبيء»، وكان سفرهم خلال شهر رمضان المبارك . وفي الطريق مروا على «سقطرهة» عدن وباب إسكندر ثم ألقت السفينة مرساها على ساحل الحديدة باليمن في يوم الأحد السادس والعشرين من رمضان من عام ١٢٨٥هـ.

أقام رحالتنا في الحديدة اثني عشر يوماً صلى خلالها صلاة العيد في الحديدة وألقى الخطبة إمام المسجد واسمه عبدالرحمن الشافعي وحضر الصلاة قرابة ألفي شخص[٣٦١].

استقل محمد صديق خان المركب في الحديدة يوم العاشر من شوال إلا أن السفينة لم تقلع إلا في الرابع عشر من شوال وبذا يكون قد قضى في الحديدة ثمانية عشر يوماً .

٣٦٠- صديق خان، محمد: رحلة الصديق إلى البيت العتيق، مصدر سابق، ص/٢١ .
٣٦١- المصدر السابق، ص ص/٢١ — ٢٣ .

بعد أن أبحروا من الحديدة واجه مركبهم مصاعب يصفها الرحالة قائلاً:

«ولما سار المركب من الحديدة سكن الهواء إلى ثلاثة أيام، ولم يتحرك المركب خطوة من محل القيام، وبعد ذلك هبت الريح الأزْيَب، وكان إذ ذاك زمان الحج أقرب، وجاء الغيم والمطر بالليل، ورجع المركب إلى عقبة وسار إلى غير صوبه، فمكثنا بهذه الحالة في البحر إلى أيام أيسين عن الوصول إلى المأمول، وراجين من الله حصول المسؤول، مع أن «جُدَّة» من «الحديدة» مسير أسبوع لا غير لبطء السير، ولكن وصل مركبنا إليها بعد نحو شهر، حتى ضاقت علينا الأرض بما رحبت من طول الركوب ومخالفة الهواء وقلة المطعوم والمشروب، حتى قنعت في اليوم والليلة بجرعة من الماء، ولقيمات من الأرز الذي لم يخالطه شيء من السمن والإدام».

وبلغت الأنفس التراقي في تلك الأيام، وكانت الأيدي إلى السماء مرفوعة والأعين والأذان كأنها على طريق مجيء الريح الطيب ورؤية «جُدَّة» موضوعة، ثم سمع الله قول هؤلاء الآيسين وهبت لنا ريح طيبة من جهة رب العالمين إلى يومين، وكانت بالغاية ضعيفة بلا مين (كذب) ولكنه أخرج المركب من مجمع الجبال المستغرقة في الماء إلى ساحل النجاة . ورأينا يوم السبت في المركب هلال ذي القعدة، ويوم الثالث منه تقوى الريح قليلاً فجرى المركب .

ويوم الثلوث رابع ذي القعدة من السنة المذكورة بعد صلاة الصبح اغتسلنا وأحرمنا بالعمرة، مع نية التمتع، من محاذي «يلملم» وذهب عنا ما كنا نجده من الغم والألم، ورفعنا الأصوات بالتلبية، وأخلصنا العمل لله والنية، وما حصل لنا من السرور بهذا الإحرام لا يمكن شرحه بالأقلام .

وفي هذه الحالة لما قربنا من «جُدَّة» قرب المركب ليلاً إلى جبل في الماء اضطرب المعلم (القبطان) له اضطراباً شديداً، وربط أشرع السفينة بالأدقال (الدقل: خشبة طويلة في وسط السفينة يمد عليها الشراع – لسان العرب)، وخفت منه الأثقال وعمل كل تدبير خطر له بالبال، وأرسى المركب في محله في الحال.

وأنــزل الملاحون أقرب المركب لدرك حقيقة الحال، وســعوا إلى جوانبه، وعلموا أن المركب لو ســار قليلاً لتصــادم بالجبال، فمضى هذا الليــل للركاب في غاية الاضطراب وتمت الليلة بالاســتغفار وإخلاص النية والتوبة وكلمة الشــهادة على الألســن، وســلموا أنفســهم للحدث، ولم يكن هذا الليل أقل من يوم القيامة، ولكن رحم الله علينا بالســلامة حتى طلع الفجر وشــاهدنا ذلك الجبل في ضوء النهار(٣٦٢).

الوصول إلى جُدَّة :

بعد شهرين من الترحال وصل الرحالة الشيخ محمد صديق خان إلى مدينة جُدَّة يوم الأحد التاسع من ذي القعدة عام ١٢٨٥هـ الموافق عام ١٨٦٨م. وقد وصف الرحالة ذلك الوصول قائلاً:

«ولكن لما كانت رحمة الله ســبقت غضبه، أوصل أرحم الراحمين المركب بفضله كيفما اتفق بعد اللتيا والتي إلى المنزل المقصود، ورفعوا مرســاة السفينة صبح تلك الليلــة الهائلة إلى «جُدَّة» والفوا الريح موافقة، فطوى المركب الطريق الباقية في يوم وليلة ووصل إلى ســاحل «جُدَّة» حين صلاة الظهر من يوم الأحد تاســع ذي القعدة، والحمد لله على ذلك حمداً كثيراً.

والــذي حصل لنا من مســرة القلب وإشــراق الوجه والحبــور إذ ذاك لا يعلم حقائقهــا إلا العليمُ بذات الصدور وكيف؟ فقد ظهرت صورة المراد بعد شــهرين غب اليأس، وكنا نقول: يا رب الناس أقم ســفينتنا على «جُدَّة» كما اســتوت سفينة نوح عليه السلام على الجودي، فليس ذلك بعزيز على فضلك المجدي.

وحين نزلت بجُدَّة أقمت بها ثلاثة أيام للاســتراحة من تعب الســفر واستكراء الجمال لحمل الأثقال ووجدت بجُدَّة المكاســين من جهة الترك ظالمين على الناس بأخذ أموالهم بالباطل(٣٦٣).

٣٦٢- المصدر السابق، ص ص/٢٤ – ٢٦ .
٣٦٣- المصدر السابق، ص/٢٧ .

وبعــد أن قضى الرحالــة محمد صديق خان في جُدَّة ثلاثة أيام غادرها إلى مكة المكرمة عن طريق «حدة» ويصف مغادرته تلك قائلاً :

ثم يوم الربوع ثاني عشــر ذي القعدة ركبنا من «جُدَّة» إلى «حدة» بعد صلاة المغــرب ومن جُدَّة إلى كعبة المقصود وعتبة الجود، بعد جمع صلاة الظهر والعصر، ودخلنا البلد الأمين بعد نصف الليل مع السيد أبي بكر المطوف ونزلنا عن الجمال ومشينا على الأقدام، وتركنا الأحمال والأثقال مع الخدام، ولم نعرج على شيء.

وقصدنا المســجد ودخلنا «باب الســلام» وأدينا أعمــال العمرة من الطواف والسعي والحلق على الترتيب[٣٦٤].

وبعد قضاء أكثر من ثلاثة أشهر في مكة المكرمة أدى خلالها رحالتنا الحج ارتحل إلى المدينة المنورة للتشــرف بزيارة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم والصلاة في مســجده الشريف فغادر محمد صديق خان مكة المكرمة إلى المدينة المنورة يوم الخميس الموافق الخامس عشر من صفر سنة ١٢٨٦هـ في رحلة استغرقت عشرين يوماً بالرغم من أن الطريق تحتاج إلى اثني عشر يوماً فقط، وعزى ذلك إلى مشاكل واجهتهم في الطريق اضطرتهم إلى البقاء في عسفان بعض الوقت ذهب بعدها إلى المدينة المنورة وقضى فيها أسبوعاً غادرها بعد عائداً إلى مكة المكرمة لأداء العمرة.

«ومن مكة المكرمة عاد رحالتنا إلى جُدَّة في أوائل جمادى الأولى حيث غادرها على متن المركب المسمى «فيض الباري» والذي قال: إنه كان «يسع تسعمائة — ٩٠٠ نفس، ســوى الأحمال والأثقال». وذكر أنه مرَّ بساحل «الحديدة» في هذا الرجوع أيضاً، وأقام هناك ثلاثة أيام للتزود بالمؤن قبل العودة إلى ممبيء»[٣٦٥].

٣٦٤- المصدر السابق، ص ص/٢٧ — ٢٨ .

٣٦٥- المصدر السابق، ص ص/٢٩ — ٣١ .

تشارلز داوتي

تشارلز مونتاگو داوتي – المصدر: كتاب رحلات داوتي الجزيرة العربية

الرحالــة الإنجليزي تشــارلز داوتي، الذي قدم إلى بلاد العــرب وزار جُدَّة عام ١٨٧٨م وكتب كتاباً وسماه (الجزيرة العربية الصحراوية).

ترجمة تشارلز داوتي:

يقدم عدنان حسن مترجم كتاب (رحلات داوتي في الجزيرة العربية) ترجمة لحياة صاحب الكتاب فيقول: «تشارلز داوتي، رحالة إنجليزي من صنف الرحالة العلماء ولد عام (١٨٤٣م) ومات عام (١٩٢٦م) ودرس الجيولوجيا في جامعة كمبردج، وقام برحلة استكشــافية إلى المناطق المتجمدة وهو في العشــرين من عمره، ثم قرر الانصراف لخدمة لغته الإنجليزية، ودرس اللغتين الدنماركية والهولندية».

يســتطرد عدنان حسن قائلاً: «بدأ داوتي رحلاته بأسبانيا وإيطاليا ثم ذهب إلى اليونان فمصر حيث وصل إلى القاهرة عام (١٨٧٥م)، ثم عبر صحراء سيناء حتى وصل إلى مدينة البتراء حيث سمع عن مدائن صالح، المدينة الأثرية في شمال الحجاز التي لم ينجح كل من بوكهارت وبرتون في الوصول إليها».

وعــزم داوتي على زيارة مدائن صالح ومشــاهدتها وانضم إلى قافلة للحج تحت اسم مستعار (خليل). وصل إلى مدائن صالح في نوفمبر /تشرين الثاني(١٨٧٦م)، واستطاع أن يتجول في المنطقة مستنسخاً الكتابات والرسوم المنقوشة في واجهات المقابر . وبدلاً من العودة مع الحجاج إلى دمشــق آثر داوتي حياة الترحال وعاش مع جماعة من عرب الصحراء وتجول معهم وخلالها مر بمدينة تيماء. ومع اشــتداد الحر قرر داوتي العودة إلى مدائن صالح ومن هناك اتجه إلى الســاحل ليركب البحر إلى مصر[٣٦٦]، زار داوتي منطقة الحرّه وبقي فيها أربعة أشهر ثم دخل مدينة حائل ومنها ذهب إلى خيبر ثم عاد إلى حائل وسافر منها إلى بريدة ثم عنيزة ومكث في عنيزه ستة أسابيع . وفي الخامس من يوليو/تموز ١٨٧٨م توجه مع قافلة للحجاج ووصل إلى جُدَّة في أغســطس /آب من عام ١٨٧٨م. وكتب كتابه الجزيرة العربية الصحراوية وأسماه بالإنجليزية (Passages From Arabia Deserta).

عن هذا الكتاب يقول عدنان حســن: رســم داوتي في كتابه «صورة فريدة من نوعهــا عن الجزيــرة العربية كما كتب عن حياة عرب الصحراء وما يقاســونه من معاناة وشدة، وعن كرمهم وعاداتهم»[٣٦٧].

وقــد كان كتــاب داوتي كتابا طويلاً كبيراً كان من الصعــب على الكثير قراءته لطوله ولأسلوبه فظل محجوباً عن عامة الناس بما في ذلك القراء الإنجليز، إذ يقدر هذا العمل بحوالي (٦٠٠,٠٠٠) ستمائة ألف كلمة .

وفي عــام (١٩٠٨م) قام إدوارد غارنــت (Edward Garnett) باختصار هذا الكتاب تحت عنوان (تجولات في الجزيرة العربية)[٣٦٨].

يقول غارنت: إن كتاب داوتي تم التعرف عليه بعد هذا الاختصار وأصبح يعتبر من أعظم كتب الرحلات الإنكليزية .

٣٦٦- داوتي، تشارلز: رحلات داوتي في الجزيرة العربية، ترجمة عدنان حسن، الوراق، لندن، (٢٠٠٩م)، ص/٧ .
٣٦٧- المصدر السابق، ص/٨ .
٣٦٨- المصدر السابق، ص/٩ .

خط سير رحلة داوتي :

غادر داوتي مدينة دمشق مع قافلة من قوافل الحج المتجهة إلى الأراضي المقدسة وذلك بإذن خاص من الوالي . ومن دمشق توجهت القافلة إلى قرية قصمية التي قال عنها: إنها «صغيرة ونائية»، حيث قضوا ليلتهم تلك. ومن تلك القرية النائية ذهبت القافلة إلى (سلمين) والتي قال عنها: إنها مكان خرب قديم ذو أبراج وخرائب مسكونة كتلك التي تُشاهد في حوران.

وكان هناك خوف من الأمطار التي تهطل عليهم قبل أن يصلوا إلى الجزيرة العربية مما يؤدي إلى انزلاق الجمال المحملة، في الطقس الماطر، ولا يمكن أن تعبر بأمان. ويصف داوتي تحرك القافلة الذي بدأ مع الصباح قائلاً : «تم تفكيك الخيام المنصوبة، سيقت الجمال جاهزة إلى مرافقيها، وتوقفت إلى جانب أحمالها،انتظرنا لنسمع طلقة المدفع التي ستفتح حج هذا العام».

«كانت الساعة حوالي العاشرة عندما سمعنا طلقة الإشارة، ومن ثم بدون أي اضطراب رُفعت المحفات فجأة وشدت على الدواب الحاملة، ووُضعت الأحمال على الجمال الراكعة وامتطى آلاف الراكبين، المولوديين كلهم في بلدان القوافل بصمت . عندما كان كل شيء محملاً تُرك السائقون واقفين على أقدامهم، أو جالسين ليرتاحوا اللحظات الأخيرة على أعقابهم: إذ يتوجب عليهم مع الخدم الآخرين للمخيم أن يسافروا تلك الفراسخ الثلاثمائة على بواطن أقدامهم، العارية، رغم أنهم ضعفاء، وعليهم أن يقيسوا الأرض مرة أخرى صعوداً بأقدامهم المرهقة من الأماكن المقدسة . عند المدفع الثاني، الذي يطلق بعد لحظات قليلة، تتقدم محفة الباشا وبعده يذهب رئيس طابور القافلة: على مدى خمس عشرة أو عشرين دقيقة، يجب علينا أن نتوقف، نحن الذين تكون أماكننا في المؤخرة، أي حتى ينفض الموكب الطويل من أمامنا، عندئذ نضرب جمالنا ويتحرك الحجاج . هناك تسير ثلاثة أو أربعة جمال جنباً إلى جنب ونادراً ما تكون خمسة، يبلغ طول الحشد الكبير البطيء الخطى من الرجال والدواب حوالي ميلين، وعرضه حوالي مئة ياردة في السهول المفتوحة: كان عدد الحجاج هذا العام (حجاج هذه القافلة)

ستة آلاف شخص، أكثر من نصف هؤلاء رجال خدمة مشاة، وعشرة آلاف من كافة أنواع الماشية، معظمها من الجمال ثم البغال، والأحصنة والحمير وعدداً قليلاً من الجمال العربية لعرب الجزيرة العربية العائدين بأمان المواكبة الكبيرة إلى ديارهم»[٣٦٩].

ويتابع داوتي وصف طريق رحلتهم قائلاً : اليوم الثالث عشر من نوفمبر ١٨٧٦م، وبعد مسير اثني عشر ميلاً وصلنا إلى محطة الصحراء الثانية، حيث الخيام التي خلفناها وراءنا في (مزيريب)، تنتصب موزعة في صفوف بيضاء وأمامنا في البرية المفتوحة .

ويذكر داوتي أن موكب خدم الخيام الخفيفة كان «يسبق مسيرنا الثقيل»[٣٧٠].

وفي اليوم التاسع عشر من نوفمبر كانوا أمام جبل سعير . وكان الجو شديد البرودة حتى إن داوتي قال: «كانت خيامنا متيبسة بفعل صقيع الليل، فجبل سعير أو جبل الشراه أمامنا مرتفع وبارد» [٣٧١].

وفي يوم ٢٤ نوفمبر وصل داوتي مع القافلة إلى (العقبة) التي قدر ارتفاعها بـ ٤١٣٥ قدما[٣٧٢]. وعندما وصل داوتي مع القافلة إلى مدائن صالح والتي قال إنها: ثاني مركز للحجيج على الطريق، وفي منتصف رحلتنا الطويلة، هناك تمت تحية القافلة الواصلة بإطلاقات كثيرة من مدافع الميدان وترجلنا نازلين في مخيمنا المكون من خيام بيضاء منصوبة على مسافة قليلة أمام القلعة[٣٧٣].

كما تحدث داوتي عن الأسواق في محطة منتصف الطريق هذه وقال: إن سعر السلع الصغيرة، في محطة منتصف الطريق هذه، يبلغ خمسة إلى ثمانية أضعاف قيمة السوق في دمشق، وقال: رأيت أن الحلوى المنعشة والليمون الحامض والتمر الحلو،

٣٦٩- المصدر السابق، ص/٢٠ .
٣٧٠- المصدر السابق، ص/٢١ .
٣٧١- المصدر السابق، ص/٢٥ .
٣٧٢- المصدر السابق، ص/٣٠ .
٣٧٣- المصدر السابق، ص/٣٨ .

تشارلز داوتي الترحال في بلاد العرب – المصدر: www.albayan.ae

من العلا، تباع سريعاً جداً[٣٧٤].

ثم رحل داوتي عن قافلة الحج وقال: تنحينا جانباً عن طريق الحج، وذهبنا لنملأ قِرَبِنا من بركة ماء مطر عذب . ثم دخلنا شـرقاً في مرتفع (برج سليمان) الحجري الرملي المقفر[٣٧٥].

في السـادس عشـر من فبراير غادر داوتي برج سـليمان وبعد أن قطع ورفاقه حوالي عشـرة أميال نصبوا خيامهم «على مسـافة أربع سـاعات إلى الشرق من دار الحمرا»[٣٧٦]، ومكثوا هناك يومين، رحلوا بعدها لمدة خمس ساعات شرقاً ثم نصبوا خيامهم في منطقة تسمى (العنترية)[٣٧٧].

٣٧٤- المصدر السابق، ص/٦٤ .
٣٧٥- المصدر السابق، ص/٦٧ .
٣٧٦- المصدر السابق، ص/٧٢ .
٣٧٧- المصدر السابق، ص/٧٢ .

الرحالة الإنجليزي تشارلز داوتي بالملابس العربية عندما زار القصيم – المصدر: www.albayan.ae

وفي جولاتهم حول المنطقة اقترب داوتي ورفاقه من (تيماء) التي وصفها بأن منظرها الأخضر «بهيج». وقال إن ارتفاعها حوالي ٣٤٠٠ قدم[٣٧٨].

وأتى داوتي جبل بيرد(برد) وقدّر ارتفاعه بحوالي ٥٠٠٠ قدم[٣٧٩].

وفي الطريق إلى (حائل) ترجلوا على مرتفع (أبو مغير) والذي قال إن جهازه بين أن ارتفاعه ٤٠٠٠ قدم وكان ذلك بعد أربعة أيام من مغادرتهم تيماء. وفي اليوم الخامس صعدوا فوق مرتفعات قال إنها : «وعرة جداً باتجاه الشرق عن طريق يسمى درب زلاج، حيث يبلغ أعلى ارتفاع ٤٥٠٠ قدم»[٣٨٠].

٣٧٨- المصدر السابق، ص/١١٧ .

٣٧٩- المصدر السابق، ص/١٢١ .

٣٨٠- المصدر السابق، ص ص/١٦٣ – ١٦٤ .

في الصباح كانت هناك مجموعة في طريقها إلى (حائل) فركب داوتي معهم وقال إنه مر بحافة (جبل الخزام) إلى الشمال[٣٨١]. ومنه في طريقهم إلى(حائل) مروا بجبل (إيبران) الذي قال: إنه «جبل مائل إلى السواد، في أفقنا، يبعد بضع ساعات، ويمتد نحو الشمال»، واستطرد داوتي قائلاً: «بعد ذلك بقليل دخلنا رمل النفود»[٣٨٢].

ومع اقترابهم من حائل بدأ داوتي في وصف هذه الميدنة العريقة وتحدث عن بساتينها ومنازلها وتحدث عن مدخلها الذي قال إنه: «يغلق ليلاً»[٣٨٣].

وبعد أن قضى داوتي فترة من الزمن في حائل توجه منها إلى (خيبر) التي دخلوها عبر بوابات قال: إنها مصنوعة من «ألواح النخيل غير المشغولة»[٣٨٤]. ومن خيبر ذهب داوتي إلى بريدة. ومن بريدة سافر إلى عنيزة. وقد تحدث داوتي عن بعض تجاربه في كل من هاتين المدينتين العريقتين. كما وصف أسواق مدينة عنيزة وتطرق لأسعار إيجارات البيوت فيها. وحدد إيجار أحد بيوتها «بألف ريال أي حوالي ٢٠٠ جنيه إسترليني في العام»[٣٨٥].

سمع داوتي وهو في بريدة عن قافلة محملة بالتمر والحب ذهبت إلى المدينة المنورة. كما سمع عن تجهيز قافلة (للسمن) في طريقها إلى مكة المكرمة. فكّر أنه إن ذهب معها فقد ينتهي به المطاف في جُدَّة ليأخذ من هناك باخرة إلى القارة الاوروبية. وقدر المسافة بينه وبين الساحل بحوالي «٤٥٠ ميلاً صحراوياً»[٣٨٦].

جُهزت ناقة لرحلة داوتي إلى جُدَّة كان قد تم شراؤها من «سوق الجمعة» وبدأ هذا الرحالة رحلته عن طريق النفود في مكان تجمع القافلة التي ستسير إلى مكة

٣٨١- المصدر السابق، ص/١٦٦ .
٣٨٢- المصدر السابق، ص/١٧١ .
٣٨٣- المصدر السابق، ص/١٨٥ .
٣٨٤- المصدر السابق، ص/٢٦٩ .
٣٨٥- المصدر السابق، ص/٣٢٧ .
٣٨٦- المصدر السابق، ص/٣٤٥ .

المكرمــة والتي ســيصاحبها داوتي إلى جُدَّة، وكان هو الشــخص الوحيد في تلك القافلــة التي لم تكن مكة هي مقصده، حيث كان يقصد جُدَّة دون الدخول إلى حدود الحرم .

كانت القافلة تتكون من ١٧٠ جملاً وتحمل حوالي ٣٠ طناً من السمن، وكان بها سبعون رجلاً، أربعون منهم يركبون على نياق وكانوا موزعين على جماعات(٣٨٧).

مع ارتفاع الشــمس انطلقت القافلة وهبطــوا بعد وقت قصير في (وادي الرمة) الذي ســاروا فيه حتى قبيل الظهيرة بســاعتين وترجلوا عندئذ. وظلوا هناك حتى الفجر ثم مروا أمام (الرس) وعند الظهر وصلوا إلى (أم تيه)(٣٨٨).

بعد ذلك بدأت رحلتهم باتجاه الطائف التي اقترح البعض على داوتي أن يذهب إليها ليسافر منها إلى جُدَّة مقصده الأصلي.

عن الطائف يقول داوتي : «أي متعة أن أزور الطائف، عَدنُ مكة، ذات الهواء العليل والبارد، حيث توجد جنائن الورد، والكرمة والبساتين»(٣٨٩).

إلا أن داوتي نُصح من البعض بالذهاب مباشرة إلى جُدَّة بدلاً من الطائف وقد أخذ بالنصيحة، واتجه نحو جُدَّة بينما استمرت القافلة في طريقها إلى مكة المكرمة.

وبينمــا كان داوتي في طريقــه إلى جُدَّة مع مجموعة مــن الناس حصل خلاف كبير بينهم وتقرر ذهابه إلى الطائف مرة أخرى بدلاً من جُدَّة، وبدأت رحلته إلى الطائف.

دخل داوتي ورفاقه الطائف من بوابة قال إنها: «تدعى باب السيل»(٣٩٠).

٣٨٧- المصدر السابق، ص/٣٤٩ .
٣٨٨- المصدر السابق، ص ص/٣٥١ – ٣٥٣ .
٣٨٩- المصدر السابق، ص/٣٥٩ .
٣٩٠- المصدر السابق، ص/٣٨٩ .

ومن الطائف سافر داوتي بحراسة ثلاث رجال إلى جُدَّة حيث أنهى تجولاته في بلاد العرب.

عن الجزء الأخير من رحلة داوتي في جزيرة العرب يقول الباحثان Zahra Freeth وH.V.F. Winstone في كتابهم (مستكشفي بلاد العرب Explorers of Arabia) أن داوتي في سفره من الطائف إلى جُدَّة مر بوادي فاطمة في رحلة مريحة وكان الطريق في نزول منحدر. وبعد ثلاثة أيام من مغادرتهم الطائف بدأ داوتي ورفاقه يشعرون بالحر واقترح رفاق دربه أن يستمروا في السير ليلاً ليصلوا إلى جُدَّة مع صباح اليوم التالي إلا أن داوتي رفض ذلك وأصر على قضاء الليلة في مكانهم ذلك.

في الصباح استأنفوا رحلتهم إلى جُدَّة وبدأت السهول تظهر لهم وأصبحت الجبال خلفهم. وفي عصر ذلك اليوم كانوا على متن تلة يمكن من فوقها رؤية سور جُدَّة ومنائر مساجدها وبعض من معالم المدينة.

في الأسبوع الأول من أغسطس عام ١٨٧٨م بعد أن قاربت أسفاره في جزيرة العرب على الانتهاء وقبل الدخول إلى جُدَّة ارتدى داوتي ملابس عربية ودخل البلدة من باب مكة، وذهب رأساً إلى القنصلية البريطانية، حيث يقول داوتي: لقد تمت دعوتي لاكون ضيفاً بالقنصلية البريطانية بجُدَّة.

يقول الباحثان زهرا فريس د هـ ونتستن:

«بهذه الجملة أنهى داوتي فجأة كتابه دون أي تفاصيل أخرى».

ويذكر الباحثان في كتابهم أن داوتي لم يصل إلى إنجلترا إلا في نوفمبر بعد فترة راحة في عدن والاستشفاء في بومباي . كما ذكروا أن داوتي عاد في الربيع إلى دمشق لأخذ بعض من مقتنياته التي كان قد تركها هناك. ومن دمشق ذهب داوتي إلى نابولي في ايطاليا حيث كتب كتابه عن رحلته في الجزيرة العربية.

هذا الكتاب الذي أصبح مرجعاً لكل الرحالة الذين أتوا من بعده. وذكر

الباحثان أن داوتي توفي بعد أن جاوز الثمانين من العمر عام ١٩٢٦م[٣٩١].

هكذا كانت في جُدَّة خاتمة سفرات تشارلز داوتي أحد أشهر الرحالة الغربيين الذي قضى حوالي ثلاث سنوات في ترحال مستمر في بلاد العرب، وترك لنا كتاباً عن رحلته تحدث فيه بتوسع عن البلدان والمدن التي زارها ولكنه ولسبب مبهم لم يتحدث داوتي في كتابه كثيراً عن مدينة جُدَّة التي أنهى فيها أسفاره قبل أن يغادرها إلى عدن للراحة ومنها إلى بومبي للاستشفاء قبل أن يعود إلى بلاده. ولعل اعتلال صحته عندما أتى إلى جُدَّة كان أحد أهم أسباب إحجامه عن الحديث عن هذا الثغر السعودي الجميل ذو الموقع الاستراتيجي في منتصف الضفة الشرقية من البحر الأحمر في المنطقة الغربية من وطننا الحبيب المملكة العربية السعودية.

٣٩١- Freeth، Zahra and Winstone، H.V.F:Explorers of Arabia، George Allen، Unwin، London، P. 266

عبدالرشيد إبراهيم التركستاني مؤسس أول مسجد بطوكيو

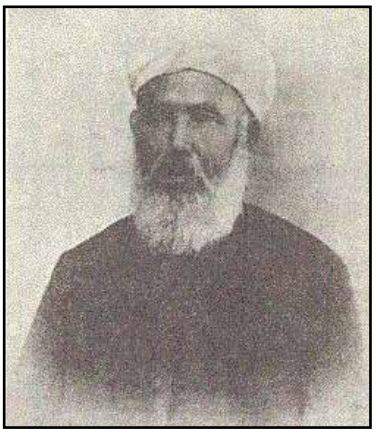

عبدالرشيد إبراهيم – المصدر: كتاب حياتي

يقول الدكتور فهد السماري المشرف على دارة الملك عبدالعزيز في مقدمة كتبها لكتاب «الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية» والذي طبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز –حفظه الله– عندما كان حفظه الله أميراً لمنطقة الرياض وأصدرته الدارة عام ١٤١٦هـ: إن أهمية تلك الرحلة «اليابانية» تكمن في كونها تقدم وجهة نظر تختلف عن وجهات النظر السائدة – خصوصاً الأوربية – عن المنطقة مما يسهم في إثراء المصادر التاريخية من حيث تنوعها وتعددها(٣٩٢).

وأقول: إن هذا الرأي الذي أتفق معه ينطبق على رحلة الرحالة المسلم الروسي عبدالرشيد إبراهيم الذي قام برحلة إلى جُدَّة ومكة المكرمة والمدينة المنورة في عام ١٢٩٦هـ وسجل وقائع رحلته في كتاب عن سيرته الذاتية وسمه: (ترجمة حالم) أو

٣٩٢- ناكانو, إيجيرو: الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م, ترجمة سارة تاكاهاشي, دارة الملك عبدالعزيز, الرياض, (١٤١٦هـ)، ص/ذ .

الشيخ عبدالرشيد إبراهيم – المصدر: www.gate.ahram.org.eg

(سيرتي الذاتية) وقد تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية وقد راجع تلك الترجمة الدكتور صالح مهدي السامرائي، رئيس المركز الإسلامي في اليابان وكتب مقدمة للكتاب قال فيها:

إن كتاب «حياتي» والذي هو ترجمة عربية لكتاب أحد عمالقة مسلمي روسيا الشيخ عبدالرشيد إبراهيم: (ترجمة حالم)، وهو عالم ومفكر وداعية ورحالة وسياسي . ولد ونشأ في مدينة (تارا TARA) في سيبيريا في أواخر القرن التاسع عشر (الميلادي)، وتعلم وعلّم في ربوع سيبيريا وإسطنبول والمدينة المنورة، وطاف في أوائل القرن العشرين عموم روسيا إلى أن وصل إلى شرقها في ميناء فلاد فستوك الذي أبحر منه إلى اليابان داعيا للإسلام، ومنها إلى كوريا والصين والهند والحجاز والشام ثم إسطنبول، وسجل رحلاته في كتاب موسوعي باللغة العثمانية أسماه «عالم إسلام»، وقمت بترجمته إلى العربية في جزئين بعنوان «العالم الإسلامي في

رحلات عبدالرشيد إبراهيم» وطبع الكتاب ونُشر سنه ٢٠١١م.

ويكمل الدكتور السامرائي قائلاً:

ومن جملة ما ألفه عبدالرشـيد إبراهيم هذه السـيرة الذاتية، عن نشأته في بلاده وأحوال المسـلمين في طريق رحلته في أواخر القرن التاسع عشر، وعنوان المذكرات (ترجمة حالم) أي (سيرتي الذاتية) قمت بالوقوف على ترجمتها إلى العربية من اللغة العثمانية التي لقي المترجم عناء في ترجمتها[٣٩٣].

وعن هذا الكتاب (ترجمة حالم) يقول مصححه وكاتب حواشيه الأستاذ منصور بخـاري: أصل هذا الكتاب مطبوع حوالي عام ١٩٠٦م (١٣٢٣هـ) باللغة التركية (العثمانية) وبالحروف العربية في ١٢٨ صفحة باسـم (ترجمة حالم) أي: سـيرتي الذاتيـة، وقد حصلت في بداية الأمر على ترجمة الكتاب إلى العربية وبين حصولي علـى النـص المترجم أن الكتاب الأصلـي بالتركية قد فُقـد، فلذلك لم أحصل على النسـخة التركية المطبوعة . ثم حصلت على الكراسة الأصلية للمترجم بخط يده فقمت بعمـل الكثير من التصحيحات الإملائيـة وتصحيح وتعريب بعض مسميات البلدان والمعالم الجغرافية[٣٩٤].

وقد ضمن المحقق منصور عبدالباقي بخاري في الكتاب (إجازة في علم القراءات) كان الشيخ عبدالرشيد إبراهيم قد نالها[٣٩٥].

كما أرفق في الكتاب أيضاً مقالة لم تنشـر من قبل لعبدالرشيد إبراهيم كان قد كتبهـا باللغة العربية وبخط يده وذلك في حدود عام ١٩٤٠م أثناء الحرب العالمية الثانية وهو في طوكيو[٣٩٦].

٣٩٣- إبراهيم, عبدالرشـيد: حياتي (ترجمة حال), ترجمة إحسـان وصفي, تحقيق الدكتور صالح مهدي السامرائي, دار الميراث النبوي, مكة المكرمة, (١٤٣٥-٢٠١٤م), ص ص/٥-٦.

٣٩٤- المصدر السابق, ص/٢٠ .

٣٩٥- المصدر السابق, ص ص/٢٠٧-٢١٧ .

٣٩٦- المصدر السابق, ص ص/ ٢٢١-٢٢٨ .

وأقول: إن أهمية هذا الكتاب عن رحلة عبدالرشيد إبراهيم إلى الأراضي المقدسة وإلى جُـدَّة تأتي في كونها تتناول فترة تاريخية مهمـة وتغطي تاريخ بقية من العالم الإسلامي لم يسلط عليها ما يكفي من الضوء.

والأهميـة الأخرى لهذه الرحلة تكمن في كونها تقـدم وجهة نظر أخرى تختلف عن وجهات النظر السـائدة –خصوصاً الأوربية– عن المنطقة، مما يسهم في إثراء المصـادر التاريخية مـن حيث تنوعها وتعددها كما قال المشـرف العام على دارة الملك عبدالعزيز.

وستناول هذا الكتاب «حياتي» أو «ترجمة حالم» ونسلط بعض الضوء على ما جاء فيه بعد أن نقدم ترجمة لحياة كاتبة الشيخ عبدالرشيد إبراهيم.

ترجمة الشيخ عبدالرشيد إبراهيم :

يعرف الشيخ عبدالرشيد إبراهيم عن نفسه فيقول : ولدت في بلدة (تارا) بولاية طبول في ٢٣ نيسـان (إبريل) ١٨٥٧هـ الموافـق ١٢٧٣/٨/٢٨هـ) وهو التاريخ الذي سجله والدي في مفكرته .

ويكمل الشيخ قائلاً :

وعندما كنت في سن السابعة أخذني والدي إلى قرية (أووشي) لكي يدخلني في مدرسـتها الليلية التي كان يديرها معلم اسمه (زين البشر) وأكون أنا التلميذ الليلي الوحيد بعد أن ينفض عنها التلاميذ النهاريون بعد المغرب، وتقع المدرسة في الطابق الأرضي من أحد المساجد، وهي عبارة عن غرفة واحدة بطول ثمانية أذرع وعرض سـتة أذرع يـأتي إليها التلاميذ صباحاً يحمل كل واحـد منهم حزمة من الحطب لغرض التدفئة، وكنت أنا مسؤولاً عن إدارة المدرسة نهاراً بسبب مرض المعلم .

وفي سـنة ١٨٦٧م اسـتطاعت والدتي أن تحصل لي على قبول في مدرسة قرية (ألمن) التابعة لناحية (جيلابي). وكانت المدرسة مؤلفة من غرفة واحدة فقط .

وكانـــت القرية مؤلفة من حوالي ثلاثمائة بيـــت وفي كل بيت غرفة واحدة فقط، باستثناء عشرة منازل بغرفتين في كل منزل.

ويبين الشيخ عبدالرشـــيد أنه قضى أربع سنوات في الدراسة في تلك القرية قبل أن تتوفى والدته ويطلب منه والده أن يعود إلى الديار.

وفي رحلة عودته إلى بلده صادف صعوبات في الطريق بسبب وعورة الطرق التي ســـببها ذوبان الثلج مما اضطره إلى المكـــوث في إحدى القرى على الطريق انتظاراً لوصول ســـفينة تمر من هناك وتوصله إلى بلده، فواصل دراســـته في مدرسة تلك القرية. وتوفي والده وهو في تلك القرية فأصبح يتيم الوالدين وكان عندئذٍ في الرابعة عشر من العمر.

بعـــد فترة جـــاء إلى تلك القرية أخوه الوحيد إسماعيـــل ليعيش مع أخيه الأكبر عبدالرشـــيد واشتغلا في خدمة الناس كســـباً للعيش ولدفع رسوم الدراسة ودرس أخوه علم الصرف ودرس عبدالرشيد النحو .

وعندمـــا حل موســـم الصيف عاد الشـــيخ وأخوه إلى بلدتهم (تـــارا) في رحلة اســـتغرقت أربعة عشـــر يوماً ونزلوا في بيت خالتهم حيث قضوا شهرين في البلدة قبل عودتهم إلى مدرســـتهم في (تيومان)، وبعد ثلاث سنوات غادر الأخ الأصغر إسماعيل البلدة عائداً إلى بلدتهم (تارا) بينما ذهب الشيخ عبدالرشيد في فبراير من عام ١٨٧٧م إلى (قازان) (عاصمة جمهورية تترســـتان الإسلامية) وتعرض خلال الرحلة إلى مشـــاكل ومضايقات وســـرقة أموال قبل أن يصل إلى بلدة (قشـــقار) المجاورة لقازان (وهي غير المدينة الكبيرة كاشـــغر «قاشـــقر» التي تقع في تركستان الشـــرقية) ودخل مدرسة قشقار حيث وجد بعضاً من زملائه الذين كانوا معه في المدارس السابقة .

بعد ذلك واجهته مشاكل كثيرة لعدم امتلاكه جواز سفر ساري المفعول ودخل عدة سجون بسبب ذلك حيث تنقل من سجن إلى آخر قبل أن يصل عائداً إلى بلدته (تارا). ومنها انتقل مع إحدى القوافل إلى بلدة (إيشـــم) وهي مدينة صغيرة

تقع قرب حدود كازخستان .

ثم إلى منطقة (قازاق الدون) (نسبة إلى نهر الدون Don) ومنها بعد رحلة طويلة وصل إلى بلدة (ملابـاي) حيث وجد عملاً كمدرس في منزل شخص يدعى «أورده باي حاجي»، وهو أحد الأشخاص المعروفين في تلك القرية . وانتقل بعد ذلك للعمل لدى «عمرو ولص» (Vuls) في ولاية (آق ملا) حيث عمل إماماً لديه لمدة قبل أن يبلغ الشخص الذي كان يعمل عنده إنه يرغب في السفر إلى المدينة المنورة .

خط سير رحلة عبدالرشيد التركستاني :

تابع عبدالرشيد سفره متوجهاً إلى (قيزل يار) ثم إلى(تيومان) حيث التقى بأستاذه القديم «جلال الدين ملا» ثم استأنف السفر إلى (أور ينبرغ) ومنها إلى (بيرمي) حيث ركب باخرة أوصلته إلى (نيزني) ثم إلى ميناء (أوديسا) حيث استضافه هو وغيره شخص يدعى «إبراهيم ملّا آدكاييف» وكان هذا الشخص يساعد المسلمين في السفر إلى الديار المقدسة لأداء الحج .

وبعد حوالي شهر من وصوله تم إرساله سراً إلى باخرة كان على متنها شخص عربي يقدم القهوة للمسافرين فساعدهم على الاختباء في حمام السفينة (كانوا مسافرين بدون جوازات سفر ودون أي نقود أو تذاكر) . دخلت السفينة مضيق البسفور ثم ميناء (سيركه جي) في إسطنبول حيث أنزلوهم سراً على الساحل.

في إسطنبول عمل عبد الرشيد خادماً عند شخص يُدعى «محمد أفندي القازاني» لمدة خمسين يوماً قبل أن يلتقي بمجموعة من الحجاج القادمين من سيبيريا لكنهم لم يساعدوه في الذهاب إلى الحج .

وفي أحد الأيام كان عبدالرشيد واقفاً في الميناء عندما وصلت إحدى السفن من ميناء (أوديسا) ونزل منها شخصان كانا قد قدما من (إيركونسكي) وطلبا منهم أن يدلهم على من يستحق الزكاة لأن لديهم زكاة أموال يرغبون في دفعها فأخبرهم عبدالرشيد أنه فقير وأنه يود الذهاب إلى الديار المقدسة لأداء فريضة

الحج فساعداه وأعطياه مبلغاً من المال واشتريا له تذكرة السفينة مقابل أن يخدمهما خلال الرحلة على متن السفينة .

وفي اليوم التالي سافر معهم عبدالرشيد على متن السفينة العثمانية المسماة « شريف رسان» في سفرة قال عبدالرشيد: إنها سفرة طيبة مررنا بـ (جناق قلعة) و(إزمير) و(إسكندرون) و(بيروت) و(بور سعيد) و(قناة السويس)، واستغرقت تلك السفرة أسبوعاً، وصلنا في نهايتها إلى ميناء (جُدَّة) في اليوم الأول من شهر ذي الحجة (من عام ١٢٩٦هـ)[٣٩٧].

الرحالة عبدالرشيد إبراهيم في جُدَّة :

بعد أن وصل الشيخ عبدالرشيد إبراهيم على متن الباخرة «شريف رسان» إلى جُدَّة قادماً من إسطنبول لم يبقَ في جُدَّة إلا ساعات قليلة غادر بعدها متوجهاً إلى مكة المكرمة في مساء نفس يوم وصوله إلى جُدَّة[٣٩٨].

وفي أواخر شهر صفر غادر عبدالرشيد مكة متوجها إلى جُدَّة. وفي اليوم التالي لوصولهم جُدَّة توجه عبدالرشيد ورفاقه إلى مينائها لركوب السفينة التي أقلتهم إلى السويس في رحلة استغرقت ثلاثة أيام ثم منها إلى الإسكندرية التي وصلوا إليها بعد يوم واحد وقضوا فيها أسبوعا كاملاً.

غادروا بعد ذلك الإسكندرية على متن باخرة روسية نقلتهم إلى إسطنبول التي يسافرون منها إلى روسيا. وفي اليوم الثاني عشر من شهر شباط (فبراير سنة ١٨٨٥م) وبعد غيبة استمرت تسع سنوات وصل الحاج عبدالرشيد إبراهيم إلى مسقط رأسه (تارا) ونزل في دار أخيه إسماعيل، وبدأ تدريس القرآن في قريته كما أصبح إمام مسجد القرية.

وتزوج بإحدى قريباته قبل أن يعود إلى الديار المقدسة لأداء الحج مرة أخرى ثم يعود مرةً أخرى إلى قريته (تارا) في أول نوفمبر سنة ١٨٨٥م.

٣٩٧- المصدر السابق, ص ص/ ٢٢٩-٢٣٤ .
٣٩٨- المصدر السابق, ص ص/ ٢٣٦-٢٤٣ .

محمد صادق باشا

محمد صادق باشا – المصدر: www.makkawi.com

قام الرحالة محمد صادق باشا بعدة زيارات إلى الحجاز وكانت زيارته الأولى إلى المدينة المنورة عام ١٢٧٧هـ الموافق لسنة ١٨٦٠م وكان ذلك بمعية الوالي سعيد باشا . كما قام بزيارة أخرى للمدينة المنورة عام ١٨٦١م، وتحدث عن رحلته تلك في كتابه الموسوم «نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية» . وكانت رحلته الثانية والثالثة عامي ١٨٨٠م، ١٨٨٤م، وكانتا بقصد أداء فريضة الحج، وكان وقتها أميناً لصرة المحمل، وسجل وقائع هاتين الرحلتين في كتبه « مشعل المحمل»، «وكوكب الحج». أما رحلته الرابعة، فكانت لمهمة رسمية قام بها عام ١٨٨٥م وتحدث عنها في كتابه «كوكب الحج» .

وقد اصطحب محمد صادق معه في رحلاته تلك أجهزة علمية أعانته في تسجيل البيانات، ورسم الخرائط، وتعيين المحطات، وذكر أسماء النباتات وأنواع الصخور والجبال وطبيعة الأرض بشكل عام، فأضافت هذه المؤلفات العديد من المعلومات الجغرافية القيمة في تاريخ الكشف الجغرافي للمنطقة[٣٩٩].

٣٩٩- صادق باشا، محمد: الرحلات الحجازية، إعداد وتحرير محمد همام فكري، بدر للنشر والتوزيع، بيروت، (١٩٩٩م)، ص/ ١٤ .

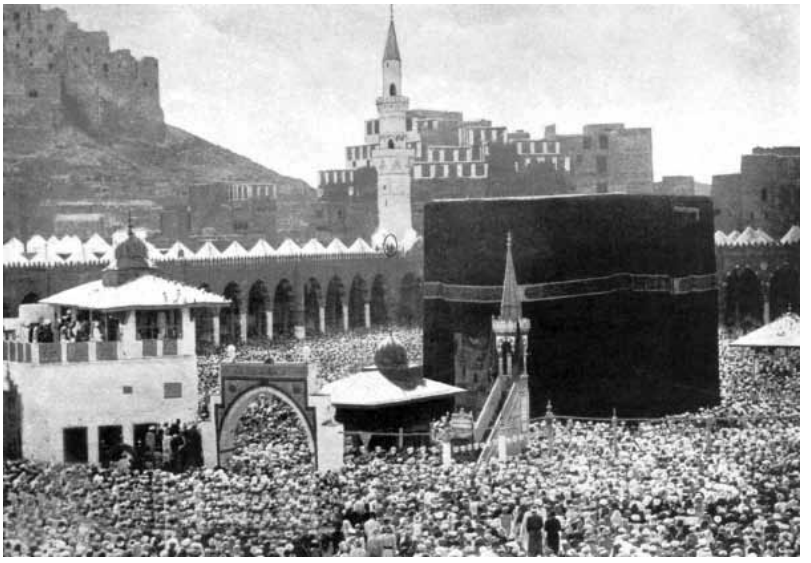

المسجد الحرام، تصوير محمد صادق باشا عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م
– المصدر: www.makkawi.com

ومحمد صادق هو مصور رائد إذ اطلع على بعض التقدم الذي حدث في مجال معالجة الصور الفوتوغرافية، وسرعان ما انتشر هذا الاختراع الرائع الذي يعتمد على ما يسمى الكاميرا، وإنه بلا شك قد بُهِرَ بهذا الاختراع الجديد .

يقول مُراجع كتاب « الرحلات الحجازية»، محمد همام فكري أنه : «عندما أصدر المهندس المصري الميرالاي أركان حرب محمد صادق بك، أول أعماله الفوتوغرافية عن مكة المكرمة، والمدينة المنورة، لاقت هذه الأعمال إقبالاً شديداً في شتى المجلات العربية والأوروبية»(٤٠٠).

وقد زار محمد صادق مدينة جُدَّة خلال بعض رحلاته إلى المدينتين المقدستين، مكة المكرمة والمدينة المنورة .

٤٠٠– المصدر السابق، ص/٢٠

ترجمة حياة الرحالة محمد صادق باشا:

ولد محمد صادق عام ١٨٢٢م في القاهرة وتلقى علومه الأساسية في مدارسها .

وقد قدم الأستاذ خير الدين الزركلي –رحمه الله– ترجمة لرحالتنا فقال: محمد صادق «باشا»: فاضل مصري، من العسكريين . من أعضاء «الجمعية الجغرافية». مولده ووفاته بالقاهرة . تعلم بها وبباريس. وقام برحلة استكشافية عسكرية إلى الحجاز براً، عن طريق الوجه، إلى المدينة، ووضع «خريطة» لذلك الطريق . وهو أول من أخذ قياسات دقيقة للقبر النبوي (الشريف).

وقد دون تحقيقاته في «دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج – ط» وبه خريطة و ١٢ لوحة . ثم كان أمين صرة المحمل المصري (سنة ١٨٨٠ و ١٨٨٥م) فكتب رسالة «مشعل المحمل – ط»، وألحق بها «كوكب الحج في سفر المحمل بحراً وسيره براً – ط» رسالة أيضاً.

وألقى محاضرات عن البلاد الحجازية. وله «نبذة سياحية إلى الاستانة العليا – ط» وعني بالأدب وله نظم[٤٠١].

وفاته : تذكر المصادر أن وفاة محمد صادق باشا كانت عام ١٩٠٢م بعد حياة حافلة بالإنجازات العلمية في الكشف الجغرافي والعمل الحربي وبعد أن أهدى العالم الإسلامي سجلاً وافياً عن الأماكن المقدسة والطريق إليها ووصفاً دقيقاً لشعائر نسك الحج[٤٠٢].

محمد صادق باشا، المصور الرائد:

يعطي محقق كتاب الرحلات الحجازية خلفية علمية لمحمد صادق فيقول: انتخب محمد صادق للسفر إلى فرنسا بين أفراد بعثة الجيش الرابعة، التي اختارها

٤٠١– الزركلي، خير الدين: الأعلام – قاموس تراجم، المجلد السادس، الطبعة الحادية عشر، مصدر سابق، ص/١٦١ .
٤٠٢– صادق، محمد: الرحلات الحجازية، مصدر سابق، ص/٢٥ .

باب الصفا، تصوير محمد صادق باشا عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م– المصدر: www.makkawi.com

القائد سليمان باشا الفرنساوي عام ١٨٤٤م، ليلتحق بالمدرسة الحربية المصرية في باريس، تحت إدارة أسـطفان بك، مع الفوج الثاني الذي ضم أربعة أمراء مصريين منهم اثنان من أبناء محمد علي وهما الأمير عبدالحليم والأمير حسـين، واثنان من أبناء إبراهيم باشـا وهما (الخديوي) إسماعيل والأمـير أحمد، ولما تخرج منها دخل مدرسـة التطبيقات الحربية (البولتكنيك) التي تعلم فيها تقنيات الرسم والزخارف، واطلع بوجه عام على جوانب هامشـية من النهضة العلمية وعلى وجه الخصوص في مجال العلوم التطبيقية، بفرنسـا في ذلـك الوقت . وبعد أن أتم علومه عاد إلى مصر، وكان ذلك في عهد سـعيد باشـا فعين مدرساً للرسـم في المدرسة الحربية بالقلعة، تحت نظارة العلامة الشهير رفاعة بك الطهطاوي(٤٠٣).

٤٠٣– صادق، محمد: الرحلات الحجازية، مصدر سابق، ص ص/١٣-١٤.

وفي موقع آخر من الكتاب يقول محققه محمد همام فكري: إنه من حسن حظ محمد صادق بك إنه وخلال فترة بعثته في باريس كان قد حدث شيء من التقدم في مجال معالجة الصور الفوتوغرافية، وسرعان ما انتشر هذا الاختراع الرائع الذي يعتمد على ما سمي بالكميرا وأنه بلا شك قد بُهر بهذا الاختراع الجديد(٤٠٤).

ويتفق معظم المؤرخين على أن أول من التقط صوراً فوتوغرافية في المدينة المنورة هو الرحالة محمد صادق . فعلى سبيل المثال يقول بدر الحاج: «كانت معظم مناطق شبه الجزيرة العربية مجهولة بالنسبة للمصورين الأجانب، باستثناء بعض الصور لمدن جُدَّة وعدن ومسقط والتي التقطت من قبل مصورين كانوا في طريقهم إلى الهند، وعندما أصدر المهندس المصري الميرالاي أركان حرب محمد صادق بك أول أعماله الفوتغرافية عن مكة المكرمة والمدينة المنورة لاقت هذه الأعمال إقبالاً شديداً ونشرت في شتى المجلات العربية والأوروبية»(٤٠٥).

ويبدو أن محمد صادق بيك هو أول من التقط صوراً لأي من الأراضي التي أصبحت اليوم المملكة العربية السعودية إذ ينقل محقق كتاب رحلاته ما قاله وليم فيسي من أن: أول صورة شمسية للأراضي التي تتبع المملكة العربية السعودية اليوم جرى التقاطها قبل نحو مئة عام من ذلك في عام ١٨٦١م: ففي الواحد والعشرين من يناير نزل عقيد مصري اسمه محمد صادق إلى بر ميناء الوجه الواقع على البحر الأحمر في الساحل الشمالي للحجاز، وكان الضابط النابه يحمل جهازاً نابها هو الآخر: كاميرا أو آلة تصوير شمسي التقط بها أيضاً فيما زعم أنها أول صورة لمسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، وفي عام ١٨٨٠م صور محمد صادق الحرم المكي الشريف ومواقع أخرى يتصل سبيلها بالحج(٤٠٦).

٤٠٤- المصدر السابق، ص ص/١٩-٢٠ .

٤٠٥- الحاج، بدر: المملكة العربية السعودية – صور من الماضي، الطبعة الثانية، فوليو المحدودة، لندن، (١٩٩٧م)، ص/١٦ .

٤٠٦- فيس، وليام وجليان غرانت: المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين، مركز الدراسات العربية، لندن، (١٩٩٦م)، ص/١٨ .

أحد الأحتفالات، تصوير محمد صادق باشا عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م – المصدر: www.makkawi.com

مؤلفاته :

يتحدث رحالتنا عن مؤلفاته فيقول في كتاب «دليل الحج» الذي تم نشـــره عام ١٨٩٦م :

«إني اســـتخرت الله بأن أجمع كتبي الثلاثة التي ألفتها مدة ســـفري إلى الأراضي الحجازية أحدها، جريدة استكشـــافية من الوجه إلى المدينة المنورة ومنها إلى ينبع البحر حين كنت مهندســـاً بمعية المرحوم ســـعيد باشـــا والي مصر وتبعته في سفره إلى المدينة المنورة في رجب ســـنة ١٢٧٧هـ وفي سنة ١٢٩٧ هـ تعينت أميناً للصرة وتوجهت مع المحمل في شـــهر شوال بطريق البر وعند عودتي ألفت كتاباً في كيفية الحج ومعالم الطريق وسميته بمشعل المحمل، والثالث بتلك الوظيفة أيضاً بطريق البر في ذي الحجة ســـنة ١٣٠٢هـ وسميته «كوكب الحج» شـــارحاً بها سير المحمل من يوم خروجه من مصر المحروســـة إلى وصوله إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وعودته

إليهـــا مع رســـم خريطة الطريق وبيان المســـافة بين المحطـــات بالضبط وذكر نوع أرضها وصلاحيتها وما بها من آمن ومخوف، والبلاد المار عليها وسكانها وعاداتهم وتعدادهم حسب الاستكشافات العسكرية وكيفية الحج ومناسكه ورسم مسطح الحرمين الشـــريفين المكـــي والمدني فجاءت بفائدة عظيمة للمســـافر والمقيم ونفع عميـــم فاهتممت وجمعتها في كتاب واحد ليتخـــذه المطالع والحاج علماً يهتدى به»[٤٠٧].

هـــذا ويبين محقق كتاب الرحلات الحجازية الدكتور محمد همام فكري، أن لمحمد صادق باشا كتاباً في الرحلات بعنوان: «نبذة سياحية إلى الاستانه العلية». ويذكر أن هذا الكتاب لم يتم العثور عليه بعد[٤٠٨].

جُدَّة بعدسة ذاكرة محمد صادق باشا :

زار الرحالة محمد صادق باشا مدينة جُدَّة وسجل انطباعاته ومشاهدته في جُدَّة بطريقته العلمية الدقيقة.

وقـــد بدأ محمد صادق حديثه عن رحلته إلى جُـــدَّة متحدثاً عن وصول المحمل إلى ميناء جُـــدَّة في صباح يوم الثلاثاء ٢٨ ذي القعدة عام ١٣٠٢هـ الموافق ١٠ سبتمبر ١٨٨٤م وأعطى تفصيلاً لذلك قال فيه :

وفي صباح يوم الثلاثاء ٢٨ ذي القعدة لم تُمكن مشاهدة الجبال من بعد خمسة أميال لتراكم الضباب مع أنها تشاهد في الصحو من بعد مائة ميل ووصلت الحرارة قبيل الشروق ٣١ سنتجراد وفي نصف الساعة السادسة من هذا اليوم رسا البابور أمام بوغاز جُدَّة فضربت الموســـيقى والطبول والمدافع فرحاً بالوصول ونقل ما في الوابور إلى البر في القطاير لعدم أســـكلة هنالك فيقف بعيداً عن البر بميلين وأقبل الليل والحجاج مقيمون أمام الجمرك إلى الصباح وفي نصف الساعة الرابعة من يوم الأربعاء ركب المحمل من أمام ديوان الجمرك في محفل عظيم ودخل من باب البلدة

٤٠٧- صادق، محمد: الرحلات الحجازية، مصدر سابق، ص ص/٢٥- ٢٦ .
٤٠٨ - المصدر السابق، ص/٢٦ .

المسمى بباب الجمرك ولعدم كفاية ارتفاعه لمرور المحمل هدم منه ما لزم هدمه ومر من طريق ببحري البلد عرضها من خمسة عشر متراً إلى عشرين متراً والسور عن يساره حتى وصل بعد س ٤، ٥٤ ق (أي الساعة الرابعة وأربع وخمسون دقيقة) إلى المعسكر بعيداً عن القشلاق بمسافة يسيرة فنزل أمام صوان الأمير وحضر الضباط والأعيان في الصوان ليهنئوا الأمير ومن معه بسلامة الوصول[٤٠٩].

وبعد ذلك قدم محمد صادق وصفاً لقشلاق (قشلة) جُدَّة حيث يسكن عسكرها كما وصف المدينة نفسها فقال:

والقشلاق مبنى في الجهة البحرية مع الشرقية مربع الشكل طوله ٧٧ متراً مربعاً وارتفاعه نحو أربعة أمتار وفيه بكباشي وبعد الظهر من يوم الجمعة بلغت الحرارة داخل الخيمة ٣٧ سنتجراد والبلد محاط بسور له خمسة أضلاع أحدها وهو القبلي ٨١٠ متراً وأما الغربي فهو ٥٧٦ متر والبحري ٦٧٥ متر والشرقي ٥٠٤ متر والشرقي القبلي ٣١٥ متر وارتفاعه نحو أربعة أمتار والجبانة (المدافن) خارج سور البلد بالقرب من القشلاق محاطة بسور طوله ١٦٠ متراً مربعاً وفي وسطها ضريح أمنا حواء عليها السلام طوله ١٥٠ متراً وعرضه أربعة أمتار محاط بجدار ارتفاعه متر وعلى كل من طرفيه ووسطه قبة إشارة إلى الرأس والسرة والقدمين ويضعون على قبورهم الصبارة (نبات الصبار الصحراوي) ومنازل البلد نحو ألفي منزل مبنية بالدبش المحمول من خارج باب السور من الأرض ومن البحر والمؤن من طينة البحر فقط لأنهم يبنون بها بعد عجنها جيداً بيوم فتصير أجود وأمتن وبيوتهم تجارية ليس لها حيشان (أحواش) وهي ذات دورين وتارة ثلاثة أدوار بل أربعة وخمسة، وسمك جدران الدور الأرضي ثمانون سنتمتر وارتفاعها أربعة أمتار ونصف بها ميد والوجهة عندهم مركبة من رواشن أعني شبابيك ومشربيات من الخرط في غاية الظرافة وحسن المنظر مع قلة أثمانها، وحاراتها غير منظمة، متران فأكثر وشوارعها من عشرة أمتار إلى خمسة عشر، وأرضها مستوية غير محجرة وبها مجاري لتصريف مياه الأمطار التي تستمر فيها نحو شهرين أو ثلاثة، وفي خارج

٤٠٩- المصدر السابق، ص/١٧٧ .

البلـــد وفي بيوتها صهاريج مبنية نحو ثمانمائة تجتمع فيها مياه المطر وتغلق إلى وقت الحج للتجارة فيربحون فيها ربحاً جســـيماً . وأما أهل البلد فيقتصرون على الشرب مـــن الحفائر المتكونة من اجتمـــاع مياه الأمطار التي تتعطـــن بطول المكث ولذا يتسلطن فيهم داء الحمى. ويقل في أيام الحر وجود ماء بارد في هذا البلد وقد عثر في العام الماضي في مكان يســـمى بالرغامة بعيد عن البلد بنحو ساعتين ونصف بســـير الجمل على عين ماء عذب جار العمل في صنع مجرى يوصل منها الماء إلى البلد وبذا يتحســـن حال الصحة وبخارج السور حمام مستجد معد للرجال خاصة وبها جوامع أربعة يخطب فيها ســـوى بعض زوايا، ومحاريبها منحرفة من الشرق إلى الشمال بثلاثين درجة وتجارتها أنواع الحرير والشعير ونحوا من الهند والبصرة والشام ومصر والقصير، والجمرك منها ســـنوياً على خمسة ملايين من القروش وخضرواتها وفواكههـــا ولحومها تُحمل إليها من وادي فاطمة ومكة وضواحيها رخيصة الأثمان وأما البطيخ والقاوون (الشـــمام) فيزرعان بماء السبيل في البراح الفاصل بينها وبين الجبـــال البعيـــدة عنها بنحو الســـاعتين أو الثلاث وفي هـــذه البلدة محل للصحة وللكرنتينة (الحجر الصحي)[٤١٠].

هكذا كانت جُدَّة عندما زارها الرحالة محمد صادق باشا رحمه الله عام ١٨٨٤م وترك لنا وصفاً لبعض مشاهداته بها آنذاك .

٤١٠- المصدر السابق، ص ص/١٧٨ – ١٧٩ .

عبد العزيز دولتشين

عبدالعزيز دولتشين

لعل من أفضل ما سجل عن تأثيرات الحج والعوامل الدينية الإسلامية في المجتمع الروسي، وانعكاساتها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وخاصةً بعد ضم: (تركستان، والشيشان، والداغستان، وتترستان، وأوزبكستان، وقازاقستان، وقرغيستان، تركمانستان، وأذربيجان) إلى روسيا عام (١٨٩٨م)، وزيادة أعداد المسلمين، الخاضعين، للإمبراطورية الروسية، هو ما كتبه الضابط الروسي عبد العزيز دولتشين، وقد جمعها ووثقها يفيم ريزفان، وجعلها في كتاب أسماه (الحج قبل مئة سنة، الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين إلى مكة المكرمة ١٨٩٨ م – ١٨٩٩م)، ومنه نورد بتصرف بعضا مما ذكره في رحلته، ولكن بداية سنلقي الضوء على جانب من حياته.

ترجمة حياته:

ولد عبد العزيز دولتشين في ٢٤ حزيران (يونيو) من عام (١٨٦١م)، في عائلة ضابط في الجيش الروسي، وكانت هذه العائلة التترية تتمتع بتأثير كبير بين أبناء قوميتها، وقد شغل والده مناصب مهمة في إدارة مناطق الأورال الجنوبية لروسيا،

العقيد دولتشين الثاني من اليسار في بطرسبرج عام ١٩١١م
– المصدر: كتاب الرحلة السرية للعقيد الروسي عبدالعزيز دولتشين إلى الحجاز سنة ١٨٩٨-١٨٩٩م

درس وتخرج في مدرسة الإمبراطور بافل العسكرية المتميزة في بطرسبرغ، خدم عبد العزيز دولتشين خمس سنوات في قلعة دينابورغ، كما أنه كان لوالده مناصب مهمة في إدارة مناطق الأورال الجنوبية في روسيا..

وتعلم دولتشين في سنوات (١٨٨٧ – ١٨٩٠م) في مدارس اللغات الشرقية لأجل الضباط لدى الدائرة الآسيوية في وزارة الخارجية، وهذه المدارس أعطت الجيش الروسي، والدبلوماسية والعلم سلسلة من المستشرقين، الممارسين، اللامعين.

امتلك دولتشين في نهاية تعليمه ناصية اللغات العربية، والتركية، والفارسية، والإنجليزية، والفرنسية ناهيك عن لغته القومية، واللغة الروسية . عندما وردت مسألة ضرورة ترشيح ضابط في الجيش الروسي لأداء فريضة الحج وتفهم ما إذا كانت هذه الممارسة تشكل خطراً على مصالح روسيا العسكرية، والسياسية، في الشرق تذكره وزير الحربية آنذاك أ.ن. كوروباتكين الذي تعرّف عليه دولتشين

عندما كان يعمل في آسيا الوسطى، في ناحية غير بعيدة عن عشق آباد، وكان حينها كوروباتكين، رئيساً لمقاطعة ما وراء قزوين.

تم ترشيح دولتشين لهذه المهمة، وبما أنه كان مسلماً، فقد اعتبر إمكانية أداء فريضة الحج كمنحة من الله، ومهمة المأمورية هذه ستكون فرصة المساعدة الآلاف من إخوانه في الإيمان، من المسلمين من رعايا روسيا، مساعدة فعلية في أداء فريضة الحج، الأمر الرئيسي على الأغلب في الحياة الروحية للكثيرين منهم..

كانت يوميات دولتشين تدل على مبلغ عمق الانطباع الذي تركته في شعوره الديني مراسم الحج، وتقاريره التي خطها، كانت تبين تفهمه بدقة، واهتمام، للقضايا المطروحة أمامه[٤١١].

خط سير رحلة دولتشين :

بدأ دولتشين رحلته من بلده في السادس من شهر آذار (مارس) عام ١٨٩٨م وبعد رحلة طويلة عن طريق البر والبحر مروراً بإسطنبول إلى الإسكندرية والسويس، وصل دولتشين إلى جُدَّة في التاسع من نيسان (إبريل). حوالي الساعة ١١ صباحاً حيث رسلت الباخرة التي أقلتهم من السويس في وسط الخليج بين مدينة جُدَّة ومحلة الرأس الأسود، بين الشعاب والصخور البحرية وقد بدت له مدينة جُدَّة جميلة من البعيد . استقبلهم عضو من لجنة الحجر الصحي في ظل طقس وصفه بالمناسب نقلتهم الزوارق الي الشواطئ الذي استمر ساعتين .

عندما وصل دولتشين إلى الخيام المعدة لاستقبالهم على شاطئ جُدَّة وجد أن هذه المدينة يحميها الحجر الصحي وقد رأى كثرة من تجار المسابح والشالات وغير ذلك .

في ١١ من إبريل غادر دولتشين جُدَّة وهو يشعر ببعض الألم في البطن إلى مكة

٤١١- دولتشين، عبد العزيز: الحج قبل مئة سنة، الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين إلى مكة المكرمة، يفيم ريزرفان (١٨٩٨م - ١٨٩٩م)، الطبعة الأولى، بيروت، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، ص/ ٣٠ .

حجاج من بورنيو الغربية / تصوير هيروغرونيه – المصدر: كتاب الحج قبل مائة سنة

المكرمة مروراً ببحرة وقد وصف الطريق بين جُدَّة ومكة قائلاً:

«الطريق بين جُدَّة ومكة هو أكثر السبل انتعاشاً وأنسبها في الحجاز، طوله زهاء ٧٠ فرستا[٤١٢]، وتحرسه على كل امتداده مخافر يضم كل منها ١٠-١٢ رجلاً، ويبعد الواحد منها عن الآخر ٥ فرستات تقريباً . وفي النقاط توجد سقائف من القصب، وهي ضرب من خانات القهوة أي مقاهٍ يمكن الحصول فيها على القهوة والشاي . وعلى طول الطريق، يستخرجون الماء من الآبار، وطعم الماء في النصف الأول من الطريق حتى حدة غير مستطاب في كل مكان . و بمحاذاة الطريق ينطلق الخط التلغرافي الواصل على أعمدة جيدة من الحديد الصلب، ومنها عبر عرفات إلى مدينة الطائف على أعمدة خشبية».

من جُدَّة إلى البحرة، تتجه الطريق شرقاً، وتتصاعد بصورة غير ملحوظة، وتعبر قاعاً منبسطاً لواد عريض محاط بجبال غير عالية، مغطاة هنا وهناك باجمات من العشب القاسي والشجيرات الشائكة (الشوك) والتربة صلبة في كل مكان . وعلى بعد ٦ فرستات تقريباً عن نقطة الانطلاق، تقع أول قهوة في الرأس القائم،

٤١٢- وحدة قياس روسية قديمة كانت تستخدم لقياس الأطوال. يتم تعريفها باعتبارها تساوي ٥٠٠ قامة حيث تساوي القامة ٢,١٣م، مما يجعل الفرستا تساوي ١,٠٦٦٨ كيلومتر .

وتقع القهوة التالية في رغامة، على بعد: فرستات تقريباً، ثم على البعد ذاته، قهوة جرادة، ثم على بعدين متساوين، زهاء ٢ونصف فرستا، قهوة فرقاد وقهوة عوض، وعلى بعد ٦ فرستات تقريباً من عوض يدخل الطريق وادي فاطمة العريض وينعطف إلى الشمال الشرقي، متواجداً دائما في وسط الوادي المذكور . وعلى بعد ١٥ فرستا من عوض تقع بلدة البحرة العربية، في وسط الطريق إلى مكة تقريباً، وفيها مقر الطابور الذي يحرس الطريق. ويحتفظ الطريق بالاتجاه...

«المسافة بين جُدَّة ومكة تقطعها القوافل عادة في غضون يومين، مع وقفة المبيت الليل في البحرة أو في حدة، أما المسافرون على ظهور الحمير فإنه يتسنى لهم قطع المسافة في يوم واحد..» (٤١٣).

جُدَّة بعدسة الضابط الروسي عبدالعزيز دولتشين :

تحدث دولتشين عن جُدَّة في كتابه الحج قبل مئة سنة حيث قال:

«جُدَّة أهم مرفئ على ساحل البحر الأحمر، وعبره تمر حركة الحجاج الرئيسية، سواء عند نزولهم على ساحل الجزيرة العربية أم في طريق العودة إلى الوطن. ولم أر شخصياً جُدَّة إلا من البعيد، لأنها كانت مغلقة بسبب الحجر الصحي لدن ذهابي إلى مكة، أما في طريق العودة من الحجاز، فقد رحت عبر ميناء آخر هو ميناء ينبع، ولذا كانت المعلومات المساقة أدناه عبارة عن أجوبة عن أسئلة طرحتها على الناس».

تشبه جُدَّة مكة شبهاً كبيراً من حيث طابع عماراتها ومواقع الشوارع والبازارات والحالة الصحية .

يعتبرون أن عدد السكان يبلغ زهاء ٢٠٠٠٠ نسمة، بينهم زهاء ٥٠ أوروبياً. يتعاطى السكان على الأغلب التجارة ثم صيد السمك واستخراج اللآلىء

٤١٣- المصدر السابق، ص ص/ ١٢٧-١٢٨ .

والمرجانات من البحر، والملاحة الساحلية، وبناء السفن، والقيام بوظائف المرشدين، والخ..

يعتبر مناخ جُدَّة سيئاً جداً، غير صحي، من جراء التبخرات الشديدة من البحر، والحمى هي المرض السائد.

في الوقت الحاضر تستعمل جُدَّة مياه نبع محرورة إلى المدينة من الجبال القريبة، ولكن المياه لا تتميز بطعم مستطاب.

«مرفئ جُدَّة خطر جداً على السفن بسبب كثرة الشعب التحتمائية، ولذا لا تدخله البواخر وتخرج منه إلا نهاراً، وترسو على بعد ٤-٥ فرستات تقريباً من الشاطيء، وتجرى الاتصالات معه بواسطة زوارق شراعية كبيرة . على مقربة من جُدَّة يعرضون مدفن جدتنا الأولى، حواء، وإليه يمضي كثيرون من الحجاج للسجود والصلاة» (٤١٤).

هذا وقد دون يفيم ريزفان في كتابه الموسوم (الحج قبل مئة سنة) مقتطفات من حديث الحاج عيشايف الذي خدم في مدينة جُدَّة سنة ١٨٩٠م حيث تحدث الحاج عيشايف في حديثه عن جُدَّة:

«خدمت في مدينة جُدَّة الواقعة على ساحل البحر الأحمر، في منطقة من الجزيرة العربية، اسمها الحجاز . جُدَّة مدينة كبيرة نسبياً والنقطة التجارية الرئيسية في الحجاز. في مكلئها غالباً ما ترسو البواخر والسفن التي تقيم الاتصالات بين أوروبا و بين إفريقيا الشرقية وإيران الجنوبية والهند والشرق الأقصى . عبر جُدَّة تتحرك كذلك إلى مكة جماهير الحجاج المسلمين القادمين من مختلف البلدان على السفن والبواخر . وفي جُدَّة ينزلون ويسافرون براً إلى مكة التي يفصلها عن جُدَّة ما لا يزيد عن سبعين فرستا . ولحماية مصالح الحجاج توجد في جُدَّة قنصليات من الدول الأوروبية التي عندها رعايا مسلمون، وفي عداد القنصليات القنصلية الروسية التي خدمت فيها...

٤١٤- المصدر السابق، ص / ١٧٩ .

على الصعيد الإداري والعسكري يدير جُدَّة معاون محافظ مكة، القائمقام . وفي المدينة ترابط حامية تركية من ٥٠٠ فرد وتوجد بضعة مدافع . ولسكن الجنود توجد ثكنتان، إحداهما تقع على ساحل البحر، قرب المكان الذي ينزل فيها الحجاج من البواخر، والأخرى قرب قبر حواء» (٤١٥).

مقبرة أمنا حواء بعدسة الحاج عيشايف:

يذكر الحاج عيشايف بإنه: «لا وجود في المدينة طرائف خاصة، ما عدا قبر حواء الواقع خارج المدينة، وسط مقبرة كبيرة . لمدفن أم البشر أجمعين نحو ٦٠ إرشينا (٤١٦) بالطول، في مقدمة القبر (أي في موضع الرأس في القبر) يوجد ضرب من صفيحة من المرمر عليها كتابات عربية، وتنتصب نخلة . في الطرف الآخر من القبر تنمو شجيرات ما. فوق وسط المدفن يوجد بناءان تحت سقف واحد، أحدهما يعتبرونه مسجداً، وفي الثاني يوجد مدفن يتوافد إليه الحجاج ويلثمونه. قرب المدخل، يوجد في الخارج، خزان محفور فى صخرة كبيرة يشبه الجرن الذي تشرب منه الخيول . وفي الخزان يصبون الماء ويعتبرونه زمزم حواء . وهنا يعيش عدد عديد من الشيوخ، وعدد أكبر من النساء والأولاد الفقراء، وهؤلاء يجمعون الحسنات من الحجاج الذين يتوافدون لأداء الشعائر الدينية.

مدفن حواء، كما سبق أن قلنا، تحيط به مقبرة دفن فيها، مثلاً، القنصل الروسي الأول في جُدَّة المستشار الحكومي الفعلي شاهيمردان ميرياسوفيتش إبراهيموف الذي توفي من الكوليرا في العام الأول بالذات من تعيينه عام (١٨٩٢م) . وعلى مدفنه حجر عليه كتابة بالروسية والعربية نصبه القنصل الذي خلفه، السيد ليفينسكي» (٤١٧).

٤١٥- دولتشين، عبد العزيز: الحج قبل مئة سنة، الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين إلى مكة المكرمة، يفيم ريزرفان (١٨٩٨م - ١٨٩٩م)، مصدر سابق، ص / ٢٩٤ .

٤١٦- مقياس طول روسي قديم يساوي ٧١ سم .

٤١٧- دولتشين، عبد العزيز: الحج قبل مئة سنة، الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين إلى مكة المكرمة، يفيم ريزرفان (١٨٩٨م - ١٨٩٩م)، مصدر سابق، ص ص / ٢٩٤-٢٩٥ .

لقد تميز عبد العزيز دولتشـــين في مذكراته بدقتها، وجدولتها يوماً بيوم، مع أنه كتبها لنفســـه معتقداً أنه ســـيكون قارئها الوحيد، كما نجد في مرفقات الكتاب تقارير سرية نشرت مع مذكراته تعود للنقيب دولتشين عن مأموريته، التي أورد فيها معلومات مفصلة عـــن المنطقة، وكل ما يتعلق بها جغرافياً واجتماعياً، واقتصادياً، وعســـكرياً، وإدارياً، وهذا ما يضع كتابه في مصـــاف المراجع التي يمكن الاعتماد عليها في كتابة جزء من تاريخ المنطقة كما رآه دولتشين خلال زيارته، التي قام بها عام (١٨٩٨- ١٨٩٩م).

إبراهيم رفعت باشا

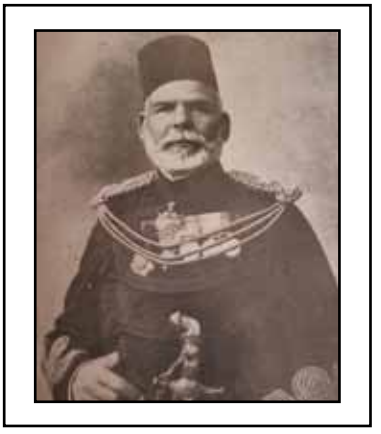

إبراهيم رفعت باشا – المصدر: كتاب مرآة الحرمين

قام اللواء إبراهيم رفعت باشا برحلة إلى مدينة جُدَّة في عام ١٣١٨هـ – ١٩٠١م عندما كان رئيسا (قومندان) لحرس محمل الحج المصري وقد سافر مع المحمل من القاهرة إلى السويس عن طريق السكة الحديدية في ليلة الخامس عشر من ذي القعدة ١٣١٨هـ. وفي صباح يوم الخميس ١٦ ذي القعدة ١٣١٨هـ الموافق ٧ مارس ١٩٠١م أُنزلت الأمتعة والكسا والمحمل إلى الباخرة «النجيلة» التي كانت مخصصة لنقل المحمل وركبه إلى مدينة جُدَّة . وأبحرت النجيلة من يومها إلى جُدَّة التي وصلتها في صبيحة يوم ١٩ ذي القعدة ١٠ مارس وقد قطعت الباخرة النجيلة تلك الرحلة من السويس إلى جُدَّة في ست وستين ساعة وهي ٦٤٦ ميلا . وعند المرور بمحاذاة رابغ على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر أحرم المسافرون بعد أن اغتسلوا وصلوا وقصوا أظافرهم ولبسوا لباس الإحرام[٤١٨].

وقد قدم لنا إبراهيم رفعت باشا توصيفا دقيقا شاملا لمدينة جُدَّة إبان زيارته لها

٤١٨– رفعت باشا، إبراهيم : مرآة الحرمين: الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار المريخ، الرياض، (١٤٠١هـ – ١٩٨١م)، ص ص/١٢ – ١٥ .

اللواء ابراهيم رفعت باشا الشيخ سليمان بن عبدالله البسام – المصدر: www.alwan.elwatannews.com

سنلقي بعض الضوء على شيء مما جاء فيه بعد أن نقدم ترجمة مختصرة لحياة هذا الرحالة القدير كما وردت في أحد أشهر المصادر.

ترجمة حياة الرحالة إبراهيم رفعت:

يقدم خير الدين الزركلي — رحمه الله – في قاموسه ترجمته لرحالتنا فيقول: إبراهيم رفعت باشا بن سويفي بن عبدالجواد بن مصطفى المليجي: مؤرخ مصري، من أمراء الحج العسكريين . ولد في أسيوط بعد وفاة والده بثلاثة أشهر ونشأ يتيماً، فعنيت به أمه، وتخرج بالمدرسة الحربية بالقاهرة . وحضر بعض المواقع الوطنية بمصر . وولي إمارة الحج ثلاث مرات سنة (١٣٢٠ و١٣٢١ و١٣٢٥هـ) وتتلمذ في أوقات فراغه لبعض علماء الأزهر . ومنح رتبة «اللواء» العسكرية . وصنف كتاب «مرآة الحرمين» مجلدان، يدل على اطلاع واسع . وتوفي بالقاهرة[٤١٩].

٤١٩– الزركلي، خير الدين: الأعلام — قاموس تراجم، المجلد الأول، الطبعة الحادية عشر، مصدر سابق، ص/٣٩ .

جُدَّة بعدسة ذاكرة إبراهيم رفعت:

بعد أن وصل إبراهيم رفعت إلى جُدَّة قادماً من ميناء السويس رست باخرتهم على بعد حوالي ميلين عن الساحل لكثرة الشعاب بالمرفئ كما بين الرحالة . وذكر أنه كان يتم نقل الحجاج والأمتعة إلى البر في سفن شراعية تسمى (السنابك أو القطائر) وقال: إن الأجرة المقدرة للسفن التي تحمل موظفي المحمل وأمتعتة، خمسة جنيهات مصرية، وللمنجلين (النوتية) الذين ينزلون الأمتعة إلى السفن ويخرجونها منها إلى البر جنيهان ومثلهما للحمالين الذين ينقلون الأمتعة من الساحل إلى المعسكر «نصيباً مفروضاً» . أما الحجاج التابعون للمحمل فنفقات النقل عليهم.

وذكر إبراهيم رفعت أنه كان يؤخذ من كل حاج ثمانية قروش رسم الحجر الصحي وقرشان رسم إجازة السفر.

ثم يبين رحالتنا أن الأمتعة بعد أن نُقلت من الباخرة إلى البر وضعت في الطريق أمام مبنى الجمرك . ثم أخذ الحمالون في نقلها إلى المعسكر بجوار مقبرة أمنا حواء(٤٢٠).

وقد أشار إبراهيم رفعت إلى أنه بالرغم من كثرة الأمتعة التي تم نقلها فإنه لم يُفقد شيء منها، بالرغم من أن النقل تم في الظلام الحالك والزحام بالغ أشده والمسافة بعيدة . وقد أعاد ذلك إلى يقظة الحراس وإلى أن السرقات بجُدَّة كانت تكاد معدومة .

إقامة إبراهيم رفعت في جُدَّة:

يقول إبراهيم رفعت: إنه أقام في جُدَّة من الساعة الثانية العربية من يوم الأحد ١٩ ذي القعدة سنة ١٣١٨هـ إلى الساعة الحادية عشر نهاراً من يوم الخميس ٢٣ منه وذلك «لفقدان الجمال التي تنقلنا إلى مكة».

٤٢٠- رفعت باشا، إبراهيم: مرآة الحرمين، مصدر سابق، ص ص/١٦ – ١٧ .

صور مكة المكرمة من أوائل القرن الرابع عشر الهجري
صور اللواء إبراهيم رفعت باشا أمير الحج المصري لمكة المكرمة
الحاجز الذي يفصل النساء عن الرجال "ففص النساء" في حصوة باب علي ويلحظ قماش البفتة المنشور في الحصوة بعد غسله بماء زمزم . ويظهر في وسط الصورة المبنى المقام على بئر زمزم . ويعلوه المقام الشافعي . وعلى يمينه باب بني شيبه ثم المقام الحنفي
المرجع : الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة - دارة الملك عبد العزيز

والســـاعة العربية هي التي كانت ســـائدة في الحجاز وحتى وقت قريب وتسمى بالتوقيـــت الغروبي، ومن أراد المقارنة فليرجع إلى تقويم أم القرى ففيه ذكر للتوقيتين معاً(٤٢١).

وأقول: إننا في صبانا كنا نســـتعمل الوقت الغروبي في جُدَّة قبل أن يصدر الأمر بالتغيـــير إلى الوقت الزوالي وكنا نضبط ســـاعاتنا يومياً عنـــد الغروب لتصبح تمام الساعة الثانية عشر.

٤٢١- الشريف، محمد بن حسن بن عقيل موسى: المختار من الرحلات الحجازية الى مكة والميدنة النبوية، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص/٦٦٩ .

وتحدث إبراهيم رفعت عن احتفالٍ أُقيم في جُدَّة بالمحمل في اليوم الثاني لوصولهم. كما تحدث عن بعض الزيارات التي تبادلها مع بعض مسؤولي بالمدينة وذكر بعض من تعرف بهم من الشخصيات مثل رئيس المحكمة الأهلية، ومأمور الأوقاف، ومدير البرق ومدير البريد . كما ذكر أنه تعرف بالشيخ سليمان بن عبدالله البسام، وكيل أمير نجد الذي قال إنه: تاجر ذو خلق طيب وشهم وصاحب مروءة وزود كتابه — مرآة الحرمين – بصورة له مع الشيخ البسام رحمه الله[٤٢٢].

ما يلزم أن يشتريه الحاج في جُدَّة :

يقول إبراهيم رفعت : إن الحاج يلزمه في جُدَّة، شراء النعال المشروعة للمحرم وشراء الشقادف التي توضع على ظهور الجمال ويركب عليها شخصان كل في عِدل منها . وثمن الشقدف من ١٢٠ قرشاً مصرياً إلى ٥٠٠ قرش، والاختلاف في الثمن من الدقة في الصناعة أو الزخرفة، ولهذه الشقادف أعمدة توضع عليها الأغطية من طنافس (أبسطة) عجمية أو ملاءات مصرية أو أخيشة كتانية يشتري كل ما يناسب ثروته . وثمن (الكليم) العجمي من ١٣٠ إلى ٣٠٠ قرش حسب الاختلاف في الشكل والصنعة [٤٢٣].

جُدَّة بشكلها عندما زارها إبراهيم رفعت في عام ١٩٠١م:

يصف الرحالة القدير اللواء إبراهيم رفعت باشا جُدَّة كما شاهدها عندما زارها عام ١٩٠١م فيقول:

جُدَّة (بضم الجيم وتشديد الدال المفتوحة) بلدة كبيرة وميناء مكة العظيمة على الشاطيء الشرقي للبحر الأحمر واقعة على الدرجة ٦ والدقيقة ٣٩ من خطوط الطول الشرقية وعلى الدرجة ١٤ والدقيقة ٣٣ من خطوط العرض الشمالية يحيط بها سور ذو خمسة أضلاع يقطعها راكب الحصان بالسير المعتاد في ٤٥ دقيقة،

٤٢٢– رفعت باشا، إبراهيم: مرآة الحرمين، مصدر سابق، ص/٢٠ .
٤٢٣– المصدر السابق، ص/٢١ .

منظر مدينة جدة وميناؤها عام ١٩٠١م – المصدر: كتاب مرآة الحرمين

وارتفاع السور ٤ أمتار وبه تسعة أبواب، ستة في الجهة البحرية وثلاثة في الجهات الأخرى، وأول من بناه السلطان الغوري من ملوك مصر في سنة ٩١٥هـ .

وبها حوالي ٣٣٠٠ منزل مبنية بالحجر الأبيض المستخرج من البحر، ويتكون المنزل من طبقتين إلى خمس والوجهات الأمامية من البيوت بها الرواشن (الخارجات المسقوفة) المصنوعة من الخشب الهندي الأحمر المخروط . والبيوت العالية ذات الموقع الجميل والمنظر البهيج يسكنها أكابر البلد ووكلاء الدول التجاريون (القناصل) من روس وإنجليز وفرنسيين ونمساويين وإسوجيين ونروجيين، ومن أفخم بيوتها بيت السيد عمر السقاف، الشريف السري، ومنزل المحافظ وهو آية في الإبداع وبه حديقة غناء . وبجُدَّة محل للحكومة وثكنات للعسكر، ومكتب للإشارات البرقية وبناء فخم للمجلس البلدي والحجر الصحي كما تجد بالساحل بناء الجمرك .

وبها خمسة جوامع وثلاثون مسجداً مفروشاً بالحصر الناعمة الجميلة النظيفة إلا أنها تكون مبللة عند رطوبة الجو وهي مرتفعة عن مستوى الشارع بنحو ثلاثة أمتار، يُصعد إليها بدرج منتظم من الحجر وليس بها بيوت خلاء ولا ميضات، وبها حمام واحد ونزلان (فندقان) وأربعون قهوة وصيدلية ومكتب تعليم راق وتسعة (أماكن تعليم) للصبيان ومستشفى ومصنع للجير وأربعون مخزناً تجارياً وتسعمائة دكان وآلة بخارية لطحن الحبوب وسبع وأربعون طاحونة ومثلها مخابز وعشرة مطابخ وسوق لبيع السمك، وآخر للصدف ومكاتب للبريد . وبها جبانة قريبة من ثكنات العسكر، يحيط بها سور يبلغ ضلعه الشمالي ١٦٠ متراً، وفي وسط الجبانة قبر أمنا حواء، طوله نحو ١٥٠ متراً وعرضه أربعة أمتار وارتفاعه متر، عليه ثلاث قباب على الرأس والسرة والرجلين كما يزعمون(٤٢٤). وشوارعها مختلفة السعة من ٨ أمتار إلى ١٥ متراً وحاراتها ضيقة وغير منتظمة.

وبجُدَّة مجارٍ لتصريف مياه المطر إلى البحر كما بها ٨٠٠ صهريج داخل البلد وخارجها، معدة لخزن مياه المطر وبيعها في موسم الحج ولكنها الآن — زمن الرحالة – معطلة إذ ترد المياه إلى جُدَّة من عين تبعد عنها مسيرة ساعتين ونصف وتسير في مجار مبنية تحت الأرض حفرها عثمان نوري باشا والي مكة سابقاً . وخارج البلد أيضاً آبار محفورة وأنابيب في الأرض مركوزة تخرج منها المياه بالآلات الماصة (آبار ارتوازية) وبعض المياه عذب وبعضها به يسير الملوحة(٤٢٥).

وأقول: إن ما قاله اللواء إبراهيم رفعت باشا عن أن قنصوه الغوري هو أول من بنى سور جُدَّة يكون صحيحاً إذا كان ما يقصده الرحالة هو السور الذي رآه عند زيارته لجُدَّة . أما جُدَّة قديماً فقد أحاطتها عدة أسوار على مدى مئات السنين كما أشرنا في كتابنا «جُدَّة في صدر الإسلام» الذي أفردنا فيه فصلاً لتاريخ سور مدينة جُدَّة.

بعد ذلك تحدث إبراهيم رفعت عن سكان جُدَّة وذكر أن عددهم آنذاك

٤٢٤– المصدر السابق، ص ص/٢١ — ٢٢ .
٤٢٥– المصدر السابق، ص/٢٣ .

كان حوالي ٢٥ ألف نسمة وتحدث عن تجارتهم . وبين أن جُدَّة هي مرفئ مكة التجاري وقال: هي مرفئ الحجاز المهم لذلك ترى ميناءها مملوءاً بالسفن التجارية.

وقال أيضاً: إن اتخاذها مرفئ تجارياً لمكة يرجع إلى عهد الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه . وتحدث الرحالة عن قصة حضور سيدنا عثمان إلى جُدَّة واغتساله في بحرها ودعائه لجُدَّة وأهلها، وقال: «ومن ذلك الوقت استمرت جُدَّة ميناء مكة إلى اليوم، وتأتي إليها التجارة من مصر وسواكن وزنجبار والصومال والهند وجاوه والروملي والأناضول وسوريا وبلاد المغرب والعراق والبحرين ومسقط واليمن وآسيا وغيرها»

ومن أصناف التجارة البن والصمغ العربي وأنواع الروائح وريش النعام واللؤلؤ والصدف والمرجان ودهن البيلسان ودهن الورد، وترد إليها الحنطة والأرز والصابون والسكر من مصر وسن الفيل والأرز الهندي وعدد من الجمال من الهند . وقد بلغت رسوم الواردات في سنة ١٣٠٢هـ ٦٣٧٩١٦ قرش عثماني و٣٦ بارة[٤٢٦].

وأقول: إنه من المعروف أن جُدَّة كانت مرفئً لمكة المكرمة قبل الشعيبة، وقبل زمن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وإن الخليفة الراشد عثمان بن عفان أعادها ميناء لمكة ولم يجعلها ميناءً للبلد الحرام لأول مرة . وقد نوه إلى ذلك الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري — رحمه الله — عندما قال:

جُدَّة قديمة الاسم والمسمى وقد ذكرها شاعر حجازي في جاهلية بعيدة عن عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه ووصفها بالسعة .. سعة الأرض .. كما وصفها بهذا الوصف نفسه شاعر حجازي إسلامي قبل نحو قرنين [٤٢٧].

هكذا كانت جُدَّة في بدايات القرن العشرين الميلادي كما سجلتها عدسة ذاكرة الرحالة إبراهيم رفعت باشا عند زيارته لها آنذاك، فسطر يراعه ما سجلت ذاكرته عن هذه المدينة السعودية العريقة التي غدا الناس يرددون مع طلال حمزة عنها قائلين: «جُدَّة غير» .

٤٢٦- المصدر السابق، ص ص/٢٣ — ٢٤ .

٤٢٧- الأنصاري، عبدالقدوس: إصلاحات في لغة الكتابة والأدب، مصدر سابق، ص/٢٥١ .

العمراني السرغيني

العمراني السرغيني

صاحب كتاب «اللؤلؤة الفاشية في الرحلة الحجازية» وهو الشيخ عبدالسلام بن محمد بن المعطي العمراني السرغيني الحسني المتوفى سنة ١٣٥٠هـ .

عن هـــذه الرحلة والتي اسمتها بعض المصادر «اللؤلؤة الفاشـــية» يقول الدكتور عبدالهادي التازي :

«لقد تمت الرحلة الحجازية ســـنة (١٣٢١هـ/١٩٠٤م) على ما يذكره السرغيني في المقدمة، وابتدأت منذ يوم الجمعة ١٩ ربيع الآخر (١٥ يوليو ١٩٠٣م) لتمتد طوال سنة»[٤٢٨].

التعريف بصاحب « اللؤلؤة الفاشية» :

تترجم الدكتورة نور الهدى عبدالرحمن الكتاني محققة كتاب « الرحلة الفاشـــية» صاحـــب الرحلة فتقول عنه : هو: العلامة الفقيه الأديب، الذاكر العابد، العارف بالله تعالى، أبو محمد عبدالســـلام ابن الفقيه العلامة أبي عبدالله محمد ابن الفقيه

٤٢٨- التازي، عدالهادي: رحلة الرحلات – مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص/٥٥٤ .

الأستاذ أبي محمد المعطي العمراني الإدريسي الحسني .

ترجم له الشـــيخ محمد الباقر الكتاني في كتابيه : «المدارج الارتقائية في المشيخة الكتانية» و«طبقات الكتانيين» .

وتقول المحققة : أنه «ولد ســـنة ١٢٧٨هـ بمراكـــش، وتربى في كنف والده حتى شب وفطن، ثم أخذ القرآن عن الأستاذ المحجوب بن حديدو الصنهاجي، وعلى الفقيه المدرس الأستاذ الصالح سيدي العربي» .

ثم تقـــول : «وأخذ العلوم علـــى عمه العلامه محمد المدني العمراني والنحو على والده العلامة محمد بن المعطي العمراني، ثم شـــد الرحلة لفاس، فأخذ على الفقيه العلامـــة المحدث محمد كنون الكبير، وأخيه العلامة التهامي كنون، والفقيه العلامة محمـــد بن التهامي الوزاني، والفقيه العلامة عبدالملك (العلوي) الضرير، وحضر في « الصحيح» على جدي عبدالكبير الكتاني بفاس، وحضر في التفســـير بالحرمين على الإمام أبي الفيض الكتاني أيام حجه» .

وتبـــين الدكتورة نور الهدى أن صاحب الرحلة « تولى التدريس والعدالة والإفتاء والتأليف، نظماً ونثراً، وخطب وأمَ جامع شـــنباش بمراكش، وأُلحق بوظيفة الكتابة بوزارة الأحباس بالرباط» .

وتذكـــر المحققة بعض مؤلفـــات رحالتنا فتقول أن منها: «نظـــم الأجرومية»، و«كشـــف الرواق عن الأوراق»، و«اللؤلؤة الفاشـــية في الرحلة الحجازية» سبع كراريس، وله شعر كثير.

«وتقول المحققة أن الســـرغيني حج ســـنة ١٣٢١هـ ودرّس بالحرمين، وحضر في التفسير على شيخه أبي الفيض في الحرم المكي».

وتحدد المحققة تاريخ وفاة الرحالة العمراني السرغيني فتقول إنه :

«توفي سحر ليلة الاثنين ٢٦ رجب سنة ١٣٥٠هـ»[٤٢٩].

٤٢٩- العمراني الســـرغيني، عبدالســـلام بن محمد: اللؤلؤة الفاشية في الرحلة الحجازية، تحقيق الأستاذ الدكتور نور الهدى عبدالرحمن الكتاني، دار ابن حزم، بيروت، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ص ص/٤١-٤٢ .

خط سير رحلة عبدالسلام العمراني السرغيني:

يذكر رحالتنا أنه غادر مراكش يوم الخميس ١٣ من ربيع الثاني عام ١٣٢١هـ، بقصد أداء فريضة الحج . وكانت أولى وجهاتهم هي مدينة « الدار البيضاء» التي أقاموا فيها من الخميس ٢٠ ربيع الثاني ١٣٢١هـ وحتى الخميس السابع والعشرين منـــه . ويقول الرحالة: إنهم توجهوا من الدار البيضاء إلى طنجة وأقاموا فيها ثمانية عشـــر يوماً (غير يوم الوصول ويوم الرحيل) ثم توجهوا من طنجة بحراً في طريقهم إلى مصر على ظهر مركب «ذو طبقات» يخدم فيه حوالي مائة شخص وقد توقف المركب في ميناء (مرســـيلية) الفرنسية ومنها توجهوا إلى نابولي بايطاليا التي توجهوا منها إلى «بر الصعيد» بمصر، حيث وقف مركبهم في ميناء «بور سعيد» المصري يوم الثلاثاء السابع من جمادى الآخر عام ١٣٢١هـ

ومن بور سعيد استقلوا القطار إلى القاهرة في رحلة كانت مدتها ستة ساعات .

وقد قام الرحالة السرغيني بوصف مشاهداته وانطباعاته عن المدن والمحطات التي مر بها أو أبحر منها .

وفي ليلـــة ٦ رجب عام ١٣٢١هـ توجه رحالتنا وصحبه إلى الســـويس التي قال عنها إنها : «مدينة متوســـطة» ووصفها بأنها: «طيبة الهواء». ومن السويس توجه رحالتنا إلى جُدَّة في طريقه إلى مكة المكرمة(٤٣٠).

جُدَّة بعدســـة ذاكرة العمراني الســـرغيني صاحب اللؤلؤة الفاشية :

غادر الســـرغيني ورفاقه من السويس قاصدين البلد الحرام عن طريق ميناء جُدَّة يوم الجمعة العاشـــر من رجب ووصلوا إلى ميناء جُدَّة في الثالث عشـــر من رجب عام ١٣٢١هـ(٤٣١).

٤٣٠- المصدر السابق، ص ص/٧٠-١٧٨ .
٤٣١- المصدر السابق، ص/١٧٨ .

وخلال رحلته من السويس إلى جُدَّة يقول السرغيني إنه التقى برجل اسمه: عبدالرحمن بن بكر الشامي وأن هذا الشخص أخبره أنه حج سبعة عشر حجةً وزار المدينة المنورة أربع مرات، وقال : إنه كان بجانب هذا الرجل صبي اسمه: محمد بن علي الشامي وأن هذا الصبي أخبره أنه زار المدينة المنورة أربع مرات وحج حجتين .

ويصف رحالتنا ساعة وصوله إلى ميناء جُدَّة فيقول : «ثم لما وقف المركب بقينا به ساعة حتى جاء الطبيب، ونظرنا نظر احترام، فنزلنا وركبنا الفلك لبعد المرسى عن المدينة، وعكس الريح الفلك» .

وقد كان في استقبال السرغيني عند وصوله إلى جُدَّة شخص يدعى «الشيخ حسن» وهو من أرباب طائفة (الوكلاء) بجُدَّة نائباً عن المطوف الشيخ عبدالمعطي الحريري .

بقي السرغيني أياماً في جُدَّة زار خلالها المقبرة التي يُقال إن أم البشر حواء مدفونة بها واجتمع الشيخ السرغيني في جُدَّة مع الشيخ علي بن أحمد باصبرين الذي كان يُعرف بـ«باصبرين الشافعي». كما تعرف على تاجر يدعى أحمد الصغير المعروف بـ«الجزيري» الذي استضافهم في منزله بجُدَّة[٤٣٢].

وبعد أن أقام السرغيني ورفاقه عدة أيام في مدينة جُدَّة غادروها متوجهين إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج .

هكذا كانت جُدَّة أبان زيارة الرحالة الكاتب الشيخ عبدالسلام بن محمد بن المعطي العمراني السرغيني الحسني لها عام (١٣٢١هـ) .

٤٣٢- المصدر السابق، ص ص/١٧٨-١٨٣ .

محمد الكتاني

صورة افتراضية للإمام محمد بن جعفر الكتاني – المصدر: صفحة الشريف الدكتور حمزة بن علي الكتاني

قام الشيخ محمد بن جعفر الكتاني الحسني برحلة إلى الديار المقدسة بقصد أداء فريضة الحج والتشـرف بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسـجده الشـريف بالمدينة المنورة وزار جُدَّة خلال رحلته تلك وكتب عن رحلته كتاباً أسماه (الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية) وجاء في مقدمة الكتاب ترجمة لحياة المؤلف ننقل منها بتصرف:

ترجمة محمد بن جعفر الكتاني الحسني:

وُلِـدَ المترْجَمْ له بدار جدّه في فـاس بالمغرب، في ربيع الأول من عام ١٢٧٤هـ وتوفت والدته زبيدة بنت إبراهيم الكتانية وهو في طفولته فنشـأ يتيم الأم. أرسله والـده في طفولته إلى الكتـاب لحفظ القرآن الكريم وأهم المتـون وقواعد الكتابة والقـراءة، فحفـظ القرآن الكريم على جملة من المدرسـين . كمـا درس بجامعة القرويـين، والزاوية الكتانية وغيرهما من المعاهـد العلمية بفاس على أئمة العلم في

ذلــك الوقت . وقد ألف الرحالــة كُتباً كثيرة ذكر محقق الكتاب حوالي ٨٣ مؤلفاً منها للشــيخ الكتاني وذكر أسماءها وأعطى نبذة عن كل منها، وقد توفي الشــيخ الكتاني «رحمه الله» بعد عودته إلى فاس وكان ذلك في ليلة الأحد ١٦ من رمضان المبارك عام ١٣٤٥هـ .

قدم الأســتاذ خير الدين الزركلي –رحمه الله– في قاموسه ترجمةً للشيخ محمد بن جعفر الكتاني يقول فيها:

الكتــاني: (١٢٧٤م – ١٣٤٥هـ = ١٨٥٧ – ١٩٢٧م) محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي، أبو عبدالله : مؤرخ محدث، مكثر من التصنيف. مولــده ووفاتــه بفاس . رحل إلى الحجــاز مرتين، وهاجر بأهله إلى المدينة ســنة ١٣٣٢هـ، فأقام إلى سنة ١٣٣٨هـ وانتقل إلى دمشق فسكنها إلى سنة ١٣٤٥هـ وعاد إلى المغرب، فتوفي في بلده. له نحو ٦٠ كتاباً، منها «نظم المتناثر في الحديث المتواتر – ط» و«الدعامة في أحكام العمامة –ط» و«الرســالة المستطرفة – ط» و«المولد النبوي –ط» و«سلوة الأنفاس –ط» في تراجم علماء فاس وصلحائها، ثلاثة أجزاء، و«الأزهار العاطرة الأنفاس – ط» في سيرة السيد إدريس، و «النبذة اليسيرة النافعة – خ» في تراجم رجال الأسرة الكتانية، ختمه بترجمة لنفسه ذكر بها تآليفه ومشايخه وبعض ذكرياته، رأيت الجزء الثاني منه عند محمد إبراهيم الكتاني، بالرباط. انتهى[٤٣٣].

رحلات محمد الكتاني :

كان الشــيخ الكتاني –رحمــه الله– كثير الرحلات في المغــرب بحثاً عن العلم وطلبــاً للقاء العلماء . وفي صباه كان يخرج للتدريب على الرماية وللرياضة. وكان يرحل كل ســنة إلى زرهون لدراسة الحديث الشريف على يد بعض العلماء هناك. وزار كثيرا من المدن المغربية . ورحل إلى المشــرق العــربي عدة مرات إحداها عام

٤٣٣– الزركلي، خير الدين: الأعلام – قاموس تراجم، المجلد السادس، الطبعة الحادية عشر، مصدر سابق، ص/٧٢ .

١٣٢١هـ حيث زار مصر وبلاد الشـــام والأرض المقدسة للحج ودون رحلته تلك في كتاب أسماه (الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية).

الهجرة الأولى لمحمد الكتاني إلى المدينة المنورة :

كردة فعل لدخول الاســتعمار إلى بلاده وعدم تمكنه من فعل أي شيء حيال ذلك قــرر رحالتنا الهجرة إلى المدينة المنورة فذهب إليها عام ١٣٢٥هـ. وســكن في دار بزقــاق ذروان[٤٣٤]، وأصبحت هذه الدار مجمع للعلماء والفضلاء ورحب أهل المدينة المنورة بقدومه غاية الترحيب. ثم عاد رحالتنا إلى فاس عام ١٣٢٦هـ.

الهجرة الثانية لمحمد الكتاني إلى المدينة المنورة:

مع ازدياد المشاكل في المغرب قرر الشيخ الكتاني –رحمه الله– العودة إلى المدينة المنورة.

عــن ذلك يقول محقق كتاب الرحلة إن الشــيخ الكتاني وصل المدينة المنورة هو وحوالي ألف عائلة مغربية هاجرت معه — أول شــعبان عام ١٣٢٨هـ، واستوطن بها داراً واسعة بزقاق الطوال[٤٣٥].

انتقال محمد الكتاني إلى الشام :

بنــاء على رغبة الدولة العثمانية اضطر الشــيخ الكتاني إلى الانتقال من المدينة المنورة إلى الشام في أواخر عام ١٣٣٦هـ وقد سافر إليها من المدينة المنورة بالقطار واستقبل أحسن استقبال عند وصوله إليها .

٤٣٤– وزقاق ذروان هذا كما أخبرني إبن المدينة المنورة البار صديقي الأســتاذ علي الحســون (رئيس تحرير جريدة البلاد السعودية الغراء) كان يقع جنوب المسجد النبوي الشريف ويربط بين درب الجنائز وبرحة المسجد النبوي الشريف عند باب جبريل .

٤٣٥– زقاق الطوال سمي هذا الزقاق بالطوال نظراً لطوله إذا ما قورن بغيره من أزقة المدينة المنورة .. إذ يبلغ حوالي ٢٥٠ متراً وعرضه لا يتجاوز المترين والنصف، يقع غرب المسجد النبوي، ويمتد بشكل متعرج إلى أن يفضي إلى شارع العينية، أشهر شوارع المدينة قديماً وهو الشارع الواقع في مواجهة المسجد النبوي، لعلّ أهم ما يميز زقاق الطوال أن والد الرسول صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عبدالمطلب حين مات، دفن في مكان يقال له دار النابغة الذي يقع داخل هذا الزقاق — المصدر ابن المدينة المنورة الأستاذ عبدالمحسن بن حليت .. نقلاً عن المؤرخ الأستاذ أحمد مرشد .

الرحلات الأخرى لمحمد الكتاني :

في صفر عام ١٣٤١هـ سافر رحالتنا إلى تركيا كما زار مصر في ذي القعدة من عام ١٣٤٢هـ ومكث بها عشـرة أيام زار معاهدها العلمية والتقى العلماء، واقتنى بعض النفائس من كتبها، وألقى درسا بالجامع الأزهر(٤٣٦).

وصف مخطوط كتاب الرحلة السامية:

يقول محقق كتاب الرحلة السـامية إن رحلة محمد بن جعفر الكتاني تعتبر فريدة في نوعها، عزيزة في وجودها، وهي نسـخة وحيدة محفوظة في مكتبة خاصة عند أحفـاد المؤلف –رحمه الله– بخط يده . وقد وصلتنا كاملة، وذكرها حافظ المغرب عبـد الحي الكتاني في (فهرس الفهارس) . ٥١٧/١ . فقال عند سـرده لمؤلفات المؤلف: ((ورحلة حجازية لم تكتمل)) .

يقول المحقق :

ولعله يقصد بقوله : (لم تكتمل) أي لم يقم المؤلف بتبييضها، فنص الرحلة التي وقفنا عليها هو مسـودة المؤلف، وتقع في (٣٠) ورقة، في كل ورقة (٤٧) سطراً، وأكثر الأوراق مهمشـة بمخرجات وزيادات في الحواشي جعلت الكتابة متداخلة، وغير مقروءة أحياناً، وبهامش النسـخة تنبيهات وإلحاقات تدعو إلى وجوب تغيير الترتيب الطبيعي في النص .

ثم يبين المحقق أنه قد تيسر له الوقوف على مختصر هذه الرحلة بقلم ولد المؤلف محمـد الزمزمي الكتاني – وهو رفيق والده فيها – في كتابه: (عقد الزمرد والزبرجد في سـيرة الابن والوالد والجـد) والذي قام بتحقيقه، وخدمتـه ابن حفيد المؤلف الدكتـور علي بن المنتصر ابن الزمزمي الكتاني – رحمه الله – فقابلها المحقق بنص الرحلة.

٤٣٦– الكتاني الحسـني، محمد بن جعفر: الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية، دار ابن حزم، بيروت، تقديم الدكتور محمد بن عزوز، (١٤٢٦هـ –٢٠٠٥م) ص ص/ ٤٤–٥١ .

ويقــول محقق كتاب الرحلة أيضاً : إنه مما يزيد من قيمة هذه الرحلة ونفاســتها وجــود صور للإجــازات الخطية النــادرة لكبار العلماء الذيــن لقيهم المؤلف في رحلته(٤٣٧).

وقد تحــدث محقق الرحلة في مقدمتهــا عن عناية المغاربة بفــن الرحلة، وذكر أنــواع الرحلات عند المغاربة وذكر منها الرحلات الحجازية والرحلات الســياحية والرحلات الرسمية والرحلات الدراسية والأسرية والاكتشافية وكذلك رحلات الزيارة والرحلات السياسية والدبلوماسية والعلمية وغيرها من الرحلات .

كما أعطانا المحقق في مقدمته نماذج لأشــهر الرحلات المغربية التي تمت بغرض الحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي الشريف(٤٣٨).

خط سير رحلة الكتاني إلى جُدَّة والمدن المقدسة :

يســجل الشــيخ الكتاني (على طريقة رحالة أهل المغــرب) خروجه من مدينته في بدايــة رحلتــه فيقول: ثم خرجت وكان خروجنا من فاس الســعيد ضحوة يوم السبت ١٧ شعبان من السنة المذكورة (١٣٢١هـ) . ثم يبين الرحالة أنه بات ليلة في مكس ثم ليلة في زرهون . وفي يوم ٢٢ من الشــهر وصلوا مدينة القصر الكبير وظلوا فيها حتى يوم الأحد ٢٥ شــعبان، حيــث غادروها إلى طنجة التي وصلوا إليها بعد ثلاثة أيام وظلوا فيها حتى الثامن من رمضان المبارك حيث استقلوا مركباً إنجليزياً توجه بهم إلى الجزائر ثم إلى مالطا ومنها إلى الإســكندرية التي وصلوا إليها يوم الثلاثاء الثامن عشــر من رمضان ١٣٢١هـ ونزلوا الإسكندرية وبقوا فيها حتى دخلــوا القاهرة، حيث ظل الكتــاني في القاهرة مدة التقى خلالها بعلماء مصر ثم سافروا إلى السويس يوم الثلاثاء الثالث من شوال .

وفي يوم الاثنين الســادس عشــر من شــوال ركب الكتاني وصحبه البحر من السويس إلى جُدَّة عبر ينبع وعند مرورهم رابغ قام الجميع بلبس الإحرام والنية .

٤٣٧- المصدر السابق، ص ص/٤٢-٤٣ .
٤٣٨- المصدر السابق، ص ص/٩-٣٤ .

الوصول إلى مدينة جُدَّة :

وصل الشيخ الكتاني ورفاقه إلى ميناء مدينة جُدَّة عصر يوم الجمعة العشرين من شهر شوال عام ١٣٢١هـ وقال : « لم ينزلونا إلا صبيحة يوم السبت، وذهبوا بنا إلى جزيرة هناك للبخور (الرش الصحي)، فحفظنا الله ثم ردونا إلى جُدَّة، وكان دخولنا لها وقت عصر اليوم المذكور، فقيل لنا: إن الركب غدا يسافر إلى مكة، فقلنا نسافر معه[٤٣٩]».

ظل الكتاني وصحبه في جُدَّة ليلة واحدة وغادروا في اليوم التالي الأحد جُدَّة متوجهين إلى مكة المكرمة التي وصلوا إليها يوم الاثنين حيث اغتسلوا في بئر طوى، ودخلوا الحرم الشريف مع صلاة المغرب . وبعد أداء الصلاة بدؤوا بالطواف والسعي .

وخلال تواجد الشيخ الكتاني في مكة المكرمة قام بزيارة المزارات المختلفة والأماكن الأثرية والتقى بكثير من علماء البلد الحرام وتحدث عنهم بإسهاب[٤٤٠].

ابتداء مناسك الحج :

وعندما حان موعد موسم الحج خرج الكتاني ورفاقه ليلة التروية إلى منى التي قال إن بينها وبين مكة (ساعة مكانية) وبعد طلوع الشمس ذهبوا إلى عرفات التي قال إن بينها وبين منى (ثلاث ساعات) . كما قال إن بين منى إلى مزدلفة ساعة، ومن المزدلفة إلى عرفات «نحو ساعتين». ووصف الكتاني صلاة الظهر والعصر في مسجد نمرة ثم قال إنه ذهب إلى جبل الرحمة ووقف عند الصخرات الكبار تحت جبل الرحمة ومن عرفة نفر إلى المزدلفة مع جموع المسلمين حيث صلى المغرب والعشاء جمع تأخير وقصر ومن المزدلفة توجه وصحبه إلى منى حيث رمى جمرة العقبة، ثم ذبح وحلق، وتوجه بعد ذلك إلى مكة المكرمة للطواف والسعي

٤٣٩- المصدر السابق، ص ص/١١١-١٤٧ .

٤٤٠- المصدر السابق، ص ص/١٤٦-١٨٤ .

قبل الرجوع إلى منى حيث كان نزوله قرب مسجد الخيف . وذكر أن مسجد المنحر كان بالقرب منهم كما قال (إن موقع مسجد البيعة قريباً من العقبة وإن مسجد الكبش بثبير) .

العودة إلى جُدَّة :

بعد انقضاء أيام منى عاد الكتاني إلى مكة ومكث فيها حتى غادرها يوم الاثنين ١٩ ذي الحجة، عائداً إلى جُدَّة، حيث توقف في حدة ثم بحرة التي قال إن بينها وبين جُدَّة تسع ساعات هي نصف المدة التي بين مكة المكرمة والتي حددها بثماني عشر ساعة بمشي الجمال المثقلة بالأحمال . ودخل جُدَّة مرة أخرى يوم الثلاثاء العشرين من ذي الحجة عام ١٣٢١هـ وظل فيها حتى يوم الخميس ٢٢ ذي الحجة، حيث غادرها بحراً إلى ينبع التي وصل إليها يوم الجمعة ٢٣ ذي الحجة، بعد سير حوالي اثنين وعشرين ساعة على متن المركب الذي كان قد سافر مع مراكب أخرى "منها ما سبقه – وهو واحد – ووصل قبل صلاة الجمعة، فأدرك أهله الجمعة بالينبوع (ينبع)، ومنها من وصل معه، وهو ٧، ومنها وهو ١ من تأخر عنه وتلاطمت به أمواج البحر فلم يدخل الينبوع إلا في يوم السبت والأمر لله وحده . وقال إن أكثر هذه المراكب كانت صغيرة ومتعبة للركاب[٤٤١].

زار الكتاني بعض الأماكن في مدينة ينبع وقابل بعض الفضلاء فيها وظل حتى الرابع من محرم عام (١٣٢٢هـ) وهو اليوم الذي غادر فيه ينبع متوجهاً إلى المدينة المنورة، حيث قضى وقتاً فيها تشرف خلاله بالصلاة في المسجد النبوي الشريف وبالسلام على صاحبه عليه أفضل الصلاة وأجل التسليم .

وقد التقى الكتاني بعلماء ووجهاء المدينة المنورة، وقد أجازه بعض العلماء، ويوجد في الكتاب صور لبعض هذه الإجازات . وزار الكتاني الأماكن المأثورة في المدينة المنورة وتحدث عنها في كتابه[٤٤٢].

٤٤١- المصدر السابق، ص ص/١٨٤-١٨٧ .

٤٤٢- المصدر السابق، ص ص/١٨٧-٢٣٠ .

مغادرة المدينة المنورة والعودة إلى الديار :

بعد أن ظل الكتاني في المدينة المنورة عدة أسابيع غادرها يوم الثلاثاء من شهر صفر ١٣٢٢هـ متوجهاً إلى ينبع حيث ركب منها البحر إلى الطور ومن الطور أبحر إلى بيروت.

وقال الكتاني إن المسافة من ينبع إلى الطور بالبحر نحو اثنين وأربعين ساعة، وظل في الحجز الصحي حوالي أربعة ايام بالطور .

وفي صبيحة يوم السبت ٢١ من صفر سافر المركب من الطور إلى السويس ومنها عن طريق الترعة إلى الإسماعيلية . ومن مصر سافر الكتاني إلى بيروت بحراً . حيث وصل إليها بعد زوال يوم الثلاثاء ٢٤ من الشهر ومن بيروت ذهب الكتاني إلى دمشق من طريق القطار الذي توقف في عدة محطات قبل أن يصل دمشق في رحلة استغرقت تسع ساعات حسب ماذكر الكتاني -رحمه الله-.

ومن دمشق سافر الرحالة إلى يافا ومنها إلى بيت المقدس لزيارة المسجد الأقصى الشريف ثم عاد إلى يافا وركب منها البحر إلى الإسكندرية ومنها إلى طنجة مروراً بجبل طارق . ومن طنجة عاد الكتاني إلى فاس حيث دخلها يوم الاثنين الثالث عشر من شهر ربيع الثاني عام ١٣٢٢هـ بعد رحلة حج طويلة استغرقت ما يقرب من ثمانية أشهر أدى خلالها فريضة الحج وزار المدينة المنورة وأكرمه الله بالصلاة في المسجد النبوي وتشرف بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه الكريمين رضي الله عنهما، كما تيسر له لقاء كثير من علماء الحرمين وغيرهم استفاد منهم وأفاد وتقبل من كثير منهم الإجازات . ووضع صوراً لهذه الإجازات في كتاب رحلته . كما وضع صوراً لبعض من التقاهم من العلماء وغيرهم في هذا الكتاب القيم . وزار جُدَّة وسجل لنا بعض ما سجلته عدسة ذاكرته عن زيارته لهذه المدينة العريقة ودون ذلك في كتابه (الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية[٤٤٣].

٤٤٣- المصدر السابق، ص ص/٢٣١-٣٣٣ .

آرثر جون وافل
(الحاج علي الزنجباري)

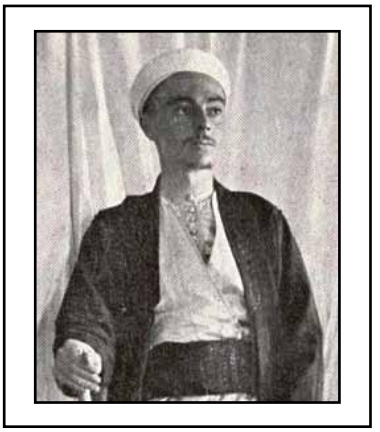

الميجور آرثر جون بيتنغ وافل – دمشق ١٩٠٨م . المصدر: رحلة الحج المعاصر إلى مكة عام ١٩٠٨م، ص/١٤

من ضمن سلسلة إنتاجات هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث «رواد المشرق العربي» كتاب «رحلة الحاج المعاصر إلى مكة والذي كتبه الرحالة البريطاني آرثر جون وافل». والذي كان يُسمى (الحاج علي الزنجباري) عن رحلة حجه التي قام بها عام ١٩٠٨م/١٩٠٩م . وقد ترجمت هذا الكتاب الأستاذة ريم بوزين الدين، وراجعه الدكتور أحمد إيبش الذي يقول عن آرثر جون وافل: إنه كان أحد الرحالين الإنكليز الجريئين الذين قاموا برحلة الحج متنكرين بثياب المسلمين ومتقمصين شخصياتهم .

وبقول إيبش: إن وافل هذا كان آخر إنجليزي يشهد مشاعر الحج بأم عينه أوآخر أيام الحكم العثماني، الذي وصل إلى نهايته في عام ١٩١٨م .

وعن أهداف الرحالة المختلفين يقول إيبش : إن غايات هؤلاء الرحالين (الغربيين) لم تكن واحدة، فمنهم من كان يتظاهر في رحلته بالسياحة، ومنهم كان العالم البحاثة، أو المكلف بالاستكشاف والتجسس، ومنهم الباحث عن

الشهرة، أو المغرم بكرائم الخيل العربية، أو المغامر لمجرد المغامرة .

ويحـــدد إيبش عدد الرحالة الأوربيين الذين دخلـــوا مكة المكرمة والمدينة المنورة، وعادوا منها ليكتبوا عن تجربتهم بـ (٥٤) مغامراً . ويقول : إنه كان منهم من أسلم فعلاً وحســـن إسلامه، ومنهم من لم يسلم لكنه نظر إلى الإسلام بعين الإعجاب والتعاطف والاحترام، وكتب لأبناء وطنه صورة حسنة ووصفاً إيجابياً . وبين إيبش أن صاحب هذه الرحلة «وافل» من هؤلاء .

ترجمة آرثر جون وافل (الحاج علي الزنجباري) :

يقدم الدكتور أحمد إيبش ترجمة لحياة صاحب هذه الرحلة فيقول :

ولد آرثر جون بينغ وافل عام ١٨٨٢م وكان ينتمي إلى أسرة ضباط عسكريين، فتابع ســـيره على خطى أبيه وجدّه وجدّه لأمه، وتخرج من الكلية الحربية، وسرعان ما انضم إلى فصيل ويلز ســـنة ١٩٠٠م، وأبحر إلى جنوب إفريقيا في السنة ذاتها، فشارك في العمل العسكري قبل أن يتم التاسعة عشر من عمره .

ويكمل إيبش عن وافل قائلاً :

بعـــد أن خـــدم (وافل) إلى نهاية الحـــرب في فصيل الخيالـــة، عُين في عدد من مســـتعمرات جنوب إفريقيا البريطانية في مواطن سوازيلاند والتونغا وزولو الشمالية ما بين يوليو ١٩٠٤م وأكتوبر ١٩٠٥م، وشـــهد مـــن المخاطر ما أصلب عوده وقوى عزيمته . ولما كان في الثالثة والعشرين من العمر قام برحلة في مجاهل الصحراء إلى شـــلالات فيكتوريا وعاش تجربـــة ممتعة للغايـــة، إلى أن وصل إلى منحدرات زامبيزي المائية، فغرق زورقه وخسر جميع ما يملك .

ويستطرد الدكتور إيبش قائلاً :

بعد أن تذوق وافل حياة المغامرات والاستقلال، أصبح نظام الجيش بالنسبة له مملاً، فترك الخدمة سنة ١٩٠٦م ليبحث عن حياة جديدة في أراضي بعيدة. فتوجه أولاً إلى شـــرق إفريقيا، لممارسة رياضته المفضلة ألا وهي الصيد. وعندما وجد أن تلك البلاد تفتح بســـرعة، ابتاع لنفســـه أرضاً في نيالي بالقرب من مومباسا، وراح

يمارس التجارة في سيســـال، التي أصبحت مركزاً مهماً لتجارة تلك المنطقة . لكنه لمـــا وجد أن حياته الرتيبة لا تقدم له إثـــارة كافية، خطرت بباله فكرة زيارة مكة، المدينة المحرمة على غير المسلمين وعقر دار الإسلام .

ويـــرى إيبش أن تلك ربما كانت أخطر المغامرات الـــتي قام بها وافل في حياته، «فالديـــار المكرمة في الحجاز كما هو معروف لا يمكـــن دخولها إلا لأبناء الدين الإسلامي، أو لمن أعلنوا إسلامهم» .

ويكمل الدكتور أحمد إيبش قائلاً : إن وافل رأى أن يقوم بالرحلة متنكراً بثياب شـــخصية رجل مســـلم، فاتخذ لنفسه اســـم «علي الزنجباري»، على اعتباره أقام ســـنتين في مومبسا قرب ســـاحل زنجبار الذي يقطنه مسلمون، وكان تعلم هناك العربية والسواحلية.

ويحدد إيبش نقطة بداية رحلة وافل ومنها فيقول: إنها كانت في مرفئ مارســـيليا الفرنســـي في ٢٣ أغســـطس من عام ١٩٠٨م، واصطحب معه مرافقين رئيسيين هما: شـــاب زنجباري من مومبسا يدعى مسعودي، وشاب عربي من حلب ترعرع في برلين يدعى عبدالواحد .

ويبين إيبش أن كتاب رحلة وافل يضم تفاصيل حيَة شائعة للأحداث والمخاطر والمآزق الطريفة التي عاشـــها مؤلفه الشاب (وكان له من العمر ٢٦ عاماً) ودوَنها بلغته الســـردية الشـــائعة والممتعة، فأجاد فيها في الوصف، وقدم لنا ولأبناء وطنه صورة غاية في الاحترام والإيجابية للإســـلام، بجوهره الرّوحي والفكري النبيل، وسمو فضائله وعباداته المفعمة بالوجدان والخير .. فكان بحق واحداً من خيار مستشرقي الإنكليـــز في أعقاب العصر الفيكتوري، فذكّرنا بمن ســـبقه من الإنكليز في ذلك وعلى رأســـهم ولفريد سكاون بلنت WILFRED SCAWEN BLENT ووليام مارمادوك بيكثول William Marmaduke Pikthhall.

ويذكر إيبش أن وافل قتل شاباً في إفريقيا عام ١٩١٦م على يد الألمان . ويبين أن الطبعـــة الأولى مـــن كتاب هذه الرحلة صدرت في لنـــدن في حياة المؤلف عام ١٩١٣م . ويذكـــر أن هذه الطبعة تضمنت قســـمين : رحلة الحج إلى مكة عام

١٩٠٨م، وحكايــة حصار الأتراك لصنعاء في عــام ١٩١٠م . وفي هذه الطبعة صور فوتوغرافية يروي وافل إنه طلب تصويرها من موظف تركي . وصدر الكتاب عن دار كونستابل للنشر في ٣٤٥ صفحة بعنوان :

A PILGRIM IN MECCA AND A SIEGE IN SANAA

.CONSTABLE، LONDON، 1913

ثم في عام ١٩١٨م، صدرت طبعة أخرى للكتاب، بعد ســنتين من وفاة وافل، مصــدرة بمقدمة للميجور داروين LEONARD DARWIN الرئيس الســابق للجمعية الجغرافية الملكيــة ROYAL GEOGRAPHICAL SOCIETY الذي تعــرف بوافل عقب قيامه برحلة حجه، فأعجب به ودعمه. وهذه الطبعة تقتصر علــى القســم الأول، الذي يضم أخبــار رحلة الحج التي تمــت في خريف عام ١٩٠٨م .

وأقول: إن هذا هو ما يتناوله الكتاب الذي تحت أيدينا والذي هو من إصدارات هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث .

ويقول الدكتور أحمد إيبش عن الكتاب والكاتب : «نشــير هنا إلى أن المؤلف قد صدر كتابه بمقدمة عن نشــوء الإســلام، وعن دوره الحضاري قديما وفي عصر الرحلــة، ولابد للإنصاف مــن أن نقول إن كلامه كان ضمن حدود ملائمة جداً من التجرد والإنصاف والموضوعية والاحترام»(٤٤٤).

خط سير رحلة آرثر جون وافل إلى جُدَّة:

قام آرثر جون وافل أو علي الزنجباري برحلة الحج سنة ١٩٠٨ – ١٩٠٩م عندما اجتمع مع شــخصين آخرين في مارسيليا يوم الثالث والعشرين من أغسطس سنة ١٩٠٨م . وكان الحج آنذاك يوافق الأول من مارس عام ١٩٠٩م . والشخصان اللذان اجتمع معهما في ميناء مارســيليا هما – وكما ســبق وذكرنا- : الشــاب

٤٤٤- وافل، آرثر جون (علي الزنجباري): رحلة الحاج المعاصر إلى مكة عام ١٩٠٨م، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، ص ص/٧-١١ .

الزنجباري مسعودي، وشاب عربي من حلب عاش في برلين وكان اسمه عبدالواحد .

وغادر ثلاثتهم مارسيليا منتصف الليل إلى جنوة التي غادروها على متن السفينة «فاليرنو» Falerno بعد ثمانية أيام إلى ميناء الإسكندرية حيث ظلوا فيها ثلاثة أيام قبل أن يغادروها بحراً إلى بيروت على متن سفينة بريد خديوية . ومروا ببورسعيد ويافا وحيفا قبل أن يصلوا إلى بيروت التي كانت تحت الحكم التركي آنذاك .

ومن بيروت توجه وافل ومرافقيه إلى دمشق عن طريق البر على متن حافلة وكان كل ذلك خلال شهر رمضان المبارك . وعند حلول عيد الفطر زار وافل بعض من أصبحوا من أصدقائه في دمشق وتبادل معهم التهاني بمناسبة العيد السعيد .

وبعد العيد غادر وافل ورفاقه دمشق متوجهين إلى المدينة المنورة على متن القطار الذي كان ينطلق في تمام الساعة الحادية عشر صباحاً وكانت كلفة تذاكر القطار ثلاثة جنيهات وعشر بنسات للشخص الواحد وكانت المسافة بين دمشق والمدينة المنورة تزيد على ألف ميل .

وبعد ثلاثة أيام وصل بهم القطار إلى مدائن صالح وبعد يوم آخر وصلوا إلى المدينة المنورة فالمسافة بين دمشق والمدينة المنورة كانت تقطع في أربعة أيام على متن قطار سكة الحجاز الحديدية[٤٤٥] والتي تم إنشاؤها عام ١٩٠٨م[٤٤٦].

وكانت محطة سكة الحديد كما حددها وافل تقع في غرب المدينة المنورة على بعد حوالي ربع ميل خارج السور[٤٤٧]. وبعد أن قضوا في المدينة المنورة حوالي ثلاثة أسابيع غادر وافل ورفاقه المدينة إلى ينبع عن طريق البر .

وبعد أربعة عشر ساعة من السفر توقفت قافلتهم للراحة وللنوم . وفي اليوم الثاني أكملوا رحلتهم ظهراً حتى التاسعة مساء حيث خيموا مرة أخرى للراحة. وفي فجر اليوم الذي تلاه تابعوا سيرهم باتجاه ينبع حتى المغرب حيث أقاموا خيامهم قرب بئر في الطريق بين المدينة المنورة وينبع . وفي العاشرة من صباح اليوم التالي تابعوا سيرهم إلى ينبع حتى الساعة السادسة من صباح اليوم التالي .

٤٤٥- المصدر السابق، ص ص/٥١-٨٠ .

٤٤٦- جريدة الاقتصادية، العدد ٧٤٧٣، (٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ-٢٨ مارس ٢٠١٤م)، ص/٢٢ .

٤٤٧- هولاكو، متين: الخط الحديدي الحجازي، دار النيل، القاهرة، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م، ص/٣١ .

وكانت أضواء السفن الراسية على طول الطريق إلى ينبع تظهر لهم بُعيد منتصف الليل . وقبل الفجر بقليل وصلوا إلى أسوار ينبع وكان عليهم الانتظار لأن الأبواب لا تفتح إلا بعد شـــروق الشمس . بعد الشـــروق دخلوا إلى ينبع ولم يجدوا سفينة متجهة إلى جُدَّة فاضطروا للنوم في غرفة استأجروها ودفعوا روبية إيجاراً لتلك الغرفة التي كانت في الطابق الســـفلي من منزل يقابل الساحة الرئيسية في المدينة . وبعد ثلاثة أيام أبحرت بهم السفينة التي أقلوها إلى جُدَّة(٤٤٨).

جُدَّة بعدسة ذاكرة وافل :

بعد أن غادرت الباخرة التي كان وافل ورفاقه على متنها ميناء ينبع في الســـاعة الثامنـــة والنصف صباحاً متجهةً إلى جُدَّة وكان على متنها طبيب إنجليزي كموفد طـــبي من مركز الحجر، مرت على ميقات الإحرام فأطلقت صفارتها إيذاناً بذلك، فلبس الركاب ثياب الإحرام .

وفي الساعة الحادية عشر من صباح اليوم التالي وصلت الباخرة إلى ميناء جُدَّة، «ولم يكن ممكناً الاقتراب أكثر من ميل واحد من الشاطيء فأخلى الركاب السفينة إلى قـــوارب صغيرة تجمعت بانتظارهم». وقال وافـــل : إنه كانت هناك أكثر من عشر سفن في المرسى تعرف على بعضها من ينبع . وعندما وصل وافل ورفاقه إلى اليابســـة ســـألهم موظف الميناء إن كانوا عرباً أم أتراكاً وسجل إجاباتهم . ووجدوا صفا من وكلاء المطوفين ينتظرون على رصيف الميناء ويسألون السؤال نفسه .

قرر وافل أن يظل هو ورفاقه في جُدَّة عدة أيام فبدأوا البحث عن مكان للإقامة فيه ووجدوا ثلاث غرف ومطبخ بثمن معقول في منزل أحد الأعيان .

وتناول وافل ورفاقه طعام الغداء في أحد مطاعم جُدَّة وقام بوصف المطعم فقال: كان المطعم من غرفة واحدة مُدت بها مائدة طويلة في وسطها . وقُدم نوع واحد من الطعام وهو قطع من اللحم مشـــكوكة على ســـيخ طويل تُشوى فوق الجمر على قارعة الطريق حتى يتســـنى للزبائن أن يعاينوا ما ســـيأكلون . وقف الطاهي وهو صاحب المطعم متســـلحاً بشوكة الشـــوي على العتبة يمنع الزبائن من وضع

٤٤٨- وافل، آرثر جون: رحلة الحاج المعاصر إلى مكة، مصدر سابق، ص ص/ ٨١ – ١٣٨ .

اللحم تحت المزيد من الاختبار . وعندما يختار الزبون ما يريد، تنزع الأسياخ من صاحباتها وتُعطى له مع صحن وقطعة من الخبز . ولم يكن الثمن باهظاً، بل كان بنسين اثنين فقط . إن صاحب المطعم مسيحي، لكنه يبيع لحم ذبح على الطريقة الإسلامية، وكانت هناك يافطة تدل على ذلك(٤٤٩).

ويستطرد وافل في حديثه عن جُدَّة فيقول: إنها من المفترض أن تكون إحدى أقدم المدن في العالم . كما يقول : إنها مكان متنوع الألوان، خصوصاً إذا رؤيت من البحر . وتحدث وافل عن شواطيء وأسواق جُدَّة فذكر إنه توجد عدة حوانيت جيدة فيها .

كما تحدث رحالتنا عن طقس جُدَّة وقال: إنه أفضل من طقس مكة المكرمة. وبين أن نسيم البحر يساعد على تحريك الهواء باستمرار ويساعد في انقشاع التلوث .

وعن المياه في جُدَّة قال: إنها شحيحة ومالحة.

بقي وافل ورفاقه في جُدَّة أربعة أيام زار خلالها مقبرة أمنا حواء التي قال: إنها تقع على مسافة قريبة من السور، وإنه كان في هيئة متواضعة . وذكر أن بناءها كان حديثاً نسبياً . وذكر أن قبر السيدة حواء كان طوله حوالي ربع ميل، وإن قبتين صغيرتين كانتا تحددان موقع رأسها وموقع قدميها بينما تحدد قبة ثالثة منطقة أعلى البطن . وذكر إنه كان للقبر حراس . وفي اليوم الرابع لزيارته لجُدَّة، اختار وافل أحد وكلاء المطوفين وكان يُدعى «محمد مفتاح» وقد أرسل هذا الوكيل رسالة توصية لمطوف في مكة المكرمة .

وبعد صلاة الجمعة في جُدَّة في جامعها الرئيس ذهبوا إلى إحدى مقاهي جُدَّة لتناول القهوة والشاي قبل أن يعودا إلى منزلهم .

وفي صباح اليوم التالي (رابع أيام زيارتهم لجُدَّة)، غادر وافل ورفاقه جُدَّة إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج(٤٥٠).

٤٤٩- المصدر السابق، ص ص/١٣٩ – ١٤٣ .

٤٥٠- المصدر السابق، ص ص/١٤٣ – ١٤٧ .

بعــد الحج وعودتهم إلى مكة المكرمة بدأوا التحضير لرحلة العودة إلى جُدَّة التي ســتكلف وافل العشرين جنيهاً التي بقيت معه وســيصبح لزاماً عليه أن يستدين بعض المال عندما يصل إلى جُدَّة.

وذكر وافل إنه في مســاء يوم الجمعة أعلن المنادي أن من يريد التوجه إلى جُدَّة باستطاعته أن يفعل في أي وقت شاء . وذكر وافل إنه قرر أن يسافر إلى جُدَّة مع رفيقه عبدالواحد راكبين على حمير بينما ســافر رفيقاه ســعودي وكيبي مع الأمتعة على الجمال.

انطلــق وافل ورفاقه من مكــة مبكرين ووصلوا إلى بحرة ظهراً حيث تناولوا طعام الغداء قبل أن يعاودوا ســفرهم بســرعة سته أميال في الساعة «بين السير العادي والخبب» إلى ما قُبيل غروب الشمس «حين خرجنا من الهضاب وأصبح بالإمكان رؤية مآذن جُدَّة عبر الأرض المنبسطة أمامنا».

بعــد توقفهم لقضاء الليلة، انطلقوا في الصباح عند أول خيوط الفجر، ودخلوا جُدَّة قبل شــروق الشــمس وتوجهــوا إلى مكان إقامتهم الســابق حيث وضعوا أغراضهم وذهبوا ليبحثوا عن مكان أفضل للإقامة حيث سكنوا لعدة أيام قبل أن يغادر وافل جُدَّة متوجها عن طريق البحر إلى مصر[٤٥١].

٤٥١- المصدر السابق، ص ص/١٤٧ – ١٩٩ .

القبر المنسوب لأمنا حواء في جُدَّة بعدسة مساعد القنصل البريطاني، تعود إلى عام ١٩٠٨م، المصدر: جريدة العرب الأقتصادية الدولية .

خريطة العالم الإسلامي وحركته إلى الحرمين الشريفين – المصدر: الرحلة الحجازيه لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر

محمد لبيب البتنوني

ترجمة محمد لبيب البتنوني :

يترجم خير الدين الزركلي –رحمه الله– لحياة الرحالة محمد لبيب البتنوني فيقول:

محمد لبيب البتنوني: فاضل مصري، له اشتغال بالأدب والتاريخ، توفي بالقاهرة. من كتبه «رحلة إلى الأندلس» و«تاريخ كلوت بك» ترجمة عن الفرنسية و«الرحلة الحجازية» و«رحلة الصيف إلى أوروبا» و«الرحلة إلى أمريكا». نسبته إلى «البتنون» من بلاد المنوفية بمصر.

ويحدد الزركلي تاريخ وفاة البتنوني بعام (١٣٥٧هـ-١٩٣٨م)[٤٥٢].

وقال عنه عمر رضا كحاله في معجم المؤلفين:

محمد لبيب البتنوني (نسبة إلى البتنون من بلاد المنوفية)، أديب، مؤرخ، رحالة. توفي بالقاهرة في صفر وهو في عشر الثمانين. من آثاره: الرحلة الحجازية، رحلة الصيف إلى أوروبا، الرحلة إلى أمريكا، ورحلة الأندلس[٤٥٣].

رحلة البتنوني إلى الديار المقدسة:

في عام (١٣٢٧هـ-١٩٠٩م) قرر خديوي مصر عباس حلمي باشا الثاني أن يؤدي فريضة الحج فتوجه إلى الديار المقدسة قادما من السويس عن طريق البحر إلى جُدَّة التي سيذهب منها إلى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة لأداء المناسك.

٤٥٢- الزركلي، خير الدين: الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، المجلد الرابع، الطبعة الثامنة، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٨٩م)، ص/١٥ .

٤٥٣- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين - تراجم مصنفي الكتب العربية، الجزء الحادي عشر، دار إحياء التراث العربي،بيروت، (١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)، ص/١٦٥ .

وصف البتنوني لرحلة خديوي مصر إلى جُدَّة:

يقول البتنوني في كتابه عن رحلة الخديوي عباس حلمي الثاني:

غادر الخديوي عباس حلمي ميناء السويس يوم ١٢ديسمبر سنة ١٩٠٩م الموافق٢٩ذي القعدة من عام ١٣٢٧هـ متوجها إلى جُدَّة على متن اليخت «المحروسة» . وكان في معية الخديوي والدته وأخته وعمته . وعندما حاذى اليخت رابغ أحرم الركاب . واستمرت الباخرة في سيرها حتى إذا صارت على بعد ساعتين من جُدَّة أخذت مبانيها تظهر للركاب «حتى تجلت للعيان بيضاء ناصعة وظهرت في جنوبها ضيعة صغيرة يسمونها «النزلة» وكلها أكواخ يسكنها بعض الأهالي وغيرهم وغالبهم من صيادي الأسماك. وفي قبال هذه الضيعة من جهة البحر جزيرتان صغيرتان إحداهما وهي الشمالية تسمى جزيرة سعد والثانية تسمى جزيرة سعيد وفيهما المحجر الصحي لثغر الحجاز وفي الأولى محل للتبخير وآلة لتكرير المياه المالحة وبعض أحذية (قسم الحجر في الكورنتينا) مبنية لإقامة المحجور عليهم فيها[٤٥٤].

وفي الساعة الثانية بعد ظهر يوم الثلاثاء غرة الحجة (١٤ ديسمبر) ألقت المحروسة مراسيها على نحو ثلاثه أميال من ميناء الثغر لأن المراكب الكبيرة لا تستطيع الدخول إلى مياهها لقلة عمقها في هذه المسافة وبقي بها الجناب العالي إلى صباح اليوم التالي . وكان يوجد خارج الميناء كثير من المراكب التي أتت إلى هذا الثغر بالحجاج من الهند وروسيا وتركيا وبلاد المغرب ومصر وبورسودان وغيرها[٤٥٥].

هكذا وصف الرحالة العربي البتنوني والذي كان ضمن الوفد المرافق للخديوي عباس حلمي باشا الثاني دخولهم ميناء جُدَّة بعد أن وصلوا إلى هنالك على متن الباخرة «المحروسة» في رحلة خاصة لنقل الخديوي ومرافقيه لأداء فريضة الحج.وقد ضمن البتنوني ذلك الوصف في كتاب عن رحلة حج الخديوي عباس أسماه (الرحلة

٤٥٤- البتنوني، محمد لبيب: الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر، الطبعة الثانية، مصدر سابق، ص/٦٩ .

٤٥٥- المصدر السابق، ص/٧٠ .

خديو مصر عباس حلمي باشا الثاني
– المصدر: الرحلة الحجازيه لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر

الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر).

وقد بقي الوفد مدة في جُدَّة قبل السفر منها إلى مكة المكرمة .

جُدَّة بعدسة البتنوني :

قــدم لنا البتنوني في كتاب رحلته وصفا لمدينة جُــدَّة قائلاً: إن البكري قال في معجمه «جُدة بضم أوله ساحل مكة سميت بذلك لأنها حاضرة البحر والجُدة من البحر والنهر ما يلي البر وأصل الجُدة الطريق الممتد».

ثم يقول البتنوني: أهل البلاد يسمونها الآن جِدّة بكسر الجيم ويسميها المصريون جَــدة بفتحهــا وكلها على ما أرى تســمية صحيحة لأن الجِدّة بالكســر اليمن والســعادة وهذا الثغر بلا شك منه المادة التي تقوم بها حياة هذه البلاد كلها وأي شيء أسعد مما يقوم بحياة الإنسان ووجوده . كما أن الجَدّة بالفتح الطريق الواسعة وليس من طريق في بلاد الحجاز أوسع من هذه.

ثم يحــدد البتنوني موقع جُدَّة فيقول: وهي على(٣٩) درجة وعشــر دقائق من الطول الشرقي وعلى (٢١) درجة و(٢٨) دقيقة من العرض الشمالي.

ثم يتحدث رحالتنا عن تاريخ جُدَّة فيقول:

وقد كانت (جُدَّة) قرية صغيرة في بادئ أمرها يسكنها وما حولها قضاعة قبل الإسلام فلما كانت سنة (٢٦) للهجرة في خلافة سيدنا عثمان –رضي الله عنه– أمر فجُعِلتْ ثغراً لمكة، وكان ثغرها قبل ذلك قرية تسمى الشعيبة وهي على مسافة نحو عشرين كيلو مترا من جنوب جُدَّة وكان السير يصعب على السفن في مياهها لكثرة شعوبها حتى ضُرب بذلك المثل. وينقل لنا البتنوني هذا المثل الذي جاء في قول كثير وهو يصف إبلا في تريم:

سَأَتكَ وَقَد أَجَدَّ بِها البُكورُ غَداةَ البَينِ مِن أَسماءَ عيرُ

إذا شَرِبَت بِبَيدَحَ فَاِستَمَرَّت ظَعائِنُها عَلى الأَنهابِ زورُ

كَأَنَّ حُمولَها بِمَلا تَريمٍ سَفينٌ بِالشُعَيبَةِ ما تَسيرُ

ومن ثم أخذت جُدَّة تزيد في عمرانها وتعظم في أهميتها حتى أصبحت أكبر ثغر في بلاد العرب.

ويستطرد البتنوني قائلاً عن جُدَّة :

وساحل جُدَّة كله شعوب صخرية تتخللها شعب مرجانية حمراء أو سوداء (اليسر)، وترى على سطح مياهه في كثير من جهاته أوراق ذلك النبات المائي الأحمر الذي يسمونه دم الأخوه (العندم) وله دخل كبير في تلون المنسوجات بهذا اللون وشكله أشبه شيء «بالبشنين» في بحيرات مصر. وذلك النبات يوجد بكثرة على شاطئ الخليج العربي وربما كان له تأثير على ما يعيش في جوه من الأصداف الحمراء والأسماك المرجانية التي توجد فيه بكثرة لتغذيتها منه وربما أتت من ذلك تسميته بالبحر الأحمر . ويساعد على هذه التسمية ذلك اللون السنجابي الذي يشاهد قبل شروق الشمس فيما يلي الشاطئ من ميناء البحر عند انحسار كتلة المياه عنه وقت الجزر الذي يحصل فيه يوميا حيث يتراءى لك الشعب على طول الشاطئ ضارباً في البحر بلونه الأحمر الذي يتشرب بالزرقة شيئا فشيئا حتى يتصل بكتلة الماء الكبرى.

ويلاحظ البتنوني إنه رأى أن أهل جُدَّة زمن زيارته لها كانوا يميلون إلى لبس الملابس ذات اللون الأحمر .

ويصف البتنوني سور جُدَّة وصفا مفصلاً فيقول:

«ويحيط بجُدَّة سور له خمسة أضلع، فالغربي منها على البحر وطوله (٥٧٦) متراً، والبحري (٦٧٥) متراً، والشرقي (٥٠٤) متراً، والشرقي الجنوبي (٣١٥) متراً، والجنوبي(٨١٠) متراً».

ثم يبين البتنوني أن هذا السور بناه السلطان الغوري ملك مصر في سنة (٩١٥هـ) لمنع الافرنج الذين كانوا قد ابتدأوا في استعمار الشرق من طلوعهم إلى جُدَّة. وذكر أن السور أفاد فائدة تذكر في منع البرتغاليين من الدخول إليها في سنة (٩٤٨هـ) وأن قلعتها هذه الصغيرة أصلتهم ناراً حامية فروا منها إلى مراكبهم تاركين ما كان معهم من الذخائر.

ثم يصف لنا البتنوني شوارع جُدَّة فيقول:

وشوارع جُدَّة لا نظام فيها وهي تحتوي على نحو(٣٥٠٠) مترً مبنية بالحجر الجبلي الذي يأتون به من الجبال القريبة أو الحجر المائي الذي يقطعونه من شعوب البحر وهو خفيف جداً وفي غاية المتانة إلا أن خطره جسيم وضرره عظيم لأنه قابل للالتهاب بسرعة لما يحتويه من المادة الفسفورية التي توجد فيه بكثرة.

ومساكنها (جُدَّة) كمساكن مدن الحجاز (مكة والمدينة) وهي أشبه بمساكن مصر في عهد المماليك أعني أن بها غرفاً كبيرة وألونها واسعة ذات سقوف عالية ولها شبابيك طويلة عريضة على شكل المشربيات يسونها الرواشن مفردة روشن معناها المنور) وشغلها الخشبي يشبه ما يسمونه «بالمنقور» أو «المنجور» وأكثرها النوع المسمى «بالشيش» وقد رأيت في بعض بيوت هذه المدينة منزلاً واجهته نحو (١٥) متراً وله تسعة «رواشن» كبيرة وأظن أن هذه المنافذ الواسعة موافقة جداً للبلاد الحارة .

ويبين البتنوني أن محمد على قام ببناء عدة دور في جُدَّة منها «دار الولاية، ودار

مرفئ جُدَّة عام ١٩٠٩م – المصدر: الرحلة الحجازيه لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر

البلدية، وثكنات (قشلاقات) العساكر وغيرها».

وعن ماء الشـــرب في جُدَّة آنـــذاك يقول البتنوني: وماء الشـــرب في جُدَّة من الصهاريج القديمة التي تُملأ بماء المطر ومن العيون التي هي بخارج المدينة.

كما يبين الرحالة البتنوني إنه كان بجُدَّة كنداسة لبعض الفرنجة لتكرير مياه البحر وبيعها للناس «ولكنها تخربت نهائيا وبلغنا ونحن بجُدَّة إنهم أرســـلوا بعض عُدَدِها إلى السويس لإصلاحها».

ويصف رحالتنا جُدَّة بأنها: «مركز تجاري كبير» وأنها «الثغر العمومي للحجاز» فمنهـــا صادرت وإليها وارداته «وتجارتها تكاد تنحصر في أصداف اللؤلؤ والمرجان واليسر والسُـــبَحْ والأقمشة الحريرية والعطر والعطارة والبقالة الجافة والقِرَبْ والجلود والســـاجيد وجميع ما يهم الحاج .وتجارتها الرئيســـية في الحبوب خصوصاً القمح والدقيق اللذين عليهما مدار حياة أهل البلاد العربية من أقصاها إلى أقصاها».

أسواق جُدَّة في زمن البتنوني:

يصف لنا البتنوني سوق مدينة جُدَّة إبان زيارته لها فيقول:»وسوق المدينة تمتد على طولها من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية التي تنتهي بمساكن قناصل الدول وهي أحسن ما في المدينة من الأبنية وأخص منها بالذكر منزل الوكالة الروسية الذي هو على أحسن مثال وأجمل هندام لما فيه من المشربيات والطنف (البلكونات) التي تمثل أبهة الشكل العربي القديم بما يخيل للرائي أنه أمام قصر الرصافة في بغداد. وتجاه هذا المنزل نقطة بوليس وبجوارها مكان البوستة (البريد) وهي عبارة عن غرفة صغيرة يقطعها حاجز خشبي بسيط يفصل بين العمال وأرباب الأعمال.

تعداد سكان جُدَّة عام (١٩٠٩م):

ويحدد البتنوني عدد سكان مدينة جُدَّة خلال زيارته لها عام (١٩٠٩م) بحوالي خمسين ألف شخص ويقول إن عدد الفرنجة آنذاك كان مائة شخص أو يزيدون قليلاً .

مدارس جُدَّة في زمن البتنوني:

كما يخبرنا البتنوني أنه كان في جُدَّة (عندما زارها) مدرستان، مدرسة الفلاح وفيها نحو ثمانين تلميذاً ويصرف عليها من تبرعات الأهالي . والمدرسة الرشيدية وهي للحكومة وفيها نحو مائة وعشرين تلميذاً وهما لا يدرس فيهما إلا شيء بسيط من الحساب والكتابة والقراءة العربية والتركية .

موسم الحج في جُدَّة:

وعن جُدَّة خلال موسم الحج وقت زيارته لها يقول البتنوني:

«وفي موسم الحج ترى في جُدَّة حركة مستديمة لا تنقطع ليلا ولا نهاراً من الحجاج الذين إذا وصلوا إليها وجدوا على أبواب جمركها مطوفيهم أو وكلاءهم في انتظارهم وهم ينادون يا حاج فلان أو ياحجاج فلان فيعرف الحاج اسم مطوفه

فينادي عليه وهو في هذه الشدة فيبادر إلى مساعدته ويأخذ منه ورقة جوازه ليعلم عليها من قلم الجوازات ثم يسير معه إلى منزل يقيم به يوما أو يومين يصلح فيها من شأنه ويؤجر جماله أو حميره ثم يسافر إلى مكة المكرمة بعد أن يشتري شقادفة إن كان لها ضرورة عنده . ومتوسط ثمن الشقدف جنيه إنجليزي وأجرة الهجين أو الحمار جنيه إلى مكة وكذلك جمل الحمل أما جمل الشقدف فتصل أجرته في الغالب إلى ضعف ذلك».

هكذا بدت جُـدَّة للرحالة المصري محمد لبيب البتنوني عندما زارها ضمن وفد مرافق لخديوي مصر عباس حلمي باشا الثاني عام (١٣٢٧هـ) الموافق (١٩٠٩م) فسطر يراعه ما سجلته عدسة ذاكرته من مشاهد وأحداث شاهدها أو عايشها خلال تواجُده في مدينة جُدَّة وضمنها في كتاب عن رحلته أسماه (الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر)[٤٥٦].

٤٥٦- المصدر السابق، ص ص/٧٠-٧٧ .

هدلي تشرشورد

هدلي تشرشورد عام ١٩١٠م

ترجمة هدلي تشرشورد:

كتاب من دروري لين إلى مكة (المكرمة) هو كتاب يحيي قصة حياة ومغامرات الرحالة البريطاني المسلم هدلي تشرشورد الذي أدى مناسك الحج عام ١٩١٠م . ومؤلف هذا الكتاب هو إيريك روزنثال Eric Rosenthal .

وقد أفرد المؤلف الفصل الرابع لمدينة جُدَّة، ومشاهداته تشرشورد فيها .

ويقول المؤلف إن هدلي تشرشورد اتخذ لنفسه اسماً عربياً بعد إسلامه فأصبح يُدعى محمود مبارك تشرشورد Mohamoud Mobarec Churchword[٤٥٧].

وقد استعرض الأستاذ أحمد محمود في جمهرة رحلاته قصة تشرشورد فقال : ولد – هدلي تشرشورد – لأسرة من المشاهير في بريطانيا، عرفت بامتلاكها لثاني أقدم منزل في بريطانيا، بُني قبل أكثر من ٧٠٠ عام، ونشأ في كنف والده،

٤٥٧- Rosenthal، Eric: From Drury Lane To Mecca، Sampson Low Marston، London، 1931،pp 17 .

واختلط بأصدقاء والده من المشـــاهير، ومن كل الأعمار، وقضى بعض الوقت في القصـــر الملكي، وتعرفت عليه في صغره الملكة فيكتوريـــا، بحكم تردد والده على القصر الملكي، كما تعرف على ملكة فرنســـا – الإمبراطورة يوجين – الذي يقع قصرها قريباً مـــن منزل والده وتعلم في كلية كلبرن، وكان على مقاعد الدرس معه أبناء رؤساء من أمريكا الجنوبية، وأبناء جنرالات من الهند، ومستكشفون للقطب الشـــمالي، وظهر نبوغه الفني في ســـن المراهقة، ودعي ليرســـم لوحات اشتهرت لاحقاً، خاصة في مجال المســـرح، حيث تعرف وخدم مع مشاهير رجاله، واستقر به المقام في دروري لين بلندن .

ويكمل الأستاذ أحمد محمود قائلاً :

وفي أوائل الثمانينيات من القرن التاســـع عشـــر الميلادي تلقى اقتراحاً بالسفر إلى أســـبانيا، كانت تلك أولى صلاته بالإســـلام، وتركت زيارته لقصر الحمراء في غرناطة، والمسجد الكبير الجامع في قرطبة أعظم أثر في نفسه وفي فنه، وتجشم بعض المصاعب في رحلته من أسبانيا إلى المغرب، متتبعاً التراث الفني الأندلسي، وتدريجياً اســـتبدل ملابســـه الأوربية بالملابس المغربية، وتآلف مع المغاربة، فكان يُدعى إلى منزلهـــم، وكان طوال إقامته يرســـم ما يعجبه من الفن المغـــربي . وفي فاس التقى الأسكتلندي «قايد مكين» الذي كان يعمل في قصر سلطان المغرب، فاستضافه، وعرف من أخبار القصر أن السلطان السابق كان يبحث عن زوجة أوربية، وأوفد رسلاً إلى جبل طارق، وتم اختيار سيدة هي والدة السلطان الحالي(٤٥٨).

ويروي الأســـتاذ أحمد محمود قصة إسلام رحالتنا فيقول : إن تشرشورد تردد بين بريطانيا والمغرب، وفي ميناء الرباط كان يرى الســـفن الفرنسية تعود بحجاج المغرب من مكة وشاهد كيف سَخِر ربان السفينة من طريقة الحجاج في إعداد طعامهم، وكاد الحجاج ينتقمون لأنفســـهم لولا تدخل تشرشورد الذي كان في الميناء، بلغته الفرنســـية التي تعلمها في كيلبرن، فوبخ القطبان على سخريته، وانتهى الإشكال، واصطحب الحجاج تشرشـــورد إلى منازلهم حيث أكرموه على خدمته هذه، ومع

٤٥٨– محمـــود، أحمد محمد: جمهرة الرحلات – رحلات الحج، الدار الســـعودية للنشـــر والتوزيـــع، جُدَّة، (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م)، ص ص/٣١١-٣١٢ .

هدلي تشرشورد بالزي العربي عام ١٩١٠م

مرور السنين نمى حب الشرق عنده، وعندما عاد «تشرشورد» مرة من المغرب إلى بريطانيا، وقد تعلق حبه بالمغرب حباً لا يثنيه عنه حتى مسقط رأسه . فاجأ أسرته في عودته هذه «بأنه تحول إلى الإسلام، وكل من عرف تشرشورد عرف إخلاصه وصدق اعتناقه للإسلام، فقد كان يشعر بالغضب كلما نال أحد المسيحيين من الإسلام»(٤٥٩).

ويناقش الكاتب موضوع استقرار رحالتنا في مصر وزواجه من مصرية فيقول : إن الأسفار أخذت رحالتنا إلى أستراليا، وجنوب إفريقيا، ولم تعد بريطانيا مركز اهتمامه، ثم قرر عام ١٩٠٨م زيارة القاهرة، والتحق بالأزهر طالباً، واختار لنفسه أحسن المدرسين، لإتقان القرآن الكريم، وعلوم الدين «وأنا فخور بأني حفظت ١٢ جزء من القرآن الكريم» وحرص على ألا تفوته حصة رغم بعد مسكنه، وأصبح مصري الجنسية، واتخذ لنفسه اسم محمود مبارك، وتزوج من ابنة أحد قضاة

٤٥٩- المصدر السابق، ص ص/٣١٢ .

مصر، وبنى له بيتاً قريباً من الأهرامات، وكان يؤم المصلين في مسجد القرية[٤٦٠].

وقد اتهم الرحالة بأنه جاسوس وكان ذلك في طريق عودته لبريطانيا ليرسم افتتاح سفينة مانشستر عند إبحارها في قناة السويس حيث توقف في جبل طارق، وألقى عليه القبض وهو يرسم الجبل وخلفيته ثكنة عسكرية بريطانية، فاعتبروه جاسوساً، وبعد التحقيق من وضعه أطلق سراحه، ومنها توجه إلى سبتة، وحصل على أوراق أسبانية سافر بها إلى الخسيرات – الجزيرة – وعاد إلى بريطانيا، ثم منها إلى القاهرة ثانية[٤٦١].

رحلة الحج :

لما بدأ تشرشـــورد عام ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م التفكير في الحج، وحرص على ألا يقوم بعمل يخالف الأنظمة السائدة، فتوجه إلى مبنى المديرية في القاهرة طالباً الإذن بالحج، فطلب منه تزكية من عمدة القرية التي يســكنها ليرتب له لقاء القاضي في القاهرة، ونشـــرت جريدة المؤيد خبراً عن نية مســـلم بريطاني أداء الحج، نصحته القنصلية البريطانية بالقاهرة وسواكن التي مر بها لاحقاً في طريقه إلى الحج، أن لا يفكر في ذلك، مؤكدة له أنه لن يســـمح له حتى بالنزول في جُدَّة، وكإجراء متبع مع من يدخلون حديثاً في الإســـلام ممن ينـــوون الحج، خضع لامتحان أمام لجنة علماء مصر يرأسهم قاض، لمعرفة مدى صدق إسلامه، ونجح في الامتحان، وتلقى شهادة بإسلامه صادق عليها قاضي القضاة العثماني، وعدته المراجع البريطانية من أوائل من أدوا فريضة الحج من البريطانيين .

يقول الأستاذ أحمد محمود : إن خيال مكة ظل يراوده أينما ذهب «وكنت أسمع من منارات الحرم من يناديني، أقبل عليَّ بأسرع ما تستطيع».

عاد تشرشـــورد إلى جوهانســـبرج من القاهرة، وعمل هناك ثمانية أشهر، وأبلغ معارفه من المسلمين بنيته الحج، فحذروه «بخطورة ما هو قادم عليه» وفي –كيب تاون – وجد ترحيب الكثير من المســـلمين لمساعدته في الحج، وزودوه بشهادات

٤٦٠- المصدر السابق، ص ص/٣١٣ .
٤٦١- المصدر السابق، ص/ ٣١٣ .

تثبت حقيقة إسلامه، وكان لديه ما يكفي من المال لدفع تكاليف رحلة الحج .

خط سير الرحلة :

استقل تشرشورد الباخرة «القيصر» في «ديربان» ومرت السفينة على الميناء البرتغالي – انهامبان – وفيها سمع عن وباء الجدري، وأمر مالك السفينة بتطعيم جميع ركابها ضد الوباء، وبعد التطعيم جاءهم نبأ وجود إعصار في قناة موزنبيق قادم من مدغشقر، وكان يرى ارتفاعات موج البحر في المياه الدولية على البعد، وغامر قائد السفينة بالإبحار بها في هذا الجو العاصف في المحيط الهندي، وساد صمت مطبق ولا تسمع حتى الهمس، وظهر أن القبطان كسب المعركة والسفينة تغادر منطقة الخطر إلى زنجبار، وعند مينائها أعلنت السلطات الزنجبارية السفينة مكاناً موبوءاً – رغم أنه لم تكن هناك بين الركاب حالة جدري واحدة، وتتطلب إجراءات الكرنتينة بقاءها في المياه الدولية ثلاثة أسابيع . ظهرت زوارق صغيرة – تدعى : صومالي – تنقل ركاباً إلى الهند، فواصل عليها إلى بومباي، وبدأ فيها ترتيبات مواصلة رحلة الحج، وأبلغته السلطات أن عليه الحصول على جواز سفر هندي، وذلك لا يكون إلا لمواليد الهند، ولم يكن لقنصلية السلطة العثمانية صلاحية على سكان كيب تاون، ونصح بمراجعة قاضي بومباي، والاستعانة ببعض الوجهاء المسلمين في المدينة، حتى نصحه البعض بالسفر إلى الحج دون جواز سفر «والله يسهل لك».

لم تكن هناك سفن في ذلك الوقت متجهة إلى جُدَّة وعرف عن سفينة إسلاميك بقيادة قبطان أسكتلندي – ستتجه إلى الخليج العربي فحجز عليها « وتلقى سجادة هدية من – مواطن هندي – قال له : عندما تصلي تذكرني بالدعاء» وعلى ظهر السفينة التقى مواطنين إنجليز .

بعد ثلاثة أيام وصلت السفينة إلى مسقط، ومنها إلى بندر عباس وبعد أيام ظهرت البحرين ومنها ذهبوا إلى المكلا حيث رحب به سلطانها عندما عرف أنه مسلم .

ومن المكلا أبحروا لمدة ٤٨ ساعة حتى وصلوا عدن . ومن عدن واصل إلى

سواكن ومنها إلى بورسودان . وفي بور سودان غيرت السفينة اتجاهها شرقاً واتجهت إلى ميناء جُدَّة .

وصول تشرشورد إلى جُدَّة :

ويصف تشرشورد وصولهم جُدَّة فيقول :

كنت أجلس أسفل السفينة عندما سمعت دمدمة محركها فجأة، وهي تلقي بمراسيها في عرض البحر، وألتفت إلى قبطانها قائلاً : حسناً — السيد تشرشورد — وصلت الآن وجهتك.. وانشغل الركاب يتهيأون للنزول، وذهبت أجمع أمتعتي، ونظرت في البحر، بين السراب الذي غطى الأفق، فما كدت أرى جُدَّة إلا بصعوبة، أسقف منازلها مسطحة، تحت أشعة الشمس الحارقة.

ويكمل الرحالة وصف وصولة إلى ميناء جُدَّة فيقول :

جاء زورق يحمل مسؤولاً تركياً، فتحدث عن معاناة المدينة من نقص مياه الشرب، وكانت محطة تحلية قد أنشئت حديثاً لتزويد السكان بالماء المشروب، ولكن إنتاجها شابه مؤخراً ملوحة، ولذلك يخلطه أهل جُدَّة بالقهوة أو الشربيت، وأخيراً توقفت آلات محطة التحلية عن العمل، وهبط الرحالة إلى ميناء جُدَّة على أحد الزوارق التي تنقل الركاب من السفينة إلى رصيف الميناء .

«هنا انتهت المرحلة الأولى من رحلتي : من دروري إلى مكة»[٤٦٢].

جُدَّة بعدسة ذاكرة هدلي تشرشورد :

بعد وصوله إلى ميناء جُدَّة ووصفه لدخوله هذا الميناء العريق الجميل وبعده دخوله ثغر جُدَّة بدأ الرحالة في وصف المدينة التي أعجب بها فقال: «جُدَّة هي مدينة ناطحة السحاب في الجزيرة العربية، وعندما أدرت ظهري لسفينتنا الراسية في الشاطئ المرجاني، وقعت عيناي على مئات المنازل من ستة، ثمانية، بل تسعة أدوار، منازل ضخمة البناء، تشبه تجمع المباني الأمريكية الكبيرة قبل إدخال نظام

٤٦٢- المصدر السابق، ص ص/٣١٣-٣١٧ .

النطـــاق العمراني، كل منزل به عدد من البرندات، يصل أحياناً إلى ســـتة، رصت فـــوق بعضها البعض، ولكل منها شـــكله المختلف، تعلو في الســـماء بانحناءاتها الرائعة، كأجمل ما تكون المباني في العالم القديم».

«تجول تشرشورد في جُدَّة وســـجل ملاحظاته عن المدينة وزار محطة تحلية المياه المتوقفة عن العمل وذكر أن ســـبب توقفها هو عدم وجود الفحم الحجري الذي يشـــغلها، وكانت ملاحظاته الرئيسية عن شوارع جُدَّة أنها لم تكن نظيفة بالشكل الكافي، ولاحظ قلة الناس في الشـــوارع وخاصة النســـاء، وذكر أن الأطفال كانوا يلعبـــون بجوار الحوانيت التي تبيع للحجـــاج، ولاحظ أن الجمال تنيخ كما تتوقف الســـيارات في مواقفها في المـــدن الغربية . ولاحظ أن كل منـــزل من منازل جُدَّة يختلـــف في زخرفته الخارجية عن الآخر، وحركة النشـــاط التجاري بطيئة فلم يحل بعد موسم الحج..».

وبعد أن ودع قبطان الســـفينة «الذي تمنى له حظاً ســـعيداً» توجه رحالتنا إلى القنصلية البريطانية في جُدَّة حيث رحب به القنصل مســـتغرباً وجوده، متســـائلاً: «بالتأكيد لست قادماً هنا كالرحالة — بيرتون — لأداء الحج؟» لكنه قدم للقنصل توصية لأحد العوائل المهمة في مكة المكرمة .

ولأن القنصـــل كان على وشـــك مغادرة جُدَّة فقد طلب منه مراجعة مســـاعد القنصل الدكتور عبدالرزاق الذي قال عنه تشرشورد: إنه رجل محترم . أبلغه الدكتور عبدالرحمـــن أن أمره يحتاج لأيام حـــتى تتم ترتيباته «وحتى ذلـــك الوقت أدعوك لتتفضـــل عليَّ بالنزول في داري» «فكان ســـروري بهذا العـــرض كبيراً، وودعت القنصل الذي يستعد للمغادرة في إجازة». وبعد أيام الضيافة قدمه نائب القنصل البريطاني إلى وكيل مطوفته بجُدَّة — الشريفة زين بجُدَّة. «رغم أن الدكتور عبدالرزاق — نائب القنصل — ظل يحذرني من خطورة ذهابي إلى مكة». أخذ وكيل المطوفة بجُدَّة الرحالة إلى دار الضيافة «واستقر بي المقام على أرض مستوية، حيث هبطت عليَّ ملايين من الناموس تحلق فوق رأسي، ولمت نفسي أني لم أشتر ناموسية كما نصحني أصحابي في بومبابي. لم يكن بالمنزل إضاءة غير ما ترســـله نجوم السماء، وبين وقت وأخر يأتيك صوت نباح الكلاب، وعداها لا صوت ســـوى مزيج من

طنين الناموس وحفيف موج البحر، وعندما أدينا صلاة الفجر، سألت وكيل المطوف: عن البغال التي ستحملني إلى مكة، فذكر لي أن حمارين سيتوجهان مساء، ويقطعان المسافة ليلاً إلى مكة، وسألته لماذا لا أستقل جملاً، فكان رده: أن الحمير تقطع المسافة إلى مكة في نصف الوقت الذي يقطعه الجمل».

ويكمل الرحالة قائلاً: «جرت العادة أن الحاج عندما يصل إلى جُدَّة يسلم نقوده إلى مطوفه، ولا يحمل معه شيئاً، كانت معي ٢٥٠ جنيهاً استرلينياً، فأودعت المال لدى وكيل القنصل، والذي حول جزء منها بالتلغراف إلى مكة لحسابي، وقام موظفو المطوفة بمكة بالحفاظ على أموالي والصرف منها عليَّ بأمانة تامة .. وبعد الغروب اغتسلت وطرحت ملابسي، ولبست الإحرام، وانتعلت شبشباً، وحملت شمسية، وصل حماران حملاني من جُدَّة خرجنا من باب مكة بعد الغروب، ومرافقي وكيل المطوفة يشرح لي ما نمر به».

سار الرحالة في طريق جُدَّة مكة فمر على «بحرة» ليلاً للراحة حيث رحب به صاحب القهوة التي استراحوا فيها قبل استكمال رحلتهم إلى البلد المقدس التي دخلوها من بوابة جُدَّة وذهبوا به إلى منزل مطوفته السيدة زين الشرف حيث استقبل استقبالاً جيداً وقدمت له خدمات جيدة من قبل العاملين لدى المطوفة التي حادثته من وراء حجاب متمنية له القبول.

في الصباح ذهب إلى المسجد الحرام، وتحدث عن أبواب المسجد وأروقته كما وصف الكعبة المعظمة ووصف حصوات المسجد وممراته وصحن الطواف كما وصف المسعى وبئر زمزم والتقط بكاميرته بعض الصور للمسجد الحرام .

بعد أن مكث في مكة المكرمة خمسة أشهر تسلم الرحالة برقية تشعره بضرورة العودة إلى جنوب إفريقيا فغادر مكة متوجهاً إلى جُدَّة حيث التقى نائب القنصل البريطاني مرة أخرى .

وفي جُدَّة زار مقبرة أُمنا حواء ووصف المقبرة والقبر المزعوم وقال: كنت متعباً جداً، لكن مرافقي أشار عليَّ بزيارة أُمنا حواء، وقبرها قريب من جُدَّة، لكن التعب أخذ مني كل مأخذ، حتى إني لم أستطع زيارة نائب القنصل البريطاني،

لكـــني بعد أن أخذت حماماً وافقت على فكرة مرافقي، وســـرنا لعدة أميال حتى وصلنا إلى القبر، وهناك ثلاث بنايات بقِبابها، طول البنايات الثلاثة ٣٠٠ خطوة، كل قبة قيل لنا إنها تغطي جزءاً من القبر، أحد القباب على رأسها، والثانية على سرتها، والثالثة على قدميها . وقد استغرقت زيارته للمقبرة حوالي ساعة .

وفي المســـاء لبى تشرشـــورد دعوة نائب القنصل للعشاء . وقال: إن سرور نائب القنصل كان عظيماً أن أنهى الرحالة حجته بأحسن مما توقع .

وفي انتظار سفينة الخديوي التي تحمل البريد من مصر، قضى الرحالة في دار نائب القنصل يومين، ولما وصلت الباخرة، اســـتقل زورقـــاً إليها قائلاً : «وصعدت إلى الســـفينة أُلقي نظرة على الأراضي المقدسة، ولما تحركت السفينة، خلعت ملابسي الشرقية، فلم أعد الحاج محمود مبارك، بل عدت المستر : هدلي تشرشورد، المسافر إلى جنوب إفريقيا عبر السويس»[٤٦٣].

٤٦٣- المصدر السابق، ص ص/٣١٧-٣٣٠ .

الفرنسي المسلم جيل - جرفيه كورتلمون

جيل جرفيه كورتلمون – المصدر: موقع تراثنا الإسلامي

الفرنسي (جيل - جرفيه كورتلمون) الذي أسلم وسافر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وكذلك إلى المدينة المنورة للصلاة في المسجد النبوي الشريف والتشرف بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب عن رحلة حجه كتابا وسمه (رحلتي إلى مكة المكرمة).وقد جاء في هذا الكتاب تعريف لمؤلفه الرحالة كورتلمون ما ننقل منه هنا بتصرف :

ترجمة جيل – جرفيه كورتلمون[٤٦٤]:

ولد الرحالة الفرنسي كورتلمون في (أفون) في ١٥ من محرم عام (١٢٨٠هـ) الموافق الأول من يوليو عام(١٨٦٣م) وهو الولد الوحيد لأبيه لويس فكتور جرفيه، كان أبوه ميسور الحال وكانت أمه ربة بيت، وتعزف على البيانو، مما مكنها من إعطاء دروس في هذه الآلة . وكان لهذه العائلة صديق اسمه لويس

٤٦٤- كورتلمون، جيل: رحلتي إلى مكة، مصدر سابق، ص ص/٩-١٥ .

ألفونس كورتملون، ذو دخل مناسب أيضاً، ويعمل ضابطاً في جوقة الشرف، وله ابن يعمل في سلك الجندية الفرنسية . لما مات والد جيل سنة (١٢٨٤هـ) الموافق (١٨٦٨م) تزوج ابن صديق الأسرة أرملة جرفيه، والدة جيل .

غادرت الأسرة كلها للعيش في الجزائر سنة (١٢٩٠هـ) الموافق (١٨٧٤م)، فاستقرت في (غلزان)، وهي منطقة صحراوية قاحلة، تقع بالقرب من الجزائر العاصمة، وكانت فرنسا تطبق آنذاك سياسة إعمار الأرض التي في شمال إفريقية بالمعمرين الفرنسيين ضماناً لاستمرار احتلالها والسيطرة عليها .

بعد هذه الرحلة تقاعد زوج أم جيل من سلك الجندية ليستقر نهائياً في هذه الأرض، وقد وصل إلى درجة ضابط كبير . بعد ذلك حلت بالجزائر كارثة بيئية فقدت الأسرة على إثرها كل ما كانت تملكه في المزرعة التي كانت تديرها هناك، ولم يبق مع العم كورتلمون إلا مبلغاً نقدياً يقدر بسبعين ألف فرنك .

انتقلت الأسرة كلها بعد هذه الكارثة للعيش في منطقة (مينة) حيث استطاعت الحصول على قطعة أرض أخرى صالحة للزراعة . ولما وجدت الأسرة نفسها معزولة في هذه المنطقة بدأت الأم تتردد إلى بعض نساء القرية المجاورة، فعقدت الألفة مع الجيران وأصبحوا جميعاً أصدقاء .

اشترى زوج أمه لـ (جيل) بندقية صيد، فشرع جيل يجوب الغابات برفقة مجموعة من شباب القرية بحثاً عن الصيد، وبذلك تعود منذ صباه على التقشف .

مرة أخرى حلت بالأسرة كارثة زراعية جديدة، فقدت على إثرها كل شيء، ولم يبقَ للضابط القديم إلا راتب التقاعد، فغادرت الأسرة المزرعة وكان عمر جيل آنذاك أربع عشرة سنة، فتُرِكَ فيها وحده يواجه مصيره بلا معين أو مال إلا من مساعدة أهل القرية .

انتقل جيل بعد سنوات إلى الجزائر العاصمة لدراسة التلغراف، فتلقى فيه تدريباً جيداً وكان يقرأ عنه كثيراً، وتابع الدروس الليلية إلى جانب صديقه جول لومتير .

حجاج على متن سفينة في طريقهم إلى جُدَّة عام ١٨٩٥م – المصدر: كتاب رحلتي إلى مكة

كان شـــغوفاً بحب الاستطلاع، فشرع في الاهتمام بالإسلام، هذه الديانة التي كانت تحيط به من كل جهة في حياته منذ وصوله إلى الجزائر .

في هـــذه الفـــترة كانت توجد في الجزائر جمعية كبيرة يطلق عليها اســـم : جمعية كونكورديا، تضم الأدبـــاء والمثقفين، وأغلب أعضائها من علية القوم في الجزائر، ويصبح كثير من أعضائها من كبار الصحفيين في الجزائر وباريس، ومن المختصين في المعامـــلات التجارية الكبرى وغيرهم . عقد «جيـــل» صداقات مع عدد من أعضاء هذه الجمعية، وعرف كيف يستغل هذه الصداقات .

وكان جيل قد ارتبط قبل ذلك مع زوج أمه بعلاقة قوية لدرجة أنه قرر أن يحتفظ باسمه، وأصبح يوقع باســـم جرفيه – كورتلمـــون . وأحياناً كثيرة يوقع بكورتلمون فقط . كما أن زوجته (هيلين) أصبحت تعرف باسم السيدة كورتلمون .

مات زوج أمه ســـنة (١٣٠٧هـ/١٨٩٠م) وكان عمره حينذاك ســـبعاً وعشرين ســـنة، فتولى بنفسه البحث عن وســـيلة للعيش له ولأمه . ولأنه كان مصوراً بارعاً فتح في أحد شوارع الجزائر العاصمة معرضاً صغيراً لبيع صور « النقش الضوئي» .

وكان كورتلمـــون محباً للترحال، فســـافر إلى مناطق مختلفة مـــن الجزائر والقاهرة

والقدس ودمشـــق، وعاد بزاد من الصور التي نشرها في مجلته، أو عرضها للبيع في معرضه في شارع الألوان الثلاثة بمدينة الجزائر العاصمة .

تـــزوج من ابنة أحد أصدقائه،(هيلين) قبيل رحلته إلى مكة المكرمة وأنجب منها بعـــد عودته ولداً أسماه عبدالله، ثم قام برحلـــة إلى إقليم التبت (يونان) في الصين عام (١٣١٩هـ/١٩٠٢م) ونشـــر مسرد رحلته إليها في كتاب تحت عنوان «رحلة اليونان» عام (١٣٢١هـ/١٩٠٤م) واستغرقت تلك الرحلة أكثر من سنة .

وبعـــد عودته من يونان ذهب إلى باريـــس، وفتح معرضاً لبيع الصور الملونة التي كانت تعد من أحدث التقنيات في ذلك العصر . وكان يلقي محاضرات عن رحلته وخاصة رحلته إلى مكة المكرمة ويعرض صور تلك الرحلات .

ســـافر إلى تركيا مـــرةً بمفرده والأخرى مع زوجته عـــام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) ثم ذهبا معاً إلى تركيا مرةً أخرى عام(١٣٢٨هـ/١٩١٠م) وعايش إنشاء سكة حديد دمشـــق – المدينة المنورة . وقد اشـــتغل في هذه الســـكة خمسة وخمسون مهندساً تركيا، بالإضافة إلى مهندســـين غربيين : أحدهما فرنسي والآخر ألماني، كما تمت الاســـتعانه بحوالي سبعة آلاف جندي من الجيش التركي وقد كلف ذلك المشروع ٩٣ مليون فرنك فرنســـي، ويبلغ طول السكة ١٣٠٠ كلم، وقد دشنت مع نهاية فصل صيف سنة (١٣٢٨هـ-١٩١٠م) .

وكان انتشـــار الوباء خلال رحلة كورتلمـــون إلى مكة المكرمة قد منعه من زيارة المدينة المنورة للصلاة في مســـجد الرسول صلى الله عليه وسلم والتشرف بالسلام عليه، لذا فقد عمل المستحيل للتوجه على متن القطار إلى المدينة المنورة من أجل التقاط الصور الملونة للمسجد النبوي الشريف على وجه الخصوص، والمدينة المنورة على وجه العموم[٤٦٥].

وفي أوائل ســـبتمبر عام (١٩١٠م) اســـتقل كورتلمون القطار مع أعضاء لجنة تنظيمية كان قد تقرر إرســـالها لحضور حفل تدشـــين محطة سكة الحديد بالمدينة

٤٦٥- المصدر السابق، ص/١٥ .

المنـــورة . وقد قـــام كورتلمون بالتقاط صـــور كثيرة منها صور للمســـجد النبوي الشـــريف، وهي من أقدم الصور الملونة لهذا المسجد، وتوجد هذه الوثيقة التاريخية في المتحف السينمائي روبير لينين في مدينة باريس(٤٦٦).

وفي عام (١٣٣٠هـ - ١٩١٢م) ســـافر كـــور تلمون إلى الهند والتقط كثيراً من الصور الملونة لما كان يظن أنه مفيد فنياً(٤٦٧).

خط سير رحلة كورتلمون:

تقدم كورتلمـــون بطلب بعثة علمية إلى وزارة التربية العامة ولكن وزارة الخارجية التي استشـــيرت في الموضوع رفضت ذلك الطلب ونصحته بالتراجع عن مشروعه للسفر إلى مكة المكرمة فتقدم كورتلمون بطلبه إلى الحاكم الفرنسي العام في الجزائر الذي وافق على ذلك ولكن على مسؤولية صاحب الطلب الخاصة.

وتم إعطاؤه جواز سفر باسم عربي هو (عبدالله بن البشير)(٤٦٨).

ســـافر كورتلمون بعد ذلك إلى فرنسا لإجراء بعض الترتيبات، ومن هناك توجه إلى الســـويس لمرافقة قافلة المحمل المصري مع بعض أصدقائه. إلا أن ظروفا أجبرته على التأخر عن ذلك الموعد.

وصل رحالتنا إلى الســـويس في الرابع عشـــر من شـــهر يوليو وكان يبحث عن صديق له يدعى الحاج (أكلي) فعرف أنه ذهب إلى الإسكندرية فلحق به ووجده هناك بعد أن كان قد عاد لتوه من جُدَّة بعد أدائه فريضة الحج .

أجل الاثنان سفرهم إلى جُدَّة وقررا السفر بدلاً من ذلك إلى إسطنبول عن طريق ســـفينة النقل البحري السريع (جيروند-Gironde) ولكنهما اضطرا في الطريق إلى إلغاء تلك الرحلة وتوجه كورتلمون بدلاً من ذلك عائداً إلى الجزائر.

٤٦٦- المصدر السابق، ص/١٦ .
٤٦٧- المصدر السابق، ص/١٦ .
٤٦٨- المصدر السابق، ص/٤١ .

بعد ذلــك غادر كورتلمون وصاحبه الجزائر على مــتن باخرة تدعى(كلوكوز–Glaucus) كانت تتبع شــركة (هولتز–Holtz) وكانت هذه الســفينة تقوم برحلة أســبوعية بين الجزائر العاصمة وبورســعيد، إلا أنها كانت ستقوم بالسفر إلى جُدَّة مباشــرة في تلك الرحلة بعد الوقوف في بورسعيد والسويس وقد استغرقت رحلتهم إلى جُدَّة عشرة أيام.

يقــول كورتلمون إنه عندما وصلت الســفينة إلى جُدَّة: «انتظرنا طويلا وصول أحد المرشــدين، إذ يصعب على السفينة «كلوكوز» أن تزحف إلى مسافة أكثر نحو الســاحل، وأخيراً جاء المرشــد فصعد إلى جسر الســفينة، أنه رجل يرتدي بدلة طويلة، وعلى رأســه عمامة متواضعة، لون عينيه أســود أدكن، كما لو إنهما محترقتان، يحدق في الأفق دون أن يرمش، ويعطي أوامره المتعلقة بإجراءات الوصول باللغة الأنجليزية».

ثم يســتطرد الرحالة قائلاً: « رســونا على مسافة عده أميال من البر، أكثر من المســافة المعتاده لأن ربان سفينتنا شــديد الاحتياط، فهو لا يريد الزيادة في عدد الســفن التي غرقت على الســاحل الممتلئ بحطامها، إذ نرى هنا ســفينة تجارية مشطورة إلى نصفين وهناك يظهر لنا على سطح الماء، شراع وبجانبه قمة مدخنه، وبموازاة ضفة البحر تنتشــر علامات صخور متموجه تبرز في مستوى سطح المياه تدل على وجود أرصفة مرجانية مما يشكل تهديداً دائماً للسفن[٤٦٩].

جُدَّة بعدسة ذاكرة جيل – جرفيه كورتلمون:

نزل كورتلمون وصاحبه الحاج أكلي في مســكن عند عبدالرحمن أفندي المترجم المعتمد لدى القنصلية الفرنسية في جُدَّة.

وفي اليوم التالي قاما بجولة طويلة في مدينة جُدَّة التي يقول عنها هذا الرحالة:

« المدينة مبنية على ســاحل البحر في منبســط رملي منخفض، ولا يوجد فيها

٤٦٩– المصدر السابق، ص ص/٤٢–٥٨ .

أي تل أو منحدر»(٤٧٠).

وعن شوارع جُدَّة ومساكنها يقول كورتلمون:»الشوارع والبازارات مملؤة بالحيوية، لأن المدينة مركز تجاري كبير، والبيوت محكمة البناء، جدرانها من الحجر، مزينة بأجمل أنواع المشربيات(٤٧١).

ثم يستمر رحالتنا في توصيفه لبعض ما شاهده في هذه المدينة فيقول:

خرجنا في الصباح الباكر من باب مكة المكرمة، وبعدما قمنا بزيارة قصيرة لضريح أمنا حواء، قمنا بجولة حول الأسوار . إنها محاطة بسور قوي يحميها من الهجمات، إلا أن هناك فتحات تنتشر هنا وهناك على طول السور المهترئ، وخاصة في الجنوب الشرقي حيث توجد بعض الأحجار المنثورة على الأرض كأثر على المكان الذي كان يوجد فيه سور المدينة قديماً(٤٧٢).

ميناء جُدَّة وأرصفته كما يقول كورتلمون:

ها هي ذي الأرصفة ملأى بالبضائع القادمة من جميع البلدان، وهاهي ذي صفوف غير متناهية من السنابك توجد مسحوبة على الرمال في وقت الجزر، تتكئ بحزن على مجاديفها، وتتدلى أشرعتها المتواضعة على صواريها في حالة استرخاء، لا تحركها أي نسمة ريح ولم يكلف أصحابها أنفسهم عناء ربطها(٤٧٣).

لقاء في ساحة جُدَّة:

يصف كورتلمون الساحة الوحيدة في جُدَّة ومقابلته لأحد أهل المدينة في هذه الساحة فيقول:

٤٧٠- المصدر السابق، ص/٦٠ .
٤٧١- المصدر السابق، ص/٦٢ .
٤٧٢- المصدر السابق، ص/٦٢ .
٤٧٣- المصدر السابق، ص/٦٣ .

وصلنا إلى ساحة المدينة، وهي الساحة الوحيدة في مدينة جُدَّة، فاستقبلنا أحد الصيادلة بحفاوة، وهو صديق للحاج (أكلي) . قبلنا عن طيب خاطر شرب فناجين الشـــاهي التي قدمها لنا . هذا الرجل يتكلم عددا من اللغات بطلاقة: الفرنسية، والإيطاليـــة، واليونانية، والعربية، وعددا من اللهجات، إضافة إلى الإنجليزية .. أنه رجل متواضع جداً وطيب، وعموما فهو رجل محبوب في المدينة[٤٧٤].

الاستعداد للسفر إلى مكة المكرمة:

بدأ كورتلمون استعداداته للسفر إلى مكة المكرمة بالبحث عن وسيلة للنقل وقال: «لم يكن أمامنا ســوى وسيلتين للنتقل، ويجب أن نختار إحداهما لقطع مسافة الـ ٨٧ كلم التي تفصل مكة المكرمة عن مدينة جُدَّة: الجمال أو الحمير، كنت أرغب في امتطاء الجمل الذي أحب خطواته التي تشبه المهد ومشيته الاسترخائية»..«إنه حيوان مناسب (أرسلته العناية الإلهية)، خُلِق للصحراء»[٤٧٥].

الطريق من جُدَّة إلى مكة المكرمة:

يصف جيل – جرفيه كورتلمون مسار رحلته من جُدَّة إلى مكة المكرمة ووسيلة النقـــل التي اســـتخدمها والمدة التي اســـتغرقتها الرحلة في كتابه مـــا ننقل منه هنا بتصرف:

أصبح كل شـــيء جاهـــزاً للانطلاق، توضأت الوضوء الأكبر، ولبســـت ثوب الإحرام.

هـــا أنا ذا على الطريق أمتطي حماري، عاري الجذع، حليق الرأس، في الســـاعة الثانية ظهراً، تحت وهج شمس محرقة .

ســـرنا في منبســـط مرمل نحو ١٦ كلم، ثم ارتفع الطريق بشـــكل غير ملحوظ،

٤٧٤- المصدر السابق، ص/٦٤ .

٤٧٥- المصدر السابق، ص/٦٦ .

منزلقاً بين جبال الحجاز الجرداء، التي تتتابع خلجانها، الشبيهة بالبراكين الخامدة، كحبات سبحة طويلة.

لقد سوت حوافر القوافل، بمرورها على مر السنين، الصخور التي كانت تشكل عوائق على الطريق، فأصبحت الطريق مستوية تشبه تماماً مجرى وادٍ رملي جاف .

ينزل الظلام في هذه المنطقة بشكل مفاجئ تقريباً، وفترة الغروب لا تستغرق وقتاً طويلاً، كما أن نور القمر الخافت لا يظهر إلا نحو الساعة الثانية بعد منتصف الليل»(٤٧٦).

ثم يصف هذا الرحالة وقوفهم للراحة في «حدة» التي تقع في منتصف الطريق بين جُدَّة ومكة المكرمة فيقول: نحن الآن في قرية «حدة»، في منتصف الطريق أنزلنا أغراضنا عن ظهور الحمير، صلينا جماعة، ثم قُدم لنا الأكل»(٤٧٧).

وبعد مغادرتهم «حدة» يقول كورتلمون عن بقية الطريق:

«ومرة أخرى وجدنا أنفسنا من جديد في المنخفضات الدائرية، وهي حفر سوداء بعيدة القرار، فأخذتني سنة من النوم، وبدأت في الحلم»(٤٧٨).

ما أن انتهى كورتلمون من زيارته إلى مكة المكرمة حتى بدأ يفكر في رحلة العودة إلى جُدَّة والتي سيسافر منها عائداً بعد ذلك إلى بلاده .

توجه رحالتنا من مكة المكرمة إلى قرية «حدة» التي استراح فيها قبل أن يواصل سيره إلى مدينة جُدَّة، التي وصل إليها بداية النهار، ودخلها كما قال «من باب مكة عبر سور المدينة وذهب إلى قنصلية فرنسا للحصول على التأشيرة اللازمة».

بعد ذلك ذهب عائداً إلى منزل صديقه عبدالرحمن أفندي ونزل ضيفاً مرة أخرى عليه

٤٧٦- المصدر السابق، ص ص/٦٧-٦٨ .
٤٧٧- المصدر السابق، ص/٦٩ .
٤٧٨- المصدر السابق، ص/٧٠ .

التقط كورتلمون صور جيدة وغير مسبوقة لمدينة جُدَّة مستعملاً آلة التصوير (من نوع ١٣×١٨) وصوّر سور جُدَّة والقنصلية وبعض أحياء جُدَّة وبيوتها وشوارعها وغير ذلك من المناظر التي أصبحت تتداول فيما بعد[٤٧٩].

ركب كورتلمون ورفاقه على متن سفينة نمساوية وكان في وداعه بعض من أصدقائه من أهل جُدَّة واسم هذه السفينة (شيسب – THISBE) التابعة لشركة (لويد – LLOYD) والتي كانت متجهة إلى «ينبع» التي اعتبرها كورتلمون» ميناء المدينة المنورة» . وصل كورتلمون إلى (ينبع) وقام بجولة فيها وتحدث عن أسواقها وبعض محتويات هذه الأسواق، كما تحدث عن سفينة إنجليزية كانت راسية بجانبهم وكانت محملة بالقمح الذي كانت الحكومة العثمانية قد أرسلته .

ومن ينبع توجهت السفينة التي أقلت كورتلمون إلى السويس ورست في حوضه بعد يومين . ومن السويس سافر كورتلمون إلى فرنسا على متن سفينة النقل البحري السريع (ملبورن MELBOURNE) في جو بارد وممطر[٤٨٠].

٤٧٩- المصدر السابق، ص ص/١١٥ – ١١٨ .

٤٨٠- المصدر السابق، ص ص/١٢٧ – ١٤٦ .

التميمي التونسي

رحلة الشـــيخ محمد بن صالح الجودي القيرواني التميمي (١٢٨٧هـ/١٣٦٢هـ) وهو مفتي مدينة القيروان التونســية في زمنه هي رحلــة حج قام بها التميمي عام (١٣٣١هـ) وسجلها في مخطوطة وعنونها: (رحلة التميمي التونسي إلى الحج) وهي رحلة غير معروفة ونادرة.

وقد قام الأســتاذ حمد الجاســر –رحمه الله– بتلخيصها ونشرها بعد أن أعطاه إياها العالم العربي المعروف الأســتاذ إبراهيم شــبوح – رعاه الله – وذكر الجاسر كيف توصل إليها عندما نشر أجزاء منها في مجلة العرب حيث قال –رحمه الله– :

زرت مدينة تونس في شهر رمضان ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠م) فسعدت برؤية بعض من عرفتهم من الأخوة، ومنهم أخي الأســتاذ إبراهيم شــبوح، من علماء الآثار البارزين، ومن المعنيين بتحقيق التراث.

وكنت عرفت الأســتاذ إبراهيم أثناء طلبه العلم في كلية الآداب بمصر، وقويت الصلة بيننا، وتصاحبنا مراراً في الســفر، إلى (إسطنبول) للبحث عن المخطوطات النادرة، وبعض البلدان الأوربية.

وآخر عهدي بالأســتاذ شبوح كان عند قيام حوادث لبنان . فلما زرت تونس حرصت على لقائــه، فمررت بصاحب (المكتبة العتيقة) بقــرب جامع الزيتونة. فبعث معي من أرشــدني إلى المكان الذي يعمل فيه الأســتاذ (قسم الآثار) فلم أجده، ولكنه حين علم بذلك أكرمني بالزيارة، وأفضل بتكرارها .

وقدم لي في إحدى المرات نسخة مصورة لرحلة عالم تونسي زار الحجاز في أول عشر الأربعين من القرن الماضي.

ولقد تصفحت تلــك الرحلة، فرأيتها لا تخلو من الفوائد، وإن كانت لا تندرج

ضمن رحلات الحج، التي حاولت ما استطعت جمعه منها، ثم دراسة ما جمعت، ثم محاولة استخلاص ما أرى في استخلاصه فائدة، وترتيبه حسب موضوعاته، ثم نشره، فهذه الرحلات تقف عند نهاية القرن الثالث عشر الهجري إذ ما بعد ذلك من الزمن بلغت الرحلات المدونة عن الحج درجة من الكثرة، يصعب معها حصرها وجمعها.

وها أنا أحاول عرض ما عنَّ لي مما قد يكون في عرضة فائدة للقارئ[٤٨١].

وأقول: إن مجلة العرب نشرت في الأعوام ١٤٠١هـ، ١٤٠٢هـ، ١٤٠٣هـ (١٩٨١م،١٩٨٢م،١٩٨٣م) تباعاً أجزاء كبيرة من هذه الرحلة.

وأقول أيضاً إن صديقي العلامة الأستاذ إبراهيم شبوح أكد لي لقاءه مع الشيخ حمد الجاسر في تونس عام ١٩٨٠م وزودني ببعض التفاصيل عن ذلك اللقاء كما أخبرني أنه أشرف مؤخراً على إعادة تحقيق هذه الرحلة حيث قام الباحث(المهدي عيد الراوضية) بإعادة تحقيقها وستصدر هذه الطبعة قريباً إن شاء الله بحسب ما أخبرني أستاذي إبراهيم شبوح وذلك تحت إشرافه.

وأقول أيضاً: إنه من حسن طالعي أنني رافقت خلال العشرين سنة الماضية الأستاذ شبوح في عدة رحلات إلى تركيا ومصر والأردن وبريطانيا وأمريكا وغيرها من الدول كما حصل لي شرف استضافته عدة مرات في وطني الحبيب المملكة العربية السعودية وخاصة في مدينة جُدَّة التي يحب الأستاذ إبراهيم شبوح زيارتها ويحرص على ذلك بين الحين والآخر خاصة في طريقه إلى مكة المكرمة للحج أو العمرة أو إلى المدينة المنورة للتشرف بالسلام على ساكنها عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وسنلقي بعض الضوء على هذه الرحلة وكاتبها ونستعرض بعض ما جاء فيها عن جُدَّة وغيرها من مدن الحج ومحطاته خاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة.

٤٨١- الجاسر، حمد: رحلة التميمي التونسي إلى الحج، مجلة العرب، العدد (١٦) الجزء الأول والجزء الثاني (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ص/١٣٦ .

أقول وبالله التوفيق: قام الشيخ حمد الجاسر –رحمه الله– بتلخيص ما كتبه مفتي تونس الرحالة محمد بن صالح الجودي القيرواني المتوفى سنة ١٣٦٢هـ خلال رحلته التي سجل ملاحظاته عنها في مخطوطة وهي رحلة حج قام بها الجودي عام (١٣٣١هـ).

يقول الشيخ الجاسر –رحمه الله– في ملخص الرحلة : استهل المؤلف رحلته بعد حمد الله والصلاة على محمد وآله وصحبه، بقوله: (وبعد فيقول العبد الفقير لرحمة ربه، الراجي غفران ذنبه، محمد الجودي القيرواني: إني تعلق غرضي بحج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، وذلك في سادس عشر شوال عام ١٣٣١هـ – فاستأذنت الوزارة التونسية في السفر. حيث ذكر، بمكتوب مؤرخ بالتاريخ المذكور فأجابني جناب الوزير الأكبر الشيخ يوسف جعيطا بمكتوب نصه: الحمد لله . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم: الفاضل الزكي الثقة الشيخ محمد الجودي. المفتي بالقيروان، دام حفظه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد بلغنا مكتوبك المؤرخ ١٦ شوال و١٧ سبتمبر الجاريين، في التعريف بعزمكم على السفر لحج بيت الله الحرام عام التاريخ. وعلمناه. ونعرفكم أنه لا مانع من ذلك.

كتب في ٢٨ شوال و٢٩ سبتمبر سنة (١٣٣١هـ) .

خط سير الرحلة :

ذكر رحالتنا الجودي أنه سافر يوم ٢٤ ذي القعدة بحراً فوصل (برت سعيد) وقال: أقام البابور (المركب) ببرت سعيد (بورسعيد) يومه، إلى الليل، ووجدنا صورة من نحاس (تمثال)، قيل إنها صورة الأوربي الذي فتح الفتحة بين البحرين الأحمر والمتوسط (يقصد قناة السويس)، ووجدنا هنالك من البابورات كثيراً على أشكال مختلفة، كاد أن يمر بنا بعد كل ربع ساعة بابور. وعند غروب ليلة الجمعة غرة ذي الحجة أقلع بنا البابور، وسرنا بوسط الفتحة (قناة السويس) الليل كله.

ثم يقول الرحالة الجودي واصفاً قناة السـويس: وهاته الفتحة يكتنفها جسران، أحدهمـا وهـو القبلي يمرُّ ... السـكة الحديدية التي تذهب للسـويس ومصر (القاهرة)، وأمام ذلك بحر قيل: هو نيل مصر.

ثم يستطرد الرحالة وصفه لوقائع رحلته فيقول:

وكان وصولنا لحيث ذكر بعد أن مررنا ببحر يسمى جون الكبريت، وقع للناس فيه دوخة عظيمة، وقاسـينا الشدائد في البابور المذكور. إذ كان بابور سلعة وفحم ليس به (سوكنده) ولا ...؟

ويلاحظ أن الرحالة لم يكمل جملته هذه كما أن هناك عدة نواقص في الكتاب يقول عنها ملخص الرحلة (الشيخ حمد الجاسر –رحمه الله–) عندما قدم لنا وصفاً للنسخة التي وجدها وعمل على تحقيقها وتلخيصها:

يظهر أن المؤلف عاجلته المنية قبل نقل رحلته من المسودة، ولهذا وقع فيها كثير مـن الإضافات في الهوامش، مع عدم وضوح كثير من الكلمات مما يدل على أنه كان يكتب لنفسه لا ليقرأ غيره.

ثم يقـول المحقق إن هذه الرحلة تقع في نحـو ٨٨ صفحة في الصفحة نحو ٢٥ سطراً بخط مغربي.

وقـد قدم القيرواني وصفاً في كتابه لكل من مكـة المكرمة والمدينة المنورة وجُدَّة وغيرها من المدن والمحطات التي مر بها خلال الرحلة.

جُدَّة بعدسة ذاكرة محمد بن صالح الجودي القيرواني:

غادر رحالتنا مصر بعد أن وصل إليها من تونس مبحراً من بورسـعيد ماراً بقناة السويس ومنها عبر البحر الأحمر إلى جُدَّة التي وصل إليها كما قال: (ليلة الاثنين رابع ذو الحجة (١٣٣١هـ) وبدأ بوصف دخولهم ميناء جُدَّة فقال:

فأرسى بنا (البابور) وفي صبيحة الاثنين نزلنا بـ (فلايك) وسارت بنا إلى جُدَّة .

وهي مرسى بعيدة عن البلد.

فدخلنا جُدَّة وسلمنا (السراحات) للمكلف من طرف الحكومة. ودخلنا البلد فأول ما لقيناه أنه لا يطلب الإنسان شربة ماء إلا بثمن قدره (هلالة) لكل شربة. و(الهلالة) عبارة عن (مولوى ؟).

وسألنا عن (الميضات) فأرشدنا إليها، حذو جامعها.

ثم يذكر الرحالة أنهم استأجروا جمالاً لتنقلهم إلى مكة المكرمة وذكره تكلفة ذلك فقال:

واكترينا جمالاً حملتنا لمكة، الجمل الواحد بثلاثة وعشرين (فرنكاً) ونصفاً.

فركبنا بعد صلاة الظهر، وسار بنا الجمالون .

وبدأ القيرواني بعد ذلك في وصف بقية خط سير الرحلة فقال :

وسِرنا ليلاً، وقبل نصف الليل وصلنا لمكان يسمى (بَحْرَة) وبتنا فيه. ثم يقول الجودي القيرواني:

وفي آخر الليل رفعنا، وسرنا ووصلنا مكة يوم الأربعاء عند الظهر[٤٨٢].

وفي نهاية الكتاب قدم لنا الجاسر تلخيصاً له بعنوان: خاتمة ملخص الرحلة، قال الجاسر فيه: ويتجلى جانب مهم كان حجاج المغرب منذ أقدم العصور يقصدونه عند أداء الحج، وهو الاستزادة من العلم، فقد كانت المدينتان الكريمتان مكة والمدينة في أيام الحج يجتمع فيهما من العلماء ما لا يجتمع في غيرهما من المدن الإسلامية، ولهذا نجد الشيخ القيرواني –وقد وجد ما وجد في المدينة في مكتبتها العظيمة (مكتبة شيخ الإسلام) وفي العلماء والمقيمين فيها من أهلها ومن غيرهم– يطيل الإقامة إلى منتصف شهر صفر (١٣٣٢هـ) مستزاداً من العلم. قال ما ملخصه: كنت عازماً على السفر يوم الثلاثاء السادس عشر من صفر، وقد

٤٨٢– المصدر السابق، ص/١٤٠ .

اســتعرت « ثبت الشيخ الشبراوي» وأعطيته إنساناً كان نسخ لي «تاريخ المالكي في رجال القيروان» لينسخه، وكنت أعلمته بميعاد سفري، وعدني بالإتيان بالثبت ظهر يوم الاثنين فلم يحضر، وأنا لا أعرفه ولا أعرف منزله، وإنما عرفته وقت النسخ في المكتبة، فتشوشت للغاية وخفت من فوات الرفقة إن تأخرت عن السفر، وإن سافرت ضاع الكتاب، وكنت قد استعرته، وبعد الغروب وأنا في غاية الحيرة صرت أتردد في طرقات المدينة أســأل عنه، فلم أعثــر له على خبر – ثم ذكر أنه ذهب إلى الحرم وفيه ســأل الله كشف ما به من غمَّة، ثم عاد لمنزله فوجد الناسخ ينتظره فيه بالكتاب(٤٨٣).

هذا وقد غادر الشــيخ القيرواني – رحمه الله– المدينة المنورة بالقطار في الســاعة الثالثة صباحاً يوم الخميس (١٨صفر سنة١٣٣٢هـ) متوجهاً إلى دمشق التي وصل إليها وأقام فيها ووصف ما شــاهده فيها بإيجاز وذكر أسماء بعض علمائها، وذكر من اجتمع به من العلماء، ثم ذكر سفره بالقطار إلى بيروت . ويقول المحقق: وهنا انتهى ما في النســخة التي تكرم الأخ الصديق الأستاذ إبراهيم شبوح بإتحافي بها، وهي بخط مؤلفها..

حج التونسيين إلى البقاع المقدسة عبر العصور

٤٨٣– المصدر السابق، ص ص/٨٧٧ – ٨٧٨ .

الإمام محمد رشيد رضا

الإمام محمدرشيد رضا

كتاب (رحلات الإمام محمد رشـــيد رضا) والتي جمعها وحققها الدكتور يوسف إيبش ونشـــرها بدر للنشر والتوزيع يؤرخ فيه رحلات الشيخ محمد رشيد الرضا إلى مختلف البلاد ومنها رحلته إلى جُدَّة في طريقه إلى مكة المكرمة في عام ١٩١٦م.

وكما يقول الدكتور يوسف إيبش رحمه الله "فإن الرحلات هي أحد منابع المعرفة والتجربة الأساسية ولا عوض عنها في أكثر الأحوال، أقبل عليها الشيخ رشيد رضا بذهنية من يريد العيش الحي والمباشر للأحداث والاستفادة والتأثير في مجرى الأمور والاستمتاع بدوره في تكييف الأوضاع وفقاً لمثله ومقاييسه"(٤٨٤).

ويضيف الدكتور يوســـف إيبش في مقدمة الكتاب "والرحلة مع رشيد رضا هي علـــى التأكيد من أرقى ما يمكن القاريء العربي أن يقوم به من أجل التعرف على ماضيه القريب"(٤٨٥).

٤٨٤- رضا، محمد رشـــيد: رحلات الإمام محمد رشـــيد رضا، تحقيق الدكتور يوسف إيبش، بدر للنشر والتوزيع، بيروت، (٢٠٠٠م)، ص/٩ .

٤٨٥- المصدر السابق، ص/٩.

الإمام محمدرشيد رضا مؤسس مجلة المنار

ترجمة حياة الإمام محمد رشيد رضا :

ولد الشيخ محمد رشيد رضا في بلدة القلمون قرب طرابلس بالشام عام ١٨٦٥م وتوفي عام ١٩٣٥م بمصر، نشأ الشيخ رشيد رضا في ظروف سياسية طغت صفتها كحرب طائفية بالإضافة إلى ظاهرة تمرد على غزو أوروبا للمجتمع العربي التقليدي أدى ذلك إلى إحساسه بالشعور بالخطر على الوجود والتراث مما جذبه إلى الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والقوة العسكرية الإسلامية وشاركه في ذلك جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، هاجر الشيخ رشيد رضا من طرابلس إلى مصر عام ١٨٩٨م وأسس مجلة (المنار)، طاف الشيخ رشيد رضا القاهرة وإسطنبول ودمشق والحجاز والهند وأوروبا داعياً للتجدد الروحي والسياسي وكان ذلك جزءاً أساسياً من سيرة حياته(٤٨٦).

٤٨٦- المصدر السابق، ص/٧.

الإمام محمدرشيد رضا بعد هجرته إلى مصر عام ١٣٢٧هـ

رحلة الشيخ رشيد رضا إلي الأراضي المقدسة ١٩١٦م:

بدأ الشيخ رشيد رضا رحلته للحجاز لأداء فريضة الحج برفقة والدته وأخته، في هذا العام التزمت الحكومة المصرية بنقل الحجاج إلى جُدَّة ذهابا وإيابا بأجرة قليلة (٤٨٧) وكانت وزارة الداخلية في مصر قد حددت يوم السبت ٢٣ سبتمبر ١٩١٦م موعد سفر ركب المحمل المصري من القاهرة إلي السويس وتم تحديد باخرتين لنقل الحجاج هما المنصورة و النجيلة(٤٨٨)، بدأ الشيخ رشيد رضا رحلته مع والدته وأخته الساعة الحادية عشرة مساءا يوم السبت بركوبه القطار الحديدي من محطة مصر بعد وداعه لأهله وإخوانه وانتقل مع سائر الركاب في الإسماعيلية إلى القطار الأخر المتجه إلى السويس الذي كان مليئاً بالجنود البريطانيين، وقف القطار في محطات كثيرة خاصة بالجنود المعسكرة على جانبي الطريق مما أدى إلى

٤٨٧- المصدر السابق، ص/٧٤.

٤٨٨- المصدر السابق، ص/٧٧.

تأخر القطار قليلا عن موعده المعتاد، وصل الشيخ رشيد إلى السويس قبل المغرب وقابل هناك صهره محمد نجيب أفندي المعاون في مديرية الجيزة والشيخ خالد النقشبندي، أقام الشيخ رشيد وأسرته بأحد دور الأهالي التي يأوي إليها الحجاج في هذه الفترة مقابل مبالغ تفوق أجرة الفنادق الكبيرة بالإضافة مضاعفة أجور المركبات، وفى ضحوة اليوم التالي ذهب الشيخ رشيد وأسرته إلى مكتب الصحة للتلقيح بالمصل الواقي من (الكوليرا) حسب ما فرضته الحكومة المصرية على كل حاج(٤٨٩).

كان الترتيب الذي أعدته الحكومة المصرية بنقل المحمل على سفينة حربية مع أميره وعسكره، واستأجر باخرتي المنصورة والنجيلة لنقل الحجاج اللتين قال عنهما الشيخ رشيد إنهما من أقدم سفن شركة البواخر الخديوية وركب الشيخ رشيد باخرة النجيلة كونه ذهب متأخرا مع رفقائه يوم الأحد لأربع بقين من ذي القعدة وقد تحدث الشيخ رشيد رضا عن هذه الباخرة واصفا إياها بأنها (أبطأ بواخر الدنيا سيرا لأنها لا تتم ستة أميال في الساعة إلا بالجهد وهي قديمة وسخة ليس بها ضوء كهربائي ولا أجراس ولا مقاعد للاستراحة) وقال إن ربان هذه الباخرة ويسمى سالم أفندي من أحسن الناس خلقا وعناية بالحجاج وطبيبها طلياني يتكلم العربية والعامية بطلاقة مهذب الأخلاق حسن المعاشرة وقد زار الشيخ رشيد في الباخرة الشيخ عبد الفتاح الجمل شيخ علماء بورسعيد الذي تميز بعلمه وفضله وهدايته وأدبه و إنصافه وتكلم عنه الشيخ رشيد رضا بأنه (يندر وجود مثله في علماء مصر) كذلك تصادف وجود الأديب محمد توفيق على (اليوزباشي) في الجيش المصري .

كان الجو خلال رحلة السفر خريفاً معتدلاً يطرد هواء الصيف الحار فكلما تم التوغل إلى الجنوب يتم الشعور بهواء الصيف، وعندما حاذت الباخرة رابغ أعلم ربان السفينة الحجاج ببلوغ ميقات الإحرام فطفق الحجاج يحرمون(٤٩٠).

٤٨٩- المصدر السابق، ص ص/٧٧-٨٢.

٤٩٠- المصدر السابق، ص ص/٨٢-٨٥.

وصول الشيخ رشيد رضا إلى جُدَّة :

وصلت الباخرة (المنصورة) والتي كانت تقل وفد العلماء السلطاني إلي ميناء جُدَّة ضحوة يوم الأربعاء ٢٩ من ذي القعدة عام ١٣٣٤هـ، أما باخرة النجيلة فوصلت عشية ليلة الخميس – فلم تستطع التقدم إلى موقف البواخر من الميناء لكثرة الصخور الخفية فأرست في مكان بعيد عنه وإنما وصلت الميناء وأرست فيه ضحوة يوم الخميس – فكان تأخر ركابها عن ركاب أختها ٢٤ ساعة والسفن كانت ترسو على بعد شاسع من البر في ذلك الثغر لرقة الماء وكثرة الصخور، وقامت الزوارق الصغيرة ذات الشرع أو المجاديف بنقل الحجاج إلى البر، كان في استقبال الشيخ رشيد رضا صديقه الشيخ محمد نصيف وقد ذهب إليه في الباخرة في زورق كهربائي (لنش) مع بعض وجهاء جُدَّة وكبارها من أجل استقبال الحجاج ونزل الشيخ رشيد ضيفا مكرما في دار الشيخ محمد نصيف وقد وصفها الشيخ رشيد بأنها (دار فسيحة واسعة الحجرات كثيرة النوافذ تفيض عليها الشمس أشعتها من الشرق والغرب ويتخلل النسيم حجراتها من كل مهب) كان الجو في جُدَّة معتدلا لا يشتكى برد فيه ولا حر، توالى الزائرون من أهل جُدَّة لتهنئة الشيخ رشيد بسلامة الوصول والحديث معه في المسائل الدينية والعلمية والاجتماعية والسياسية وكان في مقدمة الزائرين الشيخ مصطفى فهمي معاون نائب الشريف بجُدَّة(٤٩١).

أقام الشيخ رشيد رضا في جُدَّة من ضحوة يوم الخميس إلى أصيل يوم السبت ولم يخرج من الدار إلا لصلاة الجمعة وقد قابل من أهل العلم في جُدَّة أمثال الشيخ محمد حسين إبراهيم والشيخ أحمد الزهرة والشيخ أحمد طه رضوان والشيخ إسحق بن حسن العباسي والشيخ محمد سعيد دردير خطيب مسجد عكاش، ومن رجال الحكومة مدير الشرطة مساعد اليافي ومدير الصحة الدكتور أمين معلوف وقائد حامية الثغر عبدالرؤوف عبدالهادي ورئيس كتاب الحجر الصحي رشيد باغفار ومحمد راغب الصنعاني من الكتاب وحسين ملوخية مأمور نقل البريد، وكان أيضاً

٤٩١- المصدر السابق، ص ص/٨٥-٨٧.

من الوجهاء والتجار الشـــيخ سليمان قابل رئيس البلدية والمشايخ زينل على رضا وعبدالله على رضا ومحمود زاهد ومصطفى درويش عبدربه ومحمد بن أحمد الهزازي ومحمد باحفظ الله وعبدالله المحمد الفضل ومحمد عبدالرحمن الفضل ومن أصحاب الحرف ووكلاء الأعمال المشايخ حمزة جلال نقيب وكلاء المطوفين وحسين بحيري وبكر خميس وسليمان عزايه من وكلاء المطوفين ومحمد سعيد كيال شيخ السماسرة وعبدالرحمن فائق من كتاب شركة البواخر العثمانية والشيخ عبدالرؤف الصبان من طلبة دار العلوم المصرية ومن علماء جُدَّة(٤٩٢).

سفر الشيخ رشيد رضا إلى مكة المكرمة:

في صبيحة يوم السبت سافر ركب المحمل المصري من جُدَّة قبل شروق الشمس وسافرت معهم والدة الشيخ رشيد رضا وشقيقته وكذلك الشيخ خالد النقشبندي و محمد نجيب أفندي وقد اســتأجر لهم أربــع جمال بجنيهين: اثنان منهم للركوب واثنــان لحمل المتاع، وأرســلت حكومــة جُدَّة معهم جنديــين عربيين من جنود الشــريف الهجانة للخفارة وقال الشــيخ رشيد إن الشــيخ محمد نصيف زودهم بأنفس الزاد الكافي، أما الشــيخ رشــيد فقد ســافر بعد صلاة العصر على حمار اســتأجره بمئة قرش عثماني وسافر معه جنديان من هجانه العرب بأمر الحكومة، وركب معه الشــيخ محمد نصيف والشــيخ مســاعد اليافي مدير الشرطة في جُدَّة وبعض الأصدقاء مشيعين مودعين ثم عادوا عند غروب الشمس إلى جُدَّة واختاروا له شــاباً نشــيطاً من أهل جُدَّة للخدمة في الطريق، لم يهتم الشيخ رشيد رضا في طريقــه إلا بمــلء إبريقه المعدني الذي يحفظ ما يودع فيه مــن ماء بارد وحار زمنا طويــلا يومــا وليلة بالتقريب والذي قد أخذه هدية من الســيد نادر قائد الجيش الأول لســلطنة مسقط، نزل الشيخ رشيد بعد المغرب في أول قهوة فصلى المغرب والعشــاء جمعا وقصرا وقال إنه فى طريقه لم يرَ من الحجاج إلا ســودان الدكرور مشاة على أرجلهم رجالاً ونســاء وأطفالا يحمل الرجال حرايمهم والنساء أطفالهن علــى ظهورهن وما لديهم من المتاع والزاد على رؤســهن فينامون من التعب على

٤٩٢- المصدر السابق، ص ص/٨٧-٨٨.

أحد جانبي الطريق(٤٩٣).

وقـال إنه قبل انتهاء الثلـث الأول من الليل سمعوا صـوت طلق رصاص من اللصوص وقطاع الطريق فأسـرعوا إلى أن احتموا بقهوة واستراحوا فيها لمدة ساعة شـربوا خلالها الشـاي ريثما قام خفراء الطريق باقتفاء أثر هؤلاء اللصوص، بعد ذلك استأنف الشيخ رشيد السير فبلغ بحرة في منتصف الليل تقريبا حتى رأى أنوار ركب المحمل المصري بالقرب من أخصاص (بيوت من عيدان الأشجار أو القصب فهي عبارة عن دور يتألف كل منها من عدة بيوت يمكن أن يجعل بعضها للنساء وبعضها للرجال ولها مراحيض وراء المسـاكن) وذكر أنها كثيرة تسع الألوف من الناس وقال إنه يوجد على جانب الطريق سوق فيه الحوانيت والقهوات والخانات أو الفنادق لإيواء المسـافرين ويجد المسافر فيها الماء والخبز واللحم والبيض وأنواع أخرى من الأغذية والقهوة واللبن والشـاي وذكر أنه هناك استأذن منه الجنديان المرافقـان له بالبقاء في بحرة وجاؤوا بجنديين عربيين من المشـاة ووكلوهم بمرافقته، فساروا أمامه يحمل كل منهما بندقية على كتفة شادا منطقة من رصاصها المنضود في وسـطه فسـأل الشيخ رشـيد واحد منهم عن أمن الطريق فقال إن الأمن تام ولا خـوف عليكم في الطريق فاللصوص لا يهجمون إلا على القوافل الكبيرة التي تحمـل ما يحتاجون إليـه من الطعام ونحوه، وفى الطريق علـى طوله مخافر متقاربة يمكـن إيصال أنباء الاعتداء من بعض إلى بعض بسـهولة فكثيرا منها في الروابي والهضـاب وقال إنه رأى في طريقة قبل بحرة وبعدها كثيرا من القوافل قاصدة جُدَّة إما من مكة وإما من الطائف وهى تحمل الفاكهة كالرمان والعنب والسفرجل، وفى أثناء السـاعة الثانية وصل إلى قهوة استراح فيها قليلا واستأذنه الجنديان بالتخلف وأوصيا جنديا هناك بأن يصحبه إلى مكة وكانت المسافة قد قربت(٤٩٤).

٤٩٣- المصدر السابق، ص ص/٩٣-٩٥.

٤٩٤- المصدر السابق، ص ص/٩٦-١٠٠.

عودة الشيخ رشيد رضا إلى جُدَّة:

وما إن خرج الشيخ محمد رشيد رضا من مكة المكرمة وبلغ قهوة المعلم حتى قابل هناك الشريف شرف قائم مقام مكة المكرمة وكان بانتظاره مع بعض رجاله ثم قاموا بصلاة المغرب جماعة وصلى الشيخ رشيد العشاء جماعة معها جمع تقديم وودع المشيعين وركب الراحلة وأثناء السير وجد في الطريق عدداً ليس بقليل من الحجاج المغاربة منهم المشاة والركبان حتى بلغ بحرة في وقت السحر فاستراح فيها فأكل مما حمله في الزاد، ولم يرَ قادماً من جُدَّة إلى مكة إلا ما على جانبي الطريق العام من القهاوي وهي خاصة بالرجال وأكثر ما ينزل فيها الرجال الذين لا يستغنون عما فيها من الطعام وشراب القهوة أو الذين يريدون الاستراحة قليلاً، وإن كان معهم كل ما يحتاجون إليه، مكث الشيخ رشيد في العشش التي توجد وراء القهوات إلى ضحوة النهار، وصل الشيخ رشيد ورفقاؤه إلى جُدَّة قبيل الفجر فنزل في دار صديقه الشيخ محمد نصيف ونام بعد الفجر ساعات قليلة ثم استيقظ واغتسل واستعد وصحبه للرحيل فزودهم الشيخ محمد نصيف بأحسن الزاد ونزل معهم في زورق البلدية البخاري إلى السفينة التي جاءت بهم (النجيلة) مشيعاً الشيخ محمد رشيد رضا[٤٩٥].

٤٩٥- المصدر السابق، ص ص/١٦٠-١٦١ .

الياباني المسلم .. تناكا.. إيبيه

ضمن سلاسل إصداراته المتميزة قدم مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية كتاب: «تناكا إيبيه رائد الدراسات الإسلامية في اليابان»، الذي هو في الأصل نتيجة جهد كبير قامت به لجنة تحرير تضم نخبة من أساتذة جامعة تاكشوك اليابانية التي تهتم بالدراسات الإسلامية منذ تأسيسها قبل أكثر من مائة عام، فقاموا بجمع ما كتبه تناكا إيبيه أو الحاج نور محمد، من رحلات ومقالات تتعلق بالإسلام والعالم الإسلامي بما في ذلك الصين، وبلاد جنوب شرق آسيا، بالإضافة إلى بعض ما كتب معارفه وغيرهم عنه، مع مقدمة بحثية للأستاذ نور الدين موري أستاذ العلاقات الدولية بالجامعة.

وقد جاء في تصدير هذا الكتاب من قبل مركز الملك فيصل أنه: نظراً إلى أهمية هذا الكتاب الذي صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس جامعة تاكشوك، وما يتضمنه من معلومات مفيدة، تلقي الضوء على تاريخ الجزيرة العربية، وتاريخ المسلمين في بلدان آسيا، فقد رأى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أن يكون ضمن إصداراته بمناسبة مرور خمسين عاماً على إقامة العلاقات الدبلوماسية بين المملكة العربية السعودية واليابان، خدمةً للقراء العرب، واستمراراً على النهج الذي يتبعه المركز في نشر مثل هذه الأعمال التي تثري المكتبة العربية، وتخدم الباحثين والقراء على سواء[٤٩٦].

ويقول الأستاذ أحمد محمود صاحب جمهرة رحلات الحج : إن الدراسات تذكر أن علاقات المسلمين باليابانيين تعود إلى القرن السابع عشر الميلادي، وإن كانت الوثائق تشير إلى أن أول اتصال رسمي بين الحكومة اليابانية والدولة العثمانية كان

٤٩٦- تناكا إيبيه رائد الدراسات الإسلامية في اليابان ورحلاته إلى الجزيرة العربية وبلدان آسيا، تحرير نخبة من أستاذة جامعة تاكشوك، ترجمة سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ص/١٣.

مدينة جُدَّة عام ١٩٢٤م إبان زيارة الرحالة تناكا إيبيه – المصدر: www.vip2099.wordpress.com

في القرن التاسع عشـــر الميلادي، وتحديداً عام ١٨٧١م عندما زارت بعثة يابانية رسمية إسطنبول للبحث في تطوير العلاقات اليابانية العثمانية، وأعقب هذا إرسال الســـلطان العثماني عبدالحميد سفينة – أرطغرلي – تحمل وفداً عثمانياً إلى اليابان وذلـــك عام ١٨٨٩م، مكون من ٦٥٥ شـــخصاً بقيادة الأميرال عثمان باشـــا، واســـتقبل إمبراطور اليابان الوفد بترحاب بالغ، وتبع هذا حادث مأساوي غرقت فيه السفينة خلال عودتها من رحلتها، ولم ينج من ركابها إلا ٦٩ شخصاً .

ويقـــول محمـــود: إن اليابانيين أظهـــروا تعاطفاً كبيراً في مواســـاة العثمانيين إثر الحادث، وأقاموا نصباً تذكارياً لشهداء السفينة الغارقة، ظلوا يحتفلون به كل عام، وأعادت الحكومة اليابانية إرســـال وفد إلى إســـطنبول يحمل تبرعات مالية يابانية لأسر ضحايا الحادث المأساوي، وشهد وصول هذا الوفد إلى إسطنبول إسلام أول ياباني تسمى – عبدالحليم نوادا – على يد إنجليزي مسلم يدعى – عبدالله غليام – وبقي المسلم الياباني في إسطنبول ١٨ عاماً، ساهم خلالها في تطوير العلاقات

اليابانية مع العالم الإسلامي، ثم تلا ذلك دخول العديد من اليابانيين في الإسلام ومنهم – تناكا إيبيه – والذي تسمى – نور محمد تناكا إيبيه.

ترجمة حياة المسلم الياباني تناكا إيبيه:

يعطي الأستاذ أحمد محمود ترجمة لحياة هذا المسلم الياباني فيقول :

ولد – تناكا إيبيه – في فبراير عام ١٨٨٢م، وبعد تلقيه تعليما أوليا، بدأ في العاشرة من عمره العمل مع والدته في أحد المحلات، وقاده هذا لاحقاً إلى العمل في التجارة، ولكنه قبلها واصل تعليمه حتى المرحلة الجامعية، وعام ١٩٠٧م عمل أستاذاً، وفي العام التالي تزوج، وبعد زواجه ماتت أمه في نفس العام، وعام ١٩٢٣م سافر إلى الصين، وهناك كان احتكاكه بمسلمي الصين في – ساينان –، فدرس الإسلام على أحد أئمة المساجد.

ويستطرد محمود قائلاً : «وبعد ٤٠ عاماً من معاناة القلق الروحي» أعلن اعتناقه للإسلام، وفي العام التالي ١٩٢٤م سافر في رحلته الأولى لأداء فريضة الحج، فكان بذلك ثاني مسلم ياباني يحج بعد –كوتارو ياماأوكا – وساهم في العام التالي من حجته في بناء مسجد بطوكيو، وعاد للحج ثانية عام ١٩٣٤م، ثم قام بعدها بجولة عالمية واسعة أرهقته فمرض، وتوفي إلى رحمة الله بعد ستة أشهر من حجته هذه عام ١٩٣٤م وشيعه أكثر من ٥٠٠٠ شخص .

ويقول أحمد محمود : إن جميع من عرف نور محمد تناكا إيبيه شهد بحسن إسلامه، وبالتزامه بالفرائض، مواظباً على الصلوات والتهجد، والصيام، والزكاة والصدقة «وبعد كل فريضة يؤديها كان يشعر بأن عقله وروحه تتطهران، وبالتقوى يعمر فؤاده ...» .

ويقول الأستاذ أحمد محمود : إن الأستاذ – إيكيد انور هيكو – في معرض تأبينه لإيبيه، وهو يتحدث عن ظروف حجته قال : «لقد تحسنت اليوم طرق المواصلات جواً وبحراً وبراً، وكلها تنقل المسافرين إلى مكة لأداء الحج لكنه في

أيام – نور تناكا إيبيه – كان توقع الموت أثناء رحلة الحج شيئاً طبيعياً، فقد شهد عام حجته وفاة عدد كبير من الحجاج، وقد أدى حجته وعاد منها سالماً، رغم ما تعرض له من مصاعب، والتي زادت من عزيمته، من قوته الجسدية والذهنية»[٤٩٧].

وقد سجل – نور محمد تناكا – تفاصيل رحلة حجه (ضمن كتاب عن حياته) وسمه (مسافر كسحابة بيضاء تطفو في السماء) .

خط سير الرحلة:

كان إيبيه قد سافر من اليابان إلى الصين بعد الزلزال المدمر الذي ضرب طوكيو وساح في أنحاء الصين المختلفة، وبدأ مرحلة جديدة من حياته، عندما اعتنق الإسلام هناك .

وعندما قرر أن يؤدي فريضة الحج في عام ١٩٢٤م استقل الرحالة باخرة في هونج كونج للذهاب إلى الديار المقدسة بعد أن حصل على شهادة التطعيمات من إحدى مستشفيات هونج كونج .

وأخذ مكانه في الطابق الأسفل من الباخرة الصينية (فوكوكوسيه كي بنكو) .

وقد تحدث إيبيه عن الوضع على متن السفينة التي استقلها فقال:

«كانوا يقدمون لركاب السفينة طعاماً يصعب وصفه، وعندما يقرع جرس الطعام يتدافع الركاب، ومن لم يجد له مكان على مائدة الطعام فقد حُرم منه، ومن حسن حظ المسلمين على السفينة أنهم لا يأكلون طعام هذه السفينة، فكل مسلم على متنها أخذ معه تموينا من طعامه، وكان الوقت صيفاً، فطلبنا ماءً، وهو في العادة يقدم لمسؤلي السفينة وأربابها الكبار، ولم تكن الرحلة في هذه الأجواء سهلة» .

٤٩٧– محمود، أحمد محمد: محمود، أحمد محمد: جمهرة الرحلات – رحلات الحج، مصدر سابق، ص ص/٢٦٧ – ٢٦٨.

ويستمر إيبيه في وصف رحلته البحرية فيقول :

وغادرت السفينة فوصلت إلى سنغافوره بعد ستة أيام «كانت معاملة ضباط الحجر الصحي البريطانيين لنا سيئة للغاية.. وتمكنت من أن ألمس بنفسي سوء سلوك البريطانيين تجاه الصينيين» .

تجمع المسلمون في مسجد المدينة، كانوا قادمين من أماكن مختلفة من الصين، ومن جزر المحيط الهادي، كانوا جميعاً ذاهبين للحج، كان بينهم ٧٨ عجوزاً معمرة، سوف أرافقهم، وسوف أنال الشرف والعز في رحلتي هذه .

ويستطرد إيبيه قائلاً :

«كان عدد المسلمين الصينيين ٥٩ حاجا، وكنت أنا الياباني الوحيد بينهم، صلينا اليوم الصلوات الخمس ودعونا مع غيرنا من الحجاج الملايويين أن يوفقنا الله في رحلتنا وأن يجعلها آمنة سالمة، وأن يكتب لنا حجاً آمناً، وأن يجعله حجاً مبروراً . وليس لدي ما يقلقني أثناء الرحلة، فأنا بين هؤلاء الإخوة المسلمين أتحرك وأرقد وأنام وأنهض وأجلس في هدوء وسكينة، وأركز على الصلاة وأغرق في الابتهال ودعاء الله».

حصل كل مسافر على تذكرة الذهاب والعودة من سنغافورة إلى جُدَّة، وحصلت على تذكرتي باعتباري مسلم من «اليابان».

ثم يكمل الرحالة وصف رحلته فيقول: «في ٢٤ مايو(١٩٢٤) ركبنا السفينة في جو مطير، وحجزت ورفيقي لنا مكانا على متنها، وكان الحجاج الآخرون يحملون معهم صناديق أمتعتهم، مع بعض الطعام وفراشا للنوم، وفحما لطهي الطعام، وبدأوا يسحبون الصناديق من الرصيف إلى السفينة بالحبال، صندوقاً تلو الآخر، يالها من فوضى .

ويكمل رحالتنا وصف رحلتهم على متن السفينة فيقول:

«نحن الآن في أماكننا على متن السفينة وبجوارنا شيخ من — بريم بن — من

سـومطرا، وتوزع بجانبنا مجموعات تضم أسـراً او أقارب أو أناساً من قرية واحدة فإذا كان معهم نسـاء نصبوا ستارة من قماش لتشكل حجرات لا يرى الآخرون ما بداخلها، يالها من حياة كلها أخوة وتعاون ... وبدت أن قرى كثيرة تشـكلت على ظهر السـفينة مثلا: قرية من اليابان وأخرى من سـومطره، وقرية من بعض مناطق الصين، وقرية من جاوة، وقرية من الملايو، وقرية من بورما وهكذا ... وكان مظهري من بين جميع المسـافرين يوحي بأنـني أكثرهم فقراً، بأقل قليل من المال، ومثله من الأمتعة أنا ورفيقي...».

«كان تمويني ورفيقي يتكون من أرز أبيض، بطاطس، علبة شاي، كيس سكر، كيس ملح، شـرائح خبز، خمسـة أكياس صغيرة من الدقيق، علبة زبدة، زجاجة زيت، ١٥ بصلة، جردل ماء، زجاجة فارغة، أكواب شـاي، سكينة صغيرة وابور جاز صغير، شمسـيتين، بطانيتين، لحاف، قطعة قماش، كتب، وميزانية محدودة لا تسـمح لنا بالتبذير، وبعد أن دفعت تذكرتي الباخرة، غيرت ٢٠٠ ين ياباني إلى ٢٦٥ روبية هندية...»

«وعلى الباخرة كنا نصلي جماعة، وقمنا بتسـخين خبزنا، وطبخنا أرزا مسلوقاً، وأكلنا ونحن نستمتع بمنظر الغروب على سطح الماء، مارين على –بينان– بماليزيا، فركب معنا منها ٣٠٠ حاج، وليلة ٢٩ مايو ١٩٢٤م هبت على السفينة عاصفة عاتية هزتها يمينا وشمالاً، لم نسـتطع بسببها طبخ طعامنا، واكتفينا بالخبز والماء ولا شيء غيرها، واسـتمرت العاصفة حتى الثلاثين من الشهر، وطعامنا الخبز والماء، مارين على خليج البنقال، ووصلنا إلى –كولومبو في الثاني من شهر يونيو».

واستمر إيبيه في وصف الأجواء العاصفة والظروف الصعبة التي كانت تمر عليهم في رحلتهم البحرية على متن السفينة العنينية – فوكوكوسيه بانكو فقال:

«مـات أحد ركاب السـفينة بالدزنتاريا فالقوة في البحر، واسـتمرت العاصفة في قوتها، ولم يتحسـن الجـو إلا في اليوم الخامس من الشـهر (يونيو ١٩٢٤م) وعندما بدأ فحص تذاكر الركاب كان أكثرهم مصاباً بالإعياء الشـديد وتعرض الأطفال للضعف والهزال، وفي اليوم السـادس من الشـهر كنا نقترب من جزيرة

العرب، وتعرضت لحُمى مرات وتحسنت منها بعد تناولي حلوى يابانية، وحدث على السفينة نقص في مياه الشرب، وفي العاشر من الشهر وصلت سفينتنا إلى —عدن—» .

وأبحرنا في البحر الأحمر، لا نرى سوى مياهه، والسحاب الأبيض يطفو فوق التلال الصفراء، ونشاهد أحيانا السمك يقفز بجوار السفينة، وطائر النورس يحلق بجانبها ... وتدريجيا تناقص الطعام، وفي الحقيقة بدأ الطعام ينفذ، فوصلنا جزيرة —كمران — التي يسيطر عليها البريطانيون، وهي مرتفع رملي صخري صغير، حملونا في قوارب صغيرة إلى الجزيرة التي تستخدم للحجر الصحي، وهناك فحصونا ورشونا بالبودرة، وبعد ذلك وضعونا في أقفاص شبيهة بأقفاص الدجاج، وقد اشترى بعض الحجاج لحما أعطوني منه، نسيت متاعب — الكرنتينة — مع سماعي تلاوات القرآن الكريم ...

بعد كمران التي امتدح الرحالة استقبال سكانها لسفينتهم عن طريق إطلاق ما يشبه الألعاب النارية في السماء، وبعد استكمال إجراءات الحجر الصحي غادرت السفينة متجهة بهم إلى محطتها الأخيرة: جُدَّة .

في الرابع عشر من يونيو ١٩٢٤م اقتربت السفينة من جُدَّة فبدأ استعداد الحجاج للوصول إلى الأراضي المقدسة واغتسلوا ولبس لباس الإحرام عند محاذاة الميقات ... لكن كان عليهم أن يظلوا في الكرنتينة (الحجر الصحي) مرة أخرى قضوا ليلة في جزيرة معزولة قرب جُدَّة .

قال إيبيه: إن معظم الحجاج كانوا مرهقين بسبب صعوبة رحلة السفينة وما عانوه في الحجر الصحي، وذكر أنه «لا أحد يستطيع أن يقدر مدى التعب الذي يصيب الناس في الرحلات البحرية في السفن الصغيرة إلا من خبرها ومر بتجربتها بنفسه .

في الليل «وفي ضوء القمر» كان إيبيه وبقية الحجاج يقفون على شاطئ البحر بملابس الإحرام في منظر قال إنه :غمره «بشعور روحاني».

في الصباح انتقل ركاب السفينة على متن ٥٠ قارباً شراعياً إلى رصيف ميناء جُدَّة (٤٩٨).

جُدَّة بعدسة الياباني المسلم تناكا ايبيه:

بعد وصوله جُدَّة قدم لنا هذا الرحالة الياباني المسلم وصفا لهذه المدينة العريقة فقال:

«منظر جُدَّة من البحر، بمبانيها المرتفعة وألوانها البيضاء جميل وخلاب، ترتفع مبانيها خمسة وستة طوابق، ونوافذها تبرز قليلا عن مستوى حائط المبنى، تعطيني شعوراً بأنها شبيهة بما في البيوت اليابانية أحياناً، وهذا أمر يثير الدهشة... نزلنا في منزل أخذت ورفيقي غرفة جيدة التهوية، كان علينا أن نشتري الماء بأنفسنا من سقائين يحملونه في قرب، يحملونها على الحمير أو الجمال، ويمرون بها على الحجاج، القربة الواحدة تباع بين ياباني، نحتاج الماء للوضوء، ولرد العطش فالجو حار».

ووصف إيبيه فنادق جُدَّة ومنازلها وقال: إن بها ١٥ مقهى شبيهة ببيوت الشاي في الصين، أما الحوانيت فكثيرة وتكفي لسد حاجات الحجاج، وفي جُدَّة أخلاط من الناس من شتى الجنسيات، وهناك عربات تجرها الجياد، ولا توجد سيارات ولا عربات الركشا، وهي مدينة «بلا ضوضاء» .

ويبين إيبيه إنهم استطاعوا في اليوم الرابع لوصولهم إلى جُدَّة من استئجار جمال لينطلقوا بها إلى مكة المكرمة . ودفعوا ٤٢ روبية مقابل استئجار ثلاث جمال بشقادفها. ووصف إيبيه الجمال وطريقة ركوبها ووصف الشقادف كما وصف الطريق إلى مكة المكرمة مروراً ببحرة.

٤٩٨- المصدر السابق، ص ص/٢٦٨ -٢٧٢ .

الوصول إلى مكة المكرمة :

عند وصولهم إلى مكة المكرمة تحدث الرحالة عن حسن استقبال مطوفهم لهم وكذلك أحد الزمازمة الذي دعاهم للعشاء ولم يأخذ منهم أي نقود مقابل ذلك .

كما وصف إيبيه باختصار المشاعر المقدسة وقال: إنه زار غار حراءخلال وجوده في مكة المكرمة . وبعد مرور شهر منذ وصولهم ميناء جُدَّة (قبل ذهابه إلى مكة) عاد إيبيه إلى جُدَّة التي قال : إنه وجدها عند عودته إليها أكثر ازدحاماً من مكة .

وقال: إنه كان يمكنه مشاهدة ١٥ سفينة كبيرة ترسو في عرض البحر بينما كان المرفئ مزدحماً بالسفن الصغيرة والقوارب . ويوم سفره دفع ٧ ينات يابانية ونصف أجرة القارب الذي حملهم إلى سفينتهم كما دفع ينين للجمَّال الذي حمل أمتعتهم(٤٩٩).

كما بين إيبيه أن أجرة المبيت في الفندق بجُدَّة كانت ينّاً يابانياً واحداً لليلة(٥٠٠).

بعد حوالي شهر من وصوله إلى جُدَّة أول مرة ليذهب منها إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج وبعد أن كان قد عاد إليها من مكة المكرمة بعد أن أدى الفريضة غادر إيبيه جُدَّة للمرة الأخيرة على متن سفينة تتبع لشركة « بلو فانيل» Blue Fanel (وهي شركة إنجليزية) حمولتها ٨,٠٠٠ طن وعلى متنها ١,٥٠٠ مسافر متوجهاً إلى سنغافورة ومنها إلى بلاده بعد أن وثق لنا ما سجلته عدسة ذاكرته وسطره يراعه عن هذه المدينة العريقة ومبانيها وميناءها وغير ذلك .

٤٩٩- تناكا ايبيه رائد الدراسات الإسلامية في اليابان ورحلاته الى الجزيرة العربية وبلدان اسيا، مصدر سابق، ص ص/٢٤٣ – ٢٦٣ .

٥٠٠- المصدر السابق، ص /٢٦٣ .

محمد شفيق أفندي مصطفى

محمد شفيق أفندي – المصدر : www.almowaten.net

يقــول محقق كتاب (رحلــة في قلب نجد والحجاز ســنة ١٩٢٦م) في مقدمته للكتــاب إن الأديب الصحفي محمد شــفيق مصطفى قــام عام ١٩٢٦م برحلة إلى شمال الجزيرة العربية ليستكشــف ذلك الجزء من جزيرة العرب ويعرف أحوالها ويصف جغرافيتها وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والسياســية، التي لم يغفلها أثناء رحلته التي قام بها على ظهور الإبل، وبالرغم من أن رحلته جاءت موجزة لا يشــوبها إســهاب قط، إلا أن مدوناته التي كتبها أثناء رحلته جاءت في غاية الأهمية حيث انفرد بمعلومات لم تأتِ من قبل خاصة وأن توقيت الرحلة عام ١٩٢٦م أتى في مرحلة مهمة من مراحل تأســيس المملكة العربية السعودية وهنا تكمن أهمية الرحلة فقد ســبق محمد شــفيق مصطفى أقرانه العرب من الرحالة في استكشــاف ذلك الجزء من جزيرة العرب بمن فيهم العلامة الشــيخ حمد الجاسر –رحمه الله– الذي بدأ رحلته للشمال عام ١٩٧٠م[٥٠١].

٥٠١– مصطفى، محمد شفيق: رحلة في قلب نجد والحجاز، تحقيق الدكتور محمد محمود خليل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، (١٤٣٠هـ – ٢٠١٠م)، ص ص/٥–٦.

الملك سعود بن عبدالعزيز – رحمه الله–

ترجمة مختصرة للرحالة محمد شفيق:

هــو الأديب الصحفي الرحالة المصري محمد شــفيق مصطفى، لبى الدعوة التي دعا إليها الأمير(الملك) ســعود بن عبدالعزيز آل ســعود –رحمه الله– للمفكرين المصريين لزيارة المملكة العربية السعودية والتعرف على شؤونها وشعبها.

وكان محمد مصطفى يعمل مندوباً لصحيفة (السياســة) إحدى أكبر الصحف المصرية في ذلك العهد . وكان دبلوماســياً ومثقفاً وقام برحلته إلى المملكة العربية الســعودية في زيارة غير رسمية ونشــر رحلته تلك في جريدة (السياسة) على عدد من المقالات المتتابعة عام ١٩٢٦م . وقد تابع هذه المقالات العديد من القراء مما دفع محمد شــفيق لإعادة النشر عام ١٩٢٧م في كتاب خاص يحمل اسم (رحلة في قلب نجد والحجاز)، طبع في مطبعة المنار بالقاهرة .

صورة تبين تحرك الرحالة في صحراء المملكة – المصدر: غلاف كتاب رحلة في قلب نجد والحجاز

وبعد أن عطلت جريدة السياسة عام ١٩٣٠م استمر الأديب محمد شفيق مصطفى في عمله الصحفي حيث أنشأ جريدة تحمل اسم (الرياض) عاصمة المملكة العربية السعودية احتوت بين دفتيها الأخبار والمقالات الهامة عن الأراضي السعودية والحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية واستمر إصدار تلك الجريدة بين عامي ١٣٤٩هـ – ١٣٥١هـ، ونشر الأديب محمد شفيق مصطفى رحلته للمرة الثالثة في جريدة (الرياض)، وقد كان مقر جريدة الرياض في حي العباسية بالقاهرة وقد كانت جسراً للعلاقات السعودية المصرية آنذاك، وقامت بمقام أول ملحقية ثقافية سعودية بالقاهرة[٥٠٢].

وكان للرحالة محمد شفيق مكانة كبيرة عند أصحاب الرأي في المملكة العربية

٥٠٢– المصدر السابق، ص ص/٩–١٠ .

السعودية .وللدلالة على تلك المكانة ذكر محقق الكتاب بعضاً من النصوص الواردة بخصوص شفيق ليُعرِّفْ بأهميته عند الملك عبدالعزيز آل سعود –رحمه الله– ورجال دولته .

والنص الأول الذي أورده الدكتور محمد محمود خليل – محقق الكتاب – هو ما ذكره الشيخ عبدالله الغازي –رحمه الله– في كتابه (إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام) عند حديثه عن قدوم بعض الأمراء والأعيان لأداء فريضة الحج (عنوان).

يقول الشيخ الغازي (رحمه الله) :

قدم مكة المكرمة لأداء فريضة الحج سنة ١٣٤٨هـ حضرات الشيخ علي بن محمد آل خليفة، والشيخ راشد بن عبدالله بن عيسى آل خليفة، والشيخ محمد بن إبراهيم آل خليفة من أمراء البحرين، والشيخ عبدالعزيز القصيبي من تجار اللؤلؤ في الهند والبحرين، والسيد عبدالرحمن بك النقيب من أعيان الكويت، والشيخ عبدالوهاب النجار من علماء مصر، والشيخ محمود علام قاضي محكمة طنطا الأهلية، والأديب محمد شفيق أفندي مصطفى صاحب جريدة الرياض المصرية، والأديب سعيد أفندي الرشاش سكرتير وكالة حكومة جلالة الملك في سوريا[٥٠٣].

ويعطي محقق الكتاب مثلاً آخر عن مكانة محمد شفيق فيقول : أما النص الثاني فقد أورده رحالة مغربي عام ١٣٥٣هـ، في رحلته أثناء زيارته الملك عبدالعزيز (رحمه الله) حيث دعا جلالته يوم الثلاثاء ١٤ ذي الحجة رجال الصحافة والإعلام العرب والمسلمين في مكة المكرمة لتكريمهم وكان من بينهم الصحفي الأديب محمد شفيق مصطفى صاحب جريدة الرياض المصرية .

ويقول المحقق : «من خلال النصين نلاحظ المكانة المرموقة التي احتلها محمد شفيق في عيون الملك عبدالعزيز ورجال الحكم السعودي»[٥٠٤].

٥٠٣– الغازي، عبدالله محمد: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، تحقيق الدكتور عبدالملك بن دهيش، المجلد الخامس، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م)، ص/٢٤٤ .

٥٠٤– مصطفى، محمد شفيق: رحلة في قلب نجد والحجاز، مصدر سابق، ص/١٨ .

صورة لبيوت جدة عام ١٩٢٦م – المصدر www.pinterest.com

خط سير رحلة محمد شفيق مصطفى :

قام محمد شفيق مصطفى عام ١٩٢٦م برحلته التي مولتها جريدة السياسة المصرية وبدأها من القاهرة إلى فلسطين ومنها إلى السعودية حيث وصل عن طريق البر إلى الجوف وسافر منها إلى حائل ثم إلى بريدة ومن بريدة سافر رحالتنا إلى الرياض حيث التقى جلالة الملك عبدالعزيز – رحمه الله – وتشرف بإجراء حديث صحفي مع جلالته – رحمه الله . وقد أبدى الرحالة محمد شفيق شديد إعجابه بالملك عبدالعزيز وسياسته الحكيمة وأخلاقه الرفيعة .

ومن الرياض سافر محمد شفيق إلى مكة المكرمة عن طريق البر وعلى ظهور الإبل [٥٠٥].

٥٠٥- المصدر السابق، ص ص/٣٣-١٤٥.

وصادف دخوله مكة المكرمة شـــهر رمضان المبارك وقام بأداء مناســـك العمرة خلال تواجده في البلد الحرام وذكر في كتابه أن عدد السكان في مكة آنذاك كان مائة ألف نسمة .

وفي مكة المكرمة التقى شـــفيق بنائب جلالة الملك في الحجاز، الأمير (الملك) فيصل بن عبدالعزيز آل ســـعود –رحمه الله– الذي قال عنه شـــفيق : «وفي اليوم التـــالي (لوصول شـــفيق إلى مكة المكرمة) قابلنا سمو الأمـــير فيصل نائب جلالة والده في حكم الحجاز فشـــاهدنا أميراً عربيا حلو الشـــمائل عذب الحديث ذكي الفـــؤاد وكان ارتياحه إلى رحلـــتي عظيماً ولم ينس أثناء الحديـــث أن يذكر مصر وجلالة مليكها ورجال الأقلام في مصر بنوع خاص بأحســـن ما يذكر من طيب الحديث»[٥٠٦].

وقد قدم محمد شـــفيق وصفا مفصلاً لكل مدينـــة زارها، وزود كتابه عن رحلته بصور للعديد من المدن والقرى التي مر بها .

جُدَّة بعدسة ذاكرة الرحالة محمد شفيق مصطفى:

بعـــد أن قضـــى رحالتنا في مكة المكرمة عدة أيام أدى خلالها مناســـك العمرة غادرها إلى جُدَّة عن طريق البر بالسيارة .

وقد قدم محمد شـــفيق مصطفى توصيفاً لرحلته من مكة المكرمة إلى جُدَّة قال فيه:

«اعتزمنـــا مبارحة مكة فودعنا سمو الأمير (الملك) فيصل الذي كان على الدوام لا يكف عن التلطف بنا والاستفســـار عنا ومن ثم استقلينا سيارة سارت بنا نحو ثلاث ســـاعات حتى بلغنا «حدّة « بعد أن مررنا بقرية صغيرة تقع في متوســـط الطريـــق تدعى «بحرة « وهي نقطة تتمون منها الســـيارات بحاجاتها ومحط لرحال قوافل الحجاج الذين يستريحون فيها».

٥٠٦– المصدر السابق، ص ص/١٤٦–١٤٧ .

وبعد ذلك بدأ محمد شفيق مصطفى حديثه عن جُدَّة قائلاً:

وثغر «جُدَّة « من أهم موانئ الحجاز على ساحل البحر الأحمر وبسبب مركزها الطبيعي يُعتبر أهلها أغنى من أهل مكة ومن سائر البلاد العربية في شبه الجزيرة وذلك لاتصالها بالأسواق الخارجية، ومرور البواخر القادمة من الهند ذاهبة إلى مصر وغيرها . ويحكم هذا الثغر حاكم يلقب «بالقائم مقام» يعاونه رجال الشرطة(٥٠٧).

وبين محمد شفيق مصطفى أنه كان بجُدَّة زمن رحلته دور للقنصليات وبعض المصارف المالية . وذكر أن القنصلية المصرية بجُدَّة كانت تقع في بناء فخم، وقال إن قنصل مصر عندئذٍ كان أمين بك توفيق . كما ذكر أنه كان في جُدَّة —آنذاك— عدد قليل من الأوربيين «الذين يعدون بمثابة (قومسيونجية) لاستجلاب البضائع من البلاد الخارجية وتوزيعها على التجار المحليين الذين يوزعون سلعهم في داخل البلاد.

ثم تحدث الرحالة عن جمرك جُدَّة فقال: «إنه يُعتبر ركناً مهماً من موارد الثروة للحكومة لأن ما يجبيه من الرسوم الجمركية على الصادرات والواردات يكون «دخلاً عظيماً لا يستهان به».

وتحدث رحالتنا أيضاً عن طقس جُدَّة فقال: إنه لا يعد ألطف كثيراً منه عن داخل البلاد مع كونه على ساحل البحر الأحمر فالحر هناك شديد، «ولعل أبخرة البحر هي التي تفسد من جودة الهواء الخالص فليس يغبط أهل جُدَّة وجودهم على الشاطئ اللهم سوى اغتباطهم بما يدخل إليهم من الأرباح وتيسير أسباب الرزق لهم»(٥٠٨).

وفي جُدَّة أتم محمد شفيق أفندي مصطفى رحلته إلى المملكة العربية السعودية وغادر منها عائداً إلى بلاده .

٥٠٧- المصدر السابق، ص ص/١٥٩-١٦٠ .
٥٠٨- المصدر السابق، ص ص/١٦٠-١٦٢ .

وقد وضح شـــفيق أن الهدف من رحلتـــه كان للاطلاع على الحالة الاجتماعية والعمرانية بالمملكة وبين ذلك بقوله :

«وإلى هنا تكون قد انتهت رحلتنا وحســـبنا أننـــا كما قدمنا للقراء لا نبغ منها سوى إيراد الحقائق من الوجهتين العمرانية والاجتماعية التي لم يسبق لسوانا معرفته والبحث فيه حتى الآن» (٥٠٩).

٥٠٩- المصدر السابق، ص/١٦٢ .

محمد أسد

Leopold Weiss

المفكر الإسلامي محمد أسد – المصدر: صحيفة الشرق الأوسط

ترجمة حياة محمد أسد :

ولد محمد أسد (Leopold Weiss) في الثاني من يوليو (١٩٠٠م) الأبوين يهوديين، في مدينة، «Lwow» البولونية، والتي كانت جزءاً من الإمبراطورية النمساوية الهنجارية، سماه والده «ليوبولد» وهو من الأسماء الألمانية العتيقة، وليس له معنى معين نعرفه، غير أن المقطع الأول منه، إذا سمحت لنا اللغة، وواضعو الأسماء بفصله فالمقطع الأول يعني أسد.

ابتدأ طريقه في مدينة ليفوف «لمبيرغ» في جاليتسيا، باسم «لايبليه ليوبولد» كان ثاني ثلاثة أخوة لأبويه، وعن أجواء الطفولة وانعكاساتها عليه يقول: «لقد كانت طفولة سعيدة مرضية حتى في ذكراها، لقد كان والداي يعيشان في ظروف مريحة، وكانا يعيشان لأولادهما أكثر من أي شيء آخر»، هاجرت العائلة حوالي عام (١٩١٣م) إلى مدينة فيينا، عاصمة الإمبراطورية النمساوية، وترعرع «ليوبولد» فيها .

معالي الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي ومعالي الشيخ أحمد زكي يماني يتوسطهم الرحالة محمد أسد – رحمه الله في أواخر حياته في الأندلس جنوب أسبانيا – المصدر: أرشيف المؤلف

كان «ليوبولد» الشـــاب الصغير ميالاً إلى الفنون الجميلة، التي اتجه لدراســـتها في جامعة فيينا، وكان ذكياً تتقد فيه ألمعية حادة ظهرت من خلال ميله الشـــديد للأدب، والفلسفة، والتاريخ، إلا أن طموحه في المجد كان يراوده باستمرار، فخاض أولى مغامراته وهو في سن الرابعة عشر من عمره عام (١٩١٤م) مع بداية الحرب العالمية الأولى، فأراد الانخراط في ســـلك الجنديـــة عله يحقق بعض المجد في ذلك، ولكن شـــرط الثماني عشرة سنة وقف حائلا دون ذلك، ولم يقبل في الجيش، وفي أواخـــر عام (١٩١٤م)، وبعد اشـــتعال نيران الحرب العالميـــة الأولى بدت له إنها فرصته الكبرى لتحقيق أحلامه، فهرب من المدرســـة، والتحق بالجيش النمساوي، بعد أن اتخذ له اسماً مزوراً، فظنه رجال الجيش أنه في الثامنة عشرة من عمره لطوله المفرط، فقبلوه، ولكن والده نجح في أن يتعقب أثره بواسطة البوليس، فأعاده مخفوراً إلى فيينا .

في تلك المرحلة من عمر «ليوبولد» اشـــتعلت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م)، وبعـــد انتهـــاء الحرب – وعلـــى مدى عامـــين- درس تاريخ الفنون

والفلسفة في جامعة فيينا، ولكنه لم ينصرف إليها قلبا، فقرر أن يترك الدراسة، ويجرب نفسه في الصحافة .

لم يحصل «ليوبولد» على شهادة جامعية بإتمام دراسته العليا، ولكنه زاحم بعضديه وكتفيه ليصبح بعد ذلك المفكر الإسلامي «محمد أسد»، واضع دستور دولة باكستان، وممثلها الدبلوماسي في منظمة الأمم المتحدة، وصاحب كتاب ترجمة، وتعليقات على «صحيح البخاري» بعنوان (The Early Years of Islam Sahih Albuchar)، وترجمته الإنجليزية الشهيرة للقرآن الكريم، المعروفة ب : (The Message of the Quran)

رحلاته :

كان «ليوبولد» يحب الترحال، فقد رافقه هذا العشق منذ صباه، حين هاجرت العائلة إلى مدينة فيينا عاصمة الإمبراطورية النمساوية المجرية عام (١٩١٣م)، إلى أن توفي عام (١٩٩٢م) .

كان بإمكان «ليوبولد» حفيد الحاخام «بنيامين أرجيا فايس تشيرنوفيتش»، وابن المحامي «كيفا فايس» أن يواصل بكل بساطة مسار عائلته الديني، كما كان من الممكن له بعد انتقال أبويه إلى فيينا سنة (١٩١٤م) أن يواصل طريق التنقل .

بدأ يعمل في معالجة برقيات الأنباء لدى وكالة «رودولف دامرت» للأنباء، وهي فرع لوكالة «يونايتد برس أوف أميركا»، قبل أن يتمكن أخيراً من التحول إلى صحفي محترف بحصوله على حوار خاص أجراه مع زوجة الكاتب الروسي «مكسيم غوركي» سنة (١٩٢١م) .

كان أول طريق النجاح في هذه التجربة تعيينه في وظيفة محرر في وكالة الأنباء «يونايتد تلجرام»، وبفضل تمكنه من عدة لغات أصبح بعد وقت قصير نائباً لرئيس تحرير قطاع أخبار الصحافة الاسكندينافية، على الرغم من أن سنه كانت دون الثانية والعشرين، وفي عام (١٩٢٢م)، ولما بلغ عمره اثنين وعشرين عاما،

محمد أسد بالزي العربي في الطريق إلى مكة المكرمة – المصدر: جريدة العرب الاقتصادية الدولية

زار الشرق الإسلامي .

يقول محمد أسد: «في سنة (١٩٢٢م)، غادرت موطني النمسا للسفر في رحلة إلى إفريقيا، وآسيا، لأعمل مراسلاً خاصاً لبعض الصحف الأوروبية الكبيرة، ومنذ تلك السنة وأنا أكاد أقضي كل وقتي في بلاد الشرق الإسلامية، وكان اهتمامي بادئ الأمر بشعوب هذه البلاد التي زرتها، وهو ما يشعر به الرجل الغريب» .

كان العالم الإسلامي آنذاك تقريباً في عام (١٩٢٢م) يعيش حالة الانهيار والهزيمة، وكان «ليوبولد» منبهراً بالقوة الكامنة في الإسلام، فتحول ذلك إلى

اهتمام جارف لديه بوضع المسلمين .

قام بثلاث رحلات إلى الشرق :

– رحلته الأولى: إلى المشرق كانت في عام (١٩٢٢م) .

– رحلتــه الثانية: في ربيع عام (١٩٢٩ م) بدأ رحلته الثانية إلى الشــرق من القاهرة .

– رحلتــه الثالثة: في شــهر يناير (١٩٢٧م) منذ تلك اللحظة ارتدى المســلم الجديد «محمد أســد» اللباس الشــرقي، وبدأ يتكلم العربيــة عوضاً عن الألمانية، وكانــت وجهة رحلته الأساســية في هذه المرة مكة – وفيهــا فقد زوجته إثر وفاة مفاجئة – وعمق معرفته بالقرآن الكريم .

لعل قدراته اللغوية ســاعدته كثيرا على تفهــم العالم من حوله، فقد كان محمد أســد يجيد إضافة إلى لغته البولندية الأم، العربية، والإنجليزية والعبرية، والفرنســية، والألمانية، وذكر الأســتاذ عبد العزيز الرفاعي[٥١٠] أن محمد أســد كان يتحدث العربيــة بطلاقة بلهجة مدنية، متأثراً بزوجته الســعودية المولودة في المدينة المنورة، وكان محمد أسد قد قال إنه كان يجيد اللهجة الحجازية[٥١١].

وبدأ رحلته الأولى إلى الشــرق في صيف عــام (١٩٢٢م) إثر دعوة جاءته في ربيع ذلك العام من خاله «دوريان فايغنباوم « الشقيق الأصغر لأمه، ويعمل طبيباً نفسانياً، وكان يرأس في ذلك الوقت مستشفى للأمراض العقلية في القدس، فدعاه إلى المجيء لزيارته في القدس والإقامة فيها فترة، على أن يتكفل خاله بنفقاته كلها ذهاباً وإياباً، وقبل «ليوبولد» الدعوة .

٥١٠– عبد العزيز الرفاعي (١٣٤٢– ١٤١٤هـ، ١٩٢٣–١٩٩٣م): أديب وشــاعر وصحفي وكاتب ســعودي، وأحد أعــلام ورواد الحركة الفكرية والأدبية في المملكة العربية الســعودية خلال القرن العشــرين الميلادي، (موقع عبد العزيز الرفاعي) .

٥١١– الحريف، بدر: مقالة، (عن محاضرة للشــبيلي عن المستشــرق النمســاوي محمد أسد وكيفية تحوله من اليهودية إلى الإســلام) جريدة الشــرق الأوســط، العدد الصادر يوم الاثنين (٢ ذو الحجة ١٤٢٣هـ –٣ فبراير ٢٠٠٣م) العدد/ ٨٨٣٣ .

وفي صيف عام (١٩٢٣م) وصل «ليوبولد» إلى دمشق ليشهد صلاة الجمعة في الجامع الأموي .

يقول محمد أسد في الصورة التي علقت في ذهنه عن الإسلام في دمشق ولم يكن قد أسلم بعد:

«في يوم ذهبت مع صديق إلى الجامع الأموي، في صفوف طويلة كان يقف مئات من الرجال وراء الإمام، كانوا يركعون، ويسجدون، فيلمسون الأرض بجباههم، ثم ينهضون ثانية، في وحدة منظمة كالجنود سواء» .

ثم يكمل محمد أسد قوله: «في تلك اللحظة أدركت مبلغ قرب هؤلاء القوم من ربهم، إن صلاتهم لم تكن منفصلة عن يوم عملهم ! قلت لصاحبي: ما أغرب وأدهش أن تشعروا أن الله قريب منكم إلى هذا الحد .. ! آه لو أستطيع أن أشعر نفس هذا الشعور».

ويضيف: ما أجمل أن ينزل الإنسان ضيفاً على العربي ! أن تكون ضيفاً على عربي إنما يعني نفاذك إلى صميم الحياة .. في دمشق ما أكثر ما رأيت زبوناً يقف أمام دكان غاب صاحبه عنه، فيتقدم التاجر المجاور – مزاحم – ويبيع الزبون من بضاعة جاره لا بضاعته هو ! ويترك له الثمن، أين في أوروبا يستطيع المرء أن يشاهد مثل هذه الصفقة؟!.

في الإسلام لا يحق لك فحسب، بل يجب عليك أيضاً أن تفيد من حياتك إلى أقصى حدود الإفادة .

يهتم الإسلام بالدنيا والآخرة، وبالنفس، والجسد، وبالفرد، والمجتمع، ويهدينا إلى أن نستفيد أحسن الاستفادة مما فينا من استعداد، إنه ليس سبيلاً من السبل، ولكنه السبيل الوحيد، وإن الرجل الذي جاء بهذه التعاليم ليس هادية من الهداة، ولكنه (الهادي) .

جاءني الإسلام متسللاً كالنور إلى قلب مظلم، ولكن ليبقى فيه إلى الأبد،

والـذي جذبني إلى الإسـلام هو ذلك البناء العظيم المتكامل المتناسـق الذي لا يمكن وصفه، ولست أدري حتى الآن أي جانب من الإسلام يستميلني أكثر من غيره(٥١٢).

بقي «ليوبولد» في الشرق أربع سنوات مراسلاً لكبريات الصحف الغربية، ومن خـلال عمله كصحفي تعـرف إلى الكثيرين من أعلام الشـرق حينها، و بعض العلماء، وكبار السياسـيين والمفكرين، كان على رأسـهم ملك الأردن «عبد الله الأول»، وشـيخ السنوسية المقيم في المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية الشيخ «محمد السنوسـي»، والتقـى ب «عمر المختار»، والفيلسـوف الكبير الدكتور «محمـد إقبال»، فأقام معهم صداقات حميمة، خلال تلك السـنوات الأربع التي قضاها في الشرق، ثم زار القاهرة فالتقى بالإمام «مصطفى المراغي» شيخ الأزهر، حـاوره حول الأديان، ثم بدأ بتعلم اللغة العربية في أروقة الأزهر، وهو لم يزل بعد يهودياً ..

المملكة العربية السعودية :

وقد شـاهد محمد أسـد الأحداث الكبرى لتوحيد المملكة العربية السـعودية، ووصفهـا بدقـة تامة والتقى بجلالـة الملك عبد العزيز آل سـعود – رحمه الله – وأعجب بجلالته كثيراً، وأصبح من المقربين منه .

تحدث محمد أسـد عن لقائه الأول بالملك المؤسـس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سـعود – رحمه الله ووصفه بإسهاب عبر خلاله عن مدى إعجابه بشخصيته، وذكائه الحاد، فقال في ذلك :

جمعتني الصدفة مـرة بالأمير فيصل، النجل الثاني للملك عبد العزيز – رحمهما الله – في مكتبة في أروقة المسجد الحرام، لقد كان من الأمور الباعثة لسروري ..

مر الأمير فيصل مع حاشـيته بالمكتبة – وكنت فيها أقلب بعض الكتب – في

٥١٢– الـدالاتي، عبـد المعطي، نقلاً من كتاب – ربحت محمداً ولم أخسـر المسـيح – من موقع إذاعـة القرآن الكريم الإلكتروني .

طريقه إلى الكعبة، كان فارع الطول، دقيق البنية، يتمتع بمقام عظيم لايتفق وسنه البالغ اثنين وعشرين عاماً، وعلى الرغم من صغر سنه فقد عهد إليه بمنصب عظيم، كنائب الملك في الحجاز، وقد تولى تقديمي إلى الأمير فيصل أمين المكتبة، فصافحت الأمير، وعندما انحنيت له، رفع رأسي برفق بأصابعه، وأضاءت ثغره ابتسامة حلوة وقال : نحن – معشر المسلمين – لا نؤمن بأن على الإنسان أن ينحني للإنسان، بل لله وحده في الصلاة .

لقد بدا لي الأمير لطيفاً حالماً، ومتحفظاً خجولاً، وهذا ما تأكد لي في السنوات التي انقضت بعد ذلك على معرفتي به، كذلك لا يصطنع النبل اصطناعاً، بل كان النبل من طبيعته، وسجاياه، وعندما كنا نتحدث سوياً ذلك اليوم شعرت فجأة برغبة ملحة في أن ألتقي والد ذلك الابن .

قال لي الأمير فيصل : «إن الملك ليسر برؤيتك..»

وهكذا بعث لي الأمير بأمين سره في اليوم التالي، وأقلني بالسيارة إلى قصر الملك ..

دخلت إلى الملك عبد العزيز – رحمه الله – كان جالساً على أريكة في مشربية تشرف على الحديقة، وعلى القرب منه جلس أحد أمناء سره يكتب مايملي عليه، وما إن دخلت حتى انتصب الملك واقفاً ومد إلى كلتا يديه قائلاً: «أهلاً وسهلاً» .

لقد استطعت لثانية واحدة فحسب أن أتفرس بدهشة في طول ابن سعود الفارع – رحمه الله – فعندما قبلت مقدمة أنفه، وجبهته قبلة خفيفة، كان علي أن أقف على رؤوس أصابعي ! على الرغم من أن طولي يبلغ ستة أقدام .

وبينما كان الملك يتابع بهدوء الإملاء على الكاتب، أخذ في الحديث معي دون أن يخلط بين الإملاء والحديث معاً، وبعد أن تبادلنا قليلاً من العبارات التي تقتضيها اللياقة، ناولته كتاباً لتعريفه بشخصي فقرأه، وهذا يعني أنه كان يؤدي أعمالاً ثلاثة في وقت واحد!

ثم أمر بالقهوة دون أن يتوقف عن الإملاء أو الاستفسار عن صحتي .

وقد تمكنت خلال ذلك أن ألحظه عن كثب وبانتباه أكبر، فتبين لي أنه متناسب الجسم وطويل – وهو لا يقل عن ستة أقدام ونصف – كما تراءى لي – لا يبين إلا متى وقف، وكان وجهه ينم بصورة أخاذة عن رجولة وشجاعة كاملتين – ورأسه مغطى بالكوفية التقليدية ذات المربعات الحمراء، والبيضاء، يعلوها عقال مقصب، وكانت لحيته دقيقة، وشارباه قصيران، على النمط النجدي، أما جبهته فقد كانت عريضة، وأنفه قوياً، وكانت قسمات وجهه تشرق بالبهجة عندما يتكلم، لقد كان وجهه جميلا..

ترك «محمد أسد» الجزيرة العربية، وذهب إلى شبه الجزيرة الهندية في طريقه إلى تركستان الشرقية، والصين، وأندونيسيا، وقام بدراسات كثيرة، وكتب مقالات عديدة وألقى العديد من المحاضرات، وعرف مع الزمن للفقه الإسلامي، والثقافة الإسلامية، عمل رئيساً لمعهد الدراسات الإسلامية في «لاهور» حيث قام بتأليف الكتب التي رفعته إلى مصاف ألمع المفكرين الإسلاميين في العصر الحديث .

في عام (١٩٢٩م) بعد اعتناقه الإسلام قرر «محمد أسد» الرحيل إلى المشرق، إلى تلك البلاد التي وجد فيها ضالته المنشودة، فقرر البقاء في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

زواجه:

تزوج «محمد أسد» عدة مرات : أولها «إلزا شيمان» في عام (١٩٢٦م)، امرأة برلينية، هي الفتاة التي أحبها محمد أسد حين كان في السادسة والعشرين من عمره، بينما كانت زوجته في الأربعين، وقد أسلمت معه، ولكنها لم تعمر طويلا .

ثم اقترن بامرأة عربية مسلمة، اسمها السيدة «منيرة»، رزق منها بابنه «طلال» ثم انفصل عنها .

أما زواجه الثالث فقد كان من «بولا حميدة»، الأمريكية –ذات الأصل

البولندي- التي جاءت معه، واعتنقت الإسلام هي أيضاً .

وفاته :

ترك محمد أسد باكستان وبعد بضع سنوات قضاها في سويسرا، رحل إلى المغرب وأقام في طنجة حيث واصل نشاط التأليف والنشر، ثم رحل إلى البرتغال .

طاف العالم، ثم استقر في إسبانيا، وتوفي محمد أسد في ١٩ فبراير عام (١٩٩٢م) في مدينة «ميخاس» التابعة ل «مالقة» جنوبي الأندلس، ودفن في مقابر المسلمين، في مدينة غرناطة .

إنجازاته ومؤلفاته :

ذكر الدكتور الشبيلي[٥١٣] في إحدى محاضراته أن محمد أسد لم يحصل على درجة الدكتوراة كما تلقبه بعض المراجع، لكنه بلا شك يعد من أبرز أقطاب الفكر الإسلامي المعاصر، وإذا كان كتابه « الطريق إلى مكة «، وهو ترجمة ذاتية لمسيرة حياته حتى سنة تأليفه عام (١٩٥٢م) ورواية للمؤثرات التي قادته إلى الإيمان يعد أشهر مؤلفاته وقد لفت أنظار غير المسلمين إلى الإسلام، وكان سبباً في جذبهم إليه، فإن كتابه القيم «الإسلام في مفترق الطرق»، يعد أيضاً من أعظم مؤلفاته، وقد صدر الأصل في دلهي بالهند في إبريل سنة (١٩٤٣م)، ثم ترجمه عمر فروخ إلى العربية، وطبعته دار العلم للملايين في بيروت .

وله أيضاً كتاب آخر يروي سيرة حياته بعد عام (١٩٥٢م)، ويتمم كتاب «الطريق إلى مكة» لكنه ما يزال مخطوطاً.

أما الكتاب الثالث المهم هو: «منهاج الحكم في الإسلام»، وهو بحث دقيق تناول فيه أصول الدولة الإسلامية، وقواعد الدستور، ومقومات نظام الحكم في

٥١٣-الخريف، بدر: مقالة، (الشبيلي يحاضر حفل جائزة المدينة المنورة عن المستشرق النمساوي محمد أسد وكيفية تحوله من اليهودية إلى الإسلام) جريدة الشرق الأوسط، العدد الصادر يوم الاثنين (٢ ذو الحجة ١٤٢٣هـ - ٣ فبراير ٢٠٠٣م) العدد / ٨٨٣٣ .

الإســـلام، كالعدل، والمساواة، والشورى، وقد ترجمه منصور محمد ماضي، وصدر بالعربية سنة (١٩٠٧م) .

وقد ذكر المستشـــرق مراد هوفمان إن له كتاباً غير مترجم وإنه بعنوان «مشـــرق غير رومانســـي» ويضم ٥٩ صورة فوتغرافية، ويقـــع في ١٠٩ صفحة، كما ذكر هوفمان أن محمد أســـد أصدر قبل وفاته كتاباً بالإنجليزية، وعنوانه : «شـــريعتنا» وهذا الكتاب لم يترجم بعد.

والمعتقد أنه يضم مجموعة مقالات نشرها في مجلة «عرفات» في لاهور، وأخرى إذاعية كتبها في سويسرا .

كما أشـــار الأستاذ عبد العزيز الرفاعي في مقال مستفيض عنه في المجلة العربية ديسمبر يناير (١٩٩٣م) إلا أن لمحمد أسد آثاراً لم تطبع، ومن بينها مذكراته، وأنه خلف مكتبة عامرة يخشى عليها من الاندثار .

وأضاف الشبيلي إلى أن المفكر الإسلامي محمد إقبال كان قد شجع محمد أسد عند التقائهما في الهند عام (١٩٣٣م) على ترجمة صحيح البخاري إلى الإنجليزية، مستفيداً من مقدرته اللغوية، فأصدره عام (١٩٣٨م) بترتيب موضوعي، وتسلسل زمـــني جديد، بعنوان (صحيح البخاري الســـنوات المبكرة عن الإســـلام، (The Early Years of Islam Sahih Albuchari عـــن عرفات للنشـــر، لاهور، وقد أعيد طبعـــه عام (١٩٨١ و١٩٩٣)، عن دار الأندلـــس في جبل طارق، وهذه الترجمة المصحوبة بتفسير منه لا تشمل كل صحيح البخاري، ذلك أنه أضاع بقية موادها إبان فترة تقســـيم الهند، ولذلك فإن المراجع لا تركز عليها في الذكر، لكن محمد أسد ركز جهوده بعد أن استقر في سويسرا على ترجمة معاني القرآن الكريم، وهو مشروع عكف على إنجازه في عشرين عاماً بدعم من رابطة العالم الإسلامي، وصدر الجزء الأول منه عام (١٩٦٤م)، ثم أصدر كامل الترجمة عام (١٩٨٠م)، دار الأندلس، جبل طارق، وهي بعنوان «رسالة القرآن»، معلنا في مقدمتها عجزه عن الإتيان بترجمة مطابقة للنص القرآني الأصلي (العربي)، ومســـتخدماً فيها لغة إنجليزية مبسطة، ومقللاً من استخدام الإنجليزية الكلاسيكية.

محمد أسد الرحالة الأبدي – المصدر: www.hajj.media.gov.sa

خط سير رحلة محمد أسد :

بدأت رحلة محمد أسد لأداء أول حجة له، عام (١٩٢٧م)، من مصر إلى جزيرة العرب، عبر البحر الأحمر، دون أن يدري أحد السبب في هذه التسمية، حيث وصف مياهه بالشهباء طيلة إبحارهم عبر خليج السويس، تكتنفها من الجانب الأيمن جبال القارة الإفريقية، ومن الجانب الأيسر جبال شبه جزيرة سيناء، وكلها سلاسل عارية، صخرية جرداء كانت تبتعد بعضها عن بعض، كلما تقدموا، وتزداد اكفهراراً جعل الأرض تحس بأكثر مما ترى. وعندما أصبحوا، في أواخر الأصيل، في عرض البحر أصبحت مياهه زرقاء كمياه البحر الأبيض المتوسط تحت لمسات الهواء العليل(٥١٤).

وعند ظهر اليوم التالي تقريباً دوت صفارة الباخرة التي كانت تقلهم، دلالة على

٥١٤- أسد، محمد: الطريق إلى الإسلام، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص/ ٣١٤ .

أنهم وصلوا إلى رابغ، والتي وصفها بالميناء الصغير الذي يقع في الشمال من جُدَّة. وارتدوا هناك لباس الإحرام(٥١٥).

وفي فجر اليوم الثالث ألقت السفينة مراسيها عند شاطئ جزيرة العرب، ووقف معظمهم عند حاجز السفينة، وحدقوا بأبصارهم إلى الأراضي التي كانت ترتفع ببطء من ضباب الصباح .

حيث وصف ذلك المشهد بقوله: «ولقد كان باستطاعة المرء أن يلمح، في جميع الجهات، أشباح سفن الحجاج، وبينها وبين اليابسة أقلام صفراء فاقعة وخضراء زمردية في الماء: شطوط مرجانية غائصة في الماء تؤلف جزءاً من تلك السلسلة الطويلة الممتدة أمام الشاطىء الشرقي من البحر الأحمر، ووراءنا، نحو الشرق، كان هنالك شيء يشبه الكثيب، مسود ومنخفض، ولكن ما أن ارتفعت الشمس من ورائه حتى انقلب إلى بلدة عند البحر، تزداد بيوتها ارتفاعاً من طرفها إلى وسطها فتشكل بناء دقيقاً من الأحجار المرجانية الحمراء والصفراء الداكنة: ميناء جُدَّة»(٥١٦).

جُدَّة بعدسة ذاكرة محمد أسد :

عندما بدا لهم من بعيد ميناء جُدَّة وشيئا فشيئا أصبح باستطاعتهم أن يميزوا منازل جُدَّة وعن ذلك يقول محمد أسد: «تميز النوافذ المنقوشة والمشبكة، وستائر الشرفات الخشبية التي خلع عليها الهواء الرطب على مر السنين لون أخضر داكنة»(٥١٧).

وعن ميناء جُدَّة يقول محمد أسد: «وفي الوسط برزت منارة بيضاء مستقيمة كإصبع منتصبة .. ومن ثم رأينا جيشاً من الأجنحة البيضاء يندفع نحونا من البر: الزوارق العربية التي مخرت بأشرعتها المياه الهادئة، وشقت طريقها بصمت بين

٥١٥- المصدر السابق، ص/ ٣١٥ .
٥١٦- المصدر السابق، ص/ ٣١٦ .
٥١٧- المصدر السابق، ص/ ٣١٦ .

الشـــواطيء المرجانية غير المنظورة – أول رســـل جزيرة العرب، مستعدة لاستقبالنا . وإذ اقتربـــت رويداً رويداً من الســـفينة لتزدحم، آخر الأمر بســـواريها المتمايلة إلى جانبها، انطوت أشـــرعتها الواحد تلو الأخر كأنها أجنحة طيور تصفق فرحاً بعثورهـــا على الطعـــام، وانبعث من صمت اللحظة المنصرمـــة صراخ وصياح من وســـطها، صياح الملاحين الذين أخذوا يقفزون مـــن زورق إلى زورق واندفعوا إلى سلم السفينة ليفوزوا بأمتعة الحجاج . والحجاج، الذين أخذوا، كما لم يؤخذوا قط من قبل، برؤية الأراضي المقدسة، حتى تركوا الأمور تجري دون أن يبدو أية مقاومة أو دفاع عن النفس»[٥١٨].

وكانت القوارب ثقيلة واسعة، وكانت خراقة أجسامها تظهر بشدة جمال سواريها المرتفعة وأشرعتها البيضاء . ولا بد أن السندباد البحري الجريء، إنما قام بمغامراته في قـــارب من هذه القـــوارب أو أكبر قليلاً . وفي قوارب شـــبيهة بها أيضاً، أبحر الفينيقيون، قبل سندباد بزمن طويل، جنوباً عبر هذا البحر الأحمر نفسه ومنه عبر بحر العرب، في طلب أفاويه جنوب جزيرة العرب وكنوزها . وها نحن أولاء، خلفاء أولئـــك البحارة المغاوير، نبحـــر عبر البحر المرجاني، نتفادى الشـــطوط المرجانية الغائصة تحت البحر، بخطوط متعرجة ..»[٥١٩].

أما عن أســـواق جُدَّة فتحدث عنها قائلاً: «لقد عرفت إيران ومصر بأكثر مما عرفت أي بلد في أوروبا» . وكابل انقطعت منذ زمن طويل عن أن تكون بالنسبة إلى بلداً غريباً، كما ألفت أســـواق دمشـــق وأصفهان . وهكذا لم أستطع إلا أن أشـــعر «بمقدار الضآلة»، عندما مشـــيت لأول مرة في سوق جُدَّة، ورأيت مزيجاً سائباً وتكراراً غير منتظم لما يلاحظه المرء في أماكن أخرى من الشرق على جانب أعظم من الكمال . كانت الســـوق مسقوفة بالألواح وقماش الأكياس وقاية من الحر اللاهب، ومن بين الثقوب والشـــقوق كانت أشعة الشمس الأنيسة تنساب فتطلي نور الغســـق بنور الذهب . مطابخ مكشـــوفة أمامهـــا كان الأولاد الزنوج يشوون قطعاً من اللحم على أسياخ فوق فحم متقد، ومقاه فيها الأواني النحاسية

٥١٨- المصدر السابق، ص/ ٣١٦ .
٥١٩- المصدر السابق، ص/ ٣١٧.

المصقولــة والمقاعد المصنوعة من جذوع النخــل، وحوانيت صغيرة ملأى بالتوافه الأوروبية والشرقية . في كل مكان حرارة رطبة ورائحة سمك وغبار . في كل مكان جماهير من الناس – حجاج لا عد لهم ولا حصر، في ثياب الإحرام»(٥٢٠).

وعن سكان جُدَّة يقول محمد أسد: «فقد كانت جُدَّة في تلك الأيام (١٩٢٧م) المدينة الوحيدة في الحجاز التي كان يمكن لغير المسلمين أن يقيموا فيها . ولقد كان في إمكانك أن ترى بين حين وآخر لوحات علقت فوق الحوانيت مكتوبة بلغات أوروبية ، وأناســا يرتدون اللباس الخفيف الأبيض وخوذات الشــمس أو القبعات على رؤوســهم، والأعلام الأجنبية ترفرف فــوق دور القناصل . كل هذه المظاهر كانت نتيجة لتأثيرات بلدان غريبة: وكنت ترى تلك التأثيرات في أصوات الموانيء وروائحها، في السفن الراسية وراء شعب المرجان، في زوارق صيادي السمك ذات الأشرعة المثلثة البيضاء – بالاختصار، عالم لا يختلف كثيرا عن عالم البحر الأبيض المتوسط» (٥٢١).

وعن البيوت والمساكن في جُدَّة زمن محمد أسد: كانت تختلف قليلاً ، بواجهاتها المزخرفة المكشوفة لنسيم البحر، بمشرباتها الخشبية المنقوشة وشرفاتها المحجبة بستائر خشــبية مشبكة تمكن السكان من رؤية الخارج وتمنع المارة من رؤية الداخل . كل هذه القطع الخشبية استقرت كوَشْيٍ رمادي ضارب إلى الخضرة على ذلك أحجار وردية مرجانية . إن هذا لم يعد الآن عالم البحر الأبيض المتوسط، ومع ذلك فلم يصبــح بعد عالم الجزيرة العربية تماماً، لقد كان عالم شــاطىء البحر الأحمر الذي تقع العين فيه على مبان متشابهة من كل جانبيه(٥٢٢).

هكذا كانت جُدَّة إبان زيارة الأديب والرحالة محمد أسد خلال عام ١٩٢٧م .

٥٢٠- المصدر السابق، ص/ ٣١٨ .
٥٢١- المصدر السابق، ص/ ٣١٨.
٥٢٢- المصدر السابق، ص ص/ ٣١٨-٣١٩ .

شكيب أرسلان

الكاتب والأديب اللبناني شكيب أرسلان – المصدر: www.hindawi.org

يقول الأستاذ أيمن حجازي محرر كتاب الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف: «حين نستعرض سير الرحالة نرى أن منهم من دون رحلته أولا بأول، ومنهم من حفظ تفاصيلها بعد الفراغ منها، فاعتمد على قوة الذاكرة واتساع المخيلة، وهذه القدرة تختلف من مسافر إلى آخر، فتترك أثرها في قيمة الرحلة ودقة المعلومات الواردة فيها ومن الرحلات ما يعد غنيا بالمعلومات والفوائد، ويمكن اعتباره وثيقة قيمة في بعض الحالات، وهو ما ينطبق على رحلة الأمير شكيب أرسلان (١٨٦٩-١٩٤٦م) إلى الحج سنة ١٩٢٩م... وقد قيضت للأمير لغته أن يدون يوميات أدبية حافلة بالجمال والروعة، ومكنته من استدعاء كل ما في مخيلته من صور ومشاهدات وانطباعات عنها، ليرسم لنا في هذه الرحلة صورة ما رأى وسمع بكل ما تحفل به هذه الصورة من تفاصيل وجزيئات»[٥٢٣].

٥٢٣- أرسلان، شكيب: الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، مصدر سابق، ص/١٢ .

وفد الصلح بين السعودية واليمن ١٩٣٤ وشكيب أرسلان الثاني من اليمين
– المصدر: www.arb.majalla.com

ترجمة حياة أمير البيان شكيب أرسلان:

شـــكيب أرسلان: ولد شكيب أرســـلان في غرة رمضان ١٢٨٦هـ الموافق ٢٥ ديســـمبر ١٨٦٧م وتوفي في ٩ ديسمبر ســـنة ١٩٤٦م في قرية الشويفات التابعة لمنطقة الشوف والتي تبعد عن بيروت حوالي عشرة أميال .

وهو شـــكيب بن حمود بن حسن سليل الأمير أرســـلان والذي يعود نسبه إلى المنذر بن ماء الســـماء اللخمي حسب ما بين الزركلي. حفظ القرآن الكريم وهو ابن خمســـة عشـــر عاماً، والتحق بالمدرسة الأمريكية في الشـــويفات، ثم بمدرسة الحكمة في بيروت، كما درس الفقه الإسلامي في المدرسة السلطانية . زار دمشق والقاهرة التي التقى فيها بالشيخ محمد عبده وسافر إلى الإسكندرية حيث اجتمع مع جمال الدين الأفغاني ثم إلى فرنسا حيث التقى الشاعر أحمد شوقي[٥٢٤].

وكان شـــكيب يتقن اللغات الفرنســـية والإنجليزية والتركية ويعـــرف الألمانية . ولضلاعته في اللغة العربية لقب بـ «أمير البيان». هاجر إلى جنيف واســـتقر بها.

٥٢٤– المصدر السابق، ص ص/١٢–١٣ .

الامير شكيب أرسلان في رحلته الأولى الى شبه الجزيرة العربية العام ١٩٢٩م ومشهد من مدينة جُدَّة العريقة إبان فترة زيارته لها – المصدر: www.independentarabia.com

سافر للحج عام ١٩٢٩م وتشرف بلقاء الملك عبدالعزيز –رحمه الله– وخلال هذه الرحلة للحج كتب كتابه «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف»[٥٢٥].

سافر إلى أسبانيا عام ١٩٣٠م ودون وقائع تلك الرحلة في كتابه الموسوم (السندسية في الآثار والأخبار الأندلسية) . وفي ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٦ توفي –رحمه الله–.

رحلة شكيب أرسلان:

كان شكيب أرسلان يعيش في سويسرا عندما قرر أن يؤدي فريضة الحج عام ١٩٢٩م فتوجه من لوزان في سويسرا إلى نابولي الإيطالية ومنها إلى بورسعيد ثم السويس ومنها أبحر إلى رابغ ليصل إلى جُدَّة. وعنى خلال كتابته عن هذه الرحلة بوصف أدق التفاصيل، وبذكر ما يناسب كل موقف. وعند وصوله إلى جُدَّة بدأ

٥٢٥– المصدر السابق، ص ص/١٣–١٤ .

مشاهدات من ميناء جَدَّة عندما زارها شكيب أرسلان – المصدر: www.medium.com

بوصف بحرها الذي أعجبه وذُهِلَ من منظر البواخر الراسية في مينائها ووصف العمران في جُدَّة، ووصف مشاعره الجياشة عند نزوله أرضها(٥٢٦).

ولغزارة ثقافته ومعرفته بالتاريخ فقد ضمن وصف رحلته كثيراً من من المعلومات حول تاريخ الجزيرة العربية والمنطقة . وتحدث عن أهم الأحداث التي كان لها بارز الأثر في تاريخ المنطقة، وتحدث عن المياه والعمران بمكة المكرمة في الجاهلية وصدر الإسلام وصولاً إلى العصر العباسي، وبين كيف بذلت زبيدة، زوجة هارون الرشيد جهداً كبيراً لجلب المياه من وادي نعمان إلى مكة المكرمة . وتكلم عن الآثار في الطائف وعن سوق عكاظ وغير ذلك مما أضفى أهمية تاريخية بالغة الأثر لكتابته عن رحلته هذه(٥٢٧).

كما وصف أسواق مكة المكرمة وتحدث عن عادات أهلها. وأفرد باباً عن مياه مكة المكرمة قديماً وحديثاً وتحدث عن العيون والآبار التي كانت مصدر الماء

٥٢٦- المصدر السابق، ص ص/١٤-١٥ .

٥٢٧- المصدر السابق، ص/١٥ .

الرئيس لمكة قديماً وفق تسلسل تاريخي(٥٢٨).

كما تحدث عن وقفة عرفات وبين مشـــاعره وانطباعاته وهو يؤدي المناســـك، واسترجع وصف ابن جبير لذلك الموقف المهيب(٥٢٩).

ويعتبر الفصـــل الذي خصصه للطائف في كتابه أكـــبر فصول الرحلة، وصف طبيعتهـــا الجميلة وموقعهـــا الجغرافي ونقاء هوائها . واستشـــهد ببعض الآراء التي قيلت بالطائف وقال إنها «مصيف لمكة ومتنفس لسكانها» وقال أرسلان إن هواء الطائف «أشبهه بهواء الشام» .

وتحدث عن معالم الطائف خاصة مسجد ابن عباس رضي الله عنه. كما تحدث عن قصة إســـلام عروة بن مسعود، وذكر علماء الطائف وبعض مشاهير الشعراء من أهلها. وقد كتب رحلته بأسلوب سلس وجذاب خاصة وصفه بحر جُدَّة حيث قال: «كنت كيفما نظرت يمنةً أو يســـرة أشاهد خطوطاً طويلة عريضة في البحر أشبه بقوس قزح في تعدد الألوان، وتألق الأنوار، من أحمر وأزرق وبنفسجي وعنابي وبرتقالي وأخضر...الخ، ولا فرق بين هذه الخطوط وبين قوس قزح، سوى أن هذه الخطوط مستقيمة وأن خطوط قوس قزح مقوسة، وأن هذه في السماء وهاتيك في الماء، وقد تشبه هذه الخطوط ذيول الطواويس»(٥٣٠).

وضمن نصه كثيراً من الأشـــعار، سواء من نظمه أو من نظم غيره لكي يوصل المعلومة بشكل جذاب وممتع .

وقد أصدرت مطبعة المنار بمصر عام (١٩٣١م) الطبعة الأولى من الرحلة بتعليق وتهميش الشيخ محمد رشيد رضا –رحمه الله–(٥٣١).

٥٢٨- المصدر السابق، ص/١٥ .
٥٢٩- المصدر السابق، ص/١٦ .
٥٣٠- المصدر السابق، ص/١٧ .
٥٣١- المصدر السابق، ص/١٨ .

شكيب أرسلان الأول يساراً فمحمد الطاهر ثم أحمد حلمي وفوزان السابق السفير السعودي في القاهرة
باللباس العربي – المصدر: www.arb.majalla.com

مسار رحلة شكيب أرسلان:

أبحر شكيب أرسلان من السويس إلى جُدَّة على متن باخرة مكتظة بالحجاج ووصل جُدَّة بعد أربعة أيام من بداية رحلته بالسويس والتي بدأت يوم الثامن من مايو عام (١٩٢٩م) وكانت رحلة مريحة وهادئة قال عنها أرسلان: «سارت بنا الباخرة رهوا ورخاء لم نشعر فيها إلى جُدَّة بأدنى حركة للبحر تزعج الراكب، إنما كان المزعج هو اكتظاظ السفينة بالراكبين حتى لا يقدر أحد أن يمر من شدة الزحام» .

واستطرد قائلا: «وفي اليوم الثالث من مسيرنا ناوحنا ميناء رابغ، ولما كان الحجيج الوارد من الشمال في البحر الأحمر عليه أن يحرم من رابغ فقد أحرم جميع الحجاج الذين في الباخرة، وارتفعت الأصوات من كل ناحية (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)»[٥٣٢].

٥٣٢- المصدر السابق، ص/٢٧-٢٨ .

وأرخ دخولــه جُدَّة حيث قال: «فلما كان ضحــى اليوم الرابع من ذي الحجة (١٣٤٨هـ) دخلت الباخرة مرسى جُدَّة، لكن بتؤدة عظيمة لما في هذا المرسى من الجبال والصخور التي تكاد رؤوســها تبرز من تحت لجج البحر وإذا بخمس عشرة باخرة راسيات في ذلك الميناء على أبعاد متفاوتة من البر» .

شكيب أرسلان يصف بحر جُدَّة وبرها :

تحدث أرسلان عن إعجابه الشديد بجمال ألوان بحر جُدَّة وبمينائها وأسهب في وصفه لهذين العنصرين . كما تحدث عن ملوحة بحر جُدَّة وما قيل له من أسبابها. وذكر الحياة البحرية والفطرية في البحر ووصفها وصف العالم العارف بأســرارها، فقال عن ذلك:

«قيل لي إن ملوحة البحر زائدة، وأن هذه الملوحة هي الســبب في تكوُّن هذه الشعاب التي تكثر في البحر وتجعل مسالكه خطره، وأن هذه الشعاب تنمو وتعلو حتى تقارب ســطح الماء، ومنها ما يبرز عن سطح الماء فيكون جزيرة . وإن هذه الشعاب تنمو متكونه من أعشاب وحيوانات بحرية من طبقة الاسفنج، وهي ذات ألوان شتى كلها ناصع، ومنها أحمر ساطع ومنها ما هو أخضر ناضر ومنها ما هو أصفر فاقع، ومنها ما هو دون ذلك، وقد يقتلع الملاحة والغواصة منها أشجاراً « تسمى بشجر المرجان، وهي في غاية الجمال ومن أبهى ما يوضع في أبهى القصور للزينة . فهذه الشــعاب هي التي تنعكس ألوانها على ســطح الماء فتكون أشــبه بذيول الطوواويس أو بقسى السحاب، وهي في الوقت نفسه الأخطار الدائمة على السفن، والغيلان المتحفزة لابتلاعها . فسبحان الذي أودع الحسن ولكنه أنزل فيها البأس، وجعلها غائلة للمراكب . ولقد صدق المثل (إن من الحسن لشقوة)[٥٣٣].

٥٣٥- المصدر السابق، ص ص/٢٩-٣٠ .

آخر صورة لشكيب أرسلان على الباخرة بروفيدانس في ميناء الإسكندرية ١٩٤٦م
– المصدر: www.arb.majalla.com

لقاء أرسلان بجلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله:

كان لشكيب أرسلان شرف لقاء مؤسس المملكة العربية السعودية جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله خلال رحلته لأداء فريضة الحج، وتحدث أرسلان عن سعادته بذلك اللقاء فقال:

«ثم شاهدت جلالة ملك هذه الديار وخادم الحرمين الشريفين عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود وكان في جُدَّة ذلك اليوم، فوجدت فيه الملك الأشم الأصيد، الذي تلوح سيما البطولة على وجهه، والعاهل الصنديد الأنجد الذي كأنما قد ثُوِبَ استقلال العرب الحقيقي على قدِّه، فحمدت الله على أن عيني رأت فوق ما أذني سمعت، وتفاءلت خيراً في مستقبل هذه الأمة»[٥٣٤].

ويقول أرسلان إنه كان له شرف الذهاب في معية جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله من جُدَّة إلى مكة المكرمة في سيارة جلالته رحمه الله حيث قال: «ركبت بدعوة

٥٣٤- المصدر السابق، ص ص/٣٢-٣٣ .

جلالة الملك عبدالعزيز في السيارة وسرنا بمعيته مساء يوم وصولي، وذلك إلى البلد الأمين، حماه رب العالمين»(٥٣٥).

وعن الطريق من جُدَّة إلى مكة تحدث أرسلان عن قرية بحرة وما شاهد فيها من مقاهٍ وأماكن لاستراحة الحجاج والمسافرين .

ووصف قوافل الحجاج قائلاً: «وكانت قوافل الحجاج من جُدَّة إلى مكة خيطا غير منقطع والجمال تتهادى تحت الشقادف، وكثيراً ما تضيق بها السبل على رحبها».

وذكر أرسلان أن المسافة بين جُدَّة ومكة بالسيارة في زمنه كانت تقطع حوالي أربع ساعات يصل الإنسان بعدها مكة المكرمة(٥٣٦).

هذه جُدَّة عندما زارها شكيب أرسلان وأعجب بها وقال إنه لا يوحش الداخل منظرها وأبدى إعجابه برواشينها الكثيرة ونجارة أبنيتها التي وصفها بأنها «راقية».

٥٣٥- المصدر السابق، ص/٣٣ .

٥٣٦- المصدر السابق، ص ص/٣٣-٣٤ .

غلام رسول مهر

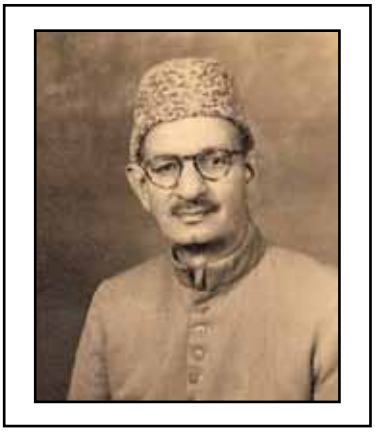

غلام رسول مهر

قام الشيخ غلام رسول مهر بتسجيل رحلته إلى الأراضي المقدسة في كتاب وسمه «يوميات رحلة في الحجاز ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م» .

وقد أصدرت دارة الملـــك عبدالعزيز ترجمة لهذه الرحلة التي ترجمها الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم إلى اللغة العربية وتكفل خادم الحرمين الشـــريفين الملك سلمان بـــن عبدالعزيز حفظـــه الله وجزاه الله خيراً بطباعتها علـــى نفقته حينما كان أميراً للرياض .

ترجمة غلام رسول مهر :

في مقدمته يقول مترجم الكتاب عن صاحب الرحلة :

«الشـــيخ غلام رسول مهر (١٣١٣هـ - ١٣٩١هـ / ١٨٩٥ – ١٩٧١م) من علماء شـــبه القارة الهندية الباكستانية الكبار، وهبه الله علماً وفضلاً، وزينه بحسن الخلق، فعاش حياته يعمل لإصلاح أحوال الأمة الإسلامية بكل ما يملك من موهبة أدبية وروح إسلامية أصيلة. ويعد من أدباء اللغة الأردية الذين أبدعوا في كتابة النثر

الأردي، فارتقوا به، وأوصلوه إلى مكانة عالمية، ويمتاز أسلوبه النثري الفريد – الذي صقله – من خلال كتاباته الأدبية المتواصلة في الصحافة – بالسلاسة، والجزالة، ودقة التعبير، مما جعله يقف في مصاف أدباء الأردية الكبار في زمانه من أمثال أبي الكلام آزاد، ومحمد علي، وظفر علي خان، وغيرهم، هذا بالإضافة إلى أنه واحد من المؤرخين الذين أثروا المكتبة الأردية التاريخية بكتاباتهم»[٥٣٧].

ويعطي الدكتور سمير إبراهيم نبذة عن مولد وتعليم رحالتنا فيقول :

وُلد غلام رسول مهر في الخامس عشر من إبريل سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م في قرية (بهول بور) التي تبعد عن (جالندهر) ستة أميال (بمنطقة البنجاب الشرقي)، وتوفي والده تشودهري محمد خان حين كان في الحادية عشر من عمره، وكان أكبر إخوته، وأوصى الوالد الأم بأن يستمر الابن في تعليمه، والتزمت الأم بوصية زوجها، ورعت ابنها رعاية خاصة، ووفرتْ له الوسائل اللازمة لتعليمه، وأكملت مشوار تعليم ابنها حتى تقلد وظيفته، وتحسن دخله كثيراً من وظيفته وممتلكاته.

وقد درس مهر أولاً في كُتاب القرية ثم التحق بالمدرسة المتوسطة، ورحل بعد ذلك إلى لاهور، فالتحق بالكلية الإسلامية سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م . وحصل على شهادة الليسانس عام ١٣٣٤هـ/١٩١٥م .

وبين المترجم صلة المؤلف بأبي الكلام آزاد وقال إنه التقى به قبل حصوله على الليسانس وانضم إلى جماعته، فصار عضواً نشطاً في الحركة الدينية الوطنية، وتأثر كثيراً بما كان ينشره أبو الكلام آزاد في مجلته الهلال . وقال المترجم إن ارتباطهما استمر حتى وفاة آزاد عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م رغم وجود خلافات شديدة في الرأي بينهما أحياناً، وبخاصة فيما يتعلق بالأمور السياسية[٥٣٨].

٥٣٧- مهر، غلام رسول: يوميات رحلة في الحجاز، تحقيق وترجمة الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، (١٤١٧هـ)، ص/ط .

٥٣٨- المصدر السابق، ص/ي .

عمله في الصحافة :

يقول الدكتور سمير إبراهيم إن الشيخ غلام رسول مهر عاش في فترة العصر الذهبي للصحافة في شبه القارة الهندية، تلك الفترة التي شهدت ظهور شخصيات صحفية مثل محمد علي جوهر، وأبي الكلام آزاد، وظفر علي خان، وسيد سليمان الندوي، وغيرهم ممن اعتبروا الصحافة مسؤولية ورسالة أكثر من كونها مهنة وتجارة، وكان يحدوهم في الكتابة هدف وشعور بالمسؤولية، ورغبة في خدمة الأمة الإسلامية .

وبين المترجم أن غلام رسول مهر أحب العمل في الصحافة وأراد أن يكون رفيقاً لأبي الكلام آزاد، إلا أن اعتقال السلطات الإنجليزية لآزاد لم يوفر له هذه الفرصة، فضلاً عن قيام الحرب العالمية الثانية (١٣٦٤هـ/١٩٤٥م) وما أفرزته من ظروف قاسية فلم يتمكن مهر من العمل بالصحافة، فرحل إلى حيدر أباد الدكن حيث عمل في إدارة تعليمية هناك، وظل يعمل مفتشاً للمدارس عدة سنوات .

وعندما انتهت الحرب الأولى وتم الإفراج عن المعتقلين وأطلقت حرية الصحافة كان قد عاد إلى البنجاب ليصدر جريدة ولكنه لم يتمكن فعمل في جريدة زميندار سنة (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) . وقد تم إغلاق هذه الصحيفة إلا أنها عادت وصدرت مرة أخرى فعاد للعمل بها .

وفي الرابع من إبريل عام (١٩٢٧م) (١٣٤٥هـ) أصدر غلام رسول مهر العدد الأول من صحيفته الجديدة[٥٣٩].

مؤلفاته :

اتجه مهر إلى ميدان التأليف والبحث خاصة في مجال التاريخ عامة وتاريخ الإسلام خاصة وتاريخ المسلمين في الهند بشكل أخص . ويبين مترجم الكتاب أن

٥٣٩- المصدر السابق، ص/ك .

الشيخ مهر ألف ما يقرب من مائة وثمانين كتاباً في مجالات متعددة : في التاريخ، والسير، والدين، والسياسة، والحضارة، والعلوم، والفنون، وغيرها، وحقق بعض الكتب، وترجم العديد من هذه الكتب(٥٤٠).

أسفاره ورحلاته :

سافر الشيخ غلام مهر عدة مرات خارج القارة الهندية الباكستانية، وكان أول سفره رحلته إلى الحجاز مع وفد مجلس الخلافة سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م سكرتيراً لمولانا ظفر علي خان، الذي كان من بين أعضاء الوفد، ثم كان سفره الثاني بدعوة من جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – في سنة ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م حيث دون المؤلف يومياته في هذه الرحلة التي بين أيدينا .

ثم سافر بعد ذلك إلى أوروبا لحضور مؤتمر المائدة المستديرة أواخر عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م فزار باريس ولندن، وفي لندن التقى بالعلامة محمد إقبال وسافرا معاً إلى الإسكندرية والقاهرة وبيت المقدس ودون رحلته تلك(٥٤١).

رحلة حج غلام رسول مهر :

كتاب هذه الرحلة جاء أصلاً في شكل خطابات أرسلها الشيخ غلام رسول مهر إلى العلامة سالك لتنشر تباعاً في صحيفة (إنقلاب)، فكل خطاب يمثل فصلاً من هذه الرحلة(٥٤٢).

البداية :

غادر الشيخ غلام رسول مهر لاهور بالقطار متوجهاً إلى كراتشي التي وصل إليها يوم ٢٢ إبريل سنة ١٩٣٠م . ومن كراتشي استقل الباخرة خسرو في طريقه إلى عدن والتي سيذهب منها إلى جُدَّة .

٥٤٠- المصدر السابق، ص/ل .
٥٤١- المصدر السابق، ص/م .
٥٤٢- المصدر السابق، ص/ن .

وذكر مهر إن ٥٧ راكباً استقلوا الباخرة من بومباي، وركب ١٤٠ من كراتشي كان بينهم عدد من الحجاج الإيرانيين الذي قاموا ببيع السجاد الإيراني على متن الباخرة للـركاب. وتحدث أيضاً عن مطاعم الباخرة وذكـر إنه كان بها مطعمان أحدهما إنجليزي والآخر شـعبي وقال : إن تكاليف الطعام لسـفرة واحدة (ذهاباً وإياباً) في الدرجة الأولى خمسـة وعشرين روبية، وهناك أسعار محددة للأشياء التي يتم إعدادها خارج قائمة الطعام المقررة.

وفي يوم ٢٩ إبريل ساروا بمحاذاة عدن وأكملوا سيرهم إلى (كمران) التي وصلوا إليها في اليوم التالي ٣٠ إبريل ١٩٣٠م .

حيث توقفوا بها واشـتروا مؤناً منها . وقد وصف مهر هذه الجزيرة وقال : إنها جرداء من الشجر .

الوصول إلى جُدَّة:

في يوم الجمعة ٢ مايو ١٩٣٠م وصلت باخرتهم إلى جُدَّة التي قال إنه سيذهب منها مباشـرةً إلى مكة المكرمة بالسـيارات في أسـرع ما يمكن حتى يدرك صلاة الجمعة في الحرم الشـريف . وقال إنهم كانوا قد أرسـلوا برقيات يوم أمسـهم إلى جلالة الملك عبدالعزيز – رحمه الله – وإلى الشـيخ عبدالله السليمان، وإلى الشيخ عبدالرحمـن مظهر في مكة المكرمة وأيضاً إلى الشـيخ عبدالله زينل وإلى المنشـي إحسان الله بجُدَّة لاطلاعهم رسمياً على وصولهم(٥٤٣).

ميناء جُدَّة:

رسـت سفينتهم في حوالي السـاعة التاسـعة والنصف في ميناء جُدَّة بالقرب من عشـر سفن أخرى كان معظمها تابعاً لشـركة «ترنرماريسون»، وحين رست سفينتهم قدم إليها «قارب» يرفرف عليه علم المملكة العربية السعودية .

٥٤٥- المصدر السابق، ص/٤٠ .

وقــد جاء مجموعة من الناس في قوارب لمقابلتهم ذكر مهر منهم : المنشــي عز الدين التابع لشركة (ترنرماريســون) .وجاء طبيب مكلف بمقابلة الباخرة والمنشي إحســان الله الذي قال مهر أن بينهما علاقة وصداقة قديمة . وكلمة منشــي هي لقب للكاتب أو الموظف . وقال مهر إن إحســان الله يهتم به دائماً عندما يأتي إلى جُدَّة .

كمــا جاء رجلان من رجال حكومة المملكة العربية الســعودية في قارب وقاما بنقل عفش مهر ورفاقه . واســتغرقت رحلة القارب من الباخرة إلى الســاحل ربع ســاعة نزل بعدها على الشاطئ وقال إنه شــاهد فراشات تتراقص على الطريق، والأمتعــة أُنزلت في ناحية أخرى، حيث يتــم إخراجها بعد فحصها، وحين نزلوا على الشاطئ التقوا قائم مقام جُدَّة آنذاك الشيخ عبدالله علي رضا رحمه الله .

ومن الميناء ذهب الشــيخ غلام رسول مهر إلى منزل المنشي إحسان الله حيث تناول طعام الغداء قبل الذهاب إلى مكة المكرمة حوالي منتصف الليل .

وصــف مهر الطريــق من جُدَّة إلى مكة المكرمة باختصــار لأن ظلام الليل لم يسمح له بالتفصيل وقال إنه شاهد بعض الحجاج يمشون في الطريق من جُدَّة إلى مكة المكرمة . وكانوا يلجؤون إلى قمم الجبال للراحة، كما كانوا يضعون ملابسهم فوق بعض أعمدة الأشجار التي كانوا يحملونها في النهار لاتقاء أشعة الشمس .

وبعد ثلاثة ســاعات من السير بالسيارة وصلوا إلى مكة المكرة بعد استراحة في بحرة، وقال إنه في أيام الحج كانت السيارات تُحتجز في جرول ولا يسمح للسيارات بالدخول إلى مكة .

وعنــد الوصول إلى منطقة جرول يُســأل عن مطوف كل حــاج، فيقوم أحد الناس بنداء المطوف بصوت عال، فيأتي واحد من أتباع المطوف فيســتلم الحاج، والحجاج عموماً يسلمون أمتعتهم إلى المطوف، ويذهبون إلى الحرم، أو بيت المعلم (المطوف) مشياً، وتوضع الأمتعة على (عربية) أو تُحمل على الجمال، ويتم إيصالها إلى بيوت المطوفين .

وذكر مهر أنه كان معهم أحد المسؤولين في الحكومة، حيث رافقهم من جُدَّة، لذا سمح لسيارتهم والشاحنة التي تحمل متاعهم بالدخول إلى المدينة، ووصلوا إلى دار الكسوة في الساعة الثالثة والنصف، حيث كان من المقرر أن يُقيموا .

ووصف مهر ذهابهم إلى الحرم الشريف وتحدث عن المسجد الحرام وعن لقائه بعض أصدقائه في مكة المكرمة(٥٤٤).

وفي الخامس من مايو حضر الشيخ غلام رسول مهر الحفل الذي أقيم في مقر الحكومة بالحميدية بمكة المكرمة بمناسبة لقاء جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله مع وفود الحج الرسمية وإلقاء جلالته كلمة هامة في ذلك الحفل .

وقد أبدى مهر شديد إعجابه بشخصية الملك عبدالعزيز وبكلمته التي ألقاها في ذلك الحفل وقال إن الملك عبدالعزيز «بدا وكأنه عالم دين متمكن تماماً».

وقال إنه بعد انتهاء الملك من خطبته ارتفعت الأصوات بالدعاء له(٥٤٥).

العودة إلى جُدَّة:

بعد انتهائه من أداء مناسك الحج عاد مهر إلى مكة المكرمة وقضى فيها عدة أيام قبل أن يبدأ رحلة العودة إلى جُدَّة في طريق مغادرته إلى وطنه.

وقد تحدث مهر في كتابه عن بعض الحوادث التي جرت في جُدَّة خلال رحلته، منها حادث السفينة الفرنسية التي احترقت في البحر . وعن ذلك الحادث يقول مهر: في الخامس والعشرين من الشهر اشتعلت النيران في سفينة فرنسية، وقام القبطان قبل كل شيء -بإنزال قوارب النجاة- رغبة منه في أن يستقلها الحجاج حتى تكتب لهم النجاة، إلا أن الحجاج نتيجة لاضطرابهم سقطوا فوق القوارب، مما جعل القبطان لا يستطيع أن يفعل شيئا، فانقلب أحد القوارب الذي امتلأ بالركاب، وبدأ ضباط السفن المجاورة في إرسال قوارب النجاة للسفينة المنكوبة، وبهذه المساعدة تم إنقاذ معظم الركاب.

٥٤٤- المصدر السابق، ص ص/٤٤-٥٥ .

٥٤٥- المصدر السابق، ص ص/٥٧-٥٨ .

وذكر مهر أن بعض الذين أرادوا المساعدة في إنقاذ السفينة قالوا إنهم عرفوا بخبر اشتعال النيران في السفينة، فركبوا قارباً للذهاب إليها ولكنهم لم يتعرفوا على الطريق نظراً للظلام إضافة إلى أن ميناء جُدَّة ملئ بالشعب المرجانية، مما يجعل وصول السفن إلى الميناء متعذراً دون ضوء وتمكن «أحد القوارب» من الوصول إلى السفينة في صعوبة بالغة. وبين الكاتب أن متاع معظم الحجاج احترق في هذه الحادثة المفجعة .

وذكر مهراً إن حكومة المملكة العربية السعودية قامت بمساعدة الحجاج فقدمت لهم الطعام والشراب، وأعطت كل حاج مساعدة مالية ثم قامت بمساعدتهم في السفر إلى بلادهم(٥٤٦).

وفي صباح الثامن والعشرين من ذي الحجة ١٣٤٨هـ وصل مهر ورفاقه إلى جُدَّة وذهبوا إلى منزل صديقهم المنشي إحسان الله وتناولوا الإفطار وارتاحوا قليلا في منزله . وفي الحادية عشر والنصف ركبوا قارباً يقلهم إلى السفينة (دارا) التي سيسافرون على متنها إلى الهند مروراً بميناء عدن للتزود بالمؤن فيه قبل الذهاب إلى كراتشي .

هكذا كانت رحلة الأديب والرحالة المسلم الشيخ غلام رسول إلى مهر إلى جُدَّة ومكة المكرمة والحج عام ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م كما سجلتها عدسة ذاكرته فسطرها يراعه في كتاب عن هذا الرحلة الشيقة التي ترجمتها وأصدرتها دارة الملك عبدالعزيز وطُبعت على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله وجزاه الله خيراً عندما كان أميراً للرياض.

٥٤٦- المصدر السابق، ص ص/٦٣-٨١ .

مصطفى محمد الراعي

مصطفى محمد الراعي بلباس الاحرام
– المصدر: كتاب في المملكة الروحية للعالم الإسلامي: رحلة إلى الأرض المقدسة عام ١٣٤٩هـ /١٩٣١م

هذه رحلة حج قام بها صاحبها مصطفى محمد الراعي سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م بين فيها مواقع الأماكن المقدسة وكيفية الانتقال إليها وما يجب أن يصطحبه المسافر معه من لوازم في الحج . وتحدث الراعي فيها عن استباب الأمن في المملكة العربية السعودية عندما زارها في عهد جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود –رحمه الله–. وقدم في كتابه أيضاً نبذة تاريخية عن المملكة والمنطقة بشكل عام . وضمن كتابه عدة صور لشخصه ولبعض المناطق التي زارها خلال الرحلة .

خط سير الرحلة

بدأ رحالتنا رحلته من القاهرة بعد حفلة وداع أقامها له أصدقاؤه وزود الكتاب بصورة جماعية له مع المحتفلين به، ثم استقل القطار من القاهرة إلى الإسماعيلية، ثم انتقل إلى قطار آخر متوجهاً إلى السويس وكانوا يسيرون موازيين لترعة القنال كما قال . وقال إن الحجاج كانوا يدفعون ثمن التذكرة أقل من غيرهم بالربع .

وعند الزوال وصل رحالتنا إلى السويس حيث وجد سماسرة النزلات (الفنادق) ينتظرون الركاب فذهب مع أحدهم إلى الفندق . كما ذهب لاحقاً إلى قلم الجوازات بالمحافظة للتأشير على جواز سفره وجواز سفر زوجه وأخبروهم أن عليهم الانتظار حتى يعلن عن قيام الباخرة (بإعلان يعلق على اللوحة أمام شباك القلم) عندها عليهم الحضور لاستلام الجوازات .

وفي اليوم التالي لوصوله إلى السويس ذهب إلى المسجد الجامع لأداء صلاة الجمعة ووصف المسجد وتحدث عن الخطبة والصلاة والمصلين .

وفي صباح الأحد الموافق ١٧ ذو القعدة (١٣٤٩هـ) / ٥ إبريل (١٩٣١م) حضر (عربجي) بعربته إلى فندقهم لحمل أمتعتهم إلى الباخرة .

وعند وصولهم الميناء أدخلوهم إلى (المباخر) المعدة لتطهير الحجاج التي كانت وزارة الصحة المصرية قد أعدتها لهم .

وبعد الانتهاء من هذا الإجراء الوقائي صعد الراعي وزوجه إلى الباخرة ونزلا في قمرة في الدرجة الأولى وكانت مخصصة له ولزوجه . وكان اسم الباخرة (دمشق).

وقد أقلعت الباخرة بعد الزوال بقليل . وبعد بدء الباخرة في الإبحار طلب رحالتنا طعاماً أحضروه له في مقصورته « نظير مبلغ خمسة وسبعين قرش مصرياً ندفعه يومياً»(٥٤٧).

كما تحدث الرحالة عن الماء في الباخرة فقال: وكانت المياه العذبة تصرف لكل من الحجاج بقدر معلوم وتصرف أوقات معينة يحضرها البوليس ويلاحظها مندوب الباخرة وبيده مفتاح الفناطيس التي ملئت من نهر النيل المبارك . وطريقة صرفها أن يقدم الحاج جوازه إلى ضابط البوليس فيسلمه (ماركة) ليصرف بمقتضاها من العسكري الذي عليه النوبة عند المياه فيملأ الحجاج زمازمهم وأوعيتهم بمياه لشربهم أما الوضوء والاستحمام فيؤخذ الماء اللازم لهما من البحر .

٥٤٧- الراعي، مصطفى محمد: رحلة إلى الأراضي المقدسة، مطبعة المدينة المنورة، القاهرة، (د.ت)، ص/١٦ .

وعن المواقد وتسـوية الطعام بين الراعي أنه كان محظوراً على الحجاج أن يوقدوا مواقدهم الاسبرتو والبترول حتى لا يحدث حريق «كالذي حصل في باخرة الحجاج المغاربـة في العام المنصرم أمام ميناء جُدَّة» (ولا تزال بقايا الباخرة المحترقة هناك — زمن المؤلف)[٥٤٨].

أمـا عن مبيع المأكولات علـى الباخرة فقد ذكر المؤلف أنه كان يوجد بالباخرة (كنتين) لمبيـع البقول والخبز والخضر المطبوخة باللحـم والفول المدمس والفواكه والشاي والقهوة وغير ذلك وقال إن الأسعار في البحر تختلف عن مثيلاتها في البر . كما بين أنه لا توجد أصناف قابلة للتلف مثل تعفن العيش والفاكهة أو حموضة البطيخ وقال إنه لو حصل شيء من هذا فيكون من نصيب السمك .

وتحـدث الراعي عن جمال الطيور التي تنزل على الباخرة أو تطير بالقرب منها . كما بين أن لكل باخرة إماماً وطبيباً .

وعـن تعداد الركاب قال الراعي: ركاب الدرجة الأولى ٨٠ نسـمة بينما ركاب الدرجة الثانية ٩٠ نسمة ولم يذكر عدد ركاب الدرجة الثالثة الذين قال إنهم كانوا يتفسحون في كآفة أرجاء الباخرة .

وعن الحمامات قال : وكانت الحمامات كافية لاسـتحمام جميع الركاب وكان ماؤها أجاجا إلا أنه كان يتسنى لبعضهم أحياناً استعمال الماء العذب من الفائض عن حاجة شربهم .

ميقات الإحرام :

وفي ظهر يوم الثالث لسـفرهم (الثلاثاء) صفـرت الباخرة ثلاث مرات إعلاماً بالاقتراب من موازاة ميقات الجحفة قرب رابغ . وقال إن بين الجحفة وجُدَّة حوالي ست ساعات بسير الباخرة .

وقال إنه عندئذٍ خلع ملابسه وارتدى ملابس الإحرام .

٥٤٨- المصدر السابق، ص/١٨ .

الوصول إلى جُدَّة:

وفي صبـــاح يوم الأربعاء ٢٠ القعدة ١٣٤٩هـــ الموافق ٨ إبريل ١٩٣١م لاح لركاب الباخرة (دمشق) معالم ساحل جُدَّة وبعد ذلك بقليل ألقت الباخرة مراسيها عند الساعة الثامنة صباحاً ووقفت بعيداً عن الشاطئ على بعد الميل وكسور الميل لأنه توجد أراضي عالية وشعاب بارزة تمنع البواخر من الدنو إلى الرصيف والركاب والأمتعة ينقلون في مراكب صغيرة شـــراعية تسمى السنابيك وذلك على حساب المتعهد لأنه يدخل ضمن أجرة الباخرة .

يقول الراعي : «هذه ثمان وستون ساعة قطعت فيها الباخرة المسافة من السويس إلى جُدَّة وتبلغ هذه المسافة ٦٤٦ ميلاً»(٥٤٩).

جُدَّة وميناؤها بعدسة ذاكرة الراعي :

يصف الراعي اســـتقبال المسؤولين لهم في الميناء فيقول : أقبل زورق بخاري يقل حضرات قنصل مصر في جُدَّة ومندوب وزارة الداخلية السعودية والطبيب وصعد هـــؤلاء إلى الباخرة وبعد عمل الإجراءات الطبية واســـتلام قيمة الرســـوم الخاصة وقدرها مائة قرش وستة قروش مصرية عن كل حاج بعد كل هذا تم التصريح بنزول الحجاج .

وكان الحجـــاج فيما مضى يدفعون رســـوم كل جهة على حدة وقد أحســـنت الحكومـــة صنعـــاً بتحصيل هذه الرســـوم صفقة واحدة ثم هي تســـلمها لجهات اختصاصها .

وبعد الانتهاء من الإجراءات الرسمية جاء غلام من أهل جُدَّة إلى الراعي ودعاه إلى النـــزول في فلوكة فنزل الراعي وزوجته معه في الفلوكة ومعهم عفشـــهم وكانوا أول من نزل من الباخرة وســـاروا مطمئنين في الفلوكة حتى وصلوا إلى الرصيف . وعلى الرصيف أشـــار عليهم عمال الميناء بالخروج وترك الأمتعة لإنهاء الإجراءات اللازمة .

٥٤٩- المصدر السابق، ص ص/٢٢ – ٢٣ .

استقبالهم من قبل المطوف والوكيل في ميناء جُدَّة:

بين الراعي أن كل حاج يريد أن ينزل إلى الأراضي المقدسة لابد له أن ينزل في كنف أحد المطوفين المعتمدين من قبل الدولة ويكون مسؤولاً عن الحاج أمامها .

وذكر الراعي أن اسم مطوفه كان (حسن أفندي كتوعة)، وقال إنه عندما خرج من باب الميناء وجد وكلاء المطوفين ينتظرون الحجاج القادمين وسألوه عن اسم مطوفه فأخبرهم أنه حسن كتوعة فتقدم إليه الوكيل محمد باتان الذي قال عنه إنه رجل بشوش الوجه رقيق الطباع ومعه أخوه الحاج أحمد باتان «وهو أيضاً رجل مؤدب فسلمته الجوازين الخاصين بنا ثم أحضر الأمتعة من الجمرك وحملها على عربة نقل تشبه عرباتنا» ثم يستطرد الراعي قائلاً: «وقد حضر المطوف حسن أفندي كتوعة وسلم عليّ سلاماً طيباً ورحب بي كثيراً وقد رأينا منه رجلاً لين العريكة دمث الأخلاق»(٥٥٠).

جُدَّة بعدسة ذاكرة الراعي:

بين الراعي أنهم نزلوا بدار باتان وقال إنه يملكها وقال إنها دار فسيحة في ترتيبها الشرقي الجميل بواجهتها الرواشن (المشربيات) المخروطة بشكل عربي متقن وأغلب الدور في البلدة كلها بهذا الشكل . وهي كائنة بجوار السوق وقد استلفت نظري أثناء المسير أن لكل دار رقم خاص بها وأيضاً كتب على كل شارع لوحة باسمه وكانت هذه أول استبشاري بتقدم النظام وقد أخذنا مكاناً خاصاً بنا نزلت به مع زوجتي ولقد نزل بناحية أخرى من الدار جماعة من أهل قنا بصعيد مصر يبلغ عددهم أربعة أشخاص ومع أحدهم زوجة ويرافقهم بنفسه لداعي نزولنا عند المطوف واحد وقد رأيته تبدو عليه علامات الصلاح والتقوى.

٥٥٠- المصدر السابق، ص ص/٢٤-٢٥ .

طرقات جُدَّة قديماً:

تحدث الراعي عن طرقات جُدَّة عندما زارها عام ١٣٤٩هـ-١٩٣١م فقال:

بعد أن استعرضنا قليلاً تمشينا بين طرقات جُدَّة ومررنا على القبر الذي يقولون عنه إنه للسيدة حواء أم البشر. وقد رأيت أن العمران قد امتد إلى البلد فحصل بعض التحسين في البناء ولكنها لا تزال محافظة على شكلها الشرقي وهي بلدة تجارية وبها الخانات والمخازن والدكاكين وأسواقها مكتظة بالبضائع لأنها ميناء الحجاز البحري وبها أيضاً سفارات الدول الأجنبية.

وكانت تحية قدومنا إلى الأرض المقدسة أن أنعم علينا المنعم الكريم سبحانه بفاكهة لم نرَها في مصر بعد وهي أننا اشترينا بطيخاً وكان ناضجاً والبطيخ لا يظهر عندنا في مصر إلا في شهر مايو.

المياه في جُدَّة:

تحدث الراعي عن المياه في جُدَّة زمن زيارته لها عام١٣٤٩هـ-١٩٣١م فقال: والمياه في جُدَّة على نوعين منها الماء الرائق وهو يصفى (بالكنداسة) وهي الآلة التي تخرج الأملاح من المياه المستخرجة من البحر وهذه معدة للشرب، والنوع الآخر ماء المطر وهو يحجز في الصهاريج زمن الأمطار وهو عكر وغير نظيف هذا عدا مياه الآبار في جهات مختلفة.

وتصادف أن كنت أتوضأ ورميت بفضلات الوضوء بالشارع وإذا بباتان يقول لي إن الرش ممنوع ويظهر أن الغرض المقصود من هذا هو عدم التبذير في استعمال المياه.

شعرنا بالراحة عند المبيت لأننا خرجنا إلى وجه الأرض (وكنا لا نزال نشعر بشيء من أثر اهتزاز الباخرة) فنمنا نوماً هادئا عميقاً وقد حمدنا الله سبحانه وتعالى(٥٥١).

٥٥١- المصدر السابق، ص ص/٢٧-٢٩ .

السفر إلى مكة المكرمة:

في صبـــاح الخميس ٢١ ذو القعدة الموافق ٩ إبريـــل وبعد تناول الإفطار توجه السيد مصطفى محمد الراعي وزوجته إلى مكة المكرمة على متن إحدى السيارات وكانوا ثمانية أشخاص في السيارة التي كانت من نوع اللوري، وبعد ثلاث ساعات من السفر وصلوا إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج(٥٥٢).

العودة إلى جُدَّة:

بعد أن مكثوا في مكة المكرمة أربعاً وعشرين يوماً سافر الراعي وزوجه إلى المدينة المنورة عن طريق جُدَّة وكان ســفرهم بســيارة لوري وكانت هذه الســيارة تصاب بعطــب أثناء الطريق حتى تعطلت مراراً ولم يصلوا إلى جُدَّة إلا قبل الغروب بقليل بالرغم من أنهم غادروا مكة قبل الظهر وقال الراعي إن طرقات جُدَّة كانت ممتلئة بحجاج من أندونوسيا والهند وكذلك كان منزل وكيل مطوفهم السيد (باتان) مليء بالحجاج ومع ذلك أفسحوا لهم مكاناً للمبيت .

ثم في صباح يوم الثلاثاء ١٧ ذو الحجة جهزوا أنفسهم للرحيل بالسيارة . وقال الراعي إن كل ســيارة لا تخرج إلى الســفر إلا من بعد أن تكشف عليها الحكومة كشفاً فنياً وهي تأمر كل شركة أن تعد عربة احتياطٍ تمشي وراء عرباتها تحمل بعض الآلات والعجلات حتى إذا تعطلت إحداها تمدها بما يلزم لها وتنبه الحكومة على الشــركات بتعيين أحد المهندسين من قبلها يسير مع السيارة الاحتياط حتى يقوم بتصليح أي عربة يحصل لها عطب وكذلك كل شــركة يكون لها مخازن في الطريق لتخزين البنزين حتى تأخذ العربات كفايتها .

ثم قال الراعي: وكانت سيارتنا رقم ٧٨٠ من الشركة الخيرية وقد ذهب بها سائقها وهو ســوداني واسمه بكر الســوداني إلى مركز الشــركة لتحميلها وإعدادها للسفر وكانت محركات السيارات تستخدم الأجانب من المصريين وغيرهم كسائقين.

٥٥٢- المصدر السابق، ص/٣٠ .

ثم يستطرد الراعي قائلاً:

بعد العصر أقبلت السيارة مركبنا وسار السائق بالسيارة إلى أن أوقفها بجانب السور الشمالي للبلد وكان مخفر الشرطة على بابه وقد صارت الحكومة تعمل إجراءها في قيد السيارة ورقمها وركابها وجنسياتهم مع كتابة التصاريح اللازمة التي تخول لها المرور من المخافر الموجودة بالطريق.

وعندما جاء الدور لسيارتنا كان الليل قد أرخى سدوله فصلينا العشاء ثم استلم السواق التصاريح وانطلقت بنا السيارة انطلاق السهم من الرمية وسرنا على بركة الله إلى المدينة المنورة.

وكانت أول محطة وقفوا بها هي ثول التي وصفها ووصف مقاهيها . وذكر أن المسافة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة كانت حوالي ٥٠٠ كلم تقريباً وقال إنه كان يمكن للسيارة أن تقطع هذه المسافة في ظرف سبع عشرة ساعة أي باعتبار ثلاثين كيلو مترا في الساعة إلا أنهم استغرقوا ستين ساعة في رحلتهم بسبب بعض الظروف الفنية التي واجهت سيارتهم(٥٥٣).

العودة من المدينة المنورة إلى جُدَّة:

في صباح يوم الجمعة ٢٠ الحجة -٨مايو تشرف الراعي بالدخول إلى المسجد النبوي الشريف للصلاة فيه والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقام بزيارة المواقع الأثرية المختلفة في المدينة المنورة .

وقدم الراعي وصفاً للمدينة المنورة وللمسجد الشريف ولقباء وتحدث عن العين الزرقاء وعن أبار المدينة وجبل أحد وقبر سيد الشهداء رضي الله عنه.

كما تحدث عن أسعار بعض السلع في أسواق المدينة المنورة وقال إن أحسن طاقية مزركشة كانت تباع بسعر ثمانية قروش سعودية وهي تساوي ثلاثة قروش ونص مصرية .

٥٥٣- المصدر السابق، ص ص/١٥٨-١٦٧ .

وبعد أن مكث أسبوعاً في المدينة المنورة غادرها بالسيارة يوم الجمعة عائداً إلى جُدَّة[٥٥٤] التي وصلوا إليها صباح الأحد ٢٩ الحجة ١٧ مايو وذهبوا إلى منزل الوكيل محمد باتان ووجدوا أنه تلقى تعليمات من المطوف حسن أفندي كتوعة بأن ينزلهم في منزله الذي يقع على البحر وأرسل لهم غلاماً صغيراً ليقوم على خدمتهم وقال إن زوجته كانت محل رعاية السيدات من عائلة المطوف كتوعة وأنها كانت تدعو لهم وتثني عليهم كما أثنت من قبل على عائلة الوكيل باتان .

وفي اليوم التالي أخذ الوكيل باتان جوازاتهم للتأشير عليها كما أخبره أن عليه كتابة إقرار بالموافقة بقبول النزول في الباخرة في الدرجة الثالثة حيث لم يوجد أماكن خالية بالدرجات الأخرى .

وفي يوم الثلاثاء ٢ محرم ١٣٥٠هـ الموافق ١٩ مايو ١٩٣١م ذهبوا إلى ميناء جُدَّة برفقة مطوفهم ووكيله وبعد أن تم التأشير على جوازاتهم ركبوا فلوكه غير التي كان بها عفشهم أخذتهم إلى الباخرة .

وتحرك (اللانش) من الميناء ورسا بعد ذلك على سلم الباخرة فصعدوا إليها وتصادف أن كانت نفس الباخرة التي أتوا عليها وأقلعت الباخرة (دمشق)إلى ينبع التي وصلوا إليها ضحى يوم الأربعاء ٣محرم ٢٠يونيو وقام الرحالة بوصف ميناء ينبع .

ومن ينبع أبحروا إلى جبل الطور في مصر حيث الحجر الصحي للذاهبين إلى مصر، وتحدث الراعي عن الإجراءات الصحية هناك وقد أمضوا سبعة أيام في الحجر .

ومن الطور أبحروا إلى السويس، ومنها بالقطار إلى القاهرة حيث استقبلهم أهله وأصدقائه مع المستقبلين الذين قال عنهم إن المحطة «كانت غاصة بأقارب الحجاج» وكان هؤلاء المستقبلين يحملون الهدايا وكانوا قد أعدوا الولائم للحجاج العائدين إلى ديارهم.

٥٥٤- المصدر السابق، ص ص/١٦٨-٢١٣ .

وقد قدم الراعي في كتابه شـــكره لحكومة المملكة العربية الســـعودية على العناية التي تلقاها هو وبقية الحجاج فقال:

«الآن وقد حان الوقت لأودع هذه المملكة الروحية للعالم الإســـلامي فقبل أن أنقـــل قدمي من آخر تخومها الأرضية المباركة لابد أن ألقى كلمة وجيزة أظهر بها ســـروري وارتياحي لما لاقيناه من العناية ممن كانت لنا بهم صلة في المعاملات وأننا نشـــكر للحكومة الســـعودية عنايتها براحة حجاج بيت الله المطهر وعلى قيامها بعزم وحزم في إقامة قســـطاس العدل حتى استتب الأمن فأمن الناس على حياتهم وعلى أموالهم..» (٥٥٥).

هكذا كانت جُدَّة في منتصف القرن الرابع عشـــر الهجري أوائل القرن العشرين الميلادي كما ســـجلها لنا الرحالة مصطفى محمد الراعي بعدســـة ذاكرته في كتابه القيم (رحلة إلى الأراضي المقدسة الحجاز) .

٥٥٥- المصدر السابق، ص/٢١٦ .

الكاتب إبراهيم المازني

الكاتب المصري إبراهيم المازني – المصدر: إبراهيم عبدالقادر المازني الأعمال الشعرية الكاملة

قدم إلى جُدَّة الكاتب والرحالة المصري إبراهيم عبدالقادر المازني المولود عام (١٣٠٨هـ/١٨٩٠م) والذي أتى إلى جُدَّة في طريقه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وقضى أياماً في جُدَّة تشرف خلالها بمقابلة جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز –رحمه الله– عندما كان نائباً لوالده جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود –رحمه الله– في الحجاز .

وقد كتب المازني كتابا عن رحلة حجه تلك وسماها (رحلة إلى الحجاز) سجل فيه مشاهداته وانطباعاته عن مدن ومحطات الحج التي زارها بما في ذلك مدينة جُدَّة التي حازت على النصيب الأوفر من هذا الكتاب . وسنلقي الضوء على بعض ما سطره يراع المازني مما سجلته عدسة ذاكرته عن هذه المدينة العريقة وأهلها بعد أن نترجم لحياة هذا الكاتب والرحالة المصري باختصار .

ترجمة إبراهيم عبدالقادر المازني:

يُعَرِّف عمر رضا كحاله في معجمه إبراهيم المازني فيقول: هو: إبراهيم بن محمد

بن عبدالقادر المازني . أديب ، صحافي . ولد في ١٩ آب عام (١٨٨٠م) وتوفي في ١٠ تشرين الأول سنة (١٩٤٩م) . تخرج من مدرسة المعلمين العليا ، واشتغل بالتدريس صبيا في مدارس الحكومة ، ثم استقال ، وأخلص للكتابة والصحافة ، وانتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق ، والمجمع اللغوي بالقاهرة .

من مؤلفاته: «حصاد الهشيم» ، «رحلة الحجاز» ، «شعر حافظ» ، «صندوق الدنيا»، «وقبض الريح»(٥٥٦).

أما خير الدين الزركلي فيقول في «الأعلام» عن المازني: هو إبراهيم بن محمد بن عبدالقادر المازني: أديب مجدد، من كبار الكتاب . امتاز بأسلوب حلو الديباجة، تمضي فيه النكتة ضاحكة من نفسها، وتقسوا فيه الحملة صاخبة عاتية . نسبته إلى «كوم مازن» من المنوفية بمصر، ومولده ووفاته بالقاهرة .

تخرج بمدرسة المعلمين، وعمل بالتدريس، ثم الصحافة وكان من أبرع الناس في الترجمة عن الإنجليزية . ونظم الشعر، وله فيه معان مبتكرة اقتبس بعضها من أدب الغرب، ثم رأى الانطلاق من قيود الأوزان والقوافي فانصرف إلى النثر، وقرأ كثيراً من أدب العربية والإنجليزية وكان جلداً على المطالعة، وذكر لي أنه حفظ في صباه «الكامل للمبرد» غيباً، وكان ذلك سر الغنى في لغته . ورأى الكتاب يتخيرون لتعابيرهم ما يسمونه «أشرف الألفاظ»، فيَسْمون به عن مستوى فهم الأكثرين، فخالفهم إلى تخير الفصيح مما لاكته ألسنة العامة، فأتى بالبين المشرق من السهل الممتنع. وعمل في جريدة «الأخبار» مع أمين الرافعي، و»البلاغ» مع عبدالقادر حمزة وكتب في صحف يومية أخرى، وأصدر مجلة «الأسبوع» مدة قصيرة، وملأ المجلات الشهرية والأسبوعية المصرية بفيض من مقالاته لا يغيض. وعاش عيشة «الفيلسوف» مرحاً، زاهداً بالمظاهر.

وكان من أرق الناس عشرة ومن أسلسهم في صداقاته قياداً، يبدو متواضعا متضائلا —وفي جسمه شيئاً من هذا— وفي قرارة نفسه أشد الاعتزاز بها والعرفان

٥٥٦- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين – تراجم مصنفي الكتب العربية، الجزء الأول، مصدر سابق، ص/٩٩ .

لقدرها. يمزح ولا يمس كرامة جليسه، مخافة أن تُمس كرامته . ويتناول نقائص المجتمع بالنقد، فإذا أورد مثلا جعل نفسه ذلك المثل، فاستسيغ منه ما يُستنكر من غيره . وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة . وله كتب، منها «حصاد الهشيم» و «إبراهيم الكاتب» و «قبض الريح» و «صندوق الدنيا» و «ديوان شعر» و «رحلة الحجاز» و «بشار بن برد» و «ميدو وشركاه» و «وثلاثة رجال وامرأة» و «غريزة المرأة» و «ع الماشي» و «شعر حافظ» و «الشعر»، وترجم عن الإنجليزية «مختارات عن القصص الإنجليزي» و «الكتاب الأبيض الإنجليزي»، وللدكتورة نعمات أحمد فؤاد — كتاب «أدب المازني»[٥٥٧].

جُدَّة بعدسة ذاكرة المازني:

كان ميناء ينبع أولى محطات دخول المازني إلى أراضي المملكة العربية السعودية. ومن ينبع أبحر المازني ورفاقه إلى جُدَّة في طريقه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج.

وبعد وصول باخرتهم إلى ميناء جُدَّة ذكر المازني أن طبيباً صعد إليها للاطمئنان على صحة الركاب، ثم تلاه وفد من شيوخ جُدَّة وأعيانها .

وبعد ذلك الاستقبال انتقل المازني وصحبه إلى زوارق بخارية ستنقلهم من باخرتهم التي كانت ترسو على بعد من الشاطئ، إلى رصيف الميناء .

ويقول المازني عن هذه الرحلة البحرية المختصرة إلى رصيف الميناء: «ولو أن الزورق سار في خط مستقيم إلى (الرصيف) لبلغناه في ثلاث دقائق، لكنه اضطر أن يدور بنا حول الميناء فقطعنا المسافة في خمس وعشرين دقيقة، لأن مدخل الميناء مكتظ بالصخور والشعاب الحادة التي تقطع الحديد كالسيف»[٥٥٨].

ويذكر المازني أنه عند وصولهم إلى الرصيف وجدوا في استقبالهم «قائم مقام جُدَّة الشيخ عبدالله رضا زينل ولفيف من الأعيان «فصعدوا بنا إلى بناء فيه موظفو

٥٥٧- الزركلي، خير الدين : الأعلام — قاموس تراجم، المجلد الأول، الطبعة الحادية عشر، مصدر سابق، ص/٧٢ .

٥٥٨- المازني، إبراهيم عبدالقادر: رحلة إلى الحجاز، المجلة العربية، الرياض، العدد ٣٩٦ (محرم ١٤٣١هـ-يناير ٢٠١٠م)، ص/٣٤ .

الميناء وجلسوا معنا في الشرفة إلى أن قرب الزورق الثاني فاعتذر القائم مقام وخف إلى استقباله . وتركنا مع المستر فيلبي وحقي أفندي سكرتير القنصلية المصرية وفريق من الأعيان ولم يكن لهم جميعاً حديث إلا هذا المطر العجيب الذي سبقنا وكانت تحيتهم لنا (جئتم بالغيث)»[٥٥٩].

ويقول المازني إنه تمت استضافته مدة إقامته في جُدَّة بمنزل حسين العويني .

وبعد قليل من وصولهم إلى دار العويني قيل لهم إنهم مدعوون إلى دار قائم مقام.

يقول المازني : «فنهضنا وركبنا السيارات الخاصة التي أُفردت لنا» ويصف المازني إعجابه بالقائم مقام الذي استقبله ومضى يصعد به السلم «وهو شيخ بلغ التسعين أو أربى عليها، وأنا شاب لم أبلغ الأربعين، ومع ذلك كان يثب على السلالم وأنا أرفع نفسي بجهد واضح، وصعود السلم في البيوت الحجازية عمل شاق، لأن الدرجات عالية جداً، والبعض أعلى من بعض وأضيق، وبعضها طولي أو أقل قليلاً – إلى أنفي، وقد قلت وأنا ألهث بعد أن بلغنا الدور الثالث حيث حجرة الاستقبال: لقد نجحت في الصعود، ففي وسعي الآن أن أشترك في الألعاب الأولمبية، ولم أكن أدري إلى تلك الساعة أن الهبوط أشق بفضل هذا الارتفاع الذي يؤثرونه للسلالم، وإن النازل إذا لم يحذر خليق أن يهبطها مدحرجاً عليها»[٥٦٠].

ويبين المازني استعجابه من كثرة أبواب بيوت جُدَّة فيقول: «واستغربت كثرة الأبواب للبيت الواحد، وتعدد السلالم، فقد تكون صاعداً في وديعة الله وحفظه، وإذا أمامك سلمان يذهب كل منهما في ناحية فلا تدري أيهما تأخذ: هذا أو ذاك ؟ وخطر لي في أول الأمر أن سلماً يؤدي إلى حجرات الرجال، وأن الآخر يفضي إلى مساكن السيدات».

ويستطرد المازني في وصف بيوت جُدَّة قائلاً:

٥٥٩- المصدر السابق، ص/٣٥ .

٥٦٠- المصدر السابق، ص ص/٣٧-٣٨ .

«وبيت القائم مقام أنموذج حسن لغيره من الدور التي رأيناها مع تفاوت بينها في السعة، وطرازها جميعاً شرقي عتيق، وأقرب ما يشبه في مصر البنى القديمة في أحيائنا الوطنية الصميمة من مثل الجمالية والخرنفش. وللبيت بوابة تفتح وتغلق وفيها باب صغير يسمونه في مصر «الخوخة» ثم الفناء فالسلم الذي وصفناه لك، ثم طبقات يغلب أن تكون اثنتين أو ثلاثاً، وحجر الاستقبال في الطبقة العليا، وغرف المائدة في التي تحتها، وقد يجتمعان في طبقة واحدة فتفرد الأخرى للنوم، والأثاث فاخر والذوق فيه سليم، ليس فيه ذلك البذخ الذي ينم عن الخيلاء والذي هو أشبه (بالإعلان) ولا تلك الكزازة التي تقبض النفس وتصد القلب. وكرم العربي ليس ككرم سواه فهو يكرمك ويبذل لك كل ما يدخل في طوقه بل فوق ما في مقدوره، ثم كأن الذي يصنع هذا سواه، من فرط السكون والوداعة وقلة التظاهر»[٥٦١].

وتحدث المازني عن طرقات جُدَّة في زمن زيارته لها فقال: «الطرق غير مرصوفة ولكنها نظيفة على الجملة».

وعن تجميع مياه الأمطار في الصهاريج يقول المازني: إن المطر الذي نزل قبل وصوله إلى جُدَّة بقليل وخلال إقامته فيها، قد «ملأ صهاريج الثغر كلها، ومن بين هذه الصهاريج واد سعته —بحسابهم— مئتان وأربعون ألف «صفيحة» فإذا اعتبرت أن «القربة» تعادل أربع «صفائح» كانت سعة الصهريج ستين ألف قربة، وقد قيل لي: إن الماء الذي في الصهاريج يكفي موسم الحج»[٥٦٢].

وفي وصفه لجُدَّة يذكر المازني أنه رأى سور جُدَّة وتحدث عن بعض أبوابه .

وذكر المازني بعض الأعشاش التي كانت خارج جُدَّة، كما تحدث عن ثكنة الجنود في شرق جُدَّة، وعن مركز اللاسلكي، وحظيرة الطائرات في السهل الواقع شرق جُدَّة. وقال إن مقبرة أمنا حواء مسورة ولها باب من الحديد، وقال إن البعض يقول: «إن قبر حواء في داخل هذه المقبرة».

٥٦١- المصدر السابق، ص ص/٣٨-٣٩ .
٥٦٢- المصدر السابق، ص/٤٥ .

بعد أن أقام المازني عدة أيام في جُدَّة، غادرها إلى مكة المكرمة، ووصف الطريق بينهما قائلاً : «والطريق إلى مكة طريقان: واحد للسيارات وهو حسن ومكبوس بما نسميه «وابور الزلط» وقد رأينا الوابور يستريح عند سفح الجبل، والآخر للجمال والمشاة، على يمننا ويسارنا»(٥٦٣).

وقد انبهر المازني باستتباب الأمن على يد الملك عبدالعزيز آل سعود –رحمه الله– وأعطي مثلاً على ذلك قائلا: أنه رأى الجمال تمشي قوافل قوافل، وقال: أنه عَدّ خمسين جملاً في القافلة، «وكانت تحمل بضائع شتى في الصناديق والأكياس أو الغرائر، وليس معها سوى طفل واحد هو كل حرس هذه القافلة المغرية»(٥٦٤).

وقد تحدث المازني عن مكة المكرمة ووصف المدينة المقدسة وأسواقها وتحدث عن بعض الأحداث الهامة التي عايشها أثناء وجوده هناك كما تحدث عن أدائه مناسك العمرة.

وخلال تواجده في مكة المكرمة تشرف المازني بلقاء جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز –رحمه الله– وكان وقتها نائباً لوالده جلالة الملك عبدالعزيز –رحمه الله– في الحجاز وفي الرابعة والعشرين من عمره . وبين المازني إعجابه الشديد بشخصية الشهيد الفيصل –رحمه الله–.

عاد المازني من مكة المكرمة إلى جُدَّة. وأثناء إقامته في جُدَّة حضر حفلاً أقامه الأمير (الملك) فيصل بن عبدالعزيز –رحمه الله– في قصر الكندرة حضره حشد كبير، منهم أعضاء السلك الدبلوماسي الأجنبي. وقد وصف المازني بعض فقرات ذلك الحفل وأبدى إعجابه بها.

من جُدَّة غادر المازني عائداً إلى ينبع التي سافر منها إلى مصر عائداً إلى أهله ووطنه بعد رحلته التي قادته إلى عدة مدن في المملكة العربية السعودية منها مدينة جُدَّة والتي سطر لنا بيراعه بعض مما سجلته عدسة ذاكرته عن هذا الميناء السعودي المهم، وضمن كل ذلك في كتابه عن رحلته تلك .

٥٦٣– المصدر السابق، ص ص/٥٧–٥٨ .

٥٦٤– المصدر السابق، ص/٥٨ .

النبيلة الاسكتلندية المسلمة
إفلين زينب كوبلد
Lady Evelyn Cobbold

زينب كوبولد – المصدر: www.elhayatonline.net

إفلين كوبلد نبيلة أسكتلندية أسلمت وحسن إسلامها، استأذنت من المغفور له مؤسس وطننا الغالي المملكة العربية السعودية جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود –رحمه الله– أن تأتي للمملكة لأداء فريضة الحج والذهاب إلى المدينة المنورة ووافق رحمه الله، على ذلك فأتت إلى المملكة وأصبحت أول بريطانية مسلمة تزور جُدَّة ومن ثم المدينة المنورة ومكة المكرمة .

فمن هي هذه السيدة النبيلة رحمها الله. وماذا عن رحلتها إلى مدينة جُدَّة فرضة مكة وعروس البحر والميناء الرئيس للملكة العربية السعودية ومنها إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة والمشاعر المقدسة .

اللورد دنمور والد السيدة إفلين كوبولد خلال رحلة له في لبنان
– المصدر: كتاب Pilgrimage To Mecca

ترجمة إفلين كوبولد Lady Evelyn Cobbold:

هــذه ليدي إفلــين كوبولد الــتي اتخذت لهــا – زينب – اسمــاً، ولدت عام (١٨٧١م) في مدينة (أدنبره – (EDINBURGH) في اســكتلندا[٥٦٥] وتوفاها الله عام ١٩٦٣م عن عمر ناهز الخامســة والتســعين عاماً . بريطانية مسلمة من أسرة ارســتقراطية، هي كبرى بنات حاكم دنمور (Earl of Danmore)، تزوجت من شــريف سفلوك (High Sheriff of Sufflok)، ودام زواجهم حتى وفاته بعد ثمانية وثلاثين عاماً[٥٦٦].

قضت إفلين كوبولد جزءاً كبيراً من طفولتها في الجزائر . عن ذلك تقول: «وإني لأذكر أيام طفولتي، وكيف أني صرفت الشتاء مع والدِيَّ في قصر عربي في الجزائر،

٥٦٥– محمود، أحمد محمد: جمهرة الرحلات – رحلات الحج، مصدر سابق، ص/٤٦ .

٥٦٦– Wolfe، Michael: One Thousand Roads to Mecca، Grove Press، 1997، PP. 406 – 08.

ظهرت السيدة إفلين في التقاطها للحجاج على هذه الصورة كخلفية لكتابها – المصدر: كتاب Pilgrimage To MeccaMecca

مشى والِدَايَّ إليه ينشدان فيه الشـــمس والراحة والطمأنينة»[٥٦٧]. وقد تَعَلَمَتْ هذه الســـيدة الارســـتقارطية اللغة العربية في طفولتها وانجذبت إلى الإســـلام منذ نعومة أضافرها إذ تقول في كتابها عن رحلتها تلك :» وأذكر كيف إني كنت كثيرة الرغبة — وأنا ما أزال طفلة — في الذهاب إلى المســـجد مع بعض الرفاق، أستمتع بما يغمره من حياة روحية لطيفة رائعة، ولعمري لقد كنت مسلمة منذ ذلك العهد، وإذا كان هذا لم يدر في خلدي، في تلك الماضيات من الأيام[٥٦٨].

هكذا عاشت الطفلة الاسكتلنديه افلن كوبولد في الجزائر، ولعبت مع الأطفال الجزائريين وكانت ترى نفسها «طفلة مسلمة في الواقع».

٥٦٧- كوبولد، إيفلين زينب: إســـلام نبيلة إنجليزية وحجها إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة عمر أبوالنصر اليافي)، المكتبة الأهلية، بيروت، (١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م)، ص/١٠ .

٥٦٨- المصدر السابق، ص/١٠ .

جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ال سعود ملك المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م ، إبان فترة حج الليدي كوبولد – المصدر: كتاب Pilgrimage To Mecca

ولما سافرت إلى بلدها بريطانيا كانت آسفة على مغادرة الجزائر إلا أنها بعد فترة من الزمن نسيت إقامتها هناك كما نسيت أصدقاءها من الأطفال الجزائرين وتعلقها بالمساجد ومبادئ اللغة العربية التي تعلمتها خلال إقامتها مع العرب . وبعد مرور فترة طويلة من الزمن وفي إحدى زياراتها إلى روما بإيطاليا سألها مضيفها إن كانت تود أن تلتقي بالبابا ففرحت لذلك . ولما قابلت البابا في الفاتيكان سألها أن كانت إنجليزية كاثوليكية فردت عليه دون تفكير قائلة: «إني من المسلمين»[٥٦٩]. ومنذ ذلك الوقت وكوبولد تقرأ عن الإسلام وتزداد معرفتها به . وبعد وفاة زوجها عام (١٩٢٩م)، قررت أن تقوم برحلة الرحلات، الحج إلى بيت الله العتيق وهي في السادسة والستين من عمرها، والتقت بسفير جلالة الملك عبدالعزيز – رحمه الله – الشيخ حافظ وهبة –رحمه الله– وأخبرته عن رغبتها في الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة مسجد نبيه صلى الله عليه وسلم[٥٧٠] وطلبت منه أن يستأذن لها جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – بالقدوم إلى أرض

٥٦٩– المصدر السابق، ص/١١ .

٥٧٠– محمود، أحمد محمد: جمهرة الرحلات – رحلات الحج، مصدر سابق، ص/٤٦ .

جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود في الوسط، ألتقتت الصورة في الرياض، ومن اليسار إلى اليمين الشيخ حافظ وهبه سفير المملكة العربية السعودية في لندن وسمو الأمير سعود بن عبدالعزيز ال سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية آنذاك وسمو الأمير خالد بن عبدالعزيز ال سعود وسمو الأمير محمد بن عبدالعزيز ال سعود – المصدر: كتاب Pilgrimage To Mecca

المملكة العربية السعودية لذلك الغرض .

قالت كوبلد عن نفسها: سألني كثيرون كيف ومتى أسلمت؟؟

وجـــوابي على ذلك أنـــه يصعب عليّ تعيين الوقت الذي ســـطعت فيه حقيقة الإسلام أمامي، فارتضيت الإسلام ديناً .

ويغلب عليّ الظن أنني مســـلمة منذ نشأتي الأولى. وليس هذا غريباً إذا ما راح المرء يفكر بأن الإســـلام هو الدين الطبيعي الذي يتقبله المرء فيما لو ترك لنفسه، ولم يفرض عليه أبواه الدين الذي يعتنقاه فرضاً[٥٧١].

جُدَّة بعدســـة ذاكرة النبيلة الإنجليزية المســـلمة الحاجة زينب إفلين كوبلد أول بريطانية مسلمة تزورها:

كانت رحلة الســـيدة الإنجليزية النبيلة المســـلمة الليدي افلـــن كوبولد (Lady

٥٧١– كوبولد، افلن زينب: اسلام نبيله إنجليزية وحجها الى مكة المكرمة والمدينة المنورة، مصدر سابق، ص/٩ .

السيدة إفلين كوبولد مع الملك سعود بن عبدالعزيز –رحمه الله – ويظهر في الصورة أيضاً الشيخ حافظ وهبة التقطت سنة (١٩٣٥م) – المصدر: www.saudiaramcoworld.com

Evelyn Cobbold) التي اتخذت فيما بعد لنفسها اسم (زينب) هي أول رحلة تقوم بها سيدة إنجليزية مسلمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وجُدَّة. وقد سَجَّلَتْ رحلتها تلك في كتاب قيم قام سفير المملكة العربية السعودية (آنذاك) الشيخ حافظ وهبة –رحمه الله– بكتابة مقدمته، وقام الشيخ عمر أبو النصر (اليافي) – رحمه الله – بتحقيقه وترجمته إلى اللغة العربية في عام (١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م).

غادرت إفلين كوبولد لندن إلى القاهرة عام (١٩٣٣م) ومنها انطلقت إلى جُدَّة، وكان على متن السفينة التي أقلتها إلى جُدَّة «باشا مكناس» وحاشيته المكونة من ٧٠ فردا، و «السير اندرو ريان» العائد إلى منصبه وزيراً مفوضاً في القنصلية البريطانية في جُدَّة، وفي العادة فإن قوافل الحج تنطلق من القاهرة بعد شهرين من عيد الفطر ليتمكن الناس من الوصول إلى الأراضي المقدسة في الوقت المناسب لأداء المناسك(٥٧٢).

٥٧٢- المصدر السابق، ص/٤٦ .

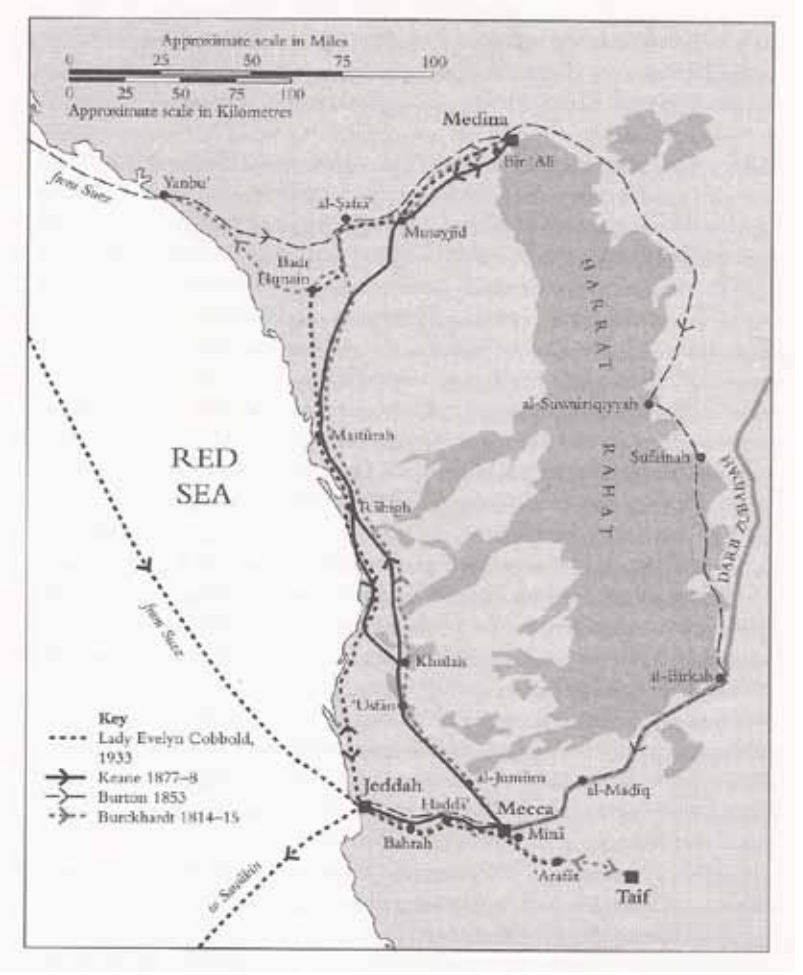

خط سير رحلة الليدي كوبولد إلى الحجاز – المصدر: كتاب Pilgrimage To Mecca

خط سير رحلة الليدي كوبولد إلى الديار المقدسة :

بعد أن سافرت السيدة إفلين كوبولد من لندن إلى القاهرة عام (١٩٣٣م) وبعد أن غادرت القاهرة، ذهبت إلى السـويس ثم إلى «بورت سـعيد» حيث استقلت باخرة إيطاليـة متجهة إلى جُدَّة في يوم ١٩٣٣/٢/٢٣م، حُجِزت لها على متنها

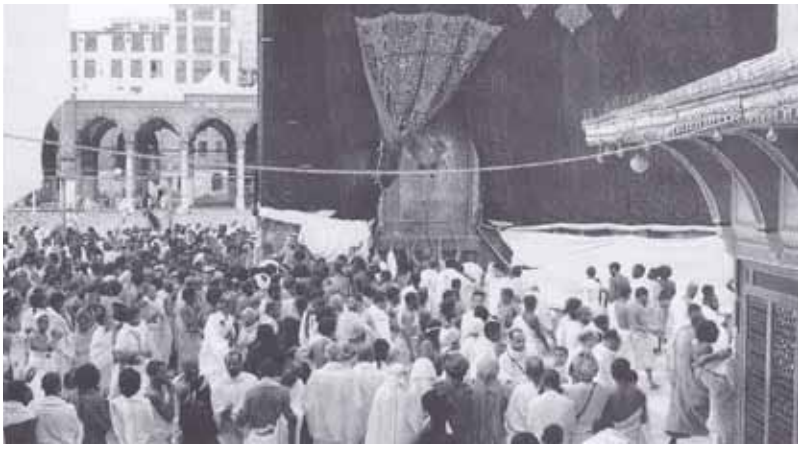

الطواف حول الكعبة تصوير فيلبي، فبراير–مارس ١٩٣٧م – المصدر: كتاب **Pilgrimage To Mecca**

غرفة خاصة بها . ومن بورت سعيد أبحرت الباخرة إلى «القصير» حيث رست هناك عدة ساعات مما مكن الركاب من زيارة تلك البلدة .

وبعد أربعة أيام في البحر وصلت بهم الباخرة إلى جُدَّة في يوم ١٩٣٣/٢/٢٦م . فلما رست السفينة على بعد حوالي «ميل واحد» من المرفئ فإذا بزوجة «المستر فيلبي» تنتظرها في قارب، قالت عنه كوبولد: «إنه نُقِشَتْ على رايته كلمة: «لا إله إلا الله محمد رسول الله « وقالت: شَعَرْتُ حينها أني في البلاد العربية حقاً وأنني تحت راية ابن سعود»[٥٧٣]. وتحدثت كوبولد –رحمها الله– عن الجبال التي تحف بجُدَّة، وعن أصوات المحرمين من حولها، المهللة والمسبحة والمكبرة، وعن ظهور الابتهاج على وجوه الحجاج لوصولهم إلى «أطهر بقعة وأقدس مقام» .

ثم تحدثت الكاتبة عن ميناء جُدَّة قائلة: «أما ميناء جُدَّة فإنه عجيبة من عجائب الزمان، وليس هناك مياه بحر تشابه مياهه في البهاء واللمعان، ولكنه إلى ذلك كله كثير الصخور، كثير الجبال البحرية بحيث كان ربابنة السفن التي ترسو في هذا الميناء لا يتقدمون من المرفئ إلا بمقدار» . واستطردت كوبولد قائلة: «وكان على الزورق الذي أقلنا من الباخرة أن يسير ما يقرب عن ميل واحد، فأخذ

٥٧٣– كوبولد، افلن زينب: اسلام نبيله إنجليزية وحجها الى مكة المكرمة والمدينة المنورة، مصدر سابق، ص/٢٢ .

الكعبة المشرفة تصوير فيلبي، فبراير–مارس ١٩٣٧م – المصدر: كتاب Pilgrimage To Mecca

سبيله في البحر، وزاد في عجبي ما رأيته من براعة البحار ومهارته، وهو بعد صبي ما أظنه يتجاوز العاشـــرة من عمره، وكان من الحذق والمهارة في تسير الزورق بين هـــذه الصخور والأخاديد، بحيث كان يرى الحفر تحت الماء فيدور حولها، ولا يقع عليهـــا، وكان بارعاً في محاورة الصخور المختفية، والروغان عنها، حتى أوصلنا إلى المرفئ سالمين مطمئنين»(٥٧٤).

قضت المســـلمة البريطانية النبيلة إفلين كوبولد عدة أيام في جُدَّة وخرجت تتنزه في خارج هذه المدينة العريقة وتحدثت عن بعض ما شاهدته في رحلتها إلى خارج جُدَّة قائلة: «لقد خرجت اليوم بالســـيارة إلى خارج المدينة، فكنت أشـــاهد كثيراً من الحجاج يضربون في الأرض نحو مكة وألهف نفسي متى يكون لي مثل حظهم، لقد حدثني بعضهم: «أن هناك أشـــخاصاً «ركبوا نعالهم عامة ســـنتهم»، حتى وصلوا إلى الأرض المقدســـة، وأن هناك غيرهم يفضلون المشـــي على الأقدام نحو البيت الحرام، يغمرهم الخشوع، وتجللهم التوبة، ويدفعهم إلى هذه المشقات حبهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم»(٥٧٥).

٥٧٤– المصدر السابق، ص/٢٣ .

٥٧٥– المصدر السابق، ص/٢٥ .

بيت البغدادي في جُدَّة الذي سكنه جون فيلبي– المصدر: كتاب Pilgrimage To Mecca

ووصفت إفلين كوبولد الحياة في جُدَّة كما رأتها، قائلة: «لقد وجدت الحياة في جُدَّة تختلف عن مثلها في غيرها من البلاد الشرقية، ذلك أنها حياة عربية خالصة»(٥٧٦).

وعن فن العمارة في هذه المدينة تقول كوبولد: «وفن العمارة في جُدَّة جميل فتان، وأهلها يستعملون حجارة المقالع القريبة من المدينة للبناء وغيره، وأما الخشب فإنهم يستجلبونه من جافا (أندونوسيا)، لأن جُدَّة «لا أشجار فيها» (في زمن زيارتها(٥٧٧).

ونظراً لأن السيدة كوبولد جاءت إلى جُدَّة خلال شهر فبراير فقد وجدت الجو مقبولاً في جُدَّة إذ تقول: «وليست الحرارة في جُدَّة فوق ما تحتمله النفس، حتى للذي لم يتعود الحر، لأن هواء البحر يرطب جوها ويخفف من سموم الصحراء، وذلك بخلاف مكة المكرمة التي حرها شديد قوي»(٥٧٨).

٥٧٦– المصدر السابق، ص/٢٦ .

٥٧٧– المصدر السابق، ص/٢٦ .

٥٧٨– المصدر السابق، ص/٢٧ .

عائلة تسافر إلى المدينة المنورة تحمل آخر جمل شيرية وبداخلها ثلاثة من أفراد الأسرة – المصدر: كتاب **Pilgrimage To Mecca**

وتحدثت السيدة كوبولد عن منزل السيد عبدالله فيلبي وزوجته وقالت: إنه من أجمل منازل جُدَّة وأوسعها(٥٧٩).

وبعد أن قضت السيدة إفلين كوبولد سبعة عشر يوماً في جُدَّة وبعد صدور الإذن لها، غادرت كوبولد جُدَّة إلى المدينة المنورة، وكانت تلك الرحلة في ذلك الزمن طويلة نسبيا للسيارات مقارنة بها اليوم .

عن ذلك تقول السيدة كوبولد: «لقد أصبح كل شيء جاهزاً لسفري، أما المدينة المنورة فإنها تبعد (٢٥٠) ميلاً عن جُدَّة، وليس بالإمكان أن أقطع كل هذه المسافة في يوم واحد، فلابد لي والحالة هذه من النوم في السيارة»(٥٨٠). وقبل أن تغادر السيدة كوبولد جُدَّة قامت زوجة المستر فيلبي بتعليمها كيفية الإحرام ولبسه(٥٨١). وغادرت السيدة إفلين كوبولد جُدَّة على متن سيارة استأجرتها لمدة عشرين يوما لاستعمالها للزيارة ولأداء مناسك الحج(٥٨٢). ووصفت السيدة كوبولد معرفة سائق سيارتها الجيدة بالطرق، وتحدثت عن رابغ وعن الأشجار في

٥٧٩- المصدر السابق، ص/٢٧ .
٥٨٠- المصدر السابق، ص/٣١ .
٥٨١- المصدر السابق، ص/٣٢ .
٥٨٢- المصدر السابق، ص/٣٣ .

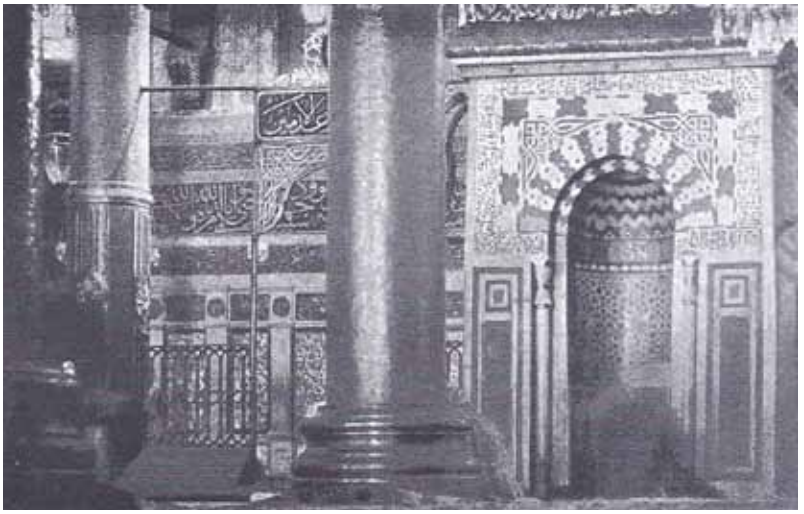

محراب المسجد النبوي الشريف – المصدر: كتاب **Pilgrimage To Mecca**

الطريـــق وبعض المزارع التي رأتها في طريقهـــا إلى المدينة المنورة، وقالت إنها وصلت إلى المدينة المنورة بعد ســـفر استمر خمسة عشر ساعة مقارنة بعشرة أيام لمن كانوا يســـافرون على ظهور الجمال، كما ذكرت أنها رأت بعض المسافرين وهم يمشون على أقدامهم إلى بلد المصطفى صلوات الله عليه وســـلامه . ودخلت كوبولد إلى طيبة الطيبة مدينة الحبيب صلى الله عليه وســـلم الســـاعة العاشرة مساء وكان في اســـتقبالها أحد الأشـــخاص الذين كانوا قد أُخبِرُوا بقدومها وقام باصطحابها إلى المنزل الذي أُعِدَ لإقامتها في المدينة المنورة(٥٨٣).

وتحدثت الســـيدة كوبولد عـــن زيارتها للمدينة المنورة، كمـــا تحدثت عن جمال المســـجد النبوي الشـــريف ووصفته ووصفت منائره و أعمدة المســـجد وزخارفه، وتحدثت عن القبر الشـــريف. وكتبت السيدة كوبولد عن سيدات قمن بزيارتها في مكان إقامتها بالمدينة المنورة ووصفت مائدة شاي نُصِبَتْ لها ولهن . كما تحدثت عن بعض أســـواق المدينة المنورة القريبة من المســـجد النبوي الشريف . وخرجت الســـيدة كوبولد بســـيارتها إلى خـــارج المدينة المنورة فزارت جبـــل أحد وغيره من

٥٨٣- المصدر السابق، ص/٣٤ .

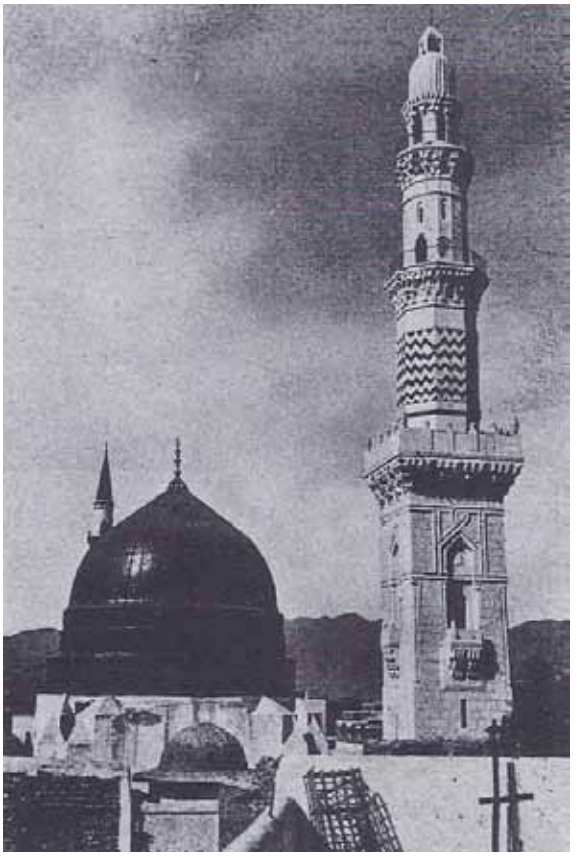

قبة ومئذنة المسجد النبوي الشريف– المصدر: كتاب **Pilgrimage To Mecca**

الأمكنه المحيطة بالمدينة المنورة، مثل مسجد القبلتين، وقباء وغيرها .

وتحدثت السيدة كوبولد عن أحد منازل المدينة المنورة التي زارته بدعوة من السيدة صاحِبة المنزل فوصفت جمال هذا المنزل المدني وحسن ترتيبه ووساعة غرفه، كما أشادت بثقافة السيدات المدنيات اللاتي التقت(٥٨٤).

وفي يوم ٢٣ مارس من عام ١٩٣٣م غادرت السيدة افلن كوبولد المدينة المنورة

٥٨٤– المصدر السابق، ص/٤٩ .

بعد رحلة كان ملؤها الخشـوع والحب لله ولرسـوله صلى الله عليه وسـلم وبعد زيارة المسـجد النبوي الشريف والتشرف بالسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسـلم، وكانت وجهتها جُدَّة لقضاء يوم أو يومين فيها قبل التوجه إلى مكة المكرمة(٥٨٥).

وفي صباح السـابع والعشرين من مارس عام ١٩٣٣م غادرت كوبولد جُدَّة إلى مكة المكرمة . وكانت رحلتها بالسيارة وقالت: إن زمن الرحلة من جُدَّة إلى مكة المكرمة بالسيارة كان «لا يزيد عن أربع ساعات(٥٨٦).

وتحدثـت السـيدة كوبولد عن المطوفين وعن دورهم الأساسـي والمهم في أداء الحجاج مناسـكهم والعودة سـالمين إلى ديارهم، وتحدثت عـن قدرات المطوفين وتمكنهـم من اللغـات المختلفة للتحدث مع الحجـاج القادمين من مختلف بقاع الدنيا . وتحدثت عن مشاهدتها لبعض المطوفين وهم يساعدون حجاجاً تقطعت بهم السبل وانتهى ما لديهم من مال فقام المطوفون بمساعدتهم ودفعوا لهم نفقات عودتهم إلى بلادهم .

وتحدثت السـيدة كوبولد عن أهمية تأمين الطرق وذكرت كيف تم تأمين الطرق على يد جلالة الملك عبدالعزيز آل سـعود – رحمه الله وأثابه – وتوقعت أن يأتي يوم يزداد فيه عدد الحجاج ليصل إلى اعداد كبيرة . وقالت: إن هذا هو ما ترجوه لأنهـا : «ترى أنه كلما ازداد عدد الحجـاج، كلما ازدادت العلاقات الاجتماعية والدينية بين المسلمين»(٥٨٧).

وفي يوم الرابع من إبريل عام ١٩٣٣م توجهت السيدة كوبولد إلى منى وعرفات للبدء في أداء مناسك فريضة الحج . وتحدثت عن المشاعر المقدسة ووصفتها وبعد الحـج غادرت الحاجة (زينب افلن كوبولد) مكة المكرمة متوجهة إلى جُدَّة. ومنها إلى سواكن حيث قضت خمسة أيام في الحجر الصحي هناك(٥٨٨). ومن سواكن

٥٨٥- المصدر السابق، ص/٥٧ .

٥٨٦- المصدر السابق، ص/٦٠ .

٥٨٧- المصدر السابق، ص ص/٧٧-٧٨ .

٥٨٨- المصدر السابق، ص/١١٤ .

السيدة إفلين كوبولد أول حاج أجنبي يسجل الحافلات وهي في طريقها إلى المدينة المنورة – المصدر: كتاب اسام نبيله إنجليزية وحجها إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة

توجهت إلى بورت سودان حيث استقلت باخرة إلى بور سعيد ومنها إلى مارسليا حيث ستستقل الطائرة إلى لندن التي وصلتها يوم ١٩٣٣/٤/٢٣م[٥٨٩].

عن ذلك تقول الحاجة كوبلد: «وبعد تسع ساعات أخذت الطائرة تهبط إلى الأرض، فحمدت الله على السلامة، وعلمت أنني قد أصبحت في بلادي حقاً».

تقول السيدة زينب كوبلد: «كثيراً ما أفكر في حجي إلى الأراضي المقدسة، ويخيل لي أحياناً أنني كنت في حلم من الأحلام، ولكن أوراقي أمامي تؤكد لي أن حجي لم يكن حُلُماً، وإنما كان أمراً واقعاً».

وتستطرد إفلين كوبولد قائلةً : «إن الزمن لن يمحو من ذهني وذاكرتي المشاهد التي رأيتها في مكة والمدينة، وما وقعت عليه من قوة الإيمان، وجمال الإخلاص، وحب الخير للناس والأعداء على السواء، وهي أمور كنت احس بها وأنا في البلاد

٥٨٩- المصدر السابق، ص/١١٦ .

المقدسة، ثم ما توفر لي من شرف زيارة قبر الرسول، ومسجده الشريف، وحرم الله المكـــرم، وكعبته الطاهرة، وقيامي بـــكل واجبات الحج، مما كان يجعل في قلبي كله اطمئناناً لم أكن أحسه قبل اليوم أبداً»(٥٩٠).

رحم الله النبيلة الاســـكتلندية المسلمة الحاجة زينب إفلين كوبولد ومن ساعدها على أداء فريضة الحج .

هكذا كانت رحلة هذه النبيلة الإنجليزية المســـلمة الحاجة زينب افلن كوبولد — رحمها الله — إلى بيت الله الحرام ومسجد رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وهي الرحلة التي استهلتها بالقدوم إلى مدينة جُدَّة، وهي رحلة يعود الفضل فيها — بعد الله ســـبحانه وتعالى — إلى جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل ســـعود رحمه الله حيث سمح لهذه الســـيدة المؤمنة بالقدوم إلى المملكة العربية الســـعودية وبأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام .

٥٩٠- المصدر السابق، ص ص/١١٦-١١٧ .

الدكتور عبدالغني شهبندر

أدى الأديب والطبيب اللبناني الدكتور عبدالغني شهبندر فريضة الحج مرتين وكان سفره إلى مكة المكرمة مثله مثل كثير من الرحالة عن طريق بوابتها وفرضتها، مدينة جُدَّة. ولكن من هو عبدالغني شهبندر؟

ترجمة كاتب الرحلة (عبدالغني شهبندر) :

أنشأ الدكتور عبدالغني شهبندر في بيروت مجلة أسماها «الحكمة»، وهي مجلة علمية اجتماعية طبية[٥٩١].

قال منشيها واصفاً مجلته:

هذه المجلة «تبحث في المسائل الاجتماعية التي تتعلق بحفظ كيان العائلة وانتظام الحياة البيتية. وتعنى عناية خاصة بطرق الوقاية من الأمراض السارية في كل الفصول والأمكنة. وتجلو الأسرار عن الفوائد الطبية للحشائش والثمار والبقول، بحيث يقف القارئ على ما فيها من أضرار ومنافع . وتُخصص فصلاً للعناية بالطفل في جميع أدوار الطفولة وتطوراتها. وتفرد بحثاً مهما في طبائع الأقاليم اللبنانية السورية في السواحل والجبال والسهول وما يمتاز به كل منها من جودة المناخ والاصطياف وتفصيل ما يفيد أو يضر منها لذوي الأمراض الجسدية والنفسية إلى غير ذلك من طرائف الأدب والفكاهة والسياحة وكانت هذه المجلة تصدر مرتين في الشهر».

قَدِمْ هذا الطبيب الرحالة إلى مدينة جُدَّة مرتين في أوائل القرن العشرين في طريقه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي الشريف والتشرف بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قام الدكتور شهبندر بتأليف كتاب عن رحلته الثانية إلى الديار المقدسة والتي

٥٩١- شهبندر، عبدالغني: رحلة الحجاز، مصدر سابق، ص/١٠٢ .

وصل إليها في فبراير من عام ١٩٣٦م الموافق ذو القعدة من عام ١٣٥٤هـ، وقال إنــه قصد الذهاب للحج في هذا الوقت لأنه يصادف وقت الشــتاء خاصة وأن رحلته الأولى للحج كانت قبل أعوام عديدة في زمن الصيف وتحديداً بين شــهري يوليو وأغســطس، لكي يقــارن «بين مفعول العوامــل الطبيعية بين الفصلين» . وقال إنه كان قد نشــر عن تلك الرحلة في جريدة» التي كانت تصدر في بيروت آنذاك(٥٩٢).

اختارت إدارة الصحة والإسعاف العام (في المفوضية العلمية) الدكتور عبدالغني شهبندر لكي يكون «طبيباً مرافقا للحجاج ، ومندوباً من قِبَلِها في مراقبة الصحة في الباخرة».

رحلة حج نادرة في أوائل القرن العشرين:

عن رحلته يقول الدكتور شــهبندر : «لقد رأيت من الفائدة نشــر هذه الرحلة تباعاً في مجلة (الحكمة) الأمر الذي وعدت به مشــتركيها الأفاضل ليكون القارئ الكريم على بيّنة من الديار المقدســة ولتكون هذه البحوث دليلاً لمن فُرِضْ عليهم الحج ولقد رَتّبتُ فصول هذه الرحلة حسب ما شاهدته منذ سفري من بيروت إلى أن عُدت إليها . ولا يســعني في هذا المقام إلا أنَّ أقوم بواجب الشــكر لكل من ســهّل عليّ مهمتي في حلّي وترحالي أخصّ منهم بالذكر سعادة مستشار الصحة والإســعاف العام في المفوضية العليا ورئيس أطباء الكرنتينا والدكتور أحمد شريف بك رئيس المحجر وغيرهم من الجهابذة وأهل الفضل أكثر الله من أمثالهم».

يقول الدكتور شــهبندر: إنه من الواجب على الحجــاج الذين يتخذون طريق البحــر أن يتجمعوا في «محجر بيروت» قبل يومين كاملين على الأقل من التاريخ المعــيّن لســفر الباخرة ولا تطبّق هذه القاعدة علــى ركاب الدرجة الأولى غير أنه يجب على هؤلاء أن يذهبوا إلى المحجر لأجل إجراء المعاملات الصحية والإدارية. وقال: إن السكنى في المحجر مجانية، أما أجرة السرير فهي ليرة «لبنانية سورية» في الدرجة الأولى، وخمسون قرشاً «لبنانياً سورياً» في الدرجة الثانية مهما كانت مدّة

٥٩٢- المصدر السابق، ص/٣ .

الإقامة في المحجر.

ويصف الدكتور شـــهبندر المحجر قائلاً: ومحجر بيروت يُعّد من أضخم المحاجر في الشـــرق وقد توفّرت فيه كل أســـباب الراحة ومنظره لطيف وماؤه غزير وبناياته معرّضةٌ للهواء والشمس يضاهي محجر الطور إن لم يكن أحسن منه.

ويســـتطرد الدكتور شـــهبندر قائلاً: ولقد بُني في المحجر مســـجداً على الطراز الحديث لإقامة الفروض الخمســـة وهناك مستشـــفى توفّرت فيه الوسائط الحديثة ويتولى إدارة هذه المؤسسة الطبيب البارع الدكتور أحمد شريف بك(٥٩٣).

وعندمـــا وصلت الباخرة (الطائف) وهي الباخرة التي ســـتقلهم من بيروت إلى جُـــدَّة في الرابـــع من فبراير، توجّه الدكتور شـــهبندر مع مستشـــار الصحة إليها للكشـــف عليها ولدراســـة ما تقتضيه هذه الرحلة من الأدوية والمصول والمطاعيم وطرق الإنقاذ وغير ذلك . وقاموا بتجربة قوارب النجاة .

وفي اليـــوم الخامس من فبراير سُمِحَ للحجاج بالصعـــود إلى الباخرة . وفي ذلك اليوم أقلعت الباخرة من بيروت إلى السويس في الساعة الرابعة بعد الظهر «في بحر مضطرب الأمواج شديد الهواء قارس البرد فأخذت السفينة تتمايل يمنةً ويسرة حتى أخذ الدوار من رؤوس الحجاج ونفوسهم مأخذاً عظيماً وما زالت الأمواج تتلاعب بالســـفينة لعب الأطفال بالأُكَرْ حتى وصلنا بور سعيد وهناك هدأت السفينة فلا اهتزاز ولا تمايل ولا اضطراب»(٥٩٤).

في اليوم الســـابع من فبراير أقلعت الباخرة (الطائف) من السويس وعلى متنها الدكتور عبدالغني شـــهبندر وبقيـــة الحجاج اللبنانيين متوجهـــة إلى «ينبع» . ولم تنقطع عنها الســـواحل المصرية حـــتى منتصف اليوم الثامن مـــن فبراير ثم بدأت الحرارة بالارتفاع واستشعروا بتغير المناخ واستبدل الركاب ملابسهم الشتوية بأخرى صيفية.

وعن ينبع يقول شهبندر: «ينبع- فرضة على البحر الأحمر عدد سكانها حوالي

٥٩٣- المصدر السابق، ص/٥ .
٥٩٤- المصدر السابق، ص/٧ .

عشرة آلاف نسمة وفيها دار للحكومة والمالية والبريد» . وقال: إنه مكث في ينبع خمس ساعات استطاع خلالها أن يتجول في أسواقها .

وفي السـاعة الخامسـة من نفس اليوم، التاسع من فبراير أقلعت الباخرة متجهة إلى جُـدَّة ومرّت بمحاذاة رابغ حيث «ارتفعت الأصوات بالتهليل والتكبير وأحرم جميع الحجاج في بحر هادئ تتهادى فيه السـفينة كالعروس ، وما إن طلع الصبح حتى ظهرت الجبال.

ويسـتطرد شهبندر قائلاً : وفي اليوم العاشـر من فبراير استقبلت الباخرة ميناء جُدَّة ، بعيدةً جداً عن الرصيف محاذرة ارتطامها بالصخور الممتده في طول الميناء وعرضـه. وما لبثنا هنيهـة من الزمن حتى أقبل موظّفو المحاجر والشـرطة ثم سُمِحَ للحجاج بالنزول بزوارق شـراعية مقطورة بـزوارق بخارية . وما إن انتصف النهار حتى كان الحجاج في جُدَّة[٥٩٥].

حسن معاملة السلطات السعودية للحجاج :

وتحدث شـهبندر عن حسـن المعاملة التي لاقاها هو ورفاقه من قبل السلطات السـعودية فيقول: والحقيقة التي لا مرية فيها أن موظفي الجوازات ورجال الشرطة أظهـروا من ضروب اللين والكياسـة ما جعـل الناس يلهجون بالثناء والشـكر الجزيل[٥٩٦].

جُدَّة وميناؤها بعدسـة ذاكرة الرحالـة الدكتور عبدالغني شهبندر :

يصف الدكتور شهبندر ميناء جُدَّة قائلاً : «ميناء جُدَّة من أكبر موانيء البحر الأحمـر وهي في لمعانها وألوانها وشِـعابها وأخاديدهـا وصخورها تعدّ من أعجب الموانيء في العالم . والناظر إلى أعماق البحر يجد من الجبال والأخاديد والأشجار ذات الأغصان المتشـعّبة ما يدهش العقول ويأخذ بمجامع القلوب . والمياه صافية

٥٩٥- المصدر السابق، ص/١٠ .

٥٩٦- المصدر السابق، ص/١٠ .

في هــذه الميناء . وقد يســتطيع المرء رؤية قاع البحــر في كثير من الأماكن . وأنَّ صفو الماء واختلاف ألوان الصخور وانعكاس الأشــعة الشمسية جعل هذا البحر بمختلف الألوان الغالب عليه اللون الأحمر الفاتح»(٥٩٧).

وعــن مدينــة جُدَّة يقول شــهبندر: «جُدَّة — ما كدنا نطــأ أرض جُدَّة حتى أقبل موظفو الشــرطة فاستلموا جوازاتنا، ثم ولجنا الباب فاستقبلنا جماعة كثيرة من الموظفين ووكلائهم فانحاز كل حاج إلى مطوِّف بلاده»(٥٩٨).

وعن فنادق جُدَّة يذكر شــهبندر أنه كان بجُدَّة في زمن رحلته «نزُلين» أحدهما للحكومة السعودية، اختار السكن فيه .

ويصف هذا الفندق قائلاً : «وهذا الفندق واقع في محل فســيح على شــوارع عريضة مجّهز بأثاث نظيف وفيه ٤٧ ســريراً، أجرة السرير في الدرجة الأولى خمسة ريالات ســعودية . وفي الدرجة الثانية ثلاثة ريالات سعودية دون الأكل والشرب والريال السعودي يعادل أربعين قرشاً سورياً تقريباً»(٥٩٩).

وبعد أن أخذ الدكتور شهبندر قسطاً من الراحة تجّول في شوارع جُدَّة ووصفها قائلاً : «جُدَّة — ميناء مكة المكرمة وهي أمام «ســواكن» الإفريقية تقريباً، محاطة بســور قديم له أبواب ســتة، وهي باب المدينة المنورة، وباب مكة المكرمة، وباب الشــريف، وباب البحر، وباب المغاربة، وباب الشــهداء . وفي الجهة الشرقية من الســور قبر حواء»(٦٠٠). وعن أبنية جُدَّة وشوارعها يقول شهبندر: «أبنية جُدَّة وشــوارعها — بعضها من الأحجار وبعضها من اللبنْ وبعضها من الآجر وبعضها من الصفائح . وســقوف الأبنية كلها من الأخشــاب إلاّ بعض المباني الحكومية فإنها من القرميد . وبعض الأبنية في هذا الثغر ذات أدوار ثلاثة، فأربعة، فخمسة» وهي كثيرة النوافذ والرواشــن والبناء من الطراز القديم، ويقال إنه من طراز القرون الوسطى .

٥٩٧- المصدر السابق، ص/١٢
٥٩٨- المصدر السابق، ص/١٥
٥٩٩- المصدر السابق، ص/١٥
٦٠٠- المصدر السابق، ص/١٦

وشـــوارع جُدَّة غير مرصوفة ولكنها عريضة ســـيّما الجهة التي يسكنها القناصل فهي أحسن الشوارع وأنظفها تُرشّ بالماء ويُعْنَى بنظافتها[٦٠١].

وعن الماء في جُدَّة في زمن زيارته لها يقول شهبندر: «الماء – ليس في جُدَّة ماء يصلح للشرب إلاّ ماء يستقطر من البحر (الكنداسة) وماء عين الوزيرية وقد جِيءَ به إلى جُدَّة . وفي الجوامع أحواض كبيرة تُملأ من الأمطار، يتوضأ أناس بها»[٦٠٢].

وينقل شهبندر عن قاموس الأعلام فيقول: «وفي قاموس الأعلام لشمس الدين سامي أنه كان في جُدَّة ٣٠٠ صهريج وخزان كبير للماء . وسبعة نبوع (ربما يقصد بها الآبار)»[٦٠٣].

وعن جُدَّة وتجارتها يقول شـــهبندر: «جُدَّة ميناء مهم» . ويقول أيضاً: «جُدَّة تســـتورد بضائعها من الشـــرق والغرب، ولا تصدِّر إلاّ الشيء القليل من الأسماك والصموغ والعطريات. وفي أســـواقها تُباع أنواع الأقمشة الشامية والهندية والسبح واللؤلؤ والمرجان والطنافس» .

ويستطرد قائلاً: «ووســـائل المعيشة في جُدَّة متوفرة، وأسعار الحاجيات فيها لا تختلف عنها في سورية، إلاّ أثمان الفاكهة كالبرتقال والليمون والتفاح والموز فأثمانها أضعافاً . أما الســـمك فإنه متوّفر للغاية وقد يُباع الرطل الشـــامي منه بعشرين أو ثلاثين قرشاً سورياً تقريباً. وقد ينقص عن ذلك في غير أيام الحج»[٦٠٤].

وقال عن سمك جُدَّة: وللســـمك هنا أشكال وأنواع غريبة، قلما يُشَاهد مثلها في البلاد الأخرى[٦٠٥].

وعن الصرافة والصرافين في جُدَّة، يقول شـــهبندر : «النقود في جُدَّة – عندما يطأ الحاج أرض جُدَّة يجد على جانبي الشـــارع الكبير حوانيت صغيرة تُبدّل فيها أنواع النقود بعمولة تختلف بحســـب اختلاف العرض والطلب. وقد يستطيع الحاج

٦٠١- المصدر السابق، ص/١٦
٦٠٢- المصدر السابق، ص/١٦
٦٠٣- المصدر السابق، ص/١٧
٦٠٤- المصدر السابق، ص/٢٥
٦٠٥- المصدر السابق، ص/٢٥

تبديـــل كل ما لديه أو يبتاع انواع النقود. ففي جُـــدَّة تجد النقود المصرية والهندية والجنيهات الذهبية والبانكنوت وغيرها»[٦٠٦].

وتحدث شهبندر عن العملة المحلية «الريال السعودي» في وقت زيارته لجُدَّة عام (١٩٣٦م) قائلاً : الريالات الســـعودية أكبر من الريـــال المجيدي المعروف، وكل ريال ســـعودي يساوي ٢٢ قرشاً سعودياً وكل قرش سعودي يعادل أربع هلللات . والقرش السعودي يعادل ثلاثة قروش سورية على وجه التقريب[٦٠٧].

ومن جُدَّة توجه شهبندر إلى المدينة المنورة «في سيارة من نوع (الدوتش- ولعله يقصد دودج)» حيث تشرّف بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيارة مسجده الشـــريف والصلاة فيه . وتحدث شهبندر باحترام شديد وبوصف دقيق للحرم الشـــريف والمدينة المنورة في كتابه . ومكث بالمدينة حوالي اثني عشـــر يوماً وغادرها في يوم الجمعة ٢٢/فبراير/١٩٣٦م عائداً إلى جُدَّة بالسيارة .

ومن جُدَّة توجه الدكتور عبدالغني شـــهبندر إلى مكـــة المكرمة بعد أن بقي في جُدَّة عدة ساعات .

وقام بوصف مكة المكرمة والمســـجد الحرام والمشاعر المقدسة والكعبة المشرفة . وتحدث عن الخدمات الصحية بها وأبدى إعجابه بما وفرته حكومة المملكة العربية السعودية من خدمات صحية للحجاج .

بعـــد أداء فريضة الحج عاد رحالتنـــا إلى جُدَّة في طريقه إلى بلاده، حيث غادر جُدَّة في اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة عام ١٣٥٤هـ الموافق الثامن عشر من مارس عام ١٩٣٦م وتوقف بالطور للحجر الصحي .

وأخيراً وصل الدكتور عبدالغني شـــهبندر إلى مدينته بيروت في يوم ١٧ من محرم عام ١٣٥٥هـ الموافق ٩ إبريل ١٩٣٦م بعد أن أدى فريضة الحج وتشرف بالسلام على رســـول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده الشريف وبعد أن زار جُدَّة وسطر لنا بيراعه ما سجلته عدسة ذاكرته عن هذه المدينة وسكانها وعاداتهم وتقاليدهم وتجارتهم وما شاهده فيها إبان زيارته لها عام ١٣٥٤هـ الموافق ١٩٣٦م.

٦٠٦- المصدر السابق، ص/٢٥
٦٠٧- المصدر السابق، ص/٢٦

الشيخ محمود ياسين

رحلة الشيخ محمود ياسين هي رحلة حج وعمرة سجلها في كتاب وسمه (رحلة الحج والعمرة) تحدث فيه عن رحلته كما ناقش أحكام الفقه وكثيراً مما يتعلق بالحج والعمرة كما تعرض لجغرافية البلدان التي مر بها بما في ذلك مدن ومحطات الحج المختلفة وأرخ للمواني‌ء التي رسا فيها كما تحدث عن مناقشات علمية له مع بعض المفكرين والعلماء الذين صادفهم وتحدث كذلك عن لقائه مع جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – وإعجابه الشديد بالعاهل السعودي، كما تناول بعض الموضوعات العامة والاجتماعية والأدبية وتوسع في وصف المسجد الحرام والكعبة المشرفة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة وبعض من مزاراتها ووصف المسجد النبوي الشريف كما وصف الطرق بين جُدَّة ومكة والمدينة وتحدث عن بعض المواقف التي مر بها خلال أسفاره في هذه الطرق.

وكانت رحلة الشيخ محمود ياسين هذه في عام ١٣٥٦هـ = ١٩٣٨م .

خط سير رحلة الشيخ محمود ياسين :

بدأ الشيخ محمود ياسين رحلة حجه في يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة عام ١٣٥٦هـ الموافق التاسع من يناير عام ١٩٣٨م من دمشق التي غادرها متوجهاً إلى بيروت للسفر من مينائها بالباخرة وقد استغرقت رحلته تلك بالسيارة ثلاث ساعات(٦٠٨).

وفي اليوم التالي لوصوله بيروت صدق الشيخ محمود ياسين جواز سفره من (وكيل المعتمد السعودي) «بسهولة ويسر» .

وفي يوم الاثنين ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٥٦هـ الموافق ٣١ يناير ١٩٣٨م ذهب رحالتنا إلى (المحجر) الصحي لأخذ التطعيمات اللازمة لرحلته . وقال الرحالة إنه

٦٠٨- ياسين، محمود : رحلة الحج والعمرة، دار الهجرة، بيروت، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ص/٤٧.

التقى هناك حجاجاً جزائريين قدموا من مرسيليا عن طريق السويس .

وفي مساء يوم الثلاثاء ٣٠ ذي القعدة عام ١٣٥٦هـ ركب الشيخ محمود ياسين الباخرة (الطائف) . وذكر رحالتنا قيمة أجرة السفر على هذه الباخرة في درجاتها المختلفة فقال : وجدنا الباخرة ثلاث درجات : السفلى وأجرتها ١٢٥ ليرة سورية والوسطى وأجرتها ١٩٢ ليرة سورية والعليا وأجرتها ٢٢٨ ليرة سورية وفيها جامع نظيف عُين له رجل مصري يؤذن ويؤم الحجاج . ولكل من الدرجتين العليا والوسطى بهو في غاية الإتقان والنظافة ولا سيما القمرة : المكان المشرف على البحر الذي يبهج العين بمنظر البحر الرهيب والأمواج التي تعلو كالجبال بمنظر عجيب ، وأما الدرجة السفلى فهي والحق يقال: لو وجد من ينصر بني آدم أو يرفق بهم كما وجد من يرفق بالحيوانات (كجمعيات الرفق بالحيوان) لمنعوا على البواخر استعمال مثل هذه الأماكن التي لا يصح لغير الحيوان سُكناها أو المكث بها(٦٠٩).

غادرت الباخرة (الطائف) ميناء بيروت واستمرت في السير حتى ألقت مراسيها في ميناء بورسعيد . وخلال وجود الباخرة هناك ألقى الشيخ محمود ياسين درساً على حجاج الباخرة كان له وقع حسن .

وفي اليوم التالي توجهوا إلى السويس وانقطع عنهم الماء الحلو في الباخرة فتوضؤوا بالماء الملح. هذا وقد وصلوا إلى السويس في الساعة السادسة والنصف من يوم ١ ذو الحجة سنة ١٣٥٦هـ الموافق ٢ فبراير ١٩٣٨م .

ومن السويس توجهت الباخرة إلى الطور التي رسوا عندها يوم الخميس الثاني من ذي الحجة الثالث من فبراير . وبعد ساعة أبحرت السفينة متجهة إلى ينبع فجُدَّة.

وعندما وصلوا محاذاة رابغ أحرم الحجاج .

واجتمعوا بعد ذلك في غرفة طبيب السفينة الدكتور الشماع وناقشوا موضوع اختيار مطوفهم فاتفقوا جميعاً على اختيار الشيخ خليل العلاف مطوفاً لهم جميعاً .

٦٠٩- المصدر السابق، ص/٥٠

وفي الساعة الثالثة والنصف من ظهر يوم السبت الخامس من ذي الحجة ١٣٥٦هـ الموافق ٥ فبراير عام ١٩٣٨م رست سفينتهم في ميناء جُدَّة فبدؤوا جميعاً بالتلبية .

جُدَّة بعدسة ذاكرة الشيخ محمود ياسين :

بعد ساعة من ركوبهم السنابيك وصلوا إلى رصيف ميناء جُدَّة. وقدم الرحالة وصفاً للميناء فقال:

وميناء جُدَّة هادئ قد صفا ماء وتلألأ رواء . ويزداد بهاؤه كلما أرسلت الشمس شعاعها الأصيل على سطح مائه الضاحك فتكسبه بريقاً أين منه بريق النجوم وبهاؤه في الليلة الصافية . وكنت كيفما أدرت بصرك تشاهد هذا الماء المتدرج المتثني بنسمات الأصيل الممرعة : خطوط طويلة وأخرى عريضة تشبه في التألق والبهاء وتعدد الألوان قوس قزح .

والميناء في باحة ممتدة واسعة لا يحيط بها البصر إلا من جهة الأبنية التي كلما جد سير الفلك بنا إليها ضحكت لنا ورحبت بنا(٦١٠).

وتحدث الشيخ محمود ياسين عن بعض مساجد جُدَّة وخاصة مسجد (عكاشة) (عكاش) الذي قال عنه إنه أكبر مساجد جُدَّة . وقال إنه دخله بعد استراحة قليلة في محل (أبي زيد) .

وأقول : إن عائلة أبو زيد الكريمة هي من العوائل العريقة في جُدَّة ويشتغل كثير من أفراد هذه الأسرة المعروفة في خدمة حجاج بيت الله الحرام كوكلاء وكان الشيخ محمود أبو زيد —رحمه الله— رئيس هذه الطائفة الكريمة حتى وفاته .

(وكان لآل أبي زيد حوش يسمى حوش أبي زيد تقف مكانه اليوم عمارة الشربتلي بجانب عمارة آل عبدالبديع اليافي المعروفة أمام مسجد عكاش عند تقاطع شارع قابل والخاسكية) .

٦١٠- المصدر السابق، ص ص/٥٠- ٦٧ .

وقد وصف رحالتنا محل أبي زيد فقال: إن هذا المحل يتصدره موظف أمامه منضدة صغيرة، وبجانبه كاتب صغير يكتب في أوراق مطبوعة سندات استلام ثلاث جنيهات إنجليزية وثمانية ريالات سعودية ونصف .

بعد البقاء بعض الوقت في جُدَّة توجه الشيخ محمود ياسين —رحمه الله— هو وصحبه إلى مكة المكرمة بالسيارة . وذكر أن بعض الأطفال كانوا يلوحون لهم وينشدون:

سيدي الحاج ما عكه وربي يوصلك مكة
ومن مكة لبلادك ومن بلادك لأولادك

وقال الرحالة إن الطريق إلى مكة المكرمة :

«كان طويلاً شاقاً وعراً» وقال إنهم لم يصلوا أبواب مكة إلا في الساعة السادسة ليلاً . وقال : إنه لكثرة انخفاض السيارة وارتفاعها أثناء السير تأذى جميع الركاب وتمنى بعضهم لو ركب على دراجة بل تمنى البعض لو مشى هذا الطريق إلى مكة على رجليه .

وبعد وصولهم مكة المكرمة قدم الرحالة وصفاً لها ولبيوتها وللمسجد الحرام وللجبال والوديان وغير ذلك .

ومن مكة ذهب الشيخ محمود ياسين ورفاقه إلى المشاعر المقدسة عند دخول وقت الحج لأداء الفريضة وقدم وصفاً للمشاعر المقدسة ولأركان وواجبات الحج ولمبطلات الإحرام وغير ذلك من الأمور الفقهية الهامة(٦١١).

السفر من مكة إلى المدينة عن طريق جُدَّة:

عاد الشيخ محمود ياسين ورفاقه إلى جُدَّة قادمين من مكة المكرمة يوم الثلاثاء ٢٢ ذي الحجة ١٣٥٦هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٣٨م وقاموا بالتزود بالماء والمؤن في جُدَّة ثم غادروها في طريقهم إلى المدينة المنورة عبر ذهبان فثول ثم صعبر فرابغ وقد واجهتهم صعاب فنية شديدة وتاهوا في الطريق حتى لقيهم بعض العرب فدلوهم

٦١١- المصدر السابق، ص ص/٦٧ — ١٤٢ .

مرة أخرى على الطريق الصحيح .

وتحـدث رحالتنا عن الحبحب (البطيخ) في رابغ وقال إنه عالي الجودة وقال إن رابغ تقع في طريق مليئة بشـجر (الحرمل) الذي كان يراه في طريق جُدَّة مكة إلا أنه في رابغ «ذو لون أخضر رائع يشبه لب الفستق».

ثم غـادروا رابغ في طريقهم إلى المدينة التي وصلوا إليها بعد يومين من مغادرتهم جُدَّة بالسيارة .

وفي المدينة المنورة ذهبوا إلى المسجد النبوي الشريف للصلاة في المسجد وللتشرف بالسلام على صاحبه عليه أفضل الصلاة والسلام . كما قاموا بزيارة لأمير المدينة المنورة تلبية لدعوة منه.

وقد قدم الشـيخ محمود ياسـين وصفاً لكثير من المآثر والمشـاهد التي رآها في المدينة المنورة منها قباء وجبل أُحد وسيدنا حمزة وبعض المشاهد الأخرى.

وفي يـوم الأحد الرابع من محرم عام ١٣٥٨هـ الموافق السـادس من مارس عام ١٩٣٨م غادر الشـيخ محمود ياسـين وصحبه المدينة المنـورة عائدين إلى جُدَّة فوصلـوا إلى رابغ في اليـوم التالي متوجهين منها إلى جُـدَّة التي تحدث عنها مرة أخرى فقال : جُدَّة ميناء الساحل الشرقي للبحر الأحمر، جاء في الرحلة الحجازية للأسـتاذ محمد لبيب البتنوني: جُدَّة واقعة على السـاحل الشـرقي للبحر الأحمر سـكنتها قضاعة قبل الإسلام وفي سنة ست وعشـرين للهجرة في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه اشـتكى له الناس الشـدة التي يعانونها في ميناء مكة الأول (الشعيبة) ويلفظها بعضهم الشعيب وهي الآن (زمن الرحالة رحمه الله) قرية صغيرة على مسافة عشرين كيلومتراً من جنوب جُدَّة فأمر عثمان بجعله ثغراً لمكة بعد أن عاينه بنفسه وسمّوه جُدَّة.

وأقول: إن سـيدنا عثمان أعاد جُدَّة ميناء لمكـة المكرمة كما كانت قبل العام التاسـع من الهجرة[٦١٢]. وأقول أيضاً: إن جُدَّة كانت تسـمى منذ زمن قضاعة

٦١٢- السليمان، سلوى عبدالقادر: جُدة في العصر المملوكي، مصدر سابق، ص/١٧ .

وقبل ذلك بنفس اسمها اليوم، (جُدَّة) .

وتحدث الشيخ محمود ياسين عن اسم جُدَّة وصحة نطقه وكتابته فقال : وفي تهذيب الأسماء واللغات : جُدَّة بضم الجيم وتشديد الدال المهملة بلدة على ساحل البحر بينها وبين مكة مرحلتان . قال العلماء الجُد والجُدَّة شاطيء البحر وبه سميت جُدَّة المدينة المعروفة على ساحل البحر . وفي معجم البكري : جُدة بضم أوله ساحل مكة سميت بذلك لأنها حاضرة البحر . والجُدة من البحر والنهر ما يلي البر، وأصل الجُدة الطريق الممتد[٦١٣]. انتهى .

وعندما عاد الشيخ محمود ياسين إلى جُدَّة قادماً من المدينة المنورة التقى إمام مسجد عكاش في جُدَّة الشيخ عبدالرحمن بن محمد الصغير أبي حجر . كما التقى الصيدلاني الجداوي الشهير الشيخ سعيد تمر والتقى كذلك الشيخ يوسف ياسين ثم ذهب إلى الميناء وركب القارب متوجهاً إلى السفينة (تالودي) وقال إن هذا اسم لبلدة في السودان .

وفي يوم الأحد ١١ محرم ١٣٥٧هـ الموافق ١٣ مارس ١٩٣٨م تحركت الباخرة إلى ينبع حيث مكثوا بها حوالي ساعة ونصف وركب بعض الحجاج الذين قدموا من المدينة المنورة على الجمال إلى ميناء ينبع وكانوا أكثر من مئتين كما قال الرحالة.

ومن ينبع سارت الباخرة عائدة إلى الطور ووصلت هناك يوم الخميس ١٥ محرم ١٣٥٧هـ الموافق ١٧ مارس ١٩٣٨م .

وفي يوم الجمعة ١٦ محرم = ١٨ مارس وصلوا إلى السويس الذي قال عنه إنه «مرسى عظيم تجتمع فيه السفن الكبرى والبواخر المتعددة تؤم كل واحدة جهة من جهات المعمورة».

ومن السويس غادرت الباخرة إلى بورسعيد. التي وصلوا إليها في الساعة الرابعة والنصف ليلاً بعد أن قطعت قناة السويس في حوالي إحدى عشر ساعة تقريباً .

٦١٣- ياسين، محمود: رحلة الحج والعمرة، مصدر سابق، ص/١٤٣ – ١٩٣ .

بحســـب الرحالة . وفي الساعة السادسة والنصف من ليلة السبت أقلعت السفينة من بورســـعيد إلى بيروت التي وصلوا إليها يـــوم الأحد ١٨ محرم ١٣٥٨هـ الموافق ٢٠ مارس ١٩٣٨م، حيث كان في اســـتقبالهم الأهل والأصدقاء وكان من بينهم فضيلة الشـــيخ علي طنطاوي – رحمه الله – وقد ذكر الرحالة أنه كان من ضمن ركاب السفينة الشـــيخ فؤاد حمزة وكيل الخارجية في المملكة العربية السعودية وقال عنه إنه « شاب نبيه كريم الأخلاق» . ومن بيروت عاد الشيخ محمود ياسين إلى مدينة دمشق التي وصل إليها يوم الخميس ٢٢ محرم ١٣٥٧هـ الموافق ٢٤ مارس ١٩٣٨م بعد أن أدى مناسك الحج وزار المسجد النبوي الشريف وحل بميناء جُدَّة في ذهابه وإيابه وتحدث عنه بإسهاب(٦١٤).

٦١٤- المصدر السابق، ص ص/١٩٦ – ٢٢١ .

إيجيرو ناكانو
EIGIRO NAKANO

الياباني ايجيرو ناكونا – المصدر: الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية، ص/٤٣

في عـــام ١٤١٦هـ أصدرت دارة الملك عبدالعزيز ترجمة لكتاب "الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية" من تأليف إيجيرو ناكانو وقامت بتلك الترجمة الســيدة ســارة تاكاهاشي. وقد طُبع الكتاب على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز عندما كان حفظه الله أميراً لمنطقة الرياض .

وذكر المشــرف على دارة الملك عبدالعزيز الدكتور فهد بن عبدالله السماري في المقدمة التي كتبها للكتاب أن أهمية هذه الرحلة اليابانية تأتي من كونها تتناول فترة تاريخية مهمة، وتسجل وقائع زيارة البعثة اليابانية الرسمية إلى المملكة العربية السعودية ومقابلة جلالة الملك عبدالعزيز – رحمه الله – في عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

وقال الســماري أيضاً: إنه يبدو أن من أهداف الرحلة اطلاع الملك عبدالعزيز على وجهة النظر اليابانية بشــأن العلاقات المشتركة السياسية والاقتصادية. وقال الســماري: إنه على الرغم من طبيعة الرحلة السياســية البحتة إلا أن مؤلفها كان

صاحب تجربة في البلاد العربية ومطلعاً على الثقافة العربية مما جعله يدون يوميات هذه الرحلة بأسلوب أدبي رائع .

كما قال السماري: إن الأهمية الأخرى لهذه الرحلة تكمن في كونها تقدم وجهة نظر أخرى تختلف عن وجهات النظر السائدة —خصوصاً الأوربية— عن المنطقة، مما يسهم في إثراء المصادر التاريخية من حيث تنوعها وتعددها . واستطرد السماري قائلاً: إن الإضافة الأخرى لهذه الرحلة تتمثل في وجود عدد كبير من الصور الفوتوغرافية التي التقطها المؤلف أثناء الرحلة[٦١٥].

وفي مقدمتها للكتاب قالت مترجمته سارة تاكاهاشي : إن المؤلف إيجيرو ناكانو (EIGIRO NAKANO) كتب كتاب "يوميات رحلة إلى الجزيرة العربية" باللغة اليابانية بعد عودته من المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، ونُشر الكتاب أولاً في حلقات بدءاً من رمضان ١٣٥٨هـ/نوفمبر ١٩٣٩م وحتى محرم ١٣٦٠هـ/فبراير ١٩٤١م في مجلة كايكوسيكاي (KAIKYO SEKAI) أي (مجلة العالم الإسلامي)، ثم صدر الكتاب في شعبان ١٣٦٠هـ/٢٢ سبتمبر ١٩٤١م في طوكيو باليابان .

وبينت تاكاهاشي أن حكومة المملكة العربية السعودية كانت قد قدمت دعوة إلى المسؤولين في الحكومة اليابانية لزيارة الرياض، ونقل الدعوة الشيخ حافظ وهبة سفير جلالة الملك عبدالعزيز —يرحمه الله— في بريطانيا، تقديراً لما قدمته الحكومة اليابانية من مساعدة في إنشاء مسجد طوكيو عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

وتلبيةً لهذه الدعوة أرسلت الحكومة اليابانية إلى الرياض الوزير الياباني المفوض في سفارة اليابان بالقاهرة، على رأس وفد ضم مؤلف الكتاب "إيجيرو ناكانو"، وتُعد هذه أول زيارة رسمية يقوم بها مسؤولون في الخارجية اليابانية إلى المملكة العربية السعودية .

وذكرت مترجمة الكتاب أن الكاتب تخرج في جامعة أوسكا للغات الأجنبية، قسم اللغة الألمانية، والتحق بالعمل في وزارة الخارجية سنة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م، ثم

٦١٥- ناكانو، إيجيرو : الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ص /ز — ح .

اعضاء الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية مع امير الدوادمي سعيّد الفيصل امام قصر الدوادمي.بعدسة ايجيرو ناكانو ١٩٣٩م – المصدر: الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية، ص/٦٣

سافر إلى القاهرة، وأقام فيها سبع سنوات درس خلالها في الأزهر وفي جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) . وذكرت تاكاهاشـــي أنه يقـال : إن ناكانو عمل أستاذاً بجامعة أوساكا للغات الأجنبية .

وقالت مترجمة الكتاب إنها في أثناء ترجمتها للكتاب لاحظت أن علاقة الكاتب بالإســـلام وثيقة، وهي أعمق من أن تكون علاقة ثقافية فقط، وإن لم يعلن عن هذا في كتابه صراحة(٦١٦).

وأقــول: إنه يظهر جلياً من كتابه قيــد البحث أن الرحالة الياباني إيجيرو ناكانو الذي ربما كان قد أسلم، كان متعلقاً بالثقافة العربية والأدب العربي خاصةً والشعر الجاهلي عامةً وشــعراء المعلقات خاصةً وامرؤ القيس بشــكل أخص. كما يُظهر الكتاب حب هذا الرحالة الياباني للصحراء العربية .

وظهر افتتان ناكانو بالصحراء العربية وأهلها جلياً عند حديثه عن سوق عكاظ

٦١٦- المصدر السابق، ص ص/ط – ي .

وعن امرؤ القيس وغيره مـــن أصحاب المعلقات بطريقة تُظهر عُمق ثقافته العربية في كتابه المشار إليه .

وقد بين ناكانو أنه درس الأدب العربي على يد الأديب العربي الكبير الأســتاذ الدكتور طه حســين وقال: إنه تأثر كثيراً بالشــعر الجاهلي الرائع، وقال ناكانو: "والآن أرى كل شــيء أمــام عيني، بقايا خلفية هذا الشــعر الذي نظمه أولئك الشعراء الذين قدموا من أواسط نجد، ومن بلاد طيء شمالي نجد، ومن البحرين إلى هذه المنطقة التي أشــاهدها أمامي، كانت الرحلة خطره بالنسبة لهم، لكن رغبتهم في أن تكون أشــعارهم معلقة على جــدار الكعبة المعظمة كانت هي الدافع وراء هذه المعاناة للوصول إلى هذا المكان، وكانت العاطفة القوية هي أســاس حياتهم البدوية في تلك الفترة، لقد تعجبت كثيراً ففي هذا الشــعر يمكنهم أن يعبروا عن أحاسيســهم بتعبيرات متنوعة ومتفرقة مستخدمين كلمات ومفردات تحمل معاني مختلفــة وظــلالاً متباينة، يقولون ذلك في حرية مطلقة، ومما يؤســف له أن أدباء أوروبا ينتقدون هذه الأشــعار وأعتقد أن السبب هو عدم فهمهم لمعاني كلمات الشعر العربي"(٦١٧).

وقــد تحدث رحالتنا عن الشــاعر العربي امرؤ القيس بتوســع وذكر قصته عند سماعه بموت أبيه وطلبه للمســاعدة من ملك روما يوســتيانوس قبل رحلة عودته إلى موطنــه في الجزيرة العربيــة التي لم يكملها لأن امرؤ القيس وكما قال الرحالة : "مرض ومات في أنقرة"

وبين ناكانو أنه درس الكثير عن شعر امرؤ القيس على يد الدكتور طه حسين، وقال: إنه لا يزال يذكر الكثير من أشعاره الرائعة .

وذكر ناكانو أن اسم امرؤ القيس اشتهر بين المؤرخين الرومان وقال:

"وشــعره يمكن أن نجده في جميع كتب الأدب إذ لا يخلو كتاب من ذكر اسمه، ولقد عرفت من قبل أين وُلد، كُنت أُدرك أنه وُلد في وسط نجد، وُلد في واد مملوء بأشــجار النخيل، غــير أنني لم أكن أعرف أن هذه الواحــة في صحراء النفود .

٦١٧- ناكانو، إيجيرو : الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ص/١٩-٢٠.

صورة نادرة توثق أول زيارة لمسؤولين يابانيين إلى المملكة العربية السعودية
– المصدر: www.akhbaar24.argaam.com

وحين كان امرؤ القيس صغيراً، كان والده له سلطة كبيرة في هذه المنطقة. لاشك في هذا، مكان ساحر، ومنظر رائع، الخضرة الجميلة، خضرة المكان كله، وخضرة أشجار النخيل[٦١٨].

وأقول : لاشك أن ما ذكره ناكانو عن هؤلاء الشعراء العرب وقصائدهم ومعلقاتهم يدل على عمق ثقافته العربية وتعلقه بآداب لغة الضاد ومعرفته العميقة لها مما كان له الأثر الأكبر على الأسلوب الأدبي الرائع الذي دون فيه الرحالة يومياته .

ويحكي الرحالة إيجيرو ناكانو في كتابه قصة وأسباب سفر الوفد الياباني – الذي كان عضواً فيه – إلى المملكة العربية السعودية فيقول :

"في مايو ١٩٣٨م (السنة الثالثة عشر من التقويم الياباني شوا) زار الشيخ

٦١٨- المصدر السابق، ص ص/٦٢ – ٦٣ .

حافظ وهبة (سفير السعودية في بريطانيا) اليابان لحضور حفل افتتاح مسجد طوكيو الذي بُني في منطقة (يويوغي)، وحث الشيخ وهبة وزارة الخارجية اليابانية على إرسال وفد ياباني إلى المملكة العربية السعودية، لدعم الروابط بين البلدين، فلبت وزارة الخارجية اليابانية الدعوة، وأرسلت وفداً يتكون من السيد ماسويوكي يوكاياما الوزير المفوض في سفارة اليابان في مصر، والسيد تومو يوشي ميتسوتشي، وكان مهندساً بوزراة شؤون الصناعة والتجارة الدولية، وكاتب هذه السطور إيجيرو ناكانو، وكنت أعمل آنذاك في السفارة اليابانية في القاهرة"(٦١٩).

ويحدد الكاتب زمن وصولهم إلى المملكة العربية السعودية ونقطة دخولهم إلى أراضيهما وسفرهم إلى عاصمتها الرياض فيقول :

«وصلنا إلى مدينة جُدَّة في الرابع من صفر ١٣٥٨هـ (السادس والعشرين من مارس ١٩٣٩م)، وفي الواحد والثلاثين من مارس بلغنا مدينة الرياض، حيث قطعنا الطريق وسط الجزيرة العربية بالسيارة، وبقينا في الرياض عشرة أيام، ويتحدث هذا الكتاب عن مشاهداتنا في الأيام العشرة التي أمضيناها في الرياض والأيام التي قضيناها في رحلتنا في قلب الجزيرة العربية».

ويقول ناكانو: إن تلك كانت أول مرة يزور فيها ياباني هذه المنطقة .

وأقول: لعل ناكانو كان يقصد أن هذه أول مرة يزور فيها وفد ياباني المملكة العربية السعودية أو أنه يعني أنها أول مرة يزور فيها ياباني مدينة الرياض أو القرى والمدن التي تقع في الطريق إليها، لأن الرحالة الياباني المسلم تناكا إيبيه كان قد أدى فريضة الحج قبل ذلك في عام ١٩٢٤م وكتب عن رحلة حجه تلك كتاباً قام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بترجمته ضمن إصدار للمركز باسم: (تناكا إيبيه.. رائد الدراسات الإسلامية في اليابان ورحلاته إلى الجزيرة العربية وبلدان اسيا).

وأقول أيضاً: إن تناكا إيبيه كان ثاني ياباني يؤدي فريضة الحج بعد الياباني كوتارو ياماوكا الذي أسلم في عهد الامبراطور ميجي (١٨٦٨م – ١٩١٢م)،

٦١٩- المصدر السابق، ص/م .

وكان ياماوكا أول ياباني يؤدي فريضة الحج(٦٢٠).

ويصف الرحالة إيجيرو ناكانو وقائع وصوله هو وبقية أفراد الوفد إلى جُدَّة فيقول:

«وصلنا نحن الأربعة: السيد يوكوياما ، والسيد ميتسوشي، ومساعد السيد يوكوياما، وكاتب هذه السطور (ناكانو) إلى مدينة جُدَّة، صباح يوم ٢٦ مارس ١٩٣٩م كانت الحرارة ٣٢,٢ درجة مئوية، وعند نقطة تقع على بعد ميل من الشاطئ كان علينا أن ننتقل إلى "يخت" صغير تاركين السفينة التي أقلتنا إلى الميناء، نظراً لوجود شعب مرجانية كثيرة تكونت في البحر الأحمر منذ القدم، ودفعني الفضول إلى أن أسأل الرجل الذي كان يقود اليخت الصغير عن سبب ترك هذه الشعب المرجانية في البحر هكذا، سألته: لماذا لا تنظفون المنطقة، وتقيمون ميناء طيبا هنا يخلو من المخاطر التي قد تتعرض لها السفن؟ فأجاب قائلا: "إنها الرغبة في الحفاظ على البلاد من خطر السفن المعادية التي لا يمكنها أن تمر من فوق هذه الشعب المرجانية لأن العمق لا يتجاوز المتر وربع المتر تقريباً»(٦٢١).

وأقول: إنه من المعروف أن ميناء جُدَّة قد أصبح اليوم ميناءً رئيساً بمواصفات عالمية وأصبح يضاهي أكبر موانئ العالم، ورصيفه يخدم عدة سفن في آن واحد.

وبالعودة إلى وصف ناكانو لوصوله هو وزملاؤه إلى ميناء جُدَّة نجده يقول: «واقتربنا من مبنى الجمرك، وكان اليخت الذي نركبه يديره رجل عربي يرتدي «العقال» و«الغترة»، وكان هناك بعض الأمتعة القليلة ومساعد واحد، ونادراً ما كان الرجلان يتبادلان الحديث معاً، ولم نكن نشعر بأية ضوضاء بل هدوء، وهدوء»(٦٢٢).

وقد قدم لنا الرحالة ناكانو في كتابه وصفا لمدينة جُدَّة ولمينائها وعدد سكانها ولمقبرة أمنا حواء زمن زيارته لها قال فيه: استقبلنا قائم مقام مدينة جُدَّة، ورئيس الشرطة ومدير شركة مصر (للملاحة) (لأنهم جاءوا من مصر على متن باخرة

٦٢٠- تناكا ابيبه رائد الدراسات الإسلامية في اليابان ورحلاته الى الجزيرة العربية وبلدان اسيا، مصدر سابق، ص/٢١.
٦٢١- ناكانو، إيجيرو: الرحلة اليابانية الى الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص/١ .
٦٢٢- المصدر السابق، ص/١ .

مصرية)، واستعرضنا حرس الشرف ورحب بنا الجنود، ولأنني عشت في مصر حوالي سبع سنوات فقد كان انطباعي الأول عن مدينة جُدَّة طيباً . كانت المدينة هادئة بعد انتهاء موسم الحج، وفيها شاهدنا مكتب الجمارك، ومقر فرع وزارة المالية، ووزارة الخارجية، وتقع كلها وسط المدينة . كما شاهدنا مكتب البريد والسوق . ولفتت انتباهنا البيوت العالية التي شيدت من الحجارة والخشب، واصطفت على جنبات الطريق الذي كنا نمر به.

رأينا في مكتب الجمارك ما يقرب من خمسين أو ستين موظفاً وعاملاً، يحملون الملابس والبضائع والحاجات اليومية وما شابه ذلك، إلى منطقة نجد، وكان الفندق الذي أقمنا فيه —ويسمى فندق مصر— رائعا ممتازاً .

ويكمل رحالتنا قائلاً :

شعرنا بارتفاع نسبة الرطوبة في الجو، وسمعنا أن أمراضاً عديدة مثل الملاريا والدوسنتاريا والكوليرا قد تفشت في موسم الحج ، وقد خضعنا قبل ذلك لفحص دقيق جداً لإثبات خلونا من هذه الأمراض، وذلك في الحجر الصحي في جبل الطور في شبه جزيرة سيناء .

ثم يقول ناكانو :

وعدد السكان في جُدَّة ٢٥ ألف نسمة بمن فيها من أجانب، ويقال: إن عدد الأجانب فيها، ستون أوربياً وأمريكياً، وخمس أوست منهم من النساء .

ثم يتحدث الرحالة عن مقبرة أمنا حواء فيقول: قيل لنا إن قبر "حواء" يقع هنا بالقرب من منزل فيلبي، لكن لم نعثر له على أثر يذكر، وشعرنا أن المكان قد تعرض لتقلبات الزمان، وتغير فيه كل شيء وسط هذه المنطقة الصحراوية، وكان من الصعب الاعتقاد بأن هذه المنطقة كانت من أكثر مناطق العالم تقدماً وازدحاماً بالسكان في العصر الجليدي الرابع(هكذا)[٦٢٣].

وقد ضمَّن ناكانو في كتابه عن رحلته بعض الصور النادرة لجُدَّة وميناءها وبعض

٦٢٣- المصدر السابق، ص/٣ .

المناطق القريبة من المدينة مثل بحرة وغيرها وكذلك بعض الصور لمناطق أخرى من المملكة العربية السعودية مما أضاف الكثير إلى قيمة الكتاب .

وأقول : يعتبر هذا الوصف ذا أهمية خاصة لأنه جاء من وجهة نظر يابانية هي فقط الثانية بعد وصف الياباني تناكا ايبيه لجُدَّة .

وأقول كذلك : إنه من المعروف اليوم أن مقبرة حواء تقع في شمال شرق جُدَّة القديمة خارج سور المدينة بينما كان بيت فيلبي يقع في غرب جُدَّة القديمة، داخل السور قرب الكنداسة (محطة تحلية مياة البحر قديماً)، وربما كان ذلك هو السبب في أنهم لم يتعرفوا على موقع مقبرة أمنا حواء خاصةً أنَّ الوفد الياباني لم يمكث في جُدَّة إلا يوماً وليلة ولعله لذلك لم يتمكن أعضاؤه من معرفة موقع المقبرة في تلك العجالة .

كما أقول: ربما كانت زيارته لجُدَّة بعد إزالة القباب عن قبر أمنا حواء وتسويتها بالأرض ولهذا لم يشاهده .

وفي اليوم الثاني لوصولهم جُدَّة (السابع والعشرين من مارس ١٩٣٩م) غادر ناكانو وبقية الوفد الياباني مدينة جُدَّة عن طريق البر متوجهين إلى عاصمة المملكة العربية السعودية الرياض لزيارتها والتشرف بمقابلة جلالة الملك عبدالعزيز – رحمه الله– في رحلة استغرقت خمسة أيام وكان خط سيرهم يمر ببحرة والجعرانة والسيل، فعشيرة، ومنها إلى الموية، ثم الدفينة وعفيف، ثم القاعية فالدوادمي .

بعد مغادرتهم الدوادمي التي أقام لهم فيها أميرها حفلاً واستقبلهم في قصر الإمارة، استكمل الوفد الياباني الرحلة إلى الرياض، ومروا بخف، ثم وصلوا إلى مشارف صحراء النفود وأصبحوا بالقرب من (واحة مرات) الخضراء وشاهدوا قرية (مرات) التي قال الرحالة: "إنها محاطة بأشجار النخيل بشكل جميل "ليس عندي كلمات تصلح لوصف هذا المشهد" .

وعوداً إلى خط سير الوفد الياباني فإنهم بعد مغادرتهم مرات، وواحة مرات ثم الجبيلة، وصلوا مدينة الرياض وأقاموا فيها ضيوفاً على حكومة المملكة العربية السعودية في قصر البديعة الذي قال عنه ناكانو: "إنه المكان الذي عُقد فيه أول

لقاء على مستوى المسؤلين في الخارجية اليابانية والخارجية السعودية".

وفي اليوم التالي لوصولهم الرياض (الأول من إبريل ١٩٣٩م) تشرف الوفد الياباني بمقابلة الملك عبدالعزيز آل سعود –رحمه الله– وقال ناكانو: إن الملك قابلهم ورحب فيهم أحسن ترحيب . كما التقوا في اليوم التالي بولي العهد آنذاك الملك سعود بن عبدالعزيز –رحمه الله–.

وفي الأيام التالية تابع الوفد الياباني لقاءاته مع المسؤلين السعوديين.وبعد عشرة أيام قضوها في عاصمة المملكة العربية السعودية غادر ناكانو وبقية الوفد الياباني مدينة الرياض في التاسع من إبريل ١٩٣٩م متوجهين إلى البحرين عن طريق البر بعد رحلة شيقة ولقاءات دبلوماسية ناجحة مع المسؤولين في حكومة المملكة العربية السعودية(٦٢٤).

٦٢٤– المصدر السابق، ص ص/٦-١٤٤ .

محمد لطفي جمعة

الكاتب المصري محمد لطفي جمعة – المصدر: المفكر الموسوعي محمد لطفي جمعة حياته وأراؤه الاصلاحية

قام الرحالة والأديب المحامي المصري الأستاذ محمد لطفي جمعة برحلة حج إلى الديار المقدسة، بدأها بالقدوم إلى جُدَّة في طريقه لمكة المكرمة والمدينة المنورة . وقد كتب كتاباً قيماً عن رحلته تلك، سنلقي بعض الضوء على ما جاء فيه بعد أن نترجم لحياته رحمه الله.

ترجمة حياة محمد لطفي جمعة:

يقدم الأستاذ خير الدين الزركلي في قاموس تراجم «الأعلام» ترجمة للأستاذ محمد لطفي جمعة يقول فيها :

محمد لطفي جُمعة (١٣٠٣هـ - ١٣٧٢هـ = ١٨٨٦م – ١٩٥٣م)، محمد لطفي ابن الشيخ جمعة بن أبي الخير الإسكندري، من أصل عربي: محام، من كبار الكتاب والخطباء والمترجمين . من أعضاء المجمع العلمي العربي . يجيد الفرنسية والإنجليزية وله إلمام بلغات أخرى . ولد ونشأ بالإسكندرية، وأحرز إجازة الحقوق (سنة ١٩١٠) في فرنسا وسكن القاهرة فعمل في الصحافة وافتتح مكتباً

للمحامـــاة، وتوفي بها . كتب كثيراً في صحف «المؤيد» و «الظاهر» و «البلاغ» اليومية، والأسبوعية . وترجم إلى العربية كتاب «الأمير – ط» و «الحكمة المشرقية – ط» و «حكم نابليون – ط» و «ليالي الروح الحائر – ط» و «مائدة أفلاطون – ط» وقصصاً نشـــرتها مجلة «مسامرات الشعب» وألف كتباً، منها «تاريخ فلاســـفة الإسلام في المشرق والمغرب – ط» و «الشهاب الراصد – ط» في نقد كتاب الشـــعر الجاهلي لطه حســـين، و «بين الأسد الإفريقي والنمر الإيطالي – ط» و «محاضـــرات في تاريخ المبادئ الاقتصادية والنظامات الأوربية – ط» الجزء الأول منه، و «ثورة الإســـلام وبطل الأنبياء أبو القاســـم محمد بن عبدالله – ط» المجلد الأول منه، ولا يزال الثاني مخطوطاً، و «حياة الشرق: دوله وشعوبه وماضيه وحاضره – ط» و «الحلاج – خ»[٦٢٥].

قام الأســـتاذ محمد لطفي جمعة برحلة حج إلى الديار المقدسة في عام ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م. وسجل وقائع رحلته في كتاب أسماه (الأيام المبرورة في البقاع المقدسة – رحلة الحج والزيارة إلى الأراضي الحجازية في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود).

وقد قام رابح لطفي جمعة بتحقيق ومراجعة الكتاب . وفي مقدمته يقول المحقق :

«لقد كانت هذه الرحلة بهدف تأدية فريضة الحج في المقام الأول، واســـتكمال المؤلـــف لمباحثه التاريخية والجغرافية والدينية في الســـيرة النبوية، بعد أن طبع ســـنة ١٩٣٩م الجزء الأول من كتابه عن تاريخ النبي «ثورة الإســـلام وبطل الأنبياء أبو القاســـم محمد بن عبدالله» وكذلك مشـــاهدة الأماكن والبقاع التي ورد ذكرها في كتب الســـيرة، للحديث عنها حديث من رأى بعينه وخبر بنفســـه وانفعل بقلبه ووجدانه» .

ويقدم رابح جمعة نبذة عن كتاب محمد لطفي جمعة فيقول: «وقد وصف المؤلف في رحلته تلك مناسك الحج وشعائره منذ الوصول إلى مكة المكرمة ثم زيارة المدينة المنورة على ســـاكنها أفضل الصلاة وأزكى الســـلام، وســـجل انطباعاته وخواطره وانفعالاته النفســـية والعقلية والروحية عن كل بقعة مـــن تلك البقاع ولدى القيام

٦٢٥- الزركلـــي، خير الدين: الأعلام، الجزء الســـابع، الطبعـــة الثامنة، دار العلم للملايين، بـــيروت، (١٩٨٩م)، ص ص/١٥-١٦ .

بكل شعيرة من شعائر الحج وبيان حكمتها والمقصود منها» .

ويبين المحقق أن المؤلف سجل لقاءاته بالملك عبدالعزيز ونائبه الأمير (الملك) فيصل – رحمهما الله – واستقبالهما له وشمولهما إياه باللطف وأحاديثهما معه بالقصر «وخاصة حديث الملك الودود عن العلاقة بين مصر والحجاز وبين الشعبين المصري والسعودي».

ويقول المحقق أيضاً : كذلك تحدث (المؤلف) عن حضوره الولائم والمآدب التي أقامها الملك لكبار المدعوين من زوار بيت الله الحرام بقصر المعابدة والقصر العالي، وأثبت الكلمات التي ألقاها الملك في الحاضرين .

ثم يقول المحقق إن المؤلف وصف في رحلته قدوم الملك (عبدالعزيز آل سعود) إلى مكة لتأدية فريضة الحج مع أنجاله الأمراء ووزرائه ورجال حاشيته وخروج الشعب وأعيان جُدَّة والطائف ومكة للقائه، ثم طوافة طواف القدوم بالكعبة وسعيه في ضوء المشاعل بين الصفا والمروة، فكان كما يقول المؤلف: أرفع الطائفين والساعين قامة وأكبرهم هامة وأكثرهم جلالاً وهيبة، ولكنه من التواضع لله والشعور بعظمته سبحانه وتعالى بحيث يجمع بين روعة الإيمان وسكينة الخشوع، فكان هذا المنظر بالغاً غاية الجمال والكمال مع بساطته التي لا حد لها .

ويقول المحقق إن المؤلف التقى أيضاً الأمير مساعد بن عبدالرحمن شقيق الملك عبدالعزيز –رحمهما الله– والتقى أيضاً بالشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ قاضي القضاة .

وذكر المحقق أن المؤلف لم يفته أن يتحدث في رحلته عن الكثير من مظاهر الحياة الفكرية والثقافية والأدبية في المملكة العربية السعودية على عهد الملك عبدالعزيز، فتكلم عن لقاءاته بالعديد من أدباء السعودية وكتابها وشعرائها سواء في مكة أو المدينة أو جُدَّة.

ويبين المحقق أن المؤلف أورد في رحلته الكثير عن الأخلاق والعادات والتقاليد التي شاهدها واسترعت انتباهه، كما تحدث عن مظاهر النهضة الحديثة التي وصلت إليها المملكة في مختلف النواحي في عهد الملك عبدالعزيز، كما تحدث عن

أهل مكة ووصفهم بأنهم ألطف خلق الله وأحسنهم خلقاً، وتكلم عن عنايتهم بالكتب والأدب وتنافسهم في إكرام الضيف وبذلهم كل ما في وسعهم في إرضاء الحجيج .

وذكر المحقق أن مؤلف الرحلة عقب عودته إلى مصر ألقى محاضرة سنة ١٩٤١م بقبة الغوري بالقاهرة تحدث فيها عن رحلته لأداء فريضة الحج، وعندما زار الملك عبدالعزيز مصر سنة ١٩٤٥م كتب جمعة مقالاً بجريدة الدستور تحدث فيه حديثاً ضافياً عن تلك الزيارة، كما تحدث عن أعمال الملك عبدالعزيز في تأمين الطرق إلى بيت الله الحرام، ونشر العدل والرحمة، والنهوض بالبلاد في جميع النواحي .

ويقول المحقق: لقد كتب المؤلف رحلته تلك بأسلوب شيق وسرد ممتع وأورد فيها الكثير من التاريخ والأدب والاجتماع والحكمة .. لذا فالرحلة في نظر محققها تكتسب أهميتها الخاصة إذ تعتبر «من المصادر التاريخية الهامة في تاريخ المملكة العربية السعودية على عهد الملك عبدالعزيز»[٦٢٦].

خط سير رحلة محمد لطفي جمعة

سافر رحالتنا من القاهرة إلى السويس بالقطار ووصل إلى السويس يوم الأربعاء ٢٥ ديسمبر ١٩٤٠م ومنها أبحر على متن الباخرة كوثر في ظهر الخميس ٢٦ ديسمبر ١٩٤٠م متوجهاً إلى جُدَّة في رحلة قيل له أنها تستغرق حوالي أربعين ساعة تمر خلالها بمحاذاة رابغ التي اقتربوا منها في اليوم الثالث من مسيرتهم فجر السبت ٢٨ ديسمبر فأحرموا هناك .

وذكر الرحالة أن رابغ هو ثلث الطريق الصحراوي إلى المدينة المنورة على عرض ٢٢ درجة و ٢٨ دقيقة وطول ٢٨ درجة و ٥٨ دقيقة «بينه وبين جُدَّة مائة ميل وتسعة» .

وقدم «جمعة» وصفاً للإحرام وشروطه ثم قال :

٦٢٦- جمعة، محمد لطفي: الأيام المبرورة في البقاع المقدسة، تحقيق رابح جمعة، عالم الكتاب، القاهرة، (١٩٩٩م)، ص/ج .

«بالإحرام تغيرت حياة الباخرة، فلم يعد أحد إلى لغو الحديث أو جدال. وحتى تحية السلام حل محلها هذه التلبية السعيدة. وقد تحققت فكرة المساواة التامة بين الفقراء والأغنياء وستر الله عورة التفاوت بين عبيده. بذلك البياض السابغ الذي لبسناه جميعاً منذ حاذينا ثغر رابغ» (٦٢٧).

معالم جُدَّة :

يصف الرحالة محمد لطفي جمعة وصول باخرتهم قرب جُدَّة فيقول :

لم يعد بيننا وبين جُدَّة إلا مسافة قصيرة تُقطع في يوم واحد، فيحق دخولنا بعد عصر السبت ٢٨، ولكن الباخرة تلكأت واستدارت ولفت وحادت لأسباب لدينا مجهولة، وكان الظن أنها كلما أسرعت كان أقرب إلى السلامة وأوفر لها في النفقة، ولكنهم زعموا أن النزول في جُدَّة لا يحسن آخر النهار مع أن معالم جُدَّة بدت لنا صباح السبت واضحة وظهرت سلسلة جبال الحجاز أولاً كالضباب البعيد ثم كالسحاب ثم تجلت بألوان البنفسج واللازورد والفيروز والياقوت الأزرق والأحمر الوردي . وأمواج البحر نفسها ظهرت بألوان لا تقل جمالاً عن ألوان الجبال، فهي بيضاء ناصعة ثم زرقاء سماوية فخضراء زمردية فحمراء مرجانية بألوان الشعب والمعادن والحجارة، ولا أظن في المحيطات الخمسة والبحار السبعة ألوان تعدل ألوان البحر الأحمر عند جُدَّة .

بدت في الصباح جبال الحجاز للعين المجردة فارتفعت الأصوات بالتهليل والتكبير والتسبيح وخالط الهيبة والخشوع بالقدوم إلى البيت الحرام الفرح والابتهاج بالوصول إلى أطهر بقعة وأقدس حرام .

فلما أرادت الباخرة أن تتمهل وتماطل شعرنا بهزات وشبه دوار وزاد أرقنا في الليل وقلقنا في النهار، ولكنا كنا منهمكين في التلبية والصلاة فلم نبال بما نعانيه ولم أر عبادة أو صناعة أو سياحة أو تجارة تفرغ قلب صاحبها من كل ما يعنيه في الحياة كهذه العبادة التي تستغرق القوي وتهضم الرغبات وتجب الشهوات وتصرف النفس عن كل ما عداها وهذا دليل صدقها وعصمتها وحق الدعوة إليها .

٦٢٧- المصدر السابق، ص ص/٣٥ – ٤٧ .

ثم استطرد جمعة قائلاً :

قضينا ليلة السبت ونحن على أشد ما نكون شوقاً وأضجر ما نكون من تلكؤ الباخرة (٦٢٨).

جُدَّة بعدسة ذاكرة محمد لطفي جمعة :

يقول رحالتنا إن باخرتهم ألقت مراسيها في صبح يوم الأحد ١٩٤٠/١٢/٢٩م على بعد أميال من جُدَّة الذي قال إنها بدت كالحلم الأبيض طولاً وعرضاً وارتفاعاً .

ويبين إنه بعد توقف الباخرة قدمت عدة سنابيك إليها وكذلك اللنشات والشراعيات ذات المداخن والأجنحة والساريات، وتسلقت الباخرة فرقة من الحمالين والبحارة والمطوفين والسماسرة ورجال الحكومة والأطباء والقناصل والشرطة ووكلاء الشركات الأجنبية والتجار والأصدقاء وغيرهم .

وقال جمعة إن الباخرة « لم تلق مراسيها على هذا البعد إلا لقلة عمق الماء وانتشار الشعب في جوار الميناء حتى إن بعض البواخر ليحدوها الشوق فتعانق شعباً عناقاً يطول أو يقصر تبعاً لتوفيق المسافرين، وفي الميناء باخرة غرقت بعد أن احترقت».

ويتحدث جمعة في كتابه عن اسم جُدَّة وتاريخها فيقول : واسمها جُدَّة بالضم الطريق الممتد وبالكسر اليمن والسعادة وبالفتح الطريق الواسعة، وكلها أسماء صحيحة لأنها طريق فسيحة تؤدي إلى اليمن والسعادة، ولا أعرف من تاريخها شيئاً غير أن النبي صلى الله عليه وسلم رعى غنماً بينها وبين مكة وأن قضاعة سكنتها وأن الذي جعلها ثغراً حكومة الإسلام في خلافة عثمان (رضي الله عنه)، وهي ميناء مكة كما أن ينبع الماء (البحر) ميناء المدينة و رابغ بين الاثنين، ومن شعبها المرجان واليسر، ومن نبات مائها العندم أو دم الأخوة، ولعل البحر الأحمر اكتسب اسمه من انتشار هذا اللون بمائه، وكثير من أهل جُدَّة يحبون اللون

٦٢٨- المصدر السابق، ص ص/٥٠ – ٥٢ .

الأحمر، وقد استعصى هذا الميناء على أسطول البرتغال في نصف القرن العاشر الهجري، ومنازلها عالية كمكة والمدينة ذات سقوف عالية ونوافذ كبيرة ومشربيات و رواشين وزينتها الخشب المنقور، ولو طليت بلون الجوز لعادت كقصور المماليك التي تقلدها في العمارات الشبيهة بالعربية (أرابيسك) .

ثم يبين جمعة أنهم التقوا قنصل مصر، وحكام المدينة وأعيانها الذين «رحبوا بنا ثم أسلمونا إلى طائفة المطوفين الذين جلسوا صفين على سرر متقابلين يسألون كل حاج في رفق عن اسم مطوفه ويعرضون عليه خدمتهم».

ويصف جمعة رجال الجمرك الذين يقول عنهم :

«ثم يلقاك عمال الجمرك وهم سادة ظرفاء ذوو عمائم وقفاطين، ففاحص الجواز، فحمالو البر، ثم تخرج إلى الشوارع..»

وبعد الانتهاء من إجراءات الوصول في الميناء ذهب الرحالة محمد لطفي جمعة إلى الفندق الذي سينزل فيه، وقدم وصفاً لهذا الفندق فقال :

وسرنا إلى فندق الحكومة السعودية بجُدَّة وهو قصر قديم مظهره لا يدل على حقيقته، فإن بداخله غرفاً فسيحة كالتي ما تزال تجدها في سوق السلاح وفي القلعة ذات ليوان وصفة ورواشن وسقف عال وأركان هادئة مفروشة بالسجاد الفاخر والأسرة الثمينة النظيفة.

وتحدث جمعة عن شح الماء في جُدَّة وعدم جودة طعمه آنذاك وقال عن ماء الكنداسة إنه «معدني» وذكر أن الماء في جُدَّة محفوظ في صهاريج كصهريج السيد البدوي .

أسواق جُدَّة :

تحدث جمعة عن أسواق مدينة جُدَّة ووصفها وذكر البضائع التي وجدها فيها، فقال عن زيارته تلك :

وقد سرنا عصراً في أسواقها فرأينا الأصداف واللؤلؤ والمرجان والأقمشة والعطور

والجلود، والأنماط والسجاجيد وبضائع الهند واليابان ومصر والشام والحبوب والثمار والمصوغ من الفضة والذهب، وبها بعض الخانات للروم والأوربيين الذين يقطنونها، وهي المدينة الوحيدة التي يدخلها الفرنجة ولا نفوذ لهم فيها، وفيها مساجد جميلة ودور شاهقة وسلالمها مذمومة لارتفاع الدرج وضيقه، وأجمل قصورها في حي البنوك والقناصل لهولاندا وروسيا وإنجلترا وفرنسا (يقصد حارة الشام – المؤلف)، وبها حدائق وطنف وستور من الحبائل لمنع الذباب والبعوض وعلى أبوابها الخدم وفيها النور الكهربائي والمذياع، وابتنى بعض التجار من آل زينل قصراً فخماً على شاطئ البحر يلقاك عند دخولك جُدَّة من مكة أو المدينة (٦٢٩).

بيت الأفندي نصيف :

وتحدث رحالتنا عن دار آل نصيف الشهيرة بسوق العلوي بجُدَّة وتحدث عن وجيه جُدَّة الأفندي محمد نصيف – رحمه الله – (وهو جد (والد والد) معالي الدكتور عبدالله عمر نصيف أحد وجهاء جُدَّة اليوم والمدير السابق لجامعة الملك عبدالعزيز بجُدَّة ونائب سابق لرئيس مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية)، فقال جمعة عن هذه الدار الشهيرة:

وأكرم بيت فيها وأفخمه وأعلمه وأرحبه بيت الأفندي نصيف، عليم البلد وغطريفها وحجتها في العلم والدين والأدب والاجتماع والتاريخ، ودرجه سهل هين يصعد عليه الفارس بجواده فلا يجد حرجاً، وبه مكتبه خاصة تحوي عشرين ألف كتاب من نفائس المطبوع والمخطوط، وهو مفتوح على مصراعيه لكل ضيف، وتعقد به مجالس الأدب والسمر في كل ليلة(٦٣٠).

العملات المستخدمة في جُدَّة زمن زيارة جمعة لها :

ولما عاد جمعة إلى الأسواق في جُدَّة في زيارة أخرى توسع في وصف هذه الأسواق وقال إنها طويلة عريضة مسقفة . كما تحدث عن النقود والعملات التي كانت تستخدم من قبل تجار جُدَّة وأهلها آنذاك فقال : ونقودهم الروبية والريال

٦٢٩- المصدر السابق، ص ص/٥٢ – ٥٥ .

٦٣٠- المصدر السابق، ص/٥٥ .

السعودي والجنية المصري والإنجليزي والريال اليمني . وقال إن بعض أثرياء جُدَّة أفنوا أموالهم «في الكرم والعلم والإحسان». وذكر أن بظاهر جُدَّة مصنع لتكرير الذهب وخزانات للبترول. وقال إن بعض أهل جُدَّة كانوا يجيدون اللغات الأجنبية وحساب التجارة، وقال إنه لم يرَ فيها صحيفة «وإن كان بها بعض المكتبات ملحقة بتجارة أخرى فترى بقالاً كتبياً وخياطاً كتبياً وبزازاً كتبياً « حتى ذكرت المرحوم الساسي الذي كان يبيع الكتب والبطاطين والزيت المغربي، كما رأيت في سويسرا مكتبة شهيرة تبيع قوارير العسل» .

وقال إن الأسواق حافلة بالبضائع والناس في موسم الحج، وهم يرفعون الأثمان درجة للرواج ويجلبون إليها مالا تجده إلا في أسواق الحجاز، والأثمان أرخص من أثمان مكة والمدينة لأنها لا تتحمل نفقات النقل(٦٣١).

الخدمات الفندقية بجُدَّة عام ١٩٤٠م

عاد جمعة إلى الحديث عن الفندق الذي نزل به بجُدَّة فقال : أما الفندق الذي نزلناه وهو الوحيد فخدمته حسنة وبه تلفون يصل إلى مكة وإلى أعيان المدينة تطلبهم بأسمائهم فتقول:

«يا مركز اعطني بالا (أى بالله أقسمت عليك) فلاناً يا أخويا « فيصلك به ويبحث لك عنه إن كان غائباً، وبها (جُدَّة) بريد وبرق ومصرف هولاندي ومراكز شرطة ومحكمة شرعية»(٦٣٢).

مقبرة أمنا حواء :

تحدث الرحالة محمد لطفي جمعة في كتاب رحلته عن قبر السيدة حواء في جُدَّة وقدم وصفاً للقبر فقال : وبجُدَّة قبر حواء أم العالمين، وطوله مائة وخمسون متراً وارتفاعه متر وعرضه ثلاثة وكانت هناك قبة على موضع السرة .

٦٣١- المصدر السابق، ص ص/٥٥ – ٥٦ .
٦٣٢- المصدر السابق، ص/٥٦ .

وقال إنه لم يكن هناك سادن وإن كان به مزورون يدلونك على موضع القدمين والرأس والعين (٦٣٣).

السفر إلى مكة المكرمة :

بعد قضاء بعض الوقت في جُدَّة، سافر الرحالة محمد لطفي جمعة ورفاقه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج والطواف ببيت الله الحرام . وكان سفرهم بالسيارة وكان قائم مقام جُدَّة آنذاك الشيخ إبراهيم بن معمر –رحمه الله– قد عرض عليهم أن يستخدموا سيارته الخاصة في سفرهم بدلاً من اللوري الذي كانوا ينون السفر به إلى مكة المكرمة . وقد قدم الرحالة جمعة وصفاً للطريق ومشاهداته فيه كما قدم وصفاً مفصلاً في كتابه لمكة المكرمة وللمشاعر المقدسة ولجبل النور وغار حراء .

وبعد الانتهاء من مناسك الحج عاد جمعة إلى جُدَّة وسافر منها إلى المدينة المنورة لزيارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم التشرف بالسلام على ساكنه عليه الصلاة والسلام . وقدم وصفاً ضافياً للمسجد النبوي والمدينة المنورة بالإضافة للطريق بين جُدَّة والمدينة.

كما تحدث جمعة عن بعض الهدايا التي تسلمها من الملك عبدالعزيز –رحمه الله– وقال إن من بينها رداءاً عربياً وكتباً قيمة في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ والشريعة وغير ذلك .

وفي مساء يوم ١٩٤١/١/٢٨هـ صعد الرحالة محمد لطفي جمعة إلى الباخرة (كوثر) والتي أقلته في رحلة عودته إلى بلاده بعد أن من الله عز وجل عليه بأداء فريضة الحج والطواف ببيته العتيق والصلاة في مسجد رسوله صلى الله عليه وسلم . هذه الرحلة المقدسة التي كتب عنها كتاباً قيماً وقدم لنا فيه –من جملة ما قدم– وصفاً لمدينة جُدَّة كما سجلته عدسة ذاكرته –رحمه الله– عن هذه المدينة العريقة كما كانت عام (١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م).

٦٣٣- المصدر السابق، ص/٥٦ .

جورج بيلينكن
George Bilainkin

كتب الصحفي جورج بيلينكن (George Bilainkin) عن رحلته من القاهرة إلى الرياض كتاباً أسماه «يوميات رحلة من القاهرة إلى الرياض» (Cairo To Riyadh Diary). وقامت دارة الملك عبدالعزيز بإصدار ترجمة لهذا الكتاب بقلم الدكتور محمد منصور أبا حسين . وتأتي أهمية هذا الكتاب وهذه الرحلة لأنها جاءت في مرحلة هامة من تاريخ المنطقة . ولأن صاحب الرحلة التقى جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – كما التقى كلاً من ولي عهده الأمير (الملك) سعود بن عبدالعزيز ونائب جلالة الملك الأمير (الملك) فيصل بن عبدالعزيز – رحمهما الله – خلال رحلته .

كما التقى عدداً من الشخصيات الهامة في المملكة آنذاك مثل: الشيخ حافظ وهبة، فؤاد حمزة، عبدالله السليمان – رحمهم الله، وغيرهم من كبار المسؤولين في المملكة العربية السعودية في تلك الفترة .

ويذكر مقدم الكتاب أن المؤلف حاول معرفة الأسباب التي دعت كثيراً من الغربيين إلى زيارة المملكة، والتي تعود إلى ما ارتسم على طبيعتها من صحراء مبدعة، وما احتوته أراضيها من كنوز أثرية لحضارات بائدة، إلى غير ذلك من الأسباب التي دعت هؤلاء الرحالين إلى تجشم المشاق وتحقيق رغبة الاكتشاف في هذه الأرض المباركة .

كما يذكر صاحب التقديم أن دارة الملك عبدالعزيز حرصت على طباعة هذا الكتاب ونشره لما يضمه من معلومات وانطباعات عن المملكة العربية السعودية وقيادتها الحكيمة، في مرحلة مهمة من تاريخ المملكة(٦٣٤).

٦٣٤- بيلينكن، جورج: يوميات رحلة من القاهرة إلى الرياض، ترجمة الدكتور محمد منصور أبا حسين، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، (١٤٣٣هـ)، ص ص/٧-٨ .

وقبل الحديث عن خط سير الرحلة وانطباعات صاحبها عن جُدَّة وغيرها من المدن، قد يكون من المفيد أن نقدم ترجمة موجزة لصاحب الرحلة(٦٣٥).

ترجمة حياة جورج بيلنكين :

يقدم مترجم كتاب «يوميات رحلة من القاهرة إلى الرياض» الدكتور محمد منصور أبا حسين» نبذة موجزة عن حياة المؤلف فيقول :

جورج بيلنكين : صحفي واسع الخبرة، تخرج من جامعة أثيني رويال في بلجيكا، وشارك في تحرير الأخبار في جاميكا دايلي غلينر قبل أن ينضم إلى ليسترمايل ورابطة الصحفيين . توجه بعد ذلك إلى بينانغ بوصفه محرراً في ستراينتس ديلي إيكو ومراسلاً لصحيفة التايمز في شمال الملايو.

حين عاد إلى المملكة المتحدة عام ١٩٣٤م عمل مساعد محرر في القسم الأدبي في الدايلي ميل وعضواً في نيوز كرونيكل، ثم صار مراسلاً دبلوماسياً للصحف المتحدة .

في عام ١٩٤٠م عين مراسلاً خاصاً في روسيا لصحيفة لندن ستار وللصحف الأمريكية. وبعد أن وضعت الحرب أوزارها زادت أعماله كثيراً بوصفه محاضراً، فركز اهتمامه على التأليف، ووضع عدة كتب حول رحلاته وحياته العلمية . ومن ضمن الكتب العشرة التي نشرها، حياة تيتو ومايسكي السفير الروسي السابق في لندن وكتب أخرى مثل : «أربعة بريطانيين مذنبين» و«سفارة جوزيف كندي المشؤومة». توفي في ١٦ مارس عام ١٩٨١م عن عمر يناهز ٧٨ عاماً .

خط سير رحلة بيلنكين :

بدأ رحالتنا تسجيل يومياته في يوم الجمعة ٢٨ مارس ١٩٤٧م في لندن عندما التقى مع سفير المملكة العربية السعودية في بريطانيا آنذاك، الشيخ حافظ وهبه – رحمه الله .

٦٣٥- المصدر السابق، ص/١١ .

حيث ذكر أن الشيخ حافظ وهبه (المفوض السعودي) استقبله في محطة فيكتوريا بلندن . وكان في صحبته ابنه مصطفى الذي كان يحضر لدراساته العليا آنذاك . كما كان بصحبته عدد من أعضاء المفوضية العربية السعودية برئاسة القائم بالأعمال أحمد صفي الدين والملحق شفيق عبدالرؤوف صبان .

واستقل الجميع القطار إلى غرب بورموث (Bournemouth) مدينة بوول (poole) التي قضوا فيها الليلة استعداداً للسفر في اليوم التالي إلى القاهرة على متن ما يسمى (بالزورق الطائر) . وهو ذو أربع محركات وقادر على حمل ما يزيد عن ثلاثة وسبعين طناً. ويقول بيلينكن : إن الزورق الطائر تأرجح على سطح الماء ثم «حلق في الجو عند الساعة الثامنة والنصف صباحاً»(٦٣٦).

وأقول: إن هناك طائرات تقلع من الماء وتهبط عليه . وقد استقليت إحدى هذه الطائرات عام ١٩٨٦م في رحلة من مدينة فانكوفر الكندية إلى جزيرة فيكتوريا لزيارتها ثم عدت بمثل هذا الزورق الطائر إلى فانكوفر بعد انتهاء زيارتي لتلك الجزيرة الكندية الجميلة.

وقد قدم الرحالة وصفاً للزورق الطائر الذي كان يحمل اسم «جولدن هند» فقال عنه: إنه طائرٌ فارهٌ مترفٌ، ويتكون من قمرتين بصفوف من المقاعد . مقعدان على جانب، ومقعد واحد على الجانب الآخر . وعرض القمرة أوسع من صالة الطعام في محطة سكة الحديد البريطانية . والمقاعد مريحة ويمكن تحريكها إلى الخلف . ولكن لماذا لم يختر المخترع قماشاً أفضل يلائم الجسم ويتطابق مع حجمه، مثل البلاستيك المرن ؟ كان الغذاء ساخناً يتكون من الشوربة ولحم العجل والخضار والفواكه والقهوة والماء(٦٣٧).

ومن بريطانيا عبر الزورق الطائر أجواء فرنسا ثم عبروا بحر تاي رينيان (Tyhrenian) ثم إلى صقلية والتي كانت جزيرة مستعمرة من بريطانيا آنذاك . حيث هبطوا للتزود بالوقود ثم أقلعوا مرة أخرى في طريقهم إلى القاهرة حيث هبطوا

٦٣٦- المصدر السابق، ص/١٩ – ٢٣ .
٦٣٧- المصدر السابق، ص/٢٣ .

على ماء نهر النيل، ثم استقلوا مركباً صغيراً سريعاً . وكان في استقبالهم المفوض السعودي في مصر الشيخ عبدالله إبراهيم الفضل – رحمه الله، واتجه بهم إلى فندق شبرد في وسط القاهرة .

وفي يوم السبت ١٢ إبريل عام ١٩٤٧م وبعد أن قضوا حوالي أسبوعين في القاهرة غادروا فندقهم متوجهين إلى مطار القاهرة حيث استقلوا طائرة داكوتا تابعة للخطوط الجوية العربية السعودية متوجهين إلى جُدَّة عن طريق الأقصر التي هبطت بهم فيها الطائرة للتزود بالوقود.

ثم أقلعت الطائرة من الأقصر «في تمام الساعة الثامنة صباحاً، وهبطت في جُدَّة في الساعة الحادية عشر» . أي أن الرحلة من الأقصر إلى جُدَّة استغرقت حوالي ثلاث ساعات، بينما هذه الرحلة اليوم لا تستغرق أكثر من حوالي الساعة .

وقد قدم الرحالة وصفاً لمدينة جُدَّة كما سجلتها عدسة ذاكرته سنأتي على بعض منه فيما بعد إن شاء الله(٦٣٨).

ومن جُدَّة سافر بيلينكن إلى الطائف بالسيارة مع صحبه ومرافقيه حيث التقى نائب جلالة الملك الأمير (الملك) فيصل بن عبدالعزيز – رحمه الله – وأخاه الأمير منصور – رحمه الله – وزير الدفاع آنذاك .

ومن الطائف غادر الرحالة إلى الرياض عن طريق الجو حيث التقى الرحالة بجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – وتشرف بالسلام عليه وأبدى إعجابه الشديد بشخصية الملك عبدالعزيز .

كما التقى الرحالة بولي العهد السعودي الأمير (الملك) سعود بن عبدالعزيز –رحمه الله– خارج مدينة الرياض .

وفي يوم الأحد ٢٠ إبريل ١٩٤٧م عاد جورج بيلينكن إلى جُدَّة قادماً من الرياض عن طريق الجو . ومن جُدَّة سافر الرحالة إلى القاهرة عن طريق الجو

٦٣٨- المصدر السابق، ص ص/٢٣-٤٣ .

يوم الثلاثاء ٢٢ إبريل ١٩٤٧م في رحلة استغرقت ستة ساعات . وأقول : إنه من المعروف أن هذه الرحلة من جُدَّة إلى القاهرة تستغرق اليوم أقل من ساعتين بالطائرة . ومن القاهرة سافر الرحالة إلى القدس الشريف ومدن فلسطينية أخرى قبل أن يعود إلى موطنه(٦٣٩).

جُدَّة بعدسة ذاكرة جورج بيلينكن :

عندما قدم الصحفي جورج بيلينكن إلى المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٧م للتشرف بمقابلة جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – كان دخوله إلى أرض المملكة عن طريق جُدَّة حيث هبطت الطائرة التي جاء على متنها من القاهرة في مطار جُدَّة الدولي يوم السبت ١٢ إبريل عام ١٩٤٧م .

وقد قدم رحالتنا توصيفاً لمدينة جُدَّة ومطارها، سنلقي بعض الضوء على بعض ما جاء فيه.

يقول بيلينكن : إن طائرتهم هبطت في جُدَّة في الساعة الحادية عشر صباحاً . وإنهم حينما كانوا يحلقون فوق ميناء البحر كانوا يرون أبنية طويلة مربعة . وبعد خروجهم من المطار شاهدوا عدداً من «السيارات الأمريكية الفخمة، مثل : البونتياك وما إلى ذلك» .

وقال : إن مئات الآلاف من الحجاج المسلمين . يفدون إلى جُدَّة من جميع أرجاء العالم لزيارة الأماكن المقدسة في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة . وبين الرحالة إنه كان يوجد في جُدَّة «تسع أو عشر بعثات دبلوماسية « آنذاك .

كما ذكر أن جُدَّة هي البلد التي «دفنت فيه أم البشر السيدة حواء» .

ثم عاد الرحالة للتحدث عن مطار جُدَّة ومظاهر استقبالهم فيه بعد وصولهم إلى المطار فقال : إن مطار جُدَّة «يبدو لأول وهلة كما لو أنه قطعة صغيرة من الأرض تقوم عليها بيوت وأبنية قليلة وسط صحراء شاسعة».

٦٣٩- المصدر السابق، ص ص/٤٣ – ١٢١ .

ثم وصف استقبال أهل جُدَّة للشيخ حافظ وهبة – رحمه الله – والذي كان برفقة بيلينكن عندما وصلا إلى جُدَّة فقال : «رأيت الفرح الفطري على وجوه كثير من السعوديين الذين رحبوا بالشيخ حافظ. كانوا زملاء تجارة بملابسهم المهيبة، يقبلونه على خده، وهي عادة تختلف تماماً عن الطريقة التي نراها في الغرب للتعبير عن الفرح بالقادمين»

ثم استطرد رحالتنا قائلاً :

توقعت أن تنقلنا سيارات قديمة إلى قصر الضيافة الحكومي . ولكني رأيت بدلاً من ذلك سيارات لنكون زفرز، من طراز ١٩٤٧م، والقادرة على قطع مسافة خمسين ميلاً في الساعة . سارت السيارات الأربع في صف واحد على طريق رملي . كانت السماء زرقاء خالية من السحب . لوحت مودعاً شاباً يرتدي ثوباً أبيض، كان قد استلم جواز سفري من قبل، وأكد لي أن جميع حقائبي قد سلمت لسائق السيارة الذي سبق أن سلمته طابعتي المحمولة . ظهر على الأفق، قبل أن نقطع مسافة ميل واحد، عدد من السيارات الفخمة الجديدة . ترجل منها رجال يشبهون رجال السينما بثيابهم الفضفاضة ورحبوا بنا بلغة إنجليزية ممتازة . كانوا من أعيان جُدَّة، مديري بنوك وتجاراً ومطوفين، الأخوة علي رضا . أعتقد أنها فكرة جيدة لو أن الباحثين عن المواهب في السينما البريطانية يحضرون كميراتهم إلى جُدَّة للعثور من بين هؤلاء الشباب الوسيمين على خلفية للممثل فالانتينو Vale`ntino .

بعد ذلك بدأ رحالتنا في وصف ما شاهده في الطريق إلى مقر الضيافة بجُدَّة فقال :

مررنا ببيوت خشبية قديمة، بعضها عالٍ وبعضها الآخر قصير، ذات أبواب ملونة، ومشربيات خشبية أمام النوافذ . تبدو مدينة جُدَّة كما لو كانت صفحة من زمن العهد القديم . تذكر بأرض لم تتغير منذ ألف سنة، أو ألف وخمسمئة سنة .

وبعـــد وصوله لقصر الضيافة وصف بيلينكن القصر ووصف الغرفة التي نزل بها فقال:

جلسنا في قصر الضيافة في غرفة مريحة وفخمة بأثاثها وستائرها المسدلة .

وخلال وجوده في جُدَّة قابل بيلينكن شـــخصيات عدة من أهلها و تحدث عن بعضهـــم كما تحدث عن بعض الخدمـــات التي كانت تقدم في جُدَّة فقال : زارني شخص مهم هو عبدالقادر محتسب، وأخبرني أنه مدير البريد منذ عشرين عاماً . وعمره الآن أربعون عاماً . اســـتغرب دهشتي حينما علمت أن في جُدَّة خدمات بريدية وكرر قائلاً :

«يـــوزع البريد في جُـــدَّة مرتين في اليوم . ويبلغ عدد الرســـائل الداخلية اليومية ٨٠٠٠ رســـالة. نعم يوجد مكتب للرسائل المسجلة، ومكتب للبرقيات . ويفتح المكتب الرئيســـي في الساعة الســـابعة، ويغلق مع غروب الشمس ويتضمن ذلك ساعة راحة في منتصف النهار. ويفتح مكتب البريد في يوم الجمعة أيضاً. وأخبرني المحتســـب أن مســـؤولياته تصبح هائلة حينما يصل الحجـــاج . وأخبرني أن ممثلي الحجـــاج يأتون مـــن جميع أنحاء العالم للترتيب للرحلات المقدســـة. وأن كثيراً من الحجاج وخصوصاً من ماليزيا و جاوة، يمضون ســـتة أشهر في الطريق حتى يصلوا إلى الحجاز وأن بعض الحجاج يمضون أربع ســـنوات لعبـــور إفريقيا على الأقدام. ويروي المحتسب أن بعض الحجاج قد أخبروه بأنهم أمضوا سبع سنوات في رحلتهم من السودان إلى الحجاز . وأضاف « وإنهم يكسبون رزقهم أثناء السفر» .

وتحدث بيلينكن عن لقائه بمعالي الأســـتاذ فؤاد حمزة الذي قال إنه : «ســـوف يكون وزير التخطيط عند الملك عبدالعزيز (رحمه الله)».

وقال : «أخبرني فؤاد حمزة» إن السعودية تفتقر إلى الماء. ولكنه سيوفر في أكتوبر من هذه الســـنة (١٩٤٧م) .. وأضاف أن «المياه ســـتجلب من الينابيع الطبيعية الـــتي تبعد أربعين كيلومترا»، وأن «المياه التي نشـــربها فيما مضى هي مياه التحلية البحريـــة، أو من الآبار الارتوازية « . واســـتمر قائلاً : «لا يوجد في هذا الجانب

مـــن البحر مياه عذبة. لقد حفرنا على عمق مئة قدم ولم نوفق» . ويقول الرحالة إن الأستاذ فؤاد حمزة –رحمه الله– أخبره أنه تم التعاقد مع شركة لندنية لبناء شبكة للمياه .

ثم تحدث بيلينكن بعد ذلك عن لقائه مع الشيخ خير الدين الزركلي الذي قال إنه « يعمل في وزارة الخارجية السعودية عند الأمير (الملك) فيصل – رحمه الله – وقال : إن الزركلي عمل فيما مضى مستشاراً للمفوضية السعودية في القاهرة، كما تحدث الرحالة عن لقائه بوزير المالية الســعودي، الشيخ عبدالله السليمان – رحمه الله – وأبدى إعجابه بشــخصيته وتحدث رحالتنا عن لقائه المندوب البريطاني في جُدَّة السيد لورنس جرافتي – سميث – Lawrence Graftey –Smith .

وبعد انتهاء فترة زيارته لجُدَّة ســافر بيلينكن منها عن طريق الجو إلى الطائف . حيث التقى بنائب جلالة الملك الأمير (الملك) فيصل بن عبدالعزيز – رحمه الله . وأبدى الرحالة إعجابه الشديد بشخصية الملك فيصل –رحمه الله .

ومــن الطائف انتقــل الرحالة إلى الرياض حيث تشــرف بلقــاء جلالة الملك عبدالعزيز –رحمه الله– وولي عهده الأمير (الملك) سعود بن عبدالعزيز –رحمه الله .

وقــد تحدث بيلينكــن عن عظمة شــخصية الملك عبد العزيــز وعروبته وحبه لفلسطين ووقوفه – رحمه الله – مع أهلها ومساندته لهم .

وفي يوم الأحد العشرين من إبريل ١٩٤٧م غادر الرحالة مدينة الرياض عن طريق الجو عائداً إلى جُدَّة . وفي جُدَّة التقى الشيخ محمد علي رضا الذي قال عنه : إنه كان رئيــس غرفة التجارة والصناعة في جُدَّة . وقد زاره في مكتبه ووصف المكتب وصاحبه فقال: «كان مدخل الشــركة عادياً، ولكنني حينما دخلت أدركت لماذا يريدني الشــيخ حافظ أن أزور صديقه ؟ يبلغ محمد من العمر ثمانية وعشــرين، أو ثلاثين عاماً . وســيم ذو لحية صغيرة وقامة طويلة وجســم ضخم. يتحدث لغة إنجليزية ممتازة» .

وتحدث الرحالة أيضاً عن شــركة آل رضا فقال : شركة الحاج عبدالله علي رضا

أنشئت قبل أربع وتسعين عاماً (أي قبل عام ١٩٤٧م بأربعة وتسعين عاماً) .

وبين الرحالة: أن نشـــاط الشركة يشـــمل الخدمات البنكية، والشحن، وخدمة الحجـــاج. كما بين أن الحاج عبدالله علي رضا، عم الحاج يوســـف بن زينل علي رضـــا، والحاج عبـــدالله هو والد محمد وأخيه علي اللذيـــن قابلهما في المطار عند وصوله جُدَّة أول مرة.

وقال : إن الحاج عبدالله هو محافظ جُدَّة خلال ثلاث حكومات مختلفة .

وذكر بيلينكن أن الشـــيخ محمد أخبره وهو يتحـــدث عن التجارة : إن بضائع الشـــحن القادمة من الولايات المتحدة الأمريكية كان يستغرق وصولها ما بين ١٦ إلى ٢٥ يوماً . أما من بريطانيا فتستغرق ٢٠ يوماً أو أكثر .

كما قال بيلينكن : إن الشيخ علي عبدالله علي رضا أخو الشيخ محمد عبدالله علي رضا يدير القسم الخاص بالسيارات، المكون من معرض السيارات في جُدَّة، الذي يرقى إلى مســـتوى معرض السيارات في ستوكهولم (عاصمة دولة السويد)، ويدير ورش تصليح السيارات، ومصانع تجميع وتركيب أجزاء السيارات، ومكاتب مؤثثة بأجهزة مختلفة .

وبعد ذلك ذكر جورج بيلينكن أن الأخ الثالث للأخوة آل علي رضا، الشـــيخ أحمـــد بن يوســـف بن زينل علي رضا وصف له أعمـــال الحج قائلاً : يصل عدد الحجاج سنوياً ما بين٥٠ ألف إلى ٦٠ ألف حاج من الخارج، إضافة إلى حجاج المملكة . ويقدر مجموع الحجاج ما بين ١٥٠٠٠٠ إلى ٢٠٠٠٠٠ حاج . كانوا في الماضـــي يأتون قبل أربعة أشـــهر من موعد الحج . ويصلون أحياناً في شـــهر رمضان، ويقصدون مكة المكرمة والمدينة المنورة

وقدم له وصفاً عن استقبال الحجاج فقال :

يســـتقبل ممثلو الشركة الحجاج بعد وصولهم إلى جُدَّة، ويستلمون منهم أوراقهم الرسميـــة، ويرافقونهم إلى الفنادق أو منـــازل المطوفين (الوكلاء) . أما الذين يظلون

بملابس الإحرام فيتوجهون إلى مكة المكرمة مباشرة، ويذهب الآخرون في اليوم التالي إلى المدينة المنورة . وهناك أربع وسائل للنقل تتناسب مع المستوى المادي للحجاج . فهناك الجمال، والشاحنات والحافلات، والسيارات الخاصة .

وأخبره أن الرحلة من جُدَّة إلى مكة المكرمة كانت في الماضي تستغرق (بالجمال) ليلة ويومين ويأخذون طعامهم معهم . والآن (عام ١٩٤٧م) يسافر ٩٩٪ من الحجاج بالسيارات على طرق ممهدة .

ويكمل الرحالة حديثه عن خدمات الشركة فيقول :

استوردت الشركة منذ الحرب العالمية الثانية ثمانمئة شاحنة إلى المملكة العربية السعودية . ويقوم السعوديون بجمع وتركيب أجزاء السيارات . ويوجد بالشركة موظف إنجليزي واحد وهو سكرتير مسلم . وتقدر الرواتب بالشركة ما بين ٥٠ ريالاً (٣,١٠ جنية إسترليني) للصبيان، إلى ١٢٥٠ ريالاً للبالغين . وإذا زاد العمل على أكثر من سبع ساعات ونصف، فإنهم يتقاضون الراتب الأصلي إضافة إلى نصف الراتب.

وفي يوم ٢٢ إبريل ١٩٤٧م غادر الرحالة جُدَّة متوجهاً إلى القاهرة على متن الطائرة(٦٤٠).

هكذا بدت جُدَّة للرحالة جورج بيلنكين عندما زارها عام (١٩٤٧م) خلال زيارته للملكة العربية السعودية وكما سجلتها عدسة ذاكرته في كتابه الموسوم «يوميات رحلة من القاهرة إلى الرياض» والذي ترجمه الدكتور محمد منصور أبا حسين . وقامت دارة الملك عبدالعزيز بإصداره عام ١٤٣٣هـ .

٦٤٠- المصدر السابق، ص ص/٤٢-١١٢ .

مسعود عالم الندوي

مساهمة في احتفالات المملكة العربية السعودية بمناسبة مرور مائة عام على توحيد جلالة الملك عبدالعزيز –رحمه الله– لأجزاء البلاد وتأسيس المملكة العربية السعودية، أصدرت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض كتاب «شهور في ديار العرب» لمسعود عالم الندوي.

قال مترجم الكتاب الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم: إن العلامة مسعود عالم الندوي، هو من كبار علماء الهند، جذبته ديار نجد، وأهلها، لأسباب عديدة.

وقال المترجم إن الشيخ الندوي التقى جلالة الملك عبدالعزيز وولي عهده الملك سعود –رحمهما الله– في أول يوم وصل فيه إلى مدينة الرياض في الثامن من ذي القعدة ١٣٦٨هـ / الأول من سبتمبر ١٩٤٩م، وتوالت لقاءآته بالعلماء الكبار في الرياض، كما التقى الملك عبدالعزيز مرة أخرى في الحفل السنوي الذي يقيمه الملك عبدالعزيز لضيوف الرحمن، فكتب العلامة مسعود عالم الندوي عن لقاءآته تلك، وأشاد بجهود صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز، من أجل الحفاظ على شرع الله وعلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقال المترجم : إننا أمام نمط جديد من أدب الرحلة، يجعل من هذا الكتاب المترجم عن اللغة الأردية وثيقة تؤرخ لهذه المرحلة من تاريخ جزيرة العرب بجوانبه المتنوعة(٦٤١).

ويقدم الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم ترجمة لحياة صاحب الرحلة فيقول :

وُلد العلامة مسعود عالم الندوي سنة ١٣٢٩هـ/١٩٠٨م والتحق بدار العلوم (ندوة

٦٤١– الندوي، مسعود عالم: شهور في ديار العرب، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)، ص ص/٩–١٠ .

العلماء) في مدينة (لكهنو) الهندية، وهو في الثامنة عشر من عمره، فأظهر نبوغاً لفت أنظار أساتذته إليه حتى كتب عنه الشيخ محمد تقي الدين الهلالي ما يلي :

«كان أفضل تلامذتي في كلية ندوة العلماء، التي أقمت فيها من سنة ١٣٤٩ إلى سنة ١٣٥٢هـ .. وما رأيت في الاجتهاد والتحصيل مثل مسعود عالم، وكان كذلك مخلصاً في دينه، وذا أخلاق كريمة، وشجاعة، لا يخاف في الحق لومة لائم» .

وقد أصدر رحالتنا مجلة حررها هو وأقرانه الطلاب، أطلق عليها اسم الرائد، كانت تخط بأقلام الطلاب . وقد ذكر مترجم الكتاب أنه رأى هذه المجلة الخطية والتي كانت لا تزال تصدر عندما ذهب إلى باكستان ضيفاً على الندوة سنة ١٩٧٨م .

وكان الندوي قد اختار لأطروحته موضوعاً بعنوان « لم يضعف الشعر العربي بعد الإسلام، لكنه ازدهر وتطور»، وأثبت بذلك تأثير الإسلام الإيجابي الواضح، ذلك التأثير الذي شمل جميع جوانب الحياة في جزيرة العرب .

في سنة ١٩٤٧م عندما تم تقسيم شبه القارة الهندية إلى الهند وباكستان وصل الندوي إليها وبدأ تأسيس دار العروبة مرة أخرى في مدينة «كوجرانواله» الباكستانية مرةً وفي حيدر أباد السند مرةً أخرى، ثم استقر بعد ذلك في مدينة «روالبندي» التي كانت بجوها مناسبة لصحته، فقد كان يرحمه الله مصاباً بالربو .

وفي سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م سافر إلى العراق والتقى أستاذه الهلالي وتجول في مدن العراق، وسافر إلى الكويت وبعدها وصل إلى الرياض ومنها رحل إلى الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج، واستمرت رحلته نصف عام أو أكثر، فسطر يومياته ونشرها بعنوان «شهور في ديار العرب» .

توفي الشيخ مسعود عالم الندوي في الحادي عشر من رجب سنة ١٣٧٣هجرية /١٧ مارس ١٩٥٤م وتمت مراسم الدفن بحضور جمهور كبير من سفراء البلاد العربية وعمداء المدن والعلماء[٦٤٢].

٦٤٢- المصدر السابق، ص ص/١٣ – ٢١ .

خط سير رحلة الندوي :

بدأ مسعود عالم الندوي رحلته من كراتشي يوم الخميس ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٦٨هجرية الموافق ٢٨ إبريل ١٩٤٩م بعد أن قضى في كراتشي حوالي ٤٥ يوماً وكان من ركاب الدرجة الأولى على متن السفينة «دواركا» . وكان يدفع ١٦ روبية للطعام يومياً . وكانت السفينة تعج بالركاب العرب . في العاشرة صباحاً من ذلك اليوم دخلت السفينة الخليج العربي وفي يوم السبت الثاني من رجب ١٣٦٨/أول مايو ١٩٤٩م وصلوا إلى البحرين حيث ألقت السفينة بمرساها بعيداً عن الساحل ونزل بعض الركاب منها على متن قوارب صغيرة وبقي البقية على متن الباخرة .

بعد أن أقلعوا من البحرين مبحرين في الخليج العربي عدة أيام وصلوا يوم الثلاثاء ٤ رجب ١٣٦٨هـ/٣مايو ١٩٤٩م إلى شط العرب، وشط العرب هو مكان التقاء دجلة بالفرات، ولأن الماء ضحل في ذلك الموقع فإن السفن تمضي فيه برعاية مشرفين معينين أخبروهم أن السفينة ستتابع رحلتها آخر الليل. وفي الثالثة من صباح يوم الأربعاء ٥ رجب ١٣٦٨هـ / ٤ مايو ١٩٤٩م بدأت السفينة في الإبحار من جديد .

وفي الساعة السابعة من صباح يوم الخميس ٦ رجب ١٣٦٨هـ الموافق ٥ مايو ١٩٤٩م وصلت الباخرة إلى ميناء البصرة المسمى «معقل» وكانت محطة السكة الحديد قريبة من هذا المكان فاستقلوها للذهاب لفندق جبهة النهر أو (RIVER FRONT) وهو أحد أكبر فنادق البصرة حيث كانت تكلفة الإقامة مع الطعام جنيهاً ونصف جنيه يومياً.

وفي البصرة التقى الندوي بالأستاذ الهلالي وغيره من العرب، والتقى كذلك عبدالله الموصلي (قاضي البصرة) .

وفي يوم الأحد ٩ رجب ١٣٦٨هـ – ٨ مايو ١٩٤٩م قام الندوي بزيارة مدينة الزبير التي قال عنها: إنها منطقة رائعة، تبعد عن البصرة مسافة عشرة أميال تقريباً،

وتضم قبر الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه .

وفي يــوم الاثنين ١٠ رجب / ٩ مايو توجه الندوي إلى بغداد على متن القطار الذي قال: إن مقاعده مريحة وبه خدمة لتقديم الطعام . وفي بغداد أقام في «فندق البصرة» في شارع الرشيد حيث أجرة السكن مائة وثلاثون فلساً للفرد.

وفي بغــداد التقى رحالتنا الندوي بالشــيخ عبدالله الخيــال القائم بالأعمال في سفارة المملكة العربية السعودية في بغداد . كما التقى بالعديد من علماء ووجهاء بغداد خلال إقامته فيها التي دامت حوالي ثلاثة أشهر وغادرها بعد أن زوده السيد عبدالحميد الخطيب (الوزير المفوض في سفارة المملكة العربية السعودية) بخطابات تعارف وتوصية لتســهيل تعارفه ببعض المثقفين الســعوديين عند زيارته للمملكة العربية السعودية بغرض أداء فريضة الحج .

وفي مساء يوم السبت ١١ شــوال ١٣٦٨ الموافق ٦ أغسطس ١٩٤٩م ركب الندوي القطار متوجهاً إلى الموصل[٦٤٣]. التي وصل إليها في يوم الأحد ١٢ شوال / ٧ أغســطس حيث اســتقبلهم في المحطة شخص يُدعى عمر النعمة وآخرون . وقد وصف الندوي الموصل قائلاً : إنها مدينة قديمة، وتقع على الطرف الآخر من دجلة، المتاخم لأطلال «نينوى» ويقال إن قبر يونس عليه السلام بجوار «نينوى» ومن الناحية الحضارية والاجتماعية فإنها أقرب إلى الشام منها إلى العراق، وكانت التجارة في العهد التركي كثيراً ما تأتي من حلب، والقطار يذهب من هنا مباشــرةً إلى استنبول .

وفي يوم الخميس ١٦ شــوال / ١١ أغســطس غادر الندوي الموصل بالسيارة متوجهاً إلى أربيل . ومن أربيل ذهب إلى كركوك يوم الجمعة ١٧ شوال الموافق ١٢ أغسطس ثم عاد إلى بغداد مرة أخرى وصل إليها يوم السبت ١٨ شوال ١٣٦٨هـ / الموافق ١٣ أغســطس ١٩٤٩م . ثم غادرها على متن القطار يوم الاثنين ٢٠ شــوال / ١٥ أغســطس متوجهاً إلى البصرة والزبير مرة أخــرى ومن هناك توجه إلى الكويــت التي وصل إليها يــوم الخميس غرة ذي القعدة ١٣٦٨هـ الموافق ٢٥

٦٤٣- المصدر السابق، ص ص/٤٣ – ٢٣٤ .

أغسطس ١٩٤٩م ونزل في فندق يسمى «فندق الكويت» .

وفي يوم الاثنين ٥ ذي القعدة / ٢٩ أغسطس استقل الرحالة ورفاقه سيارة متوجهة إلى الرياض عن طريق البر ترافقهم سيارتان كبيرتان (لواري) لحمل الأمتعة . وقد كانت تكلفة الرحلة لشخصين مائة روبية بالاضافة لأجر الدلال . وتوقفت سيارتهم في أول بلدة سعودية على الحدود وهي «قرية» التي قال: إنها تبدو كبلدة كبيرة عندها يقوم رجال الجمارك بفحص أمتعة المسافرين .

وفي يوم الأربعاء ٧ ذي القعدة / ٣١ أغسطس وصلوا «رماح» التي قال: إنها قرية صغيرة ويوجد بها مكتب للجمارك أيضاً، «وهي قريبة جداً من الرياض، وتستغرق المسافة بالسيارة أربع ساعات على الأكثر» . وقضوا الليلة خارج مدينة الرياض التي دخلوها يوم الخميس ٨ ذي القعدة ١٣٦٨هـ الموافق أول سبتمبر ١٩٤٩م[٦٤٤].

وقد وصف الرحالة المنطقة فقال: الرياض قصبة في بلاد العارض، وعارض هي مسكن بني تميم القديم، والجزء الأكبر منها منطقة جبلية، وتبدو المنطقة بين رماح والرياض منطقة جبلية ، والطريق يمر وسط أرض حجرية صلبة، غير مستوية، ترتفع وتنخفض، وأحياناً ما تشاهد آثار قنوات صغيرة، غالباً ما تنساب فيها المياه المتدفقة من الهضاب العالية، إذا ما سقطت الأمطار[٦٤٥].

وفي الرياض التقى الرحالة بالسكرتير الخاص لولي العهد الشيخ ابن جميعه وأطلع الندوي ابن جميعة على الخطابات التي زوده بها الشيخ عبدالحميد الخطيب (من السفارة السعودية في الطرق) فرحب ابن جميعه به.

التقى الندوي بولي العهد السعودي صاحب السمو الملكي الأمير (الملك) سعود بن عبدالعزيز – رحمه الله – وقام بالسلام عليه وأطلعه على بعض المؤلفات التي أحضرها معه. وبعد ذلك تشرف الندوي بالسلام على جلالة الملك عبدالعزيز

٦٤٤- المصدر السابق، ص ص/٢٤٨ – ٣٣١ .
٦٤٥- المصدر السابق، ص/٣٣١ .

-رحمه الله-. وبعدها ذهب الندوي ورفاقه إلى دار الضيافة الحكومية.

وفي اليـــوم الثاني خرج الندوي وأخذ جولة للتعرف على مدينة الرياض. ووصف المدينة وشـــوارعها وحواريها وأسواقها كما ذكر أنه زار مكتبة تبيع الكتب كان قد سمـــع عنها وهو في بغداد وقال: إن صاحبها واسمه «حســـن الشـــنقيطي» يتمتع بـــذوق أدبي رفيع ، وتعد مكتبتـــه داراً للمطالعة ، تصله الصحف يومياً من مصر بالطائرة ، وفي المساء يفد عليه جمهور الشباب.

وتحدث الندوي عن لقائه رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشـــيخ عمر بن حســـن آل الشـــيخ — رحمه الله- الذي رحب به ترحيباً حاراً كما التقى الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ —رحمه الله-(٦٤٦).

وبعد أن قضوا ما يقرب من عشرة أيام في الرياض العاصمة غادر الندوي ورفاقه الريـــاض عن طريق الـــبر متوجهين إلى مكة المكرمة يوم الأحـــد ١٨ ذي القعدة ١٣٦٨هـ الموافق ١١ سبتمبر ١٩٤٩م.

وفي الطريق توقفوا في المكان المسمى «المراح» «فيه ماء كثير» ثم في «ثرمداء» ثم في «شـــقراء» وبعد ذلك في «عفيف» التي قال: إنها تقع في منتصف الطريق بين الرياض ومكة المكرمة ، وذكر إنها «بلدة آهلة بالسكان ، فيها جميع الضروريات».

وبعدها وصلوا إلى «عشيرة» التي وصفها بأنها منطقة عامرة بالسكان تبعد عن الطائف حوالي ثلاث ساعات . وبين الرحالة أن عربة البريد التي استقلوها تمر على الطائف . وبين أن أجرة المبيت في القهوة في «عشيرة» هي نصف ريال.

وفي يوم الأربعاء ٢١ ذو القعدة ١٣٦٨هـ الموافق ١٤ ســـبتمبر ١٩٤٩م دخل الشـــيخ مسعود عالم الندوي ورفاق ســـفره الطائف حيث قضوا أربع ساعات في أحـــد المقاهي وكلفهم ذلك ريالين للفرد الواحد ، بعدها أكملوا رحلتهم إلى مكة المكرمة التي دخلوها في نفس اليوم حيث توجهوا رأســـا إلى الحرم الشريف . وأدوا

٦٤٦- المصدر السابق، ص ص/٣٣٤ — ٣٧٢ .

مناسك العمرة. وظلوا في مكة المكرمة حتى حان زمن الحج فأدوا مناسك الحج ثم عادوا إلى مكة المكرمة. والتقوا فضلية السـيد علوي مالكي وغيره من علماء البلد الأمين خلال وجودهم في مكة المكرمة .

بعد قضاء ما يقرب من شـهر ونصف في البلد الحرام غادر الندوي ورفاقه مكة متوجهـين إلى المدينة المنورة يـوم الأربعاء ٤ محرم ١٣٦٩هـ الموافق ٢٦ أكتوبر ١٩٤٩م على متن حافلة تصل حمولتها إلى ثلاثين راكب، وباتوا ليلة في «المفرق» في قهوة كانت أجرة الجلوس والمبيت فيها نصف ريال للشخص الواحد.

وفي اليـوم التالي توجهوا إلى المسـيجيد ثم إلى «ذي الحليفة» «أبيار علي» ثم دخلوا المدينة يوم الخميس ٥ محرم ١٣٦٩ هـ الموافق ٢٧ أكتوبر ١٩٤٩م وتوجهوا رأساً إلى الحرم النبوي الشريف .

وبعد أكثر من ثلاثة أسابيع توجه الرحالة ورفاقه من المدينة المنورة إلى جُدَّة يوم السـبت ٢٨ محرم ١٣٦٩هـ الموافق ١٩ نوفمبر ١٩٤٩م ، وفي طريق عودتهم إلى جُدَّة قضوا بعض الوقت في رابغ حيث التقوا في إحدى مقاهيها مدير أحد مدارس رابغ الابتدائية الأسـتاذ سليمان بن سـالم «الذي بدأ عليما بالأمور ومهذباً» ، وجلسـوا معه طويلاً للنقاش العلمي والأدبي . وبعد حوالي ساعتين تابعوا سفرهم إلى جُـدَّة طوال الليل في ليلة ماطرة عاصفة ، ووصلوا جُدَّة قبيل ظهر يوم الأحد ٢٩ محرم ١٣٦٩هـ الموافق ٢٠ نوفمبر ١٩٤٩م وذهبوا على الفور إلى منزل الشيخ محمد نصيف الذي لم يكن موجوداً في البيت ولكنهم التقوا الشـيخ محمود شويل في منزل آل نصيف .

وقد وصف الرحالة الشـيخ محمد نصيف قائلاً: إنه رجل من أحسن الرجال في جُدَّة «بل في الحجاز كله، وهبه الله العلم والمروءة ، وحسن الخلق وطيب العشرة ، والتواضع ، وباختصار كل أنواع النعم . تربطه علاقة وثيقة بالعلماء في جميع أنحاء العالم ، ويقيم في بيته العلماء القادمون من الخارج ، وبيته «مضيفة» عامة «لطلبة العلم» ومكتبته رائعة ، وهي بالنسـبة لمحبي القـراءة من أهل البلاد مثل «المكتبة العامـة» يفدون عليها إذا مـا أرادوا ، وفي أي وقت للقراءة والاطلاع وكنت قد

راسلته من مدة ، وكان الرجل كعادته يرسل الينا أحياناً الكتب «هدية».

واليـــوم ألقاه لأول مرة ، وليس من سمع كمن رأى، فعادة ما يصاب الإنســـان باليأس، لكن فيما يتعلق بالشـــيخ محمـــد نصيف، وجدناه أطيب كثيراً مما كنا قد سمعنـــاه عنه، ورغم تقدمـــه في العمر ، إلا أنه لا يزال يعشـــق القراءة والمطالعة ، وصحته — ما شاء الله – طيبة للغاية.

«وبينما كنا جلوســـاً إذا بالشيخ عبدالله الحسو (الموصلي) يأتي، عائداً من مكة المكرمة، متوجها إلى موطنه بالطائرة المتجهة إلى الظهران صباح الغد ، وقد ذكرت لقائي به في الموصل من قبل»(٦٤٧).

وذكر الرحالة أن الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ ، الذي قدم من مكة المكرمة للقاء جلالة الملك عبدالعزيز —رحمه الله– ومعه الشيخ محمود شويل جاءا إلى منزل الشـــيخ محمد نصيف حيث التقى الندوي بهما . كما التقى كذلك الأستاذ سيد معتصم رضا، نجل الشيخ رشيد رضا —رحمه الله– الذي كان يقيم في منزل الشيخ محمد نصيف أيضاً.

وبعد عصـــر ذلك اليوم ذهب الندوي للقاء القنصـــل الهندي «وكذلك مولانا عبدالمجيد حريري، وهناك وجدنا الشـــاي الأخضر جاهزاً ، فضاعف الشـــاي في متعتنا أثناء الحديث».

وأشـــار الرحالة إلى أنه التقى وكيل مطوفهم في بيته وقد ســـاعدهم في الحصول على «ورقة المرور».

وبعد العشـــاء عاد الندوي إلى منزل الشـــيخ محمد نصيف حيث شاهد محمد الخطيب في مكتب الشـــيخ محمد نصيف . وبعد طعام العشاء جهزت له حجرة للنوم.

وفي اليوم الأول من شـــهر صفر ١٣٦٩هـ الموافـــق ٢٢ نوفمبر ١٩٤٩م غادر

٦٤٧- المصدر السابق، ص ص/٥٧٦-٥٧٨ .

الندوي ورفاقه جُدَّة متوجهين إلى مكة المكرمة وتوقفوا في بحرة. ثم أكملوا سفرهم إلى مكة المكرمة في رحلة قال: إنها استغرقت ساعة ونصف من جُدَّة إلى مكة المكرمة التي قضوا فيها ما يقرب من أسبوع عادوا بعد ذلك إلى جُدَّة مرة أخرى يوم الثلاثاء ٨ صفر ١٣٦٩هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ١٩٤٩م(٦٤٨).

الرحالة مسعود عالم الندوي يعود إلى دارة آل نصيف بجُدَّة:

حال عودتهم إلى جُدَّة ذهب الندوي ورفاقه إلى منزل الشيخ محمد نصيف حيث التقوا به وبضيفه الدكتور عبدالوهاب بك عزام (سفير مصر في المملكة العربية السعودية) – وكما أشرنا سابقاً فإن السبب في ذهابهم مباشرة إلى دارة الشيخ محمد نصيف –رحمه الله– هو أنهم كانوا ينزلون في ضيافته .

وأقول: إنه من المعروف عند أهل جُدَّة أن دارة الشيخ محمد نصيف كانت مفتوحة للعلماء والوجهاء للنزول والإقامة فيها مدة وجودهم في جُدَّة. وقد تحدث الشيخ علي الطنطاوي عن ذلك فقال: إن دار هذا العالم محطة لكبار الحجاج من أهل العلم وأهل الصدارة في كل بلد. ولم يكن في جُدَّة فندق، فكانت داره هي الفندق الكبير لكل العلماء والأعيان والوافدين(٦٤٩).

والشيخ محمد نصيف هو أحد وجهاء جُدَّة ومن كبارها .

وقد جاءت للشيخ نصيف ترجمة في كتاب الأعلام قال فيها الزركلي –رحمه الله–:

محمد نصيف (١٣٠٢ – ١٣٩١هـ / ١٨٨٥م – ١٩٧١م) ، هو: محمد بن حسين بن عمر بن عبدالله بن أبي بكر نصيف: عالم «جُدَّة» وصدرها في عصره . وُلد بها . وتوفي مستشفيا بالطائف ودفن بجُدَّة . مات والده وهو صغير فرباه جده

٦٤٨– المصدر السابق، ص ص/٣٨١ – ٥٧٨ .

٦٤٩– أحمد، محمد بن أحمد سيد (وآخرون): محمد نصيف – حياته وآثاره، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٤١٤هـ)، ص/١٥٤ .

عمر . وأولع بالكتب فجمع مكتبة عظيمة ونشر كتبا سلفية وأعان على نشر كثير منها. وكتب في الردود وكان مرجعا للباحثين ، قال أمين الريحاني في ملوك العرب: هو دائرة معارف ناطقة يجيب على السؤالات التي توجه إليه ويهدي إلى مصادر العلوم الأدبية والتاريخية والفقهية . وقال الشيخ ابن مانع : «لم نعلم في الحجاز رجلاً يساويه في الكرم وحسن الخلق»(٦٥٠).

وأقول: إنني رأيت الشيخ محمد نصيف رحمه الله في صغري عدة مرات في مجلسه بدار آل نصيف وكان أنيق المنظر يلبس عقالاً أبيض، وذا هيبة ووقار .

وقد ورد وصف لهيئته ولباسه – رحمه الله- في كتاب «محمد نصيف – حياته وآثاره» جاء فيه: «كان – رحمه الله- حسن الهيئة والمظهر يرتدي الجبة والعمامة الحجازية وكان له سمت خاص في لباسه . ثم عندما تحول الشيخ إلى لبس العباءة والعقال كان مظهره مميزاً أيضاً فلم تكن عباءته مزدانه بالقصب الذي تتميز به العباءة العربية ، وكان عقاله أبيض خالصاً»(٦٥١).

جُدَّة بعدسة ذاكرة مسعود عالم الندوي:

في الصباح اليوم التالي لوصوله جُدَّة ، التقى الندوي وكيل مطوفهم بجُدَّة الشيخ أحمد حكيم ووصفه بأنه: «رجل عجوز طيب ، يثنى عليه الجميع» .

ذهب الندوي إلى قنصلية باكستان والتقى القنصل الباكستاني، ثم ذهبا سويا لزيارة الدكتور عبدالوهاب بك عزام قنصل عام مصر في المملكة العربية السعودية في مبنى القنصلية المصرية التي كانت تقع بجانب القنصلية الباكستانية وقضيا اليوم معه يتناقشان في الأدب والتاريخ . وفي اليوم التالي هطل مطر شديد مما تسبب في صعوبات في التنقل.

كان من المفترض أن يغادر الندوي ورفاقه جُدَّة يوم الجمعة ١١ صفر ١٣٦٩هـ الموافق ٢ ديسمبر ١٩٤٩م إلا أن غياب بعض الركاب عن الباخرة (جل دركا)

٦٥٠- الزركلي، خير الدين : الأعلام – قاموس تراجم، الجزء السادس، الطبعة الحادية عشر، مصدر سابق، ص/١٠٧ .
٦٥١- الندوي، مسعود عالم: شهور في ديار العرب، مصدر سابق، ص/١٢٣.

أخر السفر إلى اليوم التالي. فأدوا صلاة الجمعة في أحد مساجد جُدَّة (ولعله مسجد المعمار المجاورة لدار آل نصيف وآل الجمجوم في شرق شارع قابل).

وقد تحدث الندوي عن خطيب المسجد وأشاد بخطبته فقال: «صلينا الجمعة هنا في المسجد الكبير ، كان الخطيب رجلاً ممتازاً ، لم أرَ مثله من حيث اللغة واللهجة، وقوة الخطابة ، ولم أشاهد منذ سفري من البصرة حتى وصولي هذه المدينة من يتمتع بقوة الخطابة هذه».

وبعد العصر ذهبوا لزيارة محمد مظهر الندوي بجُدَّة ثم إلى القنصلية الباكستانية، التي كان بها سكن القنصل والعاملين في القنصلية، كما بين الرحالة.

وفي اليوم التالي (السبت ١٢ صفر ١٣٦٩هـ /٣ ديسمبر ١٩٤٩م) جلس الندوي قبيل سفره مرةً أخرى مع الشيخ محمد نصيف يستمع منه إلى أحوال البلاد، وإلى تاريخ الحجاز القديم ، «فلا يمكن أن يوجد عالم أكبر وأعظم منه في معرفة أحوال ووقائع الحجاز ، فهو رغم تجاوزه السبعين من عمره لا يزال يداوم على القراءة والمطالعة، ولا تراه في أي وقت من الأوقات فارغاً أو عاطلاً ، وقد وجدته كما ظننته عالما متواضعاً ورجلاً كريماً».

بعد أن انقشعت الغيوم وصفت السماء عند الساعة الحادية عشر صباحاً يوم السبت ركبوا القارب البخاري «اللنش» إلى السفينة وصعدوا على ظهرها . وبعد قليل عاد المطر للهطول مما صعب وصول بقية القوارب البخارية للسفينة وأصبح ركوب الباخرة صعباً للغاية فابتلت ملابس الكثير من الركاب .

قبل إقلاع الباخرة تم تعيين الندوي أميراً للحجاج على السفينة من قبل القنصل الباكستاني بجُدَّة . ويخبرنا الندوي أن «أمير الحج» يتولى الوساطة بين قبطان السفينة والحجاج ، فكل شخص يرفع اليه شكواه، فيحاول هو بالتالي أن يلتقى بالمسؤولين لإزالة أسباب الشكوى، كما يقوم أيضاً مسؤولو السفينة برفع شكواهم إليه، فيحاول من جانبه شرح الأمر للحجاج ، وكثير ما يُقابل ذلك بغضبهم عليه، «وعلى كل حال إذا كنت قد حُملت هذا العبء ، فيجب أن أحمله بطريقة

جيدة»[٦٥٢].

وبعد أن قضوا حوالي عشـــرة أيام مبحرين، وصلت بهم السفينة إلى كراتشي يوم الأربعاء (٢٣صفر ١٣٦٩هـ - الموافق ١٤ ديسمبر ١٩٤٩م) وكان في استقبالهم بعض الأهل والأصدقاء .

٦٥٢- المصدر السابق، ص ص/٥٧٨-٦١٤ .

هاري سانت جون بريدجر فيلبي
Harry St. John Bridger Philby

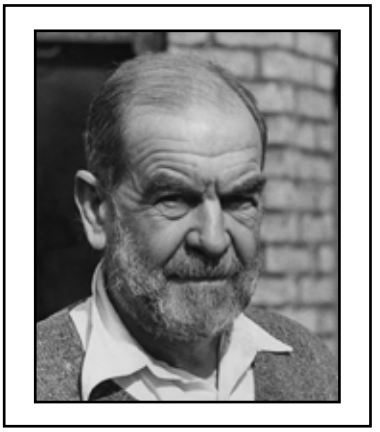

عبدالله فيلبي – المصدر: جون فيلبي والبلاد العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز (١٩١٥-١٩٥٣م).

في عـــام ١٣٧٠هـــ/ ١٩٥١م قام عدد من المستكشـــفين الأوربيين برحلة إلى جنوب المملكة العربية السعودية برئاسة الرحالة البريطاني المسلم هاري سنت جون فيلبي والمعروف باسم عبدالله فيلبي .

وكان هـــذا الوفد العلمي مكوناً إلى جانب فيلبي من كل من الأســـتاذ الدكتور كونزاك ريكمان وابن أخيه جاك ريكمان وفيليب ليبنز الذي كتب عن هذه الرحلة كتاباً وسمه : «رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية».

ولقـــد قامت دارة الملك عبدالعزيز بإصدار هذا الكتـــاب باللغة العربية بعد أن ترجمه إلى العربية الأســـتاذ الدكتور محمد محمد الحناش، وراجع الكتاب وعلق عليه الدكتور فهد السماري .

ولقد حظيت هذه الترجمة بتقديم بقلم خادم الحرمين الشـــريفين الملك ســـلمان بن عبدالعزيز آل سعود —حفظه الله— رئيس مجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز.

وقد قال خادم الحرمين الشـريفين الملك سـلمان بن عبدالعزيز في مقدمته: إن دارة الملـك عبدالعزيز من أجل رصد الجهود المباركة التي قام بها المؤسـس –رحمه الله– وأبنـاؤه من بعده، عرفاناً بفضلهم ووفـاءً لحقهم، وإيضاحاً لمنهجهم القويم قامت بإعداد الكثير من الدراسات والإصدارات التي تتناول بعض تلك الجهود في منجزات علمية موثقة لتدلل بذلك على ما أسـبغه الله – عز وجل– على هذه البلاد وأهلها، من تقدم علمي، ومن نهضة زاهرة .

وقـال حفظه الله عن الكتاب قيد البحث : «وهذا الكتاب ما هو إلا جزء من سلسلة «مجموعة المكتبة المئوية» التي تقوم دارة الملك عبدالعزيز بإصدارها بمناسبة مرور مئة عام على تأسـيس المملكة العربية السعودية، وهي سلسلة علمية تهدف إلى خدمة تاريخ هذه البلاد ومصادره المتعددة»[٦٥٣].

وقد أعطى محقق الكتاب نبذة عنه فقال: اطلعت في يوم من الأيام على عنوان لإحدى الرحلات إلى وسـط الجزيرة العربية وذلك باللغة الفرنسية للمؤلف فيليب ليبنز، وبحثت عن أساسـها، وتفضل الأخ الدكتور سـعود الذياب الملحق الثقافي في باريس، مشكوراً بالاتصال بالناشر في باريس والحصول منه على نسخة أصلية والموافقـة على قيام دارة الملك عبدالعزيز بنشـره بعـد تعريبه . وبعد أن فرغ الأخ الدكتـور محمد الحنـاش من نقل هذا الكتاب من الفرنسـية إلى العربية بدأت في مراجعته واسـتمتعت بقراءته نظراً لأن أسلوبه شيق ويحتوي على تفصيلات كثيرة تتعلق بالتاريخ والآثار والمجتمع . وكانت مهمتي صعبة جداً في تحقيق أسماء المواضع التي نقلها المترجم إلى العربية، وكانت معظمها غير صحيحة، وقمت بتتبع الرحلة علـى خرائط وزارة البترول والثروة المعدنيـة التفصيلية على مقاس ١/٥٠٠ ألف، وبعـض المعاجم الجغرافية المحلية . وتمكنت بفضـل الله تعالى من تصحيح معظم الأسماء والتعليق على بعض المواضع للتعريف بها، وذلك بعد رحلة شاقة مع المواقع الصغيرة على تلك الخرائط .

٦٥٣– ليبنز، فيليب: رحلة استكشـافية في وسـط الجزيرة العربية، ترجمة محمد محمد الحناش، تعليق فهد السـماري، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، (١٤١٩هـ – ١٩٩٩م)، ص/٦.

جون فيلبي في أوائل بعثته في نجد – المصدر: جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٠٥٦٤–٢٠١٧م

وبينما كنت أقوم بالمراجعة توصلت إلى بعض الأوراق التي دونها فيلبي عن هذه الرحلة التي كان هو رئيسها، ولم يسبق نشرها. وقد زودني بتلك الأوراق المنسوخة السيد أرميتاج. وعلى الرغم من أن أوراق فيلبي تعطي وصفاً لجزء من تلك الرحلة وليس كاملها، إلا أنها في محتواها أكثر تفصيلاً من هذا الكتاب، وتتميز بأسلوب فيلبي المتسم بالاستقصاء والاسترسال في سرد المعلومات، وربما أتمكن في يوم من الأيام من ترجمة هذه الأوراق، لتضيف ما غفل عنه ليبنز في هذه الرحلة.

ويقول السماري مكملاً ما بدأه: إنه من خلال قراءة هذه الرحلة يتضح ثراء المعلومات التي توصل إليها الفريق، وغزارة ما دونوه من أسماء للمواضع ووصف لها مثل قرية الفاو وغيرها . وتنطلق أهمية هذه الرحلة من كونها تضيف الجديد والكثير من المعلومات عن أجزاء كثيرة من المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة

العربية السعودية(٦٥٤).

ويقول محقق الكتاب: إنه لا شـــك أن دعم الملـــك عبدالعزيز لمثل هذه الرحلة الاستكشافية دليل على وعيه بأهمية مثل هذه الأعمال العلمية والإفادة من خبرات المتخصصين في التاريخ القديم والأثار والنقوش .

ويستطرد السماري قائلاً :

«والأهم من هذا هو تلك الشـــروط التي فرضها الملـــك عبدالعزيز على فيلبي وأعضاء البعثة الاستكشـــافية التي تعبر عن إدراك الملك عبدالعزيز لنتائج مثل هذه الرحلات»(٦٥٥).

هذا وقد كتـــب رئيس البعثة «فيلبي» تقديماً للكتاب قيد البحث قال فيه: لقد تطوع فيليب ليبنز لإعداد ملحق عن البعثة الاستكشافية التاريخية التي دامت أربعة أشـــهر إلى جنوب المملكة العربية السعودية، إنها البعثة الأثرية الأولى التي تمت في ظل الحكومة السعودية وتحت الرعاية السامية الشخصية للملك العظيم عبدالعزيز بن سعود . لم تكن الرحلة أثرية فقط فقد قطعنا خلالها آلاف الكيلومترات المربعة المجهولة أو التي تكاد تكون مجهولة.

وبين فيلبي أن فكرة هذه البعثة نضجت في ذهن الأســـتاذ كونزاك ريكمان بعد حوار أجرياه سوياً في باريس عام ١٩٤٨م . ويقول فيلبي أيضاً: ويعود الفضل في تجهيز هذه الرحلة إليه (ريكمان) وإلى مســـاعديه وخاصة ابن أخيه جاك ريكمان وفيليب ليبنز .

وذكر فيلبي أن الرحلة تمت على نفقة جلالة الملك عبدالعزيز الخاصة .

وبين فيلبي أنهم قطعوا حوالي ٥،٠٠٠ كيلومتر خلال رحلتهم تلك .

ورسم فيلبي صورة لعمل البعثة فقال: واللوحة التي تحضرها ذاكرتي عند استرجاعي

٦٥٤- المصدر السابق، ص/٧ .

٦٥٥- المصدر السابق، ص ص/٨-٩ .

لتجارب تلك الأيام الجميلة تنقسم إلى قسمين: صورة فيليب وجاك اللذين كانا يتمسكان برأس حبل ممدود من أجل الاقتراب من النصوص التي سيصورونها أو ينسخانها. كما أن ريكمان نفسه كان يجلس في مكانه أمام نقش كبير غير متحرك ، قلمه وورقته في يد فيما كان يفرك بيده الأخرى عينه كي تتضح له الرؤية حتى لا يضيع منه شيء من النص المنقوش على الحجر(٦٥٦).

وفي المقدمة التي كتبها البرفسور كونزاك ريكمان – الأستاذ بجامعة لوفان لهذا الكتاب قال: إن حكومة المملكة العربية السعودية تركت له حرية اختيار رفقائه في هذه الرحلة الاستكشافيه.

وقد اختار ريكمان ابن أخيه جاك ريكمان وهو دكتور في فقه اللغات الشرقية يبلغ من العمر ٢٧ سنه صاحب أطروحة حول المماليك في جنوب الجزيرة العربية قبل الهجرة، لمساعدته في البحث عن الآثار وقرائة النقوش.

كما اقترح ريكمان على فيليب ليبنز الانضمام إلى الفريق فوافق «دون أدنى تردد».

وقال ريكمان عن ليبنز: إنه يعرف كيف يبدى ملحوظاته وكيف يسرد حكايته، لقد تذكر في هذا الكتاب أحداثاً نعدها أساساً في تاريخ هذه الرحلة . وقال ريكمان عن فيلبي «رئيس البعثة»: إنه عربي التربية ووريث الثقافة الغربية، وإنه كان الأكثر صفاءً ضمن رفاق البعثة(٦٥٧).

بدأ سير الرحلة:

يقول فيليب ليبنز في كتابه «رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية»: إنه في يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٥١ «اختفت من سماء بلجيكا طائرة ذات أربع محركات سجل على بطاقاتها أسماء ثلاث ركاب متوجهين نحو المجهول».

٦٥٦- المصدر السابق، ص ص/١١-١٤ .
٦٥٧- المصدر السابق، ص ص/١٥ – ٢١ .

ثم يستطرد قائلاً: في الرابعة صباحاً تحولت أنظار ركاب الطائرة من نور كوكب الزهرة المتلألئ في عنان السماء لتركز على الأنوار الكهربائية في المدينة الواقعة على ضفاف البحر الأحمر . «إننا نطير فوق جُدَّة» .

خط سير الرحلة :

غادر الرحالة من بلجيكا إلى جُدَّة عن طريق الجو يوم ٢٤ من أكتوبر عام ١٩٥١م. ومن جُدَّة غادروا مستقلين السيارات باتجاه الشرق حتى وصلوا إلى (الزيمة) التي تحدث عنها الرحالة وعن كرم أهلها وحسن استقبالهم للضيف . ومن الزيمة ذهبوا إلى الحوية ومنها إلى الطائف التي تحدث عنها ليبنز بإسهاب . ومن الطائف سافروا إلى بيشة . وقد توقفوا خلال سفرهم إلى بيشة في عدة محطات جاء الكاتب على وصفها ووصف الطرق منها وإليها. ومن هناك توجهوا إلى أبها حيث توقفوا في طريقهم عند «بئر ابن سرار» ثم وادي المسيرق الذي قال عنه : إنه ذو مجرى ملتوٍ وضفاف مأهولة بالسكان . وقد حدد الرحالة ارتفاع المنطقة التي وصلوا إليها يوم الأحد ٢٥ نوفمبر بأنها على ارتفاع نحو ١٧٠٠ متر .

ثم ذكر بعد ذلك أنهم أصبحوا فيما بعد على ارتفاع نحو ٢٠٠٠ متر. قبل أن يصلوا إلى (أبها) التي قدر الرحالة عدد سكانها آنذاك بنحو عشرة آلاف نسمة .

وقد ذكر الرحالة أنهم شاهدوا قبوراً لثلاث تجار يونانيين دفنوا قرب أبها وذكر أسماءهم وقال إنهم كانوا أول أوربيين يزورون أبها، وأن فيلبي كان رابع أوربي يزورها عام ١٩٣٦م ثم زارها توتشل عام ١٩٤٠م قبل أن تصلها هذه البعثة الاستكشافية الأوربية عام ١٩٥١م. وقد قدم الرحالة وصفاً لأبها وسكانها وتحدث عن لقاء أميرها وبعض وجهائها. ومن أبها توجهت البعثة إلى (نجران). في طريقهم إلى نجران توقف بعد ذلك الرحالة في «خميس مشيط» التي قال : «إنها تعد مركزاً تجارياً مهماً» .

وبين ليبنز أن مضيفهم كان هو الشيخ عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة –رحمه الله– من كبار أهالي خميس مشط.

وبين محقق الكتاب أن الشيخ أبو ملحة كان رئيساً لمالية أبها منذ أن عينه في ذلك المنصب جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – عام ١٣٤٢هـ. كما بين المحقق أنه في عام ١٣٥٩هـ ضم له الملك عبدالعزيز جميع ماليات المنطقة الجنوبية وبقي في منصبه حتى وفاته عام ١٣٧٤هـ .

وقد قدم المؤلف وصفاً لوادي بيشة الذي قال : إنهم عبروه «من أجل معاينة صخرة مغطاة بالنقوش والرسوم» . وبعد ذلك ذهبوا للسلام على الشيخ سعيد بن مشيط أمير ورئيس قبيلة شهران . وقال الرحالة عن وادي بيشة : «إنه أحد الأودية الكثيرة والجافة في المملكة العربية السعودية. أما مجراه الذي حفرته الأمطار النادرة السقوط فيضيع في الصحراء على مسافة مئات الكيلومترات . ولهذه الوديان المشتتة عدد كبير من الروافد يطلق على واحدها «شعيب» . وبين الرحالة أنهم وخلال مرورهم في تلك المناطق كانوا يرون بعض «الرسوم الثمودية» ويقومون بتصويرها . وفي الطريق وبعد أن مروا بعدة أماكن وآبار وصلوا إلى منطقة قال المؤلف عنها : إنها «غنية جداً بالنقوش الصخرية» . وتابع الرحالة مسيرتهم فوصلوا إلى جبل (الصوق) «بمنحدراته الحجرية الرملية السمراء المائلة إلى السواد». وأكد ليبنز أن الثموديين كانوا يترددون على تلك الأماكن .

ومن الجدير بالذكر أن ليبنز ضمن كتابه صوراً لبعض الرسوم التي رأوها منحوتة على الصخور، مثل الصورة التي تبين ما قال عنه: إنه الصراع الأزلي بين الحمار والنعامة الذي كان مستمراً لقرون حسب وصفه.

وبعد فترة من الزمن وصلت البعثة إلى بئر (الحاير) التي قال : إنهم لم يصلوا إليها إلا «بشق الأنفس»، وذلك «بسبب المجرى الرملي لأحد الوديان المؤدية إليها». ومن ثم تابعوا سيرهم حتى وصلوا قمة جبل «سويدة». وقال الرحالة: إنهم كانوا قد جمعوا ٢١٠٠ نقش حتى ذلك الوقت وإنهم قد قطعوا مسافة ٢٠٧٤ كيلومتراً منذ أن غادروا مدينة جُدَّة إلى ذلك الحين.

وفي طريقهم ذكر المؤلف : إنهم وجدوا نقشاً يونانياً كُتب عليه : «إلهي أنقذني»، وقال: إنهم فهموا المحنة التي كان يمر بها هذا المغامر اليوناني الذي كان يعبر تلك

المنطقة قبل قرون. وبعد وهلة من الزمن وصلوا إلى نجران، التي قال عنها: إنها تقع في المنطقة المحاذية للحدود الشمالية الشرقية لليمن. وقال : إنهم كانوا سابع أو ثامن أوربيين وصلوا إليها باستثناء الرومان «الذين كانوا قد غزوا نجران تحت قيادة الجنرال أيلوس غالوس سنة ٢٤ قبل الميلاد» . وحدد ليبنز عرض نجران وعدد سكانها آنذاك فقال: إن عرضها حوالي أربعين كيلومتراً، وواحتها يسكنها حوالي ٨٠٠٠ نسمة، وقال: إنها تشكل حزاماً طويلاً من النخيل يمتد في الوسط على طول وادي نجران من الشرق إلى الغرب. وخلال تواجدهم في منطقة نجران زار ليبنز ورفاقه أطلال أخدود نجران التي قال: إنها تقع على مساحة ٩ هكتارات أو أكثر من ٥٠ هكتاراً «حسب ما إذا كنا نرغب في إطلاق هذا الاسم على ما هو داخل الأسوار حيث يصل طول الأسوار إلى ٣٠٠ متر، أو نحدده إلى ما هو خارجها حيث ما زالت توجد هناك بعض آثار المساكن».

وحدد ليبنز موقع الأخدود فقال: إنه يقع على الضفة الجنوبية لوادي نجران في منتصف الطريق بين مجرى الوادي الرملي وبداية مرتفعات صخور الجبال الممتدة نحو اليمن القريبة من هذه المنطقة .

وتحدث ليبنز عن حوالي عشرين نقشاً وجدوها منحوتة على «ألواح زرق من الجرانيت . وقال كانت الكتابة السبئية جميلة مرسومة بعناية وفن، وسياقها لا يتجاوز كلمتين» .

وذكر الرحالة أن سوق نجران كان ينعقد كل يوم اثنين وقال: إنهم شاركوا في ذلك السوق الذي وصفه قائلاً: إنه عبارة عن مكان تتكاثر فيه الجمال المحملة بالأكياس والعلف والقرب وحزم الحطب. وقال : إنه كان في السوق حوالي أربعمائة شخص رجالاً ونساءاً قدموا من مختلف الجهات لتبادل أو بيع منتجاتهم. وذكر أنه من الأشياء التي كانت تباع في السوق: بالاضافة لحزم الخشب، الحبوب وخاصة الأرز، والخضروات، وخاصة الطماطم والباذنجان، والتوابل والفحم الخشبي، وأعواد الكبريت، والأقمشة القطنية، الخ.

كما تحدث عن العملات التي كان أهل نجران يستخدمونها في سوقهم فقال:

علـــى الرغم من أن العملة الرسمية هي قطعة مـــن الفضة، أي الريال، فإنه يحدث أحيانـــاً أن ترى الناس يدفعون بتالير ماري تالر تريزا (وهي عملة نمســـاوية كانت تســـتخدم في المنطقة قبل انتشـــار العملات المحلية). وأقـــول: (إنها كانت تدعى أحياناً «ريال فرانسه») .

وعندما قرر الرحالة قضاء خمســـة أيـــام في الربع الخالي تركوا بعضاً من مرافقيهم ونصف عدد سياراتهم في نجران وتوجهوا إلى الربع الخالي.

وعندما وصلوا إلى أطـــراف الربع الخالي تقابلوا صدفة مع أعضاء بعثة مكافحة الجراد ببوف وبيونكر الذين كانوا ينوون التوجه جنوباً إلى حضرموت . وكان أحد أول أهداف ليبنز ورفاقه في ذلك الوقت هو الوصول إلى بئر «خطمة» التي قال : إنها تقع في السفح الشرقي لجبل طويق، حيث وجدوا قطعة من الخزف ولكنهم لم يجدوا أي نقش . وبعد حوالي ٥٠ كيلومتر من «طويق» شاهدوا جبال نجران على بعد . ومن ثم عادوا إلى نجران للالتقاء ببقية أفراد القافلة حتى يتســـنى لهم متابعة رحلتهم سوياً . ومن نجران توجهوا إلى «اللدام». وشاهدوا في طريقهم العديد من النقوش والرســـوم فقاموا بنســـخ العديد منها. وبعد ذلك خيموا على سفح جبل «ضدا»، قبل أن يتابعوا ســـيرهم فترة من الزمن ليبلغوا مقصدهم، قرية الفاو التي قـــال عنها : إنها عبارة عن بئر مهمة كانت مركزاً ســـبئياً متقدماً. وقال: إن أول مستكشـــف وصف هذا المكان كان الأمريكي أوين OWENS بعد ما ذهب إلى هنـــاك عام ١٩٤٨م . وذكر ليبنز أنهم كانوا ثالث بعثة غربية تزور هذه الأطلال. كمـــا قال: إن قرية الفاو تعد آخر بئر في المنطقة قبل الربع الخالي. وقال: إن أهم أســـباب وجود قرية الفاو «هي كونها معبراً واسعاً في جرف طويق الوعر الواقع في سلسلة طويق، فعن طريق هذا الممر كانت القوافل تنفذ إلى الربع «الخالي» . وقال ليبنز: إن كلمة فاو تعني في اللغة العربية «منافذ»، ومن بين هذه المنافذ كان يهمنا واحد منها يمتد من خشـــم «قرية « إلى خشم «لحيان». وتوجد في وسطه المنعزل في الرمال مجموعة صخور العبير التي كان يســـتخدمها الرســـامون الثموديون كثيراً بطبيعة الحال» .وبعد مواصلة سيرهم وصلوا إلى بئر «الزفر» . ثم إلى منطقة تبعد

حوالي فرسخين جنوب «اللدام ووادي الدواسر» التي قال «كنا نراها عن بعد لكننا تجنبنا الاقتراب منها في الظلام» .

وعن أوائل من زار اللدام من الغربيين قال ليبنز:

«كان فيلبي أول من قام برحلة استكشافية سنة ١٩١٨م، ثم جاء من بعده عالمان في الآثار سنة ١٩٣٢، ومن بعدهما جاء المستكشف ثيجر في سنة ١٩٤٨م.

هؤلاء هم الذين بدؤوا وأنهوا قائمة الأوربيين الذين سبقونا إلى اللدام في وادي الدواسر» .

ثم استطرد ليبنز قائلاً :

«خلال الألف كيلومتر اللاحقة سنتمكن من عبور المنطقة التي لم يكن قد تم استكشافها بعد، وهي التي تقع على التخوم الغربية لنفود الرحى الذي لا يزال هو نفسه غير معروف» .

ثم قال الرحالة : «وفي صباح يوم ٢٤ يناير كنا قريبين من اللدام».

بعد ذلك تابع الفريق الاستكشافي سيرهم تجاه الرياض وكانوا يصورون النقوش التي يجدونها في طريقهم . وقد حدد ليبنز عدد النقوش التي جمعوها خلال رحلتهم فقال:

«كان معنا اثنا عشر ألف نقش حميري» . كما حدد المسافة التي قطعوها خلال الرحلة قائلاً :

«لقد قطعنا مسافة ٥٤٤٨ كيلومتر، قطعنا أكثر من ٢٠٠٠ كيلومتر منها في الآفاق المجهولة».

وبعد دخولهم مدينة الرياض بعثوا ببرقية إلى بلجيكا لابلاغ أهاليهم أنهم أنهوا الرحلة بنجاح وسلام. وفي الرياض التي قدم لها الرحالة وصفاً وقدر عدد سكانها

بيت البغدادي في جُدَّة، مسكن عبدالله فيلبي وأول مبنى لمكاتب أرامكو في جُدَّة – المصدر: أرشيف أرامكو

آنذاك بحوالي ثمانين ألف نسمة، تشرف فريق البعثة بلقاء جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله وقدموا لجلالته تقريراً عن رحلتهم.

وقد أبدى ليبنز اعجابه الشديد بشخصية الملك عبدالعزيز وبمعرفته أرجاء مملكته وعلاقته الوثيقة بالمواطنين واهتمام جلالته –رحمه الله– بشؤون البلاد والعباد.

وفي يوم ١٥ فبراير عام ١٩٥٢م غادر الفريق الاستكشافي –باستثناء فيلبي– مدينة الرياض عن طريق الجو عائدين إلى بلادهم(٦٥٨).

جُدَّة بعدسة ذاكرة فيليب ليبنز :

عندما وصل إلى بلادنا الرحالة ليبنز ومرافقيه من أعضاء البعثة الاستكشافية التي ستزور جنوب المملكة العربية السعودية بحثاً عن بعض أهم الآثار والنقوش القديمة، كان دخولهم أراضي المملكة العربية السعودية عن طريق مطار جُدَّة التي

٦٥٨- المصدر السابق، ص ص/٢٢-٢٤٤ .

قضوا فيها عدة أيام قبل سفرهم لبدء أعمال التنقيب والاستكشاف. وبالرغم من أن ما كتبه ليبنز عن مدينة جُدَّة في كتابه عن رحلته كان مختصراً بعض الشيء إلا أنه يظل نافذة على تاريخ هذه المدينة العريقة في تلك الفترة من المفيد تسجيله هنا.

يقول ليبنز في كتابه قيد البحث :

«في يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٥١م اختفت من سماء بلجيكا طائرة ذات أربع محركات سجل على بطاقاتها أسماء ثلاثة ركاب متوجهين نحو المجهول».

هؤلاء الثلاث ركاب هم: كونزاك ريكمان، ج ريكمان، وفيليب ليبنز .

وعن وصولهم إلى جُدَّة قال ليبنز :

في الرابعة صباحاً تحولت أنظار ركاب الطائرة من نور كوكب الزهرة المتلألئ في عنان السماء لتركز على الأنوار الكهربائية في المدينة الواقعة على ضفاف البحر الأحمر. إننا نطير فوق جُدَّة، المدخل الغربي إلى المملكة العربية السعودية . إنها دولة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، المشهور بابن سعود ملك المملكة العربية السعودية .

ويستطرد ليبنز قائلاً :

تقع الجزيرة العربية على مساحة تعادل ثلث مساحة الولايات المتحدة الأمريكية، بما في ذلك الدول الصغرى المستقلة وفي مقدمتها اليمن، وتحتل المملكة العربية السعودية تسعة أعشار هذه المساحة، وبالضبط ١،٩٠٨،٠٠٠ كلم مربع .

ويبين ليبنز أن عدد سكان المملكة العربية السعودية آنذاك كان يبلغ نحو أربعة ملايين ونصف المليون نسمة، منهم نصف مليون قال : إنهم يسكنون مدن الرياض ومكة المكرمة وجُدَّة والمدينة المنورة بالاضافة إلى مراكز النفط . بينما يتكون بقية السكان من أهل القرى الذين يسكنون الواحات أو من عرب الصحراء الذين كانوا يعيشون على الرعي أو على الترحال ويسكنون حول آبار المياه في بعض المناطق شبه الخالية داخل البلد .

وتحدث ليبنز عن التوقيت المستخدم في المملكة العربية السعودية آنذاك وبين الفرق في التوقيت بين أوروبا وجُدَّة خاصة في ذلك الزمن الذي كان السعوديون يستخدمون فيه التوقيت الغروبي بدلاً من التوقيت الزوالي فقال كما هو الحال اليوم فقال :

«يتطلب النزول من الطائرة على أرض جُدَّة تغيير الساعة حيث يبدأ اليوم عند المسلمين هناك على الساعة ١٨ وبعبارة أخرى إذا قلت لأحد : إن اليوم هو يوم خميس وإن الساعة هي ٢٢، فإن زيداً سيصحح لك هذا الخطأ بقوله: إننا في يوم الجمعة وإن الساعة هي الرابعة».

وفي جُدَّة كان هاري سان جون بريدجر فيلبي (الشيخ عبدالله فيلبي) ينتظرهم في المطار . وقد تحدث ليبنز عن لقائهم فيلبي فقال:

هاهو ذا العضو الأكثر أهمية في الرحلة أمامنا، سنعيش معاً مدة أربعة شهور. إنه هاري جون بريدجر فيلبي المعروف هنا بالشيخ عبدالله الذي اعتاد على نمط العيش في هذا البلد. إنه يرتدي عباءة بيضاء واسعة يلفها إزار مذهب، يحمل فوق رأسه الغترة ومن فوقها عقال على شكل دائرة مزدوجة مصنوعة من شعر الماعز.

ثم يعود ليبنز للحديث عن مدينة جُدَّة فيقول:

«ها هي ذي جُدَّة المدينة البيضاء تمتد بخيلاء على ضفاف البحر الأحمر ذي المياه الزرقاء. فمن هنا يصل أغلب الحجاج متوجهين إلى مكة التي تبعد بحوالي سبعين كلم عن جُدَّة».

ويكمل الرحالة حديثه قائلاً: والمدن العتيقة الخشبية تغالب المنازل المبنية بالإسمنت، كما تغالب الطرق المسفلتة والطرق المخصصة للطيران. هناك حيث ينتهي المعمار الحديث تبدأ الصحراء التي يتداخل فيها الجمل مع السيارة.

وتحدث ليبنز عن العملات المستخدمة في جُدَّة وقيمتها آنذاك فقال: إن الريال هو العملة السعودية وقيمته تعادل الفرنك السويسري، لا توجد أوراق نقدية، يتم

تسـديد قيمة السـيارة بـ ١٠،٠٠٠ قطعة نقدية (يقصد الريال الفضة الذي كان مسـتخدماً بدلاً من الأوراق النقدية آنذاك)، وفي هذه الحالة يستحسن وزن المبلغ بدل عده . وفي جُدَّة اصطحبهم فيلبي لزيارة كبار المسؤولين بدءاً بالأمير (الملك) فيصـل نائـب جلالة الملك في الحجاز الذي قال ليبنز عـن مقابلته : إنها كانت «ذات فائدة كبرى حقيقية بالنسبة لأهداف هذه البعثة» .

وختم ليبنز حديثه عن مدينةجُدَّة قائلاً :

«تعد جُدَّة متحفاً أثرياً في طريق التكوين، حيث أشـرف ريكمان على عملية تصنيف وتصوير القطع الأساسـية التي سـتعرض فيه وقد اشـتغلنا في ذلك مدة يومين».

وقد بين محقق الكتاب الدكتور فهد السـماري أن فيلبي أشار في أوراقه الخاصة بهـذه الرحلة إلى أن الملك عبدالعزيز – رحمه الله – أصدر أوامره بإنشـاء متحف للآثار بجُدَّة(٦٥٩).

هكذا كانت مدينة جُدَّة كما شاهدها الرحالة فيليب ليبنز عام ١٩٥١م فسطر يراعه ما سـجلته عدسة ذاكرته عنها في كتابه (رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية) .

٦٥٩- المصدر السابق، ص ص/٢١ – ٢٤ .

محمد المنصوري الغسيري

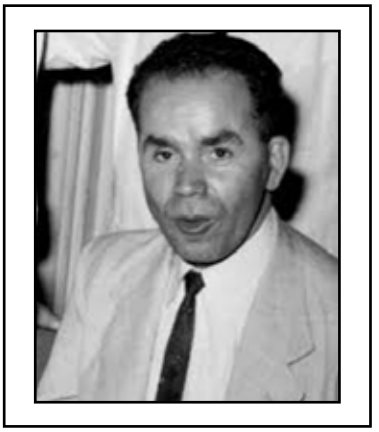

محمد المنصوري الغسيري – المصدر: يومية الشعب الجزائرية الإلكترونية

يقـــول الدكتور عمر بن قينه محقق كتاب عدت من الشـــرق الذي كتبه الرحالة الجزائـــري محمد المنصوري الغســـيري عن رحلته للحج: إنه توجد من دون شـــك حشود من الكتاب والأدباء الجزائريين الذين حجوا أو اعتمروا، أو قاموا بهما معاً، خلال القرن العشرين الميلادي، لكن قليلين منهم من دونوا رحلاتهم للحج والعمرة كنـــص أدبي، ومن هـــؤلاء القلائل من جاءت رحلاتهم للحج جزئياً بمناســـبات مختلفة: دينية، فكرية، أو سياســـية، أو ثقافيـــة، ونحوها، فلم تأت هذه الرحلات للحج مســـتقلة، ومن قام بها من بعض الكتاب مســـتقلة أحجم عن كتابتها ربما لاعتياده المناسبة، فضلاً عن عزوف سلبي بدا واضحاً لدى الجزائريين على التدوين في هذا النوع من الكتابة الذي أبدع فيه أجدادنا المســـلمون أيما إبداع في مشـــرق الوطن العربي ومغربه، وخارجهما من القرن الثالث الهجري حتى القرن الرابع عشر منه .

ويبـــين محقق الكتاب أنه : من أولى الرحلات الجادة التي نعرفها في القرن الرابع عشـــر الهجري العشـــرين الميلادي رحلة محمد المنصوري الغســـيري : ١٩١٢ – ١٩٧٤م العامة التي جاءت الرحلة إلى الحج ضمنها، وقد نشـــرها يومئذٍ في تسع

عشـــرة حلقة بجريدة البصائر الجزائرية ١٣٧٣هـــ/١٩٥٤م التابعة لجمعية العلماء المســـلمين الجزائريين بالجزائر التي كان على رأسها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ١٨٨٩ – ١٩٦٥م – رحمه الله(٦٦٠).

ويقدم لنا محقق الكتاب الدكتور عمر بن قينه ترجمة لحياة صاحب الرحلة فيقول: إن الشـــيخ محمد المنصور الغسيري بدأ حياته بالتربية والتعليم، وفي صفوف الحركة الإصلاحية مع جمعية علماء المســـلمين الجزائريين ومنتهياً إلى الدبلوماســـية لخدمة أمته الإسلامية والعربية والجزائرية.

ويذكـــر ابـــن قينه أن صاحب الرحلة ولد في قرية غســـيرة ولاية باتنة حيث بدأ تعليمه وتابعه في بســـكرة ثم في قسنطينة بالجامع الأخضر على ابن باديس الذي ســـرعان ما عينه مع الشيخ محمد الصالح رمضان سنة ١٩٣٧م معلماً في مدرسة التربية والتعليم وســـيدي بومعزه في الوقت نفســـه في مدينة قسنطينة ثم عين مديراً لمدرســـة الإرشاد في سكيكدة ســـنة ١٩٤٧م حيث صمد في موقعه هذا يدرس وينشّط الكشافة ويحاضر ويكتب مقالاته المختلفة ويعلن آراءه .

ويستطرد ابن قينه قائلاً :

وبعـــد اندلا ع ثورة التحرير ١٩٥٤م انصرف كلياً للسياســـة، فانخرط عاملاً في صفوف جبهة التحرير الجزائرية الجناح السياسي للثورة، فلم يلبث حتى صار ممثلها في دمشق سنة ١٩٥٧م .

أما بعد الاســـتقلال ١٩٦٢م فقد اختار البقاء في الميدان الدبلوماســـي، فعمل سفيراً للجزائر في عدة أقطار عربية بالمشرق .

وقد ظل في موقعه هذا بحس حضاري عربي إســـلامي حتى أدركته الوفاة ســـنة ١٩٧٤م .

٦٦٠– الغســـيري، محمد المنصوري: كراســـات المجلس، عدت من الشرق، تحقيق وتقديم الدكتور عمر بن قينه، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، العدد (٩)، (محرم ١٤٢٩هـ – يناير ٢٠٠٨م)، ص/٧ .

ويقول ابن قينه : إن آثار الغسيري هي مقالات مختلفة في اللغة والدين والتاريخ، والأدب، تضمنت معظمها جريدة البصائر في سلسلتها الثانية(٦٦١).

وبعد ذلك يتحدث ابن قينه عن رحلة الغسيري فيقول : إن رحلته إلى الحج جاءت ضمن رحلته العامة من الجزائر إلى الشرق العربي التي نشرها في حلقات بجريدة البصائر الأسبوعية، في سلسلتها الثانية بعد الحرب العالمية الثانية، ابتداءً من العدد: ٢٥٠، السنة: ٦، الصادر في ٥ ربيع الثاني ١٣٧٣هـ/١١ديسمبر ١٩٥٣م وانتهاء بالعدد ٢٧٦ السلسلة الثانية، الصادر في ٢٤ شوال ١٣٧٣هـ/٢٥ يونيو ١٩٥٤م وقد تحدث الكاتب مرتين أخريين عن هذه الرحلة في سياق آخر . كان حديثه في إحداهما على شكل تغطية صحفية، نشرت في البصائر في سبتمبر ١٩٥٣م وفي الثانية جرى الحديث عن ذلك في مجلة الحياة للكشافة الإسلامية الجزائرية، العدد الأول في مارس ١٩٥٤م .

ويبين ابن قينه أن البداية في رحلة محمد المنصوري الغسيري كانت إلى مصر في وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية استجابةً لدعوة الكشافة المصرية للمشاركة في احتفالات الذكرى الأولى لثورة ١٩٥٢م وكانت بداية الرحلة في ٢١ يوليو ١٩٥٣م انطلاقاً من قسنطينة ليلاً في اتجاه القاهرة ثم امتدت بالنسبة للكاتب إلى المملكة العربية السعودية للحج أساساً، واتسعت إلى سوريا ولبنان فجمع ملاحظاته وانطباعاته وكتبها في رحلة حملها مشاعره ومواقفه بعد عودته من هنالك، ونشرها في جريدة البصائر تحت عنوان رئيسي عام هو «عدت من الشرق»، في تسع عشرة حلقة، وكان هذا العنوان الرئيسي متبوعاً بعناوين فرعية أساسية متبوعة بدورها في بعض الحلقات بعناوين أخرى جزئية .

وقد شملت الرحلة عدة دول عربية منها تونس وليبيا ومصر وسوريا ولبنان بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج والالتقاء ببعض كبار المسؤولين في المملكة حيث أولته حكومة المملكة استقبالاً حافلاً وعناية خاصة تحدث عنها بإسهاب(٦٦٢).

٦٦١- المصدر السابق، ص/٨ .

٦٦٢- المصدر السابق، ص ص/٨-١٦ .

الغسيري في الأراضي المقدسة :

قدم الغسيري إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج ضمن وفد من علماء الجزائر قدموا من مصر إلى جُدَّة . وكان ذلك في عهد الملك عبدالعزيز وقبيل وفاته – رحمه الله – وقد تحدث الغسيري عن الملك المؤسس – رحمه الله – فقال : «كان الملك عبدالعزيز عظيماً حقاً، مصلحاً حقاً، وعربياً صريحاً حقاً، ومؤمناً قوياً صالحا حقا، مجدداً يهوى الإصلاح ويتخير الفرص ، ويرتاح للإنشاء والتعمير، فبنى المنشآت الخيرية والثقافية، وشق الطرق في كثير من المناطق الجبلية» .

هذا وقد استقبل الملك سعود –رحمه الله– عندما كان وليا للعهد الغسيري وبقية الوفد في حفل العشاء الذي أقامه –رحمه الله– للضيوف البارزين من حجاج العالم الإسلامي في ذلك الموسوم .

وتحدث الرحالة في كتابه عن لقاءآته ببعض رجال الحجاز وعلمائه، وعلماء من العالم الإسلامي خاصة في فندق «مصر» بمكة المكرمة .

كما وصف الطريق من مكة إلى المشاعر المقدسة وتحدث عن بعض الأماكن التاريخية التي زارها خلال تواجده في مكة المكرمة.

وقدم الرحالة أيضاً وصفاً للمدينة المنورة التي انتقل إليها جواً من جُدَّة ومكث فيها حوالي خمسة أيام تشرف خلالها بالسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده الشريف كما زار المواقع التاريخية الهامة في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأجل التسليم(٦٦٣).

جُدَّة بعدسة ذاكرة الرحالة محمد المنصوري الغسيري:

إبان تواجدهم في القاهرة عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٢م تلقى الشيخ الإبراهيمي والغسيري وزملاؤهم دعوة كريمة من ولي عهد المملكة العربية السعودية آنذاك

٦٦٣– المصدر السابق، ص ص/٦٢–٩١ .

الأمير (الملك) سعود بن عبدالعزيز -رحمه الله- لأداء فريضة الحج وزيارة المملكة العربية السعودية، فلبوها شاكرين.

وقد سافروا من القاهرة إلى جُدَّة على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية العربية السعودية قال عنها: إنها جبارة ذات أربع محركات تقل ما يربو على ستين راكباً من بينهم أسرة رئيس جمهورية مصر آنذاك الرئيس محمد نجيب. وقال الرحالة: إن الرحلة استغرقت أربع ساعات من القاهرة إلى جُدَّة حيث هبطت بهم بسلامة الله وحفظه .

وأقول: إن الرحلة من القاهرة إلى جُدَّة اليوم تقطع في حوالي ساعة وخمسة وأربعين دقيقة كما هو معروف.

وقدم الغسيري وصفا موجزاً لرحلتهم بالطائرة إلى جُدَّة فقال:

ومضت ساعات أربع بين الذكر والذكرى وإذا بالنادل (المضيف) يتقدم إلينا يعلمنا بقرب الوصول ثم فاجأنا الطيار بالهبطة الأولى ثم أمعن في الهبوط ميمّماً شطر جُدَّة وماهي إلا دقائق حتى اقتربنا من المدينة وألقينا عليها نظرة خاطفة ثم حومت الطائرة فوق مطار جُدَّة العظيم ثم لمست الأرض وحمدنا الله على سلامة الوصول وبعد هنيهة وقفت بين هتاف المستقبلين وتهليل وتكبير وتلبية المسافرين. فإلى مكة المكرمة[٦٦٤].

وقد وصف الرحالة الغسيري وقائع وصولهم إلى جُدَّة ما ننقل منه هنا بتصرف: قال الغسيري :

نزلنا من الطائرة في مطار جُدَّة العظيم فألفينا أمامنا مجموعة من سراة الحجاز، بين مديري تشريفات ، وأصدقاء شخصيين ، وأنصار علم ، ودعاة إصلاح، وكان في مقدمتهم الأستاذ عبدالسلام الغالي من رجال التشريفات السعوديين، ومدير المطار وأعوانه، وجماعة من رجال الحكومة السعودية، كل جاء ليمثل شخصية من

٦٦٤- المصدر السابق، ص ص/٥٧-٥٨ .

شخصيات الأمراء في استقبال ضيوف الحكومة من رجال العالم الإسلامي، وبعد هنيهة من النزول وقضاء فترة استراحة وتناول مشروبات باردة عند مدير المطار وافانا الأستاذ عبدالسلام الغالي بسيارتنا الخاصة بنا مدى إقامتنا بمكة والأماكن المقدسة حولها ، وسلم إلى سماحة الأستاذ الرئيس محمد البشير الإبراهيمي بطاقة الضيافة والإذن بالتنقل في أراضي الحجاز هو وحاشيته متى شاء، ثم أنبأه بأن الأمير (الملك) سعود أمير الحج في هذا العام «يدعوكم جميعاً إلى تناول طعام العشاء على مائدة الشرف التي تقيمها الحكومة السعودية سنوياً للشخصيات البارزة من حجاج العالم الإسلامي» . وركبنا السيارة الأمريكية الفاخرة وسارت إلى الأمام كالسهم بعد أن تلقت الأوامر بالسرعة ، وبعد جولة خاطفة في شوارع جُدَّة المدينة الراقية بسعة شوارعها وعلو مبانيها ، وكثرة منشآتها، أخذنا طريقنا إلى مكة المكرمة(٦٦٥).

وبعد أن وصل الرحالة وزملاؤه إلى مكة المكرمة قدم وصفاً مفصلاً للبلد الحرام وبين إعجابه بالمباني والأسواق في مكة المكرمة وتحدث عن الاستعدادات الهائلة التي وفرتها حكومة المملكة العربية السعودية خدمة لضيوف الرحمن كما وصف المسجد الحرام ومناسك الحج ومشاعره . وذكر الغسيري أن عدد الحجاج في عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م كان يقدر بحوالي خمسمائة ألف حاج .

وبعد انقضاء مناسك الحج عاد الغسيري وصحبه إلى فندق مصر بمكة المكرمة مقر استضافة الحكومة السعودية لهم بمكة المكرمة .

ومن مكة المكرمة عاد الغسيري وزملاؤه إلى جُدَّة حيث نزلوا في منزل الشيخ محمد نصيف رحمه الله الذي قال عنه الشيخ الغسيري :

«إنه عين أعيان الحجاز والرابطة الكبرى بين علماء السلفية في الأقطار الإسلامية ، وصاحب الآثار البارزة في خدمة السنة ونشرها ، وليس يخلو منزله من زوار وضيوف دائماً»(٦٦٦).

٦٦٥- المصدر السابق، ص ص/٥٩-٦٠ .

٦٦٦- المصدر السابق، ص ص/٦١-٧٩ .

ولعله من المناسب أن نذكر هنا شيئا من ترجمة حياة هذا العلم الجدي (الجداوي) الأصيل كما جاءت بقلم المؤرخ الشـــيخ محمد علي مغربي –رحمه الله– الذي قدم وصفاً لشـــخصية علم جُدَّة ووجيهها الشيخ محمد نصيف – رحمه الله – قال فيه : محمد حســـين نصيف : مستدير الوجه، أبيض اللون، واسع العينين، أقرب إلى الطول منه إلى القصر، وسيم، جسيم، قوي البنية، متين الأركان، تزين وجهه لحية غلـــب عليها البياض على الســـواد، يرتدي الجبة والعمامـــة الجازية وكان له سمت خاص في لباسه فهو ســـلفي المذهب والشارة، فحينما كان يلبس العمامة كانت عمامتـــه بيضاء خالصة ولم تكن تزدان بالنقوش الحمـــراء والخضراء التي تتميز بها العمامـــة الحجازية وحينما تحول عن الجبة والعمامـــة الحجازية إلى العباءة والعقال كانـــت عباءته بيضاء كذلـــك ولم تكن مزدانه بالقصب الـــذي تتميز به العباءة العربية، وكان عقاله أبيضـــاً خالصاً، فهو رجل متميز بطبعه يتخذ سمات العلماء السلفيين ويرتدي ما يراه متفق مع كرامة العلم ومقام العلماء.

كما قدم الشيخ المغربي ترجمة لحياة الشيخ محمد نصيف قال فيها:

ولد الشـــيخ محمد حسين نصيف في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ١٣٠٢هـ ومـــات أبوه وهو طفل فكفله جده لوالده الأفندي عمر نصيف وكان كبير أعيان جُـــدَّة أو علـــى الأصح كان ثاني اثنين هما أكبر أعيان جُـــدَّة في ذلك الزمان أما الثاني فهو الأفندي موســـى البغدادي وكان الرجلان كما سمعنا يكيدان لبعضهما البعـــض وينفس كل منهما على الآخر مكانه فيحـــاول النيل منه وكان الأفندي عمر نصيف وكيل شـــريف مكة ولعله كان وكيلاً لـــكل من يتولى إمارة مكة من الأشراف كما كان على صلة بالوالي التركي في الحجاز والذي كان يتخذ من قصر الأفندي عمر نصيف الشـــهير بجُدَّة مركزاً لإقامتة له في فصل الربيع، قالوا: وكان في أعلى القصر مجلس منيف يتخلله الهواء من كل مكان وكان الوالي التركي راتب باشا يصعد بفرسه إلى هذا المجلس الذي كان يسمى بالتركية (كشك) وفي حضانة هذا الجد الكبير وفي ظل هذا المجد تربى الشـــيخ محمد حسين نصيف، وكان الولد الوحيـــد لجَدِّة كما بلغنا فقد كانت ذريـــة الأفندي عمر نصيف جميعاً من البنات

ثم تزوج الزوج الثانية فولدت له حسين نصيف والد الشيخ محمد نصيف، ولكن حسيناً هذا توفي في أوج الشباب وترك بعده محمداً الذي احتضنه جده الأفندي عمر نصيف، فكان هو الذكر الوحيد لهذا الجد وهو المعصب له حين وفاته — رحمهما الله(٦٦٧).

وأقول: إنني في طفولتي كنت أرى الشيخ محمد نصيف —رحمه الله– في مقعد منزله وكان —رحمه الله– ذو هيبة ووقار . وكنت أذهب أحياناً إلى منزله مبعوثاً من والدي —رحمه الله– بقماش لثياب العيد كان الشيخ يشتريها من دكاننا في شارع قابل فأوصلها إلى منزله ويأمر هو بتسليمها للخياط ليخيط ثياب العيد له —رحمه الله– .

وعوداً إلى بدء فقد قال الغسيري: إنهم قضوا وقتا في ضيافة آخرين من أهل جُدَّة وهم: كل من الشيخ حسونه البسطي والشيخ محمد سرور الصبان الذي قال عنه: إنه «شيخ أدباء الحجاز ورئيس قسم الحج»، وغيرهم من أهل جُدَّة.

ومن جُدَّة سافر الشيخ الغسيري وزملاءه إلى المدينة المنورة عن طريق الجو.

وقد قدم الغسيري وصفا للمسجد النبوي الشريف، والمدينة المنورة وبعض الأماكن التاريخية بها .

ومن المدينة المنورة سافر الرحالة جواً إلى دمشق وبيروت في زيارة قصيرة ثم إلى مصر في رحلة جوية استغرقت حوالي ساعتين ونصف حلقت فيها الطائرة فوق البحر الأبيض المتوسط قبل الهبوط في مطار القاهرة .(ومن المعروف أن هذه الرحلة لا تستغرق اليوم أكثر من ساعة واحدة — المؤلف).

ومن القاهرة سافر الرحالة وزملاؤه إلى تونس عن طريق الجو . ومن تونس ركب القطار عائداً إلى بلدته «قسنطينه» في رحلة برية استغرقت حوالي عشر ساعات

٦٦٧– مغربي، محمد علي: أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار العلم للطباعة والنشر، جُدَّة، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)، ص ص/٢٣٣ — ٢٣٤ .

بعد أن من الله عليه وعلى صحبه بأداء فريضة الحج والصلاة في المسجد النبوي الشريف والتشرف بالسلام على صاحبه عليه أفضل الصلاة وأجل التسليم(٦٦٨). وقد ترك كتاباً ضافياً عن رحلته يستفاد منه في معرفة أحوال المناطق التي مر بها خلال تلك الرحلة .

٦٦٨- الغسيري، محمد المنصوري: كراسات المجلس، مصدر سابق، ص ص/٨٥-١٠٢ .

سعيدة سونيا ميلر خليفة
Saida Miller khalifa

سعيدة سونيا ميلر خليفة أمام المسجد الحرام – المصدر: كتاب الركن الخامس The Fifth Pillar

سونيا ميلر فنانة ونحاتة بريطانية تخرجت من جامعة كمبردج، أسلمت عام ١٩٥٩م، وغيرت اسمها عام ١٩٦٠م إلى سعيدة. سافرت إلى كندا حيث التقت بالأستاذ الجامعي المصري الدكتور يسري خليفة فتزوجته وحملت اسم عائلة زوجها على الطريقة الغربية فأصبحت تسمى (سعيدة ميلر خليفة) .

بعد أن انتقل الزوجان للعيش في القاهرة في عام ١٩٦٧م قامت ميلر بتدريس مادة الفنون في بعض مدارسها .

وفي عام ١٩٧٠م قام الزوجان معاً بأداء فريضة الحج وسجلت السيدة ميلر رحلة حجها في كتاب أهدته إلى زوجها ووسمته (الركن الخامس : قصة رحلة حج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة) The Fifth Pillar :The Story of a pilgrimage to Mecca and Medina وكتب شيخ الأزهر آنذاك الشيخ عبدالحليم محمود –

مدينة حجاج الجو في جُدَّة بالمطار القديم عام ١٩٧٠م، تصوير الرحالة سعيدة ميلر خليفة – المصدر: كتاب الركن الخامس The Fifth Pillar

رحمه الله – مقدمة هذا الكتاب .

بدأت السيدة ميلر رحلتها بدخول أراضي المملكة العربية السعودية عبر بوابة الحرمين وعروس البحر الأحمر والميناء الرئيس للمملكة مدينة جُدَّة، قادمة من القاهرة عن طريق الجو برفقة زوجها الدكتور يسري خليفة في عام ١٩٧٠م.

وقد استعرض الأستاذ أحمد محمد محمود في الجزء الثاني من كتابه الشامل (جمهرة الرحلات)، كتاب هذه الرحالة المسلمة الذي يذكر أنها بدأته قائلةً : «كان هدفي من كتابة رحلة الحج أن أنقل شيئاً من الغرابة والعجائب وشيئاً من الاضطراب والأمن وفوق ذلك متعة إكمال الفريضة»(٦٦٩).

ويستطرد الأستاذ أحمد محمود قائلاً عن هذه الرحالة ورحلتها وكتابها : وقدمت لرحلتها بما تعتقد أن الحج يرمز إليه: ففي المناسك يرى الحجاج دلالات وطهارة

٦٦٩- محمود، أحمد محمد: جمهرة الرحلات – رحلات الحج، مصدر سابق، ص/٨٠ .

وصول الحجاج إلى جُدَّة عام ١٩٧٠م، تصوير الرحالة سعيدة ميلر خليفة – المصدر: كتاب الركن الخامس The Fifth Pillar

الحــج، يــرى أول بيت وضع للناس، والأماكن التي تنــزل فيها الوحي، ومن أداء مشاعر الحج تشع أفكار عظيمة فعندما يجتمع الحجاج حول الكعبة يرمز تجمعهم لوحدتهم وقوة الروابط بينهم، وعندما يســعى الحاج بين الصفا والمروة فذلك يرمز إلى ســعيه للوصول إلى هدفه بإنفاذ أمر الله مالك الســموات والأرض، وعندما يرجم الشــيطان في منى فذلك يرمز إلى اتحاد المســلمين في نبذهم للشر، وعندما يزور الحاج المسجد النبوي الشريف يدرك مدى احترام المسلمين لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وتبجيلهم للأماكن التي نزل بها جبريل يبلغ الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم(٦٧٠).

ويذكر الأســتاذ أحمد محمود أن ميلر نقلت قول شيخ الأزهر الشيخ عبدالحليم محمــود – رحمه الله – في المقدمة التي كتبها لكتابها حيث يقول شــيخ الأزهر في هذه المقدمة : (إن الحج هو ســلام لكل حي، من إنسان وحيوان وحتى النبات،

٦٧٠- المصدر السابق، ص/٨٠ .

فالحيوان لا يخشى الحاج، وعندما أبلغ حاج في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنه قتل – وهو محرم – جرادة، أمره الخليفة بأن يفدي..، أما النبات محرم قطعه داخل حدود المدينتين المقدستين للحاج المحرم)[٦٧١].

وتقول ميلر عن نفسها إنها: بعد أن قضت ثلاث سنوات في مصر وبعيد حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧م . بين العرب وإسرائيل، وما ترتب على نتائجها من إغلاق لقناة السويس واستحالة سفر الحجاج بالسفن، تناقص عدد الحجاج المصريين حتى أصبح عشرة آلاف حاج تم اختيارهم بالقرعة ويسافرون بالطائرة إلى جُدَّة . لذا تقول ميلر: إنها وزوجها تقدما بطلب الحج بالقرعة عام ١٩٦٩م حيث تقدم في ذلك العام ٣٠ ألفاً وبعد شهور من الترقب قيل لهم: إن القرعة وقعت عليهم للسفر للحج، وحصلت هي وزوجها على إجازة شهر من أعمالهم لأداء فريضة الحج[٦٧٢].

السيدة ميلر تقارن بين رحلتها ورحلات الرحالة الأوربيين قبلها:

قرأت ميلر ما كتبه الرحالة الإنجليز من قبلها عن تجاربهم في الحج واستعرضت بعض أدبياتهم في كتابها وقارنت بين وضع الحجاج الصحي والأمني خلال رحلتها مقارنة بما وصفه الرحالة البريطانيين أمثال بيرتون وفيلبي وغيرهما، وبينت كيف تطور الأمن والخدمات سواء الصحية أو المرورية أو وسائل النقل وغيرها منذ ذلك الوقت وحتى زمن رحلتها، وبينت مدى التطور الذي جرى في مرافق الحج ومدن المملكة العربية السعودية، كما وصفت النفرة من عرفات إلى مزدلفة ثم إلى منى، وزودت ميلر كتابها بحوالي عشرين صورة.

وقارنت ميلر بين رحلة الطيران من القاهرة إلى جُدَّة وبين رحلات الحجاج في الماضي عبر الصحراء على ظهور الجمال وتساءلت ماذا كان سيقول الرحالة الذين

٦٧١- المصدر السابق، ص/٨٠ .
٦٧٢- المصدر السابق، ص/٨٠ -٨١ .

قدموا عن طريق الصحراء في الماضي لو عرفوا أنه في يوم ما سيكون بمقدور الناس السفر في ساعات إلى جُدَّة على متن طائر معدني فضي اللون يطير في السماء ويصل خلال ساعات بدلاً من أسابيع ؟[٦٧٣].

جُدَّة بعدسة ذاكرة السيدة سونيا ميلر:

كتبت ميلر كتابها بطريقة مماثلة لكتاب النبيلة البريطانية المسلمة زينب أفلن كوبلد، حيث تحدثت عن الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما تحدثت عن تجربتها الشخصية خلال الحج وكذلك عن تجاربها في مدن الحج وأعطتنا صورة فريدة عن تجربة الحج ليس فقط من وجهة نظر غربية بل ونسائية أيضاً وذكرت أن عدد النساء في حج ذلك العام الذي أدت فيه الفريضة كان حوالي ثلث الحجاج.

وكانت إحدى الحاجيات من كبار السن قد رافقت السيدة ميلر في رحلتها بعد أن طلب ابن تلك السيدة وزوجته من ميلر في مطار القاهرة أن تصطحب والدته معها فوافقت .

وقد بدأت ميلر وصفها لجُدَّة منذ أن وطئت قدماها المطار. وقالت إنها سكنت هي وزوجها في مدينة الحجاج التي أقامتها حكومة المملكة العربية السعودية مشكورة.

وقالت إنها خرجت من المطار هي وزوجها لشراء بعض الشاي في أحد مقاهي جُدَّة الواقعة بجانب المطار (القديم).

وتحدثت أيضاً عن سيارات الأجرة في جُدَّة وقالت: إنها كبيرة وجديدة وقارنتها بالسيارات القديمة المستعملة في بعض المدن العربية الأخرى .

٦٧٣- Miller , Sonia : The Fifth Pillar : The Story of a Pilgrimage to Mecca and Medina, Exposition Press , HicKsville ,New York , (1977) , Page/12.

مباني جُدَّة القديمة والحديثة عام ١٩٧٠م، تصوير الرحالة سعيدة ميلر خليفة – المصدر: كتاب الركن الخامس The Fifth Pillar

كما قالت: إن جُدَّة مدينة عصرية تتشـــابه في بعـــض الأمور مع مدن أمريكا الشمالية.

وتحدثـــت ميلر عن أهل جُدَّة فقالت: «إنهم طيبون ولطاف» إلا أنها بينت أن لهجتهم تختلف عن اللهجة المصريـــة التي كانت قد اعتادت عليها وألفتها خلال سكنها في القاهرة ما يزيد على ثلاثة أعوام مع زوجها المصري الأصل.

كمـــا تحدثت ميلر عن الجزء التاريخي من مدينة جُدَّة ووصفت ما به من منازل أثرية وبينت أن هذه المنازل مبنية من الحجر المنقبي ومن الحجار المرجانية.

وذهبـــت ميلر وزوجها إلى أحد بنوك جُدَّة لقضاء بعض الأعمال ووصفت هذا البنك قائلة: «إن البنك يعمل بطريقة ممتازة لا يقل عن البنوك الغربية»[٦٧٤].

٦٧٤- المصدر السابق، ص ص/٢٠-٢٢ .

الرحلة من جُدَّة إلى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة:

بعد قضاء عدة أيام في جُدَّة ذهبت السيدة ميلر وزجها إلى مكة المكرمة بالسيارة . ووصفت ميلر الطريق بين جُدَّة ومكة المكرمة وقالت إنه «طريق واسع وجيد»[٦٧٥].

وقارنت رحلتها بين جُدَّة ومكة مع رحلة الرحالة الإنجليزي (داوتي) قبل حوالي قرن من الزمان وبينت الفرق الكبير بين الحالتين سواء من الناحية الأمنية حيث كانت تسافر في أمن واطمئنان بعكس (داوتي) الذي كان مسافراً في ظروف غير آمنة بتاتا وكاد أن يقتل في الطريق كما وصفت الراحة التي كانت تتمتع بها في السيارة مقارنة برحلة (داوتي) على ظهر جمل[٦٧٦].

وعندما وصلت ميلر إلى مكة المكرمة وشاهدت الحرم الشريف ومنائره بينت كيف تأثرت بذلك.

وتحدثت السيدة ميلر عن مكة المكرمة والمسجد الحرام والكعبة المشرفة وزمزم والصفا والمروة. كما تحدثت عن أسواق ومنازل البلد الحرام.

وبعد أسبوعين قضتها في مكة المكرمة حان وقت الحج فذهبت ميلر وزوجها إلى منى وعرفات ومزدلفة ثم عادت إلى منى قبل أن تعود مرة أخرى إلى مكة المكرمة بعد قضاء المناسك . ووصفت ميلر المشاعر المقدسة وتحدثت عن منازل وأسواق منى .كما تحدثت عن الشعائر وطريقة عملها[٦٧٧].

السفر إلى المدينة المنورة:

بعد انقضاء أيام الحج غادرت الحاجة ميلر مكة المكرمة في طريقها هي وزوجها إلى المدينة المنورة عن طريق البر حيث استأجروا سيارة لنقلهم إلى المدينة المنورة .

٦٧٥- المصدر السابق، ص/٢٧.
٦٧٦- المصدر السابق، ص/٢٧-٢٨ .
٦٧٧- المصدر السابق، ص/٦٢-٨٢ .

حجاج يتأهبون لمغادرة جُدَّة إلى المدينة المنورة عام ١٩٧٠م، تصوير الرحالة سعيدة ميلر خليفة – المصدر: كتاب الركن الخامس The Fifth Pillar

وسارت بهم هذه السيارة بسرعة خمسين كيلو مترا في الساعة .

توقف سائقهم في أحد المقاهي على الطريق حيث استأجروا أماكن للنوم ، وفي الفجر استأنفوا رحلتهم في طريق جبلي قالت ميلر إنه جميل . وتحدثت عن بعض الواحات التي شاهدوها في الطريق .

ومع اقترابهم من المدينة المنورة لاحظت ميلر أن الطريق قد اتسعت، وفجاة لاحت منارات المسجد النبوي الشريف في الأفق فعرفت ميلر أن «حلمها قد تحقق».

وصفت ميلر المسجد النبوي الشريف وجبل أحد وقباء وبعض المواقع التاريخية في المدينة المنورة. كما وصفت المدينة وأسواقها ومنازلها وشوارعها وغير ذلك وصفا دقيقا وشاملاً[٦٧٨].

٦٧٨- المصدر السابق، ص ص/٩٨-١٠٥ .

المسجد النبوي الشريف عام ١٩٧٠م، تصوير الرحالة سعيدة ميلر خليفة – المصدر: كتاب الركن الخامس The Fifth Pillar

العودة إلى جُدَّة:

غادرت الحاجة ميلر وزوجها المدينة المنورة عائدين إلى جُدَّة في سيارة مستأجرة. وقامت ميلر بوصف طريق العودة وما شاهدته من جبال ووديان وغير ذلك كما وصفت أحد مناطق الاستراحة التي توقفوا فيها لأداء صلاة الظهر وكان ذلك قرب (بدر). وتحدثت عن معركة بدر التي ذكرت أنها جرت عام ٦٢٤م .

وبعد استراحة قصيرة تابعوا رحلتهم إلى جُدَّة التي وصلوا إليها بعد حلول الظلام وذهبوا إلى أحد فنادق المدينة لقضاء عدة أيام ريثما يغادرونها عائدين إلى مصر(٦٧٩).

عاودت ميلر زيارة أسواق جُدَّة مرة أخرى، وقالت عنها: إن أسواق جُدَّة

٦٧٩- المصدر السابق، ص ص/١١٥-١١٧ .

مشهورة وأن الحجاج عادة يشترون هداياهم من أسواق هذه المدينة الغنية بالعطور والساعات السويسرية وألعاب الأطفال المصنوعة في الغرب وغير ذلك من الكماليات. (وكان ذلك في وقت قل ما توجد فيه مثل هذه الكماليات في كثير من أسواق المدن العربية)[٦٨٠].

غادرت الحاجة سعيدة سونيا ميلر خليفة وزوجها الحاج يسري خليفة مدينة جُدَّة على متن إحدى الطائرات إلى القاهرة عبر البحر الأحمر والصحراء إلى أن وصلوا بسلامة الله وحفظه إلى القاهرة[٦٨١].

هذه مدينة جُدَّة في عام ١٩٧٠م كما رسمتها ريشة قلم الفنانة البريطانية المسلمة الحاجة سعيدة سونيا ميلر خليفة وكما سجلتها في كتابها الموسوم «الركن الخامس».

٦٨٠- المصدر السابق، ص ص/١١٧-١٢٠ .
٦٨١- المؤلف

الدكتور مراد ويلفريد هوفمان
Murad Wilfried Hofmann

مراد هوفمان – المصدر: www.newmuslim.net

الدكتور مراد ڤيلفريد هوفمان دبلوماسي ومؤلف ألماني. كتب عدة كتب عن الإسلام، منها الطريق إلى مكة والإسلام: البديل. تركز معظم كتبه ومقالاته على مكانة الإسلام في الغرب.

هوفمان حائز على دكتور في القانون من جامعة هارڤرد، وكان سفيراً لدى الجزائر، ثم لدى المغرب. أسلم هوفمان بعد رحلة فكرية طويلة وصفها في كتبه، وله العديد من الكتب التي تتناول مستقبل الإسلام في إطار الحضارة الغربية وأوروبا. هوفمان كاثوليكي المولد تحول إلى الإسلام، سبق أن عمل كخبير في مجال الدفاع النووي في وزارة الخارجية الألمانية وكان إسلامه موضع نقاش بسبب منصبه الرفيع في الحكومة الألمانية . وحاربته الصحف الغربية وحتى على المستوى العائلي تم اضطهاده.

ترجمة حياة الدكتور مراد هوفمان:

ولد مراد ويلفريد هوفمان لعائلة كاثوليكية في ٦ يوليو ١٩٣١ في أشافنبورغ، وهي بلدة كبيرة تابعة إدارياً لمنطقة فرنكونيا السفلى في شمال غرب بافاريا . بعد أن نال الشهادة الثانوية من مدرسة أشافنبورغ وكان الأول على صفه بدأ دراسته في عام ١٩٥٠م من منحة (التعليم العالي من أجل السلام الدائم) وكان ضيفاً في أخوية بساي إيبسلون في كلية الاتحاد في مدينة سكنيكتادي (ولاية نيويورك الأمريكية) مع التركيز على علم الاجتماع وقانون العمل والأدب الأنجلو أمريك .

ثم درس القانون في جامعة ميونخ . أكمل دراساته في ٢٧ فبراير ١٩٥٥م بعد أن اجتاز امتحان الدولة الأول في القانون وفي ٢٧ فبراير ١٩٥٧م مع امتحان الدكتوراة حول موضوع حماية المحاكم من تأثير واستخفاف الصحافة وفقاً للقانون الألماني والأمريكي .

خلال فترة عمله كمتدرب قانوني في ميونخ من عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٥٩م عمل هوفمان أيضاً كمساعد لقانون المرافعات المدنية في جامعة ميونيخ وفي مكاتب المحاماة الألمانية والأمريكية . اجتاز امتحان الدولة الثاني في القانون في ٢٧ إبريل ١٩٥٩م في ميونخ .

من ١٩٦٠ إلى ١٩٦١م درس القانون الأمريكي في كلية الحقوق بجامعة هارفارد في كامبريدج، ماساتشوستس، وفي الوقت نفسه عمل هناك كمساعد أبحاث للمحكمة العليا .

في عام ١٩٦١م التحق بوزارة الخارجية وعمل في السلك الدبلوماسي حتى عام ١٩٩٤م، في البداية في القنصلية الألمانية العامة في الجزائر العاصمة، من عام ١٩٧٠ إلى عام م١٩٧٢ عمل في قسم التخطيط في وزارة الخارجية . من عام ١٩٧٣ إلى عام ١٩٧٦م كان نائب رئيس الوفد الألماني في مفاوضات تخفيضات القوات المتبادلة والمتوازنة بين حلف الناتو وحلف وارسو في فيينا . من ١٩٧٩ إلى ١٩٨٣م ترأس وحدة «الناتو والدفاع» في وزارة الخارجية في بون . من عام

١٩٨٣ إلى عام ١٩٨٧م عمل مديراً للمعلومات في حلف الناتو في بروكسل . من عام ١٩٨٧ إلى عام ١٩٩٠م كان سفيراً لألمانيا في الجزائر . ثم شغل نفس المنصب في المغرب حتى عام ١٩٩٤م[٦٨٢].

إسلامه

في يوم ١٩٨٠/٩/٢٥م[٦٨٣] اعتنق هوفمان دين الإسلام السني في بون . واعتمر منذ عام ١٩٨٢م سبع مرات وأدى فريضة الحج مرتين (١٩٩٢ و ٢٠٠٣م). وألقى منذ عام ١٩٩٤م الكثير من المحاضرات في أوروبا الغربية والولايات المتحدة والعالم الإسلامي. كما كان عضواً كامل العضوية في مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي في عمان، ومستشاراً وعضواً فخرياً في المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا وعضواً في المجلس الشرعي لمصرف البوسنة الدولي في سراييفو . من ١٩٩٤ إلى ٢٠٠٨م ألقى حوالي ٣٥٠ محاضرة حول مواضيع إسلامية في ٣١ دولة . في عام ٢٠٠٨م أُختير من قراء المجلة الإسلامية ك «أهم شخصية مسلمة في ألمانيا». في عام ٢٠٠٩ سُمي «شخصية العام الإسلامية» في دبي. في أعوام ٢٠٠٩ و ٢٠١٠ و ٢٠١١ و ٢٠١٧ تم إدراجه في قائمة أهم ٥٠٠ شخصية مسلمة في العالم من قبل مركز الأمير الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي المسيحي بجامعة جورج تاون ومركز الدراسات الاستراتيجية الإسلامية في الأردن[٦٨٤].

وفاته

توفي يوم الاثنين ١٣ يناير ٢٠٢٠م في مدينة بون عن عمر ناهز ٨٩ عاما، بعد صراع طويل مع المرض[٦٨٥].

٦٨٢- ويكيبيديا الموسوعة الحرة .

٦٨٣- هوفمان، مراد فلفريد:رحلة إلى مكة، الطبعة الثانية، مكتبة العبيكان، الرياض، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، ص/٣٩ .

٦٨٤- ويكيبيديا الموسوعة الحرة .

٦٨٥- المصدر السابق .

خط سير رحلة الدكتور مراد هوفمان:

بدأ الدكتور مراد هوفمان رحلته إلى مكة المكرمة وزيارته للأراضي المقدسة من مطار الملك الخامس في الدار البيضاء حيث كانت رحلته إلى مطار جُدَّة في مساء يوم ٢٨ من مايو عام ١٩٩٢م، والتي تأجلت إلى صباح اليوم التالي(٦٨٦).

وفي الساعة الخامسة والنصف من صباح اليوم التالي، أقلعت بهم طائرة الخطوط الجوية السعودية من طراز بوينج ٧٤٧ المتجهة إلى مدينة جُدَّة مروراً بداكار عبر كل من صحاري ليبيا الشاسعة والسودان(٦٨٧).

تمكن قائد الطائرة من الهبوط بهم في المطار الصحيح بين مطارات جُدَّة الخمسة (هكذا وردت ولعله يقصد عدد الصالات) والذي وصفه بقوله: «فهذا المطار يبدو – على الرغم من كونه بناء إسمنتياً وكأنه مدينة خيام تنساب سابحة فوق الرمال(٦٨٨).

أقام الدكتور مراد في الفندق تحت رعاية إدارة المراسم الملكية وفي يوم ٣١ من مايو انطلق من المطار الحربي بطائرة من طراز هرقل ١٣٠، تابعة للقوات الجوية السعودية، في رحلة استغرقت ٥٠ دقيقة إلى المدينة المنورة(٦٨٩).

وفي يوم الثالث من شهر يونيو عاد إلى جُدَّة على متن إحدى طائرات القوات الجوية السعودية في طريقه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج(٦٩٠).

٦٨٦- هوفمان، مراد فلفريد:رحلة إلى مكة، الطبعة الثانية، مصدر سابق، ص/٨ .
٦٨٧- المصدر السابق، ص/٩ .
٦٨٨- المصدر السابق، ص/١١ .
٦٨٩- المصدر السابق، ص/١٢ .
٦٩٠- المصدر السابق، ص/١٦ .

جُدَّة بعدسة الدكتور مراد هوفمان:

عندما وصل الدكتور مراد هوفمان إلى جُدَّة عائداً من المدينة المنورة في طريقه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج عام ١٩٩٢م وأثناء وجوده في جُدَّة وصفها قائلاً: «بعد عشر سنوات من التطور المعماري الرائع، وتطور البنية الأساسية والتخطيط المعماري، لم يعد بمقدور المرء أن يتعرف على جُدَّة . فلقد أصبحت مدينة على الطراز الأمريكي .. مدينة كبرى بمقاييس برلين .. إذ يرى المرء لافتات الشوراع، وأنواع السيارات، والإعلانات المضاءة، ومحطات الوقود، على نحو يوحي بمدينة كولورادو أو مينا بوليس . والغريب في الأمر، أن السواد الأعظم ممن يجوبون هذه المدينة هم من العرب والهنود والفليبينيين . ولولا ذلك، لنسي المرء أنه في أرض العرب القديمة، وليس في العالم الجديد»[٦٩١].

هكذا بدت جُدَّة مدينة عصرية بمواصفات عالمية تضاهي كبريات المدن في العالم الحديث كما رآها الدكتور مراد هوفمان قبل أن يغادرها يوم ١٦ يونيو عام ١٩٩٢م متوجهاً بالطائرة إلى الدار البيضاء.

٦٩١- المصدر السابق، ص/٢٤ .

فهرس المصادر

١- القرآن الكريم

٢- إتحاف الورى بأخبار أم القرى

تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ . (النجم عمر بن فهد)

٣- الإحاطة في أخبار غرناطة

تحقيق محمد عبدالله عنان، القاهرة : مكتبة الخانجي، المجلد الثاني، ١٩٤٧م . (لسان الدين ابن الخطيب)

٤- الأخبار الطوال

تحقيق عبدالمنعم عامر، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م . (أحمد بن داود الدنيوري)

٥- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار

تحقيق رشدي الصالح ملحس، الطبعة العاشرة، مكة المكرمة : مكتبة الثقافة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م . (محمد بن عبدالله الأزرقي)

٦- أدب الرحلة - تاريخه وأعلامه

الطبعة الثالثة، بيروت, دار الثقافة، ١٩٧٩م . (جورج غريب)

٧- أدب الرحلة في التراث العربي

القاهرة : مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م . (فؤاد قنديل)

٨- الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف

تحقيق أيمن حجازي، أبوظبي : دار السويدي للنشر، ٢٠٠٤م . (شكيب أرسلان)

٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة

تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، بيروت : دار المعرفة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م . (الإمام عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير)

١٠- إسلام نبيلة إنكليزية وحجها إلى مكة والمدينة

تحقيق وترجمة الشيخ عمر أبو النصر (اليافي)؛ بيروت : المكتبة الأهلية، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م . (إفلن (زينب) كوبولد)

١١- أشهر رحلات الحج

الرياض : دار الرفاعي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م . (حمد الجاسر)

١٢- إصلاحات في لغة الكتابة والأدب

جُدَّة : دار المنهل، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م . (عبدالقدوس الأنصاري)

١٣- الأصنام

تحقيق الأستاذ أحمد زكي باشا، القاهرة : دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م . (هشام بن محمد بن السائب الكلبي)

١٤- الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

الطبعة الثامنة, بيروت : دار العلم للملايين، المجلد الرابع, ١٩٨٩م . (خير الدين الزركلي)

١٥- أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة

الجزء الأول، الطبعة الثانية، جُدَّة : دار العلم للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م . (محمد علي مغربي)

١٦- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام

تحقيق الدكتور على محمد عمر، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م . (محمد بن أحمد بن محمد النهروالي)

١٧- إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام

تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكة المكرمة: مكتبة الأسدي، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م . (عبدالله محمد الغازي)

١٨- اكتشاف جزيرة العرب

تحقيق حمد الجاسر, القاهرة : مكتبة مدبولي, ٢٠٠٦م . (قدري قلعجي)

١٩- أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك

الطبعة الثانية, تحقيق المهدي عيد الرواضية, بيروت, دار الغرب الإسلامي, ٢٠٠٨م . (محمد بن علي البروسوي)

٢٠- الأيام المبرورة في البقاع المقدسة

تحقيق رابح جمعة، القاهرة : عالم الكتاب، ١٩٩٩م . (محمد لطفي جمعة)

٢١- بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى

تحقيق صلاح الدين إبراهيم و عبدالرحمن بن حسين أبوالخيور وعليان بن عبد المعالي المحلبدي، القاهرة : دار القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م . (العز ابن عبدالعزيز بن فهد)

٢٢- بين التاريخ والآثار

الطبعة الثالثة؛ جُدَّة : مطابع الروضة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م . (عبدالقدوس الأنصاري)

٢٣- بيوت جُدَّة القديمة

جُدَّة : دار الإنسان للنشر والإعلان، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ هـ . (محمد درويش رقام و صالح سعيد العمودي)

٢٤- البيئة الطبيعية لمكة المكرمة

لندن : مؤسسة الفرقان للتراث الأسلامي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م . (رقية حسين سعد نجيم)

٢٥- تاج العروس من جواهر القاموس

المجلد الثالث عشر, الجزء السادس والعشرون, بيروت : دار الكتب العلمية, ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م . (محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي)

٢٦- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم

تحقيق عبدالملك بن دهيش، مكة المكرمة : دار خضر، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م . (محمد طاهر كردي)

٢٧- تاريخ المستبصر

تحقيق ممدوح حسن محمد, القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية, ١٩٩٦م . (يوسف بن يعقوب ابن المجاور)

٢٨- تاريخ جُدَّة من أقدم العصور حتى نهاية العهد العثماني

الطبعة الأولى، (د.ن)، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م . (عبدالإله بن عبدالعزيز باناجه)

٢٩- تاريخ مدينة جُدَّة

جُدَّة : المنهل، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م . (عبدالقدوس الأنصاري)

٣٠- تأريخ مكة

الطبعة الثامنة، مكة المكرمة : مطابع الصفا، ١٤٢٠هـ . (أحمد السباعي)

٣١- تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً

المدينة المنورة : مطابع الرشيد ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م . (محمد إلياس عبدالغني)

٣٢- التكملة لكتاب الصلة

تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة : دار الكتاب المصري، ١٤١٠هـ -١٩٨٩م . (عبدالله محمد ابن البار)

٣٣- تناكا إيبيه رائد الدراسات الإسلامية في اليابان ورحلاته إلى الجزيرة العربية وبلدان آسيا

تحرير نخبة من أساتذة جامعة تاكشوك, ترجمة سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشي, الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية, ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م

٣٤- جُدَّة التاريخ والحياة الاجتماعية

الطبعة الثانية؛ جُدَّة : دار العلم، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م . (محمد صادق دياب)

٣٥- جُدَّة بين ماضيها وحاضرها

مقال، مجلة المنهل، ذو الحجة ١٣٧٩هـ - مايو/يونيو ١٩٦٠م

٣٦- جُدَّة حكاية مدينة

الطبعة الثانية، جُدَّة : (د.ن)، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م . (محمد يوسف محمد حسن طرابلسي)

٣٧- جُدَّة خلال الفترة ١٢٨٦ – ١٣٢٦هـ/١٨٦٩ – ١٩٠٨م دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة

الرياض : دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٨هـ . (صابرة مؤمن إسماعيل)

٣٨- جُدَّة في العصر المملوكي

جُـدَّة : النـادي الأدبي الثقافي بجُدَّة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م . (سـلوى عبدالقادر السليمان)

٣٩- جُدَّة في القرن العاشر الهجري

مكة المكرمة : مؤسسـة مكة للطباعة والإعـلام، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م . (نوال سراج ششة)

٤٠- جُدَّة في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود ١٩٢٥-١٩٥٣م

القاهـرة : الـوادي الجديد للطباعة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م . (محمد بن جمعان الغامدي)

٤١- جريدة الاقتصادية

العدد ٧٤٧٣، ٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ-٢٨ مارس ٢٠١٤م

٤٢- جزر المملكة العربية السعودية في البحر الأحمر والخليج العربي

جُدَّة : هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م . (أحمد بن محمد الغزاوي وآخرون)

٤٣- جزيرة العرب في القرن العشرين

الطبعة الثالثة, (د.ن), ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م . (حافظ وهبه)

٤٤- جغرافية شبه جزيرة العرب

الطبعة الثانية, تحقيق أحمد علي, مكة المكرمة : مكتبة النهضة الحديثة, ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م . (عمر رضا كحاله)

٤٥- جمهرة الرحلات- الرحلات المحرمة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة

جُدَّة : الدار السعودية للنشر, ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م . (أحمد محمد محمود)

٤٦- جمهرة الرحلات- رحلات الحج

جُدَّة : الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م . (أحمد محمد محمود)

٤٧- الجواهر المعدة في فضائل جُدَّة

تحقيق الدكتو علي عمر، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م . (أحمد بن محمد الحضراوي)

٤٨- الحج قبل مئة سنة، الرحلة السرية للضابط الروسي عبدالعزيز دولتشين

الطبعة الثالثة؛ بيروت : دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م . (يفيم ريزفان)

٤٩- حدود المشاعر المقدسة

(د.ن), مكة المكرمة, ١٤٢٥هـ . (عبدالملك بن دهيش)

٥٠- حُسن القرى في أودية أم القرى

تحقيــق الدكتور علي عمر؛ القاهــرة : مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م . (جار الله محمد بن عبدالعزيز بن عمر ابن فهد)

٥١- حياتي (ترجمة حال)

ترجمة إحســان وصفي, تحقيــق الدكتور صالح مهدي الســامرائي, مكة المكرمة : دار الميراث النبوي, ١٤٣٥-٢٠١٤م . (عبدالرشيد إبراهيم)

٥٢- الخط الحديدي الحجازي

القاهرة: دار النيل, ١٤٣٢هـ -٢٠١١م . (متين هولاكو)

٥٣- دراسات في آثار المملكة العربية السعودية

الجــزء الأول، الريــاض : إصــدارات المهرجان الوطني للــتراث والثقافة، ١٤١٢هـ . .(محمد أحمد بدين و عبد الرحمن بكر كباوي)

٥٤- دراســة تاريخية لمســاجد المشاعر المقدسة (مســجد الخيف – مسجد البيعة بمنى)

جُــدَّة : دار المدني، ١٨٠٤هــ - ١٩٨٨م . (ناصر عبدالله البركاتي و محمد نيسان سليمان مناع)

٥٥- الدولة العباسية

المكية العصرية . (محمد بلال الخضري)

٥٦- ديوان الإمام الشــافعي المســمى الجوهر النفيس في شــعر الإمام محمد بن إدريس

القاهرة : مكتبة ابن سينا . (محمد إبراهيم سليم)

٥٧- رحالة إسباني في الجزيرة العربية

ترجمة وتحقيق الدكتور صالح بن محمد السنيدي، الرياض : دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٩هـ . (دمنجو باديا (علي بك العباسي))

٥٨- رحالة غربيون في بلادنا

الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (١٤١٧هـ . (حمد الجاسر)

٥٩- رحلات الإمام محمد رشيد رضا

تحقيق الدكتور يوسف إيبش، بيروت : بدر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م . (محمد رشيد رضا)

٦٠- الرحلات الحجازية

إعداد وتحرير محمد همام فكري، بيروت : بدر للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م . (محمد صادق باشا)

٦١- الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية

بحوث مقدمة في ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الرياض : دارة الملك عبدالعزيز، الجزء الخامس، رجب ١٤٢١هـ- أكتوبر ٢٠٠٠م

٦٢- رحلات إلى شبه الجزيرة العربية

ترجمة هتاف عبدالله، بيروت : الانتشار العربي، ٢٠٠٥م . (جون لويس بيركهارت)

٦٣- رحلات فارتيما

ترجمة وتحقيق د/عبدالرحمن الشيخ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م . (لودفيكو فارثيما)

٦٤- رحلة حجي إلى مكة .. رحلة إلى المناطق الساحلية والداخلية لبلاد الحجاز

ترجمة د ريهام نبيل سالم، مراجعة د. عبدالله أبوهشه، لندن: دار الحكمة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م . (هاينرش فرايهر فون مالتسان) .

٦٥- رحلة ابن بطوطة

تحقيق الدكتور درويش الجويدي بيروت، المكتبة العصرية، الجزء الأول، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م . (محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي ابن بطوطة)

٦٦- رحلة ابن جبير

بيروت : دار الشرق العربي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م . (أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني)

٦٧- رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية

ترجمة محمد محمد الحناش، تعليق فهد السماري، الرياض : دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م . (فيليب ليبنز)

٦٨- رحلة التميمي التونسي إلى الحج

مجلة العرب، العدد (١٦) الجزء الأول والجزء الثاني ١٤٠١هـ-١٩٨١م . (حمد الجاسر)

٦٩- رحلة الحاج المعاصر إلى مكة عام ١٩٠٨م

أبو ظبي : هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م . (آرثر جون وافل (علي الزنجباري))

٧٠- رحلة الحج والعمرة

بيروت : دار الهجرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م . (محمود ياسين)

٧١- رحلة الحج ولقاء الشيوخ

بيروت: دار ابن حزم, ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) . (عبدالقادر العافية)

٧٢- رحلة الحجاز

بيروت : مجلة الحكمة، ١٩٣٧م . (عبدالغني شهبندر)

٧٣- الرحلة الحجازية

ترجمة وتقديم الأستاذ الدكتور الصفصافي أحمد المرسي، القاهرة : دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م . (أوليا جلبي)

٧٤- الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر

الطبعة الثانية، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م . (محمد لبيب البتنوني)

٧٥- رحلة الرحلات .. مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة

لندن : مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م . (عبدالهادي التازي)

٧٦- الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية

تقديم الدكتور محمد بن عزوز، بيروت : دار ابن حزم، ، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م . (محمد بن جعفر الكتاني الحسني)

٧٧- رحلة الصديق إلى البيت العتيق

تحقيق أيمن حجازي، أبوظبي : دار السويدي للنشر، ٢٠٠٩م . (محمد صديق خان)

٧٨- رحلة المقدسي – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

تحقيق شـــاكر لعيبي؛ أبوظبي : دار السويدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م . (محمد بن أحمد المقدسي)

٧٩- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية

ترجمـــة وتعليق سمير عبدالحميد إبراهيـــم؛ القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م . (مولانا رفيع الدين المراد أبادي)

٨٠- رحلة إلى الأراضي المقدسة

القاهرة : مطبعة المدينة المنورة، (د.ت) . (مصطفى محمد الراعي)

٨١- رحلة إلى الحجاز

ترجمة وتحقيق الدكتور محمد خير البقاعي؛ الرياض : دار الفيصل الثقافية، ١٤٢٢هـ . (شارل ديديه)

٨٢- رحلة إلى الشـــريف الأكبر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٥٤

ترجمـــة الدكتور محمد خير البقاعي، بيروت : الدار العربية للموســـوعات، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م . (شارل ديديه)

٨٣- رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها

بيروت : الانتشار العربي، ٢٠٠٧م، الجزء الأول . (كارستن نيبور)

٨٤- الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م

ترجمة ســـارة تاكاهاشـــي، الرياض : دارة الملـــك عبدالعزيز، ١٤١٦هـ . (إيجيرو ناكانو)

٨٥- رحلة بن جبير

تحقيق معين الشريف، بيروت : المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م . (أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني)

٨٦- رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز

ترجمة وتعليق الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ؛ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م، الجزء الثالث . (السير رتشارد بيرتون)

٨٧- رحلة جوزيف بتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة

(جوزيف بتس)

٨٨- الرحلة في الأدب العربي

القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م . (شعيب حليفي)

٨٩- رحلة في بلاد العرب

ترجمة الدكتور محمد بن عبدالله آل زلفة؛ الرياض : دار العرب للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م . (موريس تاميزييه)

٩٠- رحلة في قلب نجد والحجاز

تحقيق الدكتور محمد محمود خليل، بيروت : الدار العربية للموسوعات، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م . (محمد شفيق مصطفى)

٩١- رحلتي إلى مكة

ترجمة محمد أحمد الحناش؛ الرياض : مؤسسة التراث، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م . (جيل جرفيه كورتلمون)

٩٢- رحلة إلى الحجاز

المجلة العربية, الرياض, العدد ٣٩٦ (محرم ١٤٣١هـ-يناير ٢٠١٠م . (إبراهيم عبدالقادر المازني)

٩٣- رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م

الطبعة الثانية, ترجمة أنس الرفاعي, تحقيق ونشر سعود بن غانم الجمران العجمي, الكويت, ٢٠٠٥م . (جورج فورستر سادلير)

٩٤- الروض المعطار في خبر الأقطار

تحقيق الدكتور إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت : مكتبة لبنان، ١٩٨٤م . (محمد بن عبدالمنعم الحميري)

٩٥- سفر نامه

تحقيق وترجمة الدكتور يحيى خشاب؛ الطبعة الثانية، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م . (ناصر خسرو علوي)

٩٦- السلاح والعدة في تاريخ بندر جُدَّة

تحقيق الدكتور علي محمد عمر؛ القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٧م . (عبدالقادر بن أحمد ابن فرج)

٩٧- شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز

الطبعة الثامنة، بيروت : دار العلم للملايين، المجلد الأول، ١٩٩٨م . (خير الدين الزركلي)

٩٨- شذرات الذهب

دار المنهل، جُدَّة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، (أحمد بن إبراهيم الغزاوي)

٩٩- شهور في ديار العرب

الرياض : مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م . (مسعود عالم الندوي)

١٠٠- الطائف في شذرات الغزاوي

الطائف : دار ثقيف للنشر والتأليف, ١٤١٤هـ-١٩٩٤م . (حماد السالمي)

١٠١- الطبقات الكبرى

تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت : دار صادر، ، (د.ت.)، المجلد الرابع والثاني . (محمد ابن سعد)

١٠٢- طريق الهجرة النبوية

إعادة الطبعة الأولى، جُدَّة : دارة المنهل، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م . (عبدالقدوس الأنصاري)

١٠٣- عمارة الدور العثمانية الباقية في مدينة جُدَّة

القاهرة : بحث مقدم للحصول على شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية بجامعة القاهرة, ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، المجلد الأول . (سوزان محمد عبداللطيف أحمد)

١٠٤- قافلة الحبر

بيروت : دار الساقي, ١٩٩٤م . (سمير عطا الله)

١٠٥- كراسات المجلس - عدت من الشرق

تحقيق وتقديم الدكتور عمر بن قينه، الجزائر : منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، العدد (٩)، محرم ١٤٢٩هـ/يناير ٢٠٠٨م . (محمد المنصوري الغسيري)

١٠٦- لسان العرب

الطبعة الثالثة، بيروت : دار صادر، ٢٠٠٤م . (جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور)

١٠٧- اللؤلؤة الفاشية في الرحلة الحجازية

تحقيق الأستاذ الدكتور نور الهدى عبدالرحمن الكتاني، بيروت : دار ابن حزم، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م . (عبدالسلام بن محمد العمراني السرغيني)

١٠٨- محمد نصيف – حياته وآثاره

بيروت : المكتب الإسلامي، ١٤١٤هـ . (محمد بن أحمد سيد أحمد (وآخرون))

١٠٩- المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية

جُدَّة : دار الأندلس الخضراء، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م . (محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف)

١١٠- مدينة الرياض – دراسة في جغرافية المدن

الرياض : دارة الملك عبدالعزيز، ، غير مؤرخ . (عبد الرحمن الشريف)

١١١- مدينة جُدَّة – الموقع، البنية، العمران، السكان

جُدَّة : دار المجتمع، ١٤٠٢هـ - ١٩٩٠م . (فاطمة عبدالعزيز سليمان الحمدان)

١١٢- مرآة الحرمين

الطبعة الثانية؛ الرياض : دار المريخ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، الجزء الأول . (إبراهيم رفعت باشا)

١١٣- مراصد الاطلاع (على أسماء الأمكنة والبقاع)

تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت : دار الجيل، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م . (عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي)

١١٤- مستفاد الرحلة والاغتراب

تحقيق عبدالحفيظ منصور، تونس : الدار العربية للكتاب، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م . (القاسم بن يوسف التجيبي السبتي)

١١٥- مسيحيون في مكة

ترجمة رمزي بدر، الوراق، ٢٠٠٧م . (أغسطس رالي)

١١٦- مع ابن جبير في رحلته

القاهرة : المطبعة العربية الحديثة, ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م . (عبدالقدوس الأنصاري)

١١٧- معجم ابن بطوطة في رحلته

عمان : دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م . (الدكتور مأمون فريز جرار)

١١٨- معجم البلدان

تحقيق محمد عبدالرحمن المرغشلي، بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الجزء الثالث . (شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله ياقوت الحموي)

١١٩- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية

الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (د.ت) . (حمد الجاسر)

١٢٠- معجم المؤلفين – تراجم مصنفي الكتب العربية

بيروت : دار إحياء التراث العربي, ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م . (عمر رضا كحالة)

١٢١- المعجم الوسيط

القاهرة : مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

١٢٢- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع

الطبعة الثالثة، تحقيق مصطفى السقا, القاهرة : مكتبة الخانجي, الجزء الثاني, ١٤١٧هـ-١٩٩٦م . (عبدالله عبدالعزيز البكري)

١٢٣- معجم معالم الحجاز

مكة المكرمة : دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م . (عاتق بن غيث البلادي)

١٢٤- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

الطبعة الثانية، بغداد : جامعة بغداد، الجزء الرابع، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م . (جواد علي)

١٢٥- مقال مؤرخو مدينة جُدَّة

مجلة العرب, الجزء الثالث, السنة الثانية, رمضان ١٣٨٧هـ - ديسمبر ١٩٦٧م . (حمد الجاسر)

١٢٦- مقتطفات من رحلة العياشي (ماء الموائد)

تحقيق حمد الجاسر، الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة، ١٤٠٣هـ . (عبدالله بن محمد العياشي)

١٢٧- مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى

تحقيق د. محمود السـرياني ود. معراج نـواب مرزا، الرياض : دارة الملك عبدالعزيز ١٤٣٠هـ . (أغسطس رالي)

١٢٨- مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري

مكـة المكرمة : نادي مكة الثقـافي الأدبي، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الجزء الثاني . (محمد بن محمود السرياني ، ومعراج نواب مرزا)

١٢٩- ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة

الطبعة الثانية، جُدَّة : دار العلم للطباعة والنشـر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م . (محمد علي مغربي)

١٣٠- المملكة العربية السعودية – صور من الماضي

الطبعة الثانية، لندن : فوليو المحدودة، ١٩٩٧م . (بدر الحاج)

١٣١- المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين

لندن : مركز الدراسات العربية، ١٩٩٦م . (وليام وجليان غرانت فيس)

١٣٢- من رحلات الفرنسيين إلى الجزيرة العربية

الرياض : التراث، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م . (أ.د محمد خير البقاعي)

١٣٣- منائح الكرم فى أخبار مكة والبيت وولاة الحرم

تحقيق الدكتورة . ماجِـدَة فيصل زكريا، مكة المكرمة : جامعة أم القرى، الجزء الثالث، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م . (علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري)

١٣٤- المنجد في اللغة العربية المعاصرة

الطبعة الثانية، بيروت : دار المشرق، ٢٠٠١م . (لويس معلوف)

١٣٥- المواني السعودية على البحر الأحمر

الطبعــة الثانية، القاهرة : مطبعة المــدني، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م . (محمد أحمد الرويثي)

١٣٦- مواني البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك

الرياض : دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٨هـ . (خالد محمد سالم العمايرة)

١٣٧- موسوعة تاريخ مدينة جُدَّة

الطبعــة الثالثة، القاهــرة : دار مصر للطباعــة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م . (عبدالقدوس الأنصاري)

١٣٨- موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب

ترجمة الدكتور محمد حــرب؛ القاهرة : دار الآفاق العربية، الجزء الخامس، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م . (أيوب صبري باشا)

١٣٩- موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة

المجلد السادس، لندن : مؤسسة الفرقان، ٢٠١٢م . (عبدالهادي التازي)

١٤٠- النزلة اليمانية حي في ذاكرة « جُدَّة «

جُدَّة : مكتبة دار زهران، ١٤٣١هـ . (عباس بن محمد سعيد الفضلي)

١٤١- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

عــالم الكتب : بيروت, المجلد الأول, ١٤٠٩هـــ-١٩٨٩م . (محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الإدريسي)

١٤٢- النشــاط التجــاري لميناء جُــدَّة- خلال الحكــم العثماني الثاني (١٢٥٦هـ -١٣٣٥هـ/١٨٤٠م-١٩١٦م)

جُدَّة : النادي الأدبي الثقافي بجُدَّة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م . (مبارك محمد المعبدي)

١٤٦- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب

تحقيق الدكتور مريم قاسم الطويل و الدكتور يوسف علي طويل، بيروت : دار الكتب العلمية . (أحمد بن محمد المقري)

١٤٧- نماذج من جهود حكومة المملكة العربية السعودية في بناء المساجد داخل المملكة

الرياض : تقرير من إعداد وكالة الوزارة المساعدة لشؤون المساجد بوزارة الأوقاف بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ

١٤٨- نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى

تحقيق الدكتور الحبيب الهيله، لندن : مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م . (جار الله بن العز بن فهر)

١٤٩- نيل الوطر في ذكر أحوال السفر إلى الحرم الأزهر والنبي الأنور»صلى الله عليه وسلم»

تحقيق محمد بن عبدالرحمن الثنيان, الرياض : دارة الملك عبدالعزيز, ١٤٢٦هـ . (إسماعيل جغمان)

١٥٠- يوميات رحلة في الحجاز

تحقيق وترجمة الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم, الرياض : دارة الملك عبدالعزيز, ١٤١٧هـ . (غلام رسول مهر)

١٥١- يوميات رحلة من القاهرة إلى الرياض

ترجمة الدكتور محمد منصور أبا حسين، الرياض : دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٣هـ . (جورج بيلينكن)

المواقع الألكترونية

- **موقع محافظة أمانة جُدَّة الالكتروني www.Jeddah.gov.sa**
- **الموقــع الالكتروني لمستشــفي الملك فيصــل التخصصي ومركز الأبحاث www.kfshrc.edu.sa**

المراجع الأجنبية

- **From Drury Lane To Mecca**

  Sampson Low Marston, London, 1931. (Eric Rosenthal)

- **H.V.F:Explorers of Arabia**

  George Allen, Unwin, London . (Zahra and Winstone Freeth)

- **One Thousand Roads to Mecca-**

  Grove Press, 1997 (Michael Wolfe)

- **The Fifth Pillar : The Story of a Pilgrimage to Mecca and Medina**

  Exposition Press , HicKsville ,New York , 1977 .) Sonia Miller)

فهرس الصور والوثائق والخرائط

الصورة	رقم الصفحة
خريطة المقدسي للعالم الإسلامي	٤٤
المسار المقترح لرحلة المقدسي في الديار الإسلامية ٩٦٥-٩٨٤م	٤٦
ناصر خسرو	٤٩
الإدريسي	٥٣
خريطة العالم للإدريسي	٥٤
الإدريسي يشرح كروية الأرض وسط حشد في قاعة الملك روجر الثاني	٥٥
ابن جبير	٥٩
مخطط رحلة ابن جبير	٦٤
خريطة رسمها الرحالة بن المجاور لجدة في القرن السابع الهجري	٧٦
صورة من مخطوط مستفاد الرحلة والإغتراب	٨٦
ابن بطوطة	٨٩
خريطة ابن بطوطة إلى الأراضي المقدسة	٩٠
مكة المكرمة إبان وجود ابن بطوطة بها	٩١
رحلة عدنان عبدالبديع اليافي إلى مدينة طنجة بالمغرب	٩٢
عدنان عبدالبديع اليافي أثناء رحلته إلى مدينة طنجة بالمغرب	٩٦
لودفيكو دي فارتيما (الحاج يونس المصري)	٩٩
صورة من كتاب يبين رسماً للمغامر لودفيكو دي فارتيما	١٠٠
صورة توضيحية لقافلة الحج الشامي إبان زمن لودفيكو دي فارتيما	١٠٢
خط سير الرحلة للحاج يونس المصري	١٠٣
رسم خط سير الرحلة للإيطالي لودفيكو دي فارتيما عام ١٥١٠م	١٠٧
أبو سالم العياشي .. الرحالة الأديب و العالم المتصوف	١٠٩

فهرس الصور والوثائق والخرائط

الإسم	رقم الصفحة
الرحالة التركي أوليا جلبي	١١٥
أوليا جلبي – راوي الحكايات من القرن الـ١٧	١١٦
رسم قديم للمسجد الحرام بيد الرحالة الإنجليزي الاصل جوزيف بيتس عام ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م	١٢٥
كارستن نيبور	١٢٩
مخطط لمدينة جُدَّة عام ١١٧٥هـ/١٧٦٢، رسمه الرحالة الدنماركي كارستن نيبور	١٣٠
كارستن نيبور في إحدى رحلاته	١٣٣
دومينغو باديا لابلخ (علي باي العباسي)	١٤٩
أولريخ ياسبر سيتزن	١٦٣
خريطة توضح جزء من رحلة سيتزن عام ١٨١٠م	١٦٦
بوركهارت في شبابه	١٧١
خارطة مكة المكرمة باستخدام الخطوات كمقياس رسمها جون لويس بوركهارت عام ١٢٢٩هـ/١٨١٤م	١٧٣
خريطة توضح طريق عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمر	١٨٩
صورة عنوان مخطوط نيل الوطر في ذكر أحوال السفر إلى الحرم الأزهر والنبي الأنور–صلى الله عليه وسلم	١٩١
الفرنسي موريس تاميزية	١٩٩
رتشارد برتون بالزي العربي	٢١٥
السير ريتشارد برتون (١٨٢١–١٨٩٠) في الزي العربي ، ١٨٥٤ بواسطة توماس سيدون	٢١٧
قبل وصوله إلى مكة المكرمة بأربع وأربعين ميلاً، قام برتون برسم كيف كان يبدو الإحرام في ذلك الوقت	٢٢٠
شارل ديدييه	٢٢٥

فهرس الصور والوثائق والخرائط

الصورة	رقم الصفحة
شارل ديدييه في صحراء السويس نحو الحجاز عام ١٨٥٤م	٢٢٧
هاينزيش فرايهر فون مالتسان	٢٤٥
مالتسان عام ١٨٦٣م	٢٤٧
محمد صديق خان	٢٦٣
محمد صديق خان الفقيه العاشق	٢٦٥
تشارلز مونتاگو داوتي	٢٧١
تشارلز داوتي الترحال في بلاد العرب	٢٧٥
الرحالة الإنجليزي تشارلز داوتي بالملابس العربية عندما زار القصيم	٢٧٦
عبدالرشيد إبراهيم	٢٨١
الشيخ عبدالرشيد إبراهيم	٢٨٢
محمد صادق باشا	٢٨٩
المسجد الحرام، تصوير محمد صادق باشا عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م	٢٩٠
باب الصفا، تصوير محمد صادق باشا عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م	٢٩٢
أحد الأحتفالات، تصوير محمد صادق باشا عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م	٢٩٤
عبدالعزيز دولتشين	٢٩٩
العقيد دولتشين الثاني من اليسار في بطرسبرج عام ١٩١١م	٣٠٠
حجاج من بورنيو الغربية / تصوير هيروغرونيه	٣٠٢
إبراهيم رفعت باشا	٣٠٧
اللواء ابراهيم رفعت باشا الشيخ سليمان بن عبدالله البسام	٣٠٨
صورة مكة المكرمة من أوائل القرن الرابع عشر الهجري	٣١٠
منظر مدينة جدة وميناءها عام ١٩٠١م	٣١٢
العمراني السرغيني	٣١٥
صورة افتراضية للإمام محمد بن جعفر الكتاني	٣١٩

فهرس الصور والوثائق والخرائط

الإسم	رقم الصفحة
الميجور آرثر جون بيتنغ وافل — دمشق ١٩٠٨م	٣٢٧
القبر المنسوب لأمنا حواء في جُدَّة بعدسة مساعد القنصل البريطاني، تعود إلى عام ١٩٠٨م	٣٣٥
خريطة العالم الإسلامي وحركته إلى الحرمين الشريفين	٣٣٦
خديو مصر عباس حلمي باشا الثاني	٣٣٩
مرفئ جُدَّة عام ١٩٠٩م	٣٤٢
هدلي تشرشورد عام ١٩١٠م	٣٤٥
هدلي تشرشورد بالزي العربي عام ١٩١٠م	٣٤٧
جيل جرفيه كورتلمون	٣٥٥
حجاج على متن سفينة في طريقهم إلى جُدَّة عام ١٨٩٥م	٣٥٧
حج التونسيين إلى البقاع المقدسة عبر العصور	٣٧٠
الإمام محمد رشيد رضا	٣٧١
الإمام محمد رشيد رضا مؤسس مجلة المنار	٣٧٢
الإمام محمد رشيد رضا بعد هجرته إلى مصر عام ١٣٢٧هـ	٣٧٣
مدينة جُدَّة عام ١٩٢٤م إبان زيارة الرحالة تناكا إيبيه	٣٨٠
محمد شفيق أفندي	٣٨٩
الملك سعود بن عبدالعزيز — رحمه الله	٣٩٠
صورة تبين تحرك الرحالة في صحراء المملكة	٣٩١
صورة لبيوت جدة عام ١٩٢٦م	٣٩٣
المفكر الإسلامي محمد أسد	٣٩٧
معالي الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي ومعالي الشيخ أحمد زكي يماني يتوسطهم الرحالة محمد أسد — رحمه الله في أواخر حياته في الأندلس جنوب أسبانيا	٣٩٨
محمد أسد بالزي العربي في الطريق إلى مكة المكرمة	٤٠٠
محمد أسد الرحالة الأبدي	٤٠٨

فهرس الصور والوثائق والخرائط

الصورة	رقم الصفحة
الكاتب والأديب اللبناني شكيب أرسلان	٤١٣
وفد الصلح بين السعودية واليمن ١٩٣٤ وشكيب أرسلان الثاني من اليمين	٤١٤
الامير شكيب أرسلان في رحلته الأولى الى شبه الجزيرة العربية العام ١٩٢٩م ومشهد من مدينة جُدَّة العريقة	٤١٥
مشاهدات من ميناء جُدَّة عندما زارها شكيب أرسلان	٤١٦
شكيب أرسلان الأول يساراً فمحمد الطاهر ثم أحمد حلمي وفوزان السابق السفير السعودي في القاهرة باللباس العربي	٤١٨
آخر صورة لشكيب أرسلان على الباخرة بروفيدانس في ميناء الإسكندرية ١٩٤٦م	٤٢٠
غلام رسول مهر	٤٢٣
مصطفى محمد الراعي بلباس الاحرام	٤٣١
الكاتب المصري إبراهيم المازني	٤٤١
زينب كوبولد	٤٤٧
اللورد دنمور والد السيدة إيفلين كوبولد خلال رحلة له في لبنان	٤٤٨
ظهرت السيدة إفلين في التقاطها للحجاج على هذه الصورة كخلفية لكتابها	٤٤٩
جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م ، إبان فترة حج الليدي كوبولد	٤٥٠
جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود في الوسط، ألتقتت الصورة في الرياض، ومن اليسار إلى اليمين الشيخ حافظ وهبه سفير المملكة العربية السعودية في لندن وسمو الأمير سعود بن عبدالعزيز ال سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية آنذاك وسمو الأمير خالد بن عبدالعزيز ال سعود وسمو الأمير محمد بن	٤٥١

فهرس الصور والوثائق والخرائط

الإسم	رقم الصفحة
عبدالعزيز ال سعود	
السيدة إفلين كوبولد مع الملك سعود بن عبدالعزيز –رحمه الله– ويظهر في الصورة أيضاً الشيخ حافظ وهبة التقطت سنة (١٩٣٥م)	٤٥٢
خط سير رحلة الليدي كوبولد إلى الحجاز	٤٥٣
الطواف حوال الكعبة تصوير فيلبي، فبراير–مارس ١٩٣٧م	٤٥٤
الكعبة المشرفة تصوير فيلبي، فبراير–مارس ١٩٣٧م	٤٥٥
بيت البغدادي في جُدَّة الذي سكنه جون فيلبي	٤٥٦
عائلة تسافر إلى المدينة المنورة تحمل آخر جمل شبرية وبداخلها ثلاثة من أفراد الأسرة	٤٥٧
محراب المسجد النبوي الشريف	٤٥٨
قبة ومئذنة المسجد النبوي الشريف	٤٥٩
السيدة إفلين كوبولد أول حاج أجنبي يسجل الحافلات وهي في طريقها إلى المدينة المنورة	٤٦١
الياباني إيجيرو ناكونا	٤٧٩
اعضاء الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية مع امير الدوادمي سعيّد الفيصل امام قصر الدوادمي.بعدسة ايجيرو ناكانو ١٩٣٩م	٤٨١
صورة نادرة توثق أول زيارة لمسؤولين يابانيين إلى المملكة العربية السعودية	٤٨٣
الكاتب المصري محمد لطفي جمعة	٤٨٩
عبدالله فيلبي	٥٢١
جون فيلبي في أوائل بعثته في نجد	٥٢٣
بيت البغدادي في جُدَّة، مسكن عبدالله فيلبي وأول مبنى لمكاتب أرامكو في جُدَّة	٥٣١
محمد المنصوري الغسيري	٥٣٥

فهرس الصور والوثائق والخرائط

الصورة	رقم الصفحة
سعيدة سونيا ميلر خليفة أمام المسجد الحرام	٥٤٥
مدينة حجاج الجو في جُدَّة بالمطار القديم عام ١٩٧٠م، تصوير الرحالة سعيدة ميلر خليفة	٥٤٦
وصول الحجاج إلى جُدَّة عام ١٩٧٠م، تصوير الرحالة سعيدة ميلر خليفة	٥٤٧
مباني جُدَّة القديمة والحديثة عام ١٩٧٠م، تصوير الرحالة سعيدة ميلر خليفة	٥٥٠
حجاج يتأهبون لمغادرة جُدَّة إلى المدينة المنورة عام ١٩٧٠م، تصوير الرحالة سعيدة ميلر خليفة	٥٥٢
المسجد النبوي الشريف عام ١٩٧٠م، تصوير الرحالة سعيدة ميلر خليفة	٥٥٣
مراد هوفمان	٥٥٥

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
ACTON	١٠٣
Ali Bei	١٥١
Augustus OF Gotha	١٦٣
Baker	١٢٧
Baron Von Zach	١٦٣
BRUCE	٢٢٢
Carlos IV	١٥٢
Carsten Niebuhr	١٢٩-١٣١-٢٥٨
Catalina Leblich	١٥١
Charles Didie	٢٢٥-٢٢٨
CHEDUFU	٢٢١
Cormier	٢٤٠
De Gabler	١٣٤
Domingo Badia Leblich	١٤٩-١٥١
EIGIRO NAKANO	٤٧٩-٤٨٠
Eric Rosenthal	٣٤٥-٥٨٣
Fantazzi	١٠١
FERRET	٢٢٢
FRESNEL	٢٢٢
GALINIAR	٢٢٢
George Bilainkin	٤٩٩
George Forster Sadleir	١٨٥
Godoy	١٥٢
H.V.F. Winstone	٢٧٩
Hamilton	٢٣١
Harry St. John Bridger Philby	٥٢١

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
Heinrich Freiherr Von Maltzan	٢٤٦
James Silk Buckingham	١٦٩
John lewis Burckhardt	١٧١
John Thurburn	٢١٨
Joseph Pitts	١٢١
Lady Evelyn Cobbold	٤٤٧-٤٤٨-٤٥٢
Lawrence Graftey –Smith	٥٠٦
Le Caiman	٢٤٠
LEONARD DARWIN	٣٣٠
Leopold Weiss	٣٩٧
Luodovico Di Varthema	٩٩-١٠٠
M.Anton	٢٢٣
M.Cole	٢٤١
Mari	٢٢١
Mohamoud Mobarec Churchword	٣٤٥
OWENS	٥٢٩
P. Ryan	١٨٥
Richard Francis Burton	٢١٥-٢١٦-٢٢٩
Rochet D›Hricourt	٢٤١
Saida Miller khalifa	٥٤٥-٥٤٩-٥٨٣
Sower	٢٢٣
Taylor	٢٢٤
Ullrich Jasper Seetzen	١٦٣
Vale`ntino	٥٠٤
Vuls	٢٨٦

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
WILFRED SCAWEN BLENT	٣٢٩
William Marmaduke Pikthhall	٣٢٩
Wolley	٢٢٤
Zahra Freeth	٢٧٩
Zurla	١٠١
أبا يعقوب بن عبدالرزاق	٩٥
إبراهيم الأبياري	٦١
إبراهيم المهدي بن عبدالله بيركهارت اللوزاني	١٧٤
إبراهيم باشا	١٨٥-١٨٩-٢٠٦
إبراهيم بن محمد بن عبدالقادر المازني	٤٤١-٤٤٣-
إبراهيم بن معمر	٤٩٨
إبراهيم رفعت باشا بن سويفي بن عبدالجواد بن مصطفى المليجي	٣٠٨
إبراهيم شبوح	٣٠-٣٦٦-٣٦٥
إبراهيم عبد الله	١٧٢
إبراهيم عليه السلام	٢٤
إبراهيم ملّا آدكاييف	٢٨٦
ابن الأبار	٦١
ابن الحسين	١٩٣-١٩٢
ابن المجاور نجم الدين أبو الفتح يوسف بن الصاحب يعقوب بن محمد علي الشيباني	٧٣-٧٥-٧٦-٧٨
ابن باديس	٥٣٦
ابن بطوطة	٨٩-٩٠-٩١-٩٢-٩٣- ٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-٩٨- ١٠٥-٥٧٠-٥٧٧

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
ابن جبير	٣٤-٤٩-٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-٧٧-٤١٧-٥٧٠-٥٧٣-٥٧٧
ابن جميعه	٥١٣
ابن حوقل	١٧-١٩
ابن مانع	٥١٨
ابن ناصر الدرعي	١١٠
أبو إسحاق الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي	١٩
أبو الأشعث الكندي	١٨
أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني	٦١-٦٣-٥٧٠-٥٧٣
أبو القاسم محمد بن عبدالله	٤٩٠
أبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعي	٥٩-٦١-٦٢-٦٣
أبو زيد البلخي	١٩
أبو سالم عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي	١٠٩-١١٠-١١١-١١٢-١١٣-٥٧٨-٥٨٥
أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عباس	٧٥
أبو عبدالحق بن عطية	٦٢
أبو عبدالله محمد بن أحمد بن البناء البشاري المقدسي	١٩-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٥٧٢-٥٨٤
أبو محمد القاسم بن عساكر	٦٢
أبو محمد بن أبي عصرون	٦٢
أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي	٩١-٩٢-٥٧٠

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
أبي الحسن بن النعمه	٦٢
أبي الطاهر الخشوعي	٦٢
أبي الفيض الكتاني	٣١٦
أبي الكلام آزاد	٤٢٤-٤٢٥
أبي جعفر بن حسان	٦٣
أبي زيد بن القاضي	١١٠
أبي طاهر الخشوعي	٦٢
أبي عبيد البكري الأندلسي	٢٦
أبي محمد المعطي العمراني الإدريسي الحسني	٣١٥-٣١٦-٣١٨
إحسان الله	٤٢٧-٤٢٨-٤٣٠
أحمد الزهرة	٣٧٥
أحمد إيبش	٣٢٧-٣٢٨-٣٢٩-٣٣٠
أحمد باتان	٤٣٥
أحمد باشا	١١٧-٢٠٠
أحمد بن عيسى الرادعي	١٩٢
أحمد بن محمد المقري التلمساني (المقري)	٦٢
أحمد حكيم	٥١٨
أحمد حمودي	٢٤٢
أحمد شريف بك	٤٦٤-٤٦٥
أحمد شوقي	٤١٤
أحمد صفي الدين	٥٠١
أحمد طه رضوان	٣٧٥
أحمد علي رضا	٥٠٧
أحمد محمد محمود	١٢٢-٢١٦-٥٤٦-٥٦٧
أحمد مرشد	٣٢١

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
الإدريسي	١٧-٣٤-٥٣-٥٥-٥٦-٥٧-٥٨-٦٠-٣٣٦-٥٨٠-٥٨٤
آدم	٢١-٦٩-٧٧-٤٧٢
إدوارد غارنت (Edward Garnett)	٢٧٢
إدوارد كمبس	٢٠٠
أرتستين	١٨
آرثر جون بينغ وافل	٣٢٧-٣٢٨-٣٢٩-٣٣٠-٣٣١-٣٣٢-٣٣٣-٣٣٤-٥٧٠-٥٨٧
أرميتاج	٥٢٣
إسترابون	١٨
إسحق بن حسن العباسي	٣٧٥
أسعد عيد الفارس	١٤٩-١٥٠
الأبناوي	١٩٢
الأسكندر	١٧
إسماعيل بن حسين بن جغمان	١٩١-١٩٣-١٩٤-١٩٥-١٩٦-١٩٧-٥٨١
إسماعيل بيك	٢٣٨
إفلين زينب كوبلد	٤٤٧-٤٥١-٤٦١-٥٤٩
الأصمعي	١٨
الآغا خان	٢١٨

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
أغسطس رالي	١٢٢-١٢٣-١٢٨-١٥١-١٦٦-١٦٧-١٦٩-٢١٦-٢٢١-٢٤٥-٥٧٧-٥٧٩
أكتون	١٠٣
إلزا شيمان	٤٠٢
الإمام الشافعي	٧-٨
الامبراطور ميجي	٤٨٤
الإمبراطورة يوجين	٣٤٦
امرؤ القيس	٤٨٢
الأمير الوليد بن طلال	٥٥٧
الأمير فيصل	٤٠٣-٤٠٤
الأميرال عثمان باشا	٣٨٠
أمين بك توفيق	٣٩٥
أمين الرافعي	٤٤٢
أمين الريحاني	٥١٨
أمين معلوف	٣٧٥
أنس الرفاعي	١٨٥-١٨٦-٥٧٤
أورده باي حاجي	٢٨٦
أولريخ ياسبر سيتزن	١٦٣
أوليا جلبي	١١٥-١١٦-١١٧-١١٨-١١٩-١٢٠-٥٧١-٥٨٥
أوين	٥٢٦
إيت عياش	١١٠

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
إيجيرو ناكانو	٢٨١-٤٧٩-٤٨٠-٤٨١-٤٨٢-٤٨٣-٤٨٤-٤٨٥-٤٨٦-٤٨٧-٤٨٨-٥٧٢-٥٨٩
إيريك روزنثال	٣٤٥
ايزابيل	٢١٦
إيكيد انور هيكو	٣٨١
أيلوس غالوس	٥٢٨
أيمن ياسين جازي	٢٦٣-٢٦٤-٤١٣-٥٦٢
بدر الحاج	٢٩٣-٥٧٩
بروس	٢٢٢
بطليموس القلودي	١٨-١٩
بقلاجي محمد بك	١١٩-١٢٠
بكر السوداني	٤٣٧
بكر خميس	٣٧٦
بلينيوس	١٨
بنزوني	١٦٩
بني إسرائيل	١٢٤
بنيامين أرجيا فايس تشيرنوفيتش	٣٩٩
بوساري	١٧٦
بوف	٥٢٩
بولا حميدة	٤٠٩
بيرسي بادجر	١٠١
بيكر	١٢٧
بيونكر	٥٢٩

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
تايلور	٢٢٤
تشارلز داوتي	٢٧١-٢٧٢-٢٧٣-٢٧٤-٢٧٥-٢٧٦-٢٧٧-٢٧٨-٢٧٩-٢٨٠-٥٥١-٥٨٦
تشودهري محمد خان	٤٢٤
التميمي التونسي	٣٦٥-٣٦٦-٥٧٠
تناكا .. إيبيه	٣٧٩-٣٨٠-٣٨١-٣٨٦-٣٨٧-٤٨٤-٤٨٥-٤٨٧-٥٦٥-٥٨٧
التهامي كنون	٣١٦
توتشل	٥٢٦
تومو يوشي ميتسوتشي	٤٨٤
تيتو ومايسكي	٥٠٠
ثابت بن محمد بن خيار الكلاعي	٦٢
ثور نكيلد هافن	١٣٦
ثيجر	٥٣٠
جاك ريكمان	٥٢١-٥٢٤-٥٢٥-٥٣٢
الجزيري	٣١٨
جلال الدين ملا	٢٨٦
جلينر	٢٢٢
جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد	٧٤
جمال الدين الأفغاني	٣٧٢-٤١٤

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
جورج بيلنكين	٥٠٠-٥٠٨
جورج غريب	١٧-١٨-١٩-٥٦١
جورج فورستر سادلير	١٨٥-١٨٦-١٨٧-١٨٨-١٩٠-٥٧٤-٥٨٥
جورج ويلهلم بور نيفذ	١٢٩
جوزيف بتس	٢٧-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٢٦-١٢٧-١٢٨-٥٧٣-٥٨٥
جوزيف بونابارت	١٥٣
جول لومتير	٣٥٦
جون ثوربيرن	٢١٨
جون لويس بوركهارت	١٦٩-١٧١-١٧٢-١٧٣-١٧٤-١٧٥-١٧٦-١٧٧-١٧٨-١٧٩-١٨١-١٨٢-١٨٣-١٨٣-٢٠٨-٢١٨-٢١٩-٥٦٩-٥٨٥
جيل – جرفيه كورتلمون	٣٥٥-٣٥٦-٣٥٧-٣٥٨-٣٥٩-٣٦٠-٣٦١-٣٦٢-٣٦٣-٣٦٤-٥٧٣-٥٨٧
جيلاني	١٧٩-١٨٩
جيمس سيلك باكنجهام	١٦٩
الحاج أكلي	٣٥٩-٣٦٠-٣٦٢
الحاج علي الزنجباري	٣٢٧-٣٢٩-٣٣٠-٣٣١-٥٧٠

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
الحاج نور محمد	٣٧٩
الحاج يوسف	١١٩-١١٣-٥١٧-٥٥٩
الحاج يونس المصري	٩٩-١٠٨-٥٨٤-٥٨٥
حافظ وهبة	٤٥٠-٤٥٢-٤٨٠-٤٨٤-٥٠٠-٥٠١-٥٠٤-٥٦٧-٥٨٩
حجي حسن	١٨٩
حسن أفندي كتوعة	٤٣٥-٤٣٩
حسن الشنقيطي	٥٣٢
حسن المرابط	٢٣٣
حسن سعيد غزالة	٢١٦
حسونه البسطي	٥٤٢
حسين العويني	٤٤٤
حسين بحيرى	٣٧٦
حسين ملوخية	٣٧٥
حسين نصيف	٥٤١
حمد الجاسر	٢٥-٢٦-١٠٩-١١٠-١٨٥-١٩٩-٢٠٠-٢٠٤-٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧-٣٦٨-٣٨٩-٥٦٢-٥٦٣-٥٦٩-٥٧٠-٥٧٧-٥٧٨
حمزة جلال	٣٧٦
حواء	٢٢٣-٢٣٩-٢٥٢-

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
	٢٥٦-٢٥٧-٢٥٨-
	٢٩٦-٣٠٥-٣٠٩-
	٣١٣-٣١٨-٣٣٣-
	٣٣٥-٣٥٢-٣٦١-
	٤٣٦-٤٤٥-٤٦٧-
	٤٨٥-٤٨٦-٤٨٧-
	٤٩٧-٥٠٣-٥٨٧
خالد النقشبندي	٣٧٦
الخديوي إسماعيل	٢٩٢
خسرو بن فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن بهرام	٧٥
خليل العلاف	٤٧٢
خليل سلام	٢٣٤
خير الدين الزركلي	٧٣-٢٦٦-٢٩١-٣٠٨-
	٣٢٠-٣٣٧-٤١٤-
	٤٤٢-٤٤٣-٤٨٩-
	٥٠٦-٥١٧-٥١٨-
	٥٦٢-٥٧٤
داروين	٣٣٠
دروري لين	٣٤٥-٣٤٦
دمنجوبادي لبليخ	١٥٠-١٥١-١٥٢
دوريان فايغنباوم	٤٠١
دوكيه	٢٤٢-٢٤٤
دوين باز ألدرن	١٤
دى غابلر	١٣٤-١٣٧
رابح لطفي جمعة	٤٩٠-٤٩٢-٥٦٣

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
راتب باشا	٥٤١
راشد بن عبدالله بن عيسى آل خليفة	٣٩٢
رتشارد برتون	٢١٥-٢١٩-٢٢١-٢٢٢-٢٢٤-٢٤٥-٥٧٣-٥٨٦
رجار الثاني	٥٥
الرسول صلى الله عليه وسلم	١٢٦-١٢٨-٣٢١-٣٥٨-٤٠٥-٤٦٢
رشيد باغفار	٣٧٥
رشيد رضا	٣٧١-٣٧٢-٣٧٣-٣٧٤-٣٧٥-٣٧٦-٣٧٨-٥١٦
رفاعة الطهطاوي	٢٢٩-٢٩٢
رفيع الدين المراد أبادي	١٤١-١٤٢-١٤٣-١٤٤-١٤٦-١٤٧-١٤٨-٥٧٢
روشيه دير يكور	٢٤١
رويال	٥٠٠
ريان	١٨٥
ريم بوزين الدين	٣٢٧
ريهام نبيل سالم	٢٤٥-٢٤٦-٥٧٠
زبيدة	٤١٦
زبيدة بنت إبراهيم الكتانية	٣١٩
الزبير بن العوام	٥١٢
زكي فارسي	٧٣

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
زهرا فريس د هـ	٢٧٩
زورلا	١٠١
زين البشر	٢٨٤
زينل على رضا	٣٧٦
سارة	٢٤
سارة تاكاهاشي	٣٧٩-٤٧٩-٤٨٠
ساكس غوتا	١٦٣
سبرنجر	٤٤
سعود الذياب	٥٢٢
سعود بن غانم الجمران العجمي	١٨٥-١٨٧
سعيد أفندي الرشاش	٣٩٢
سعيد باشا	٢٨٩
سعيد بن مشيط	٥٢٧
سعيد تمر	٤٧٦
سعيدة سونيا ميلر خليفة	٥٤٥-٥٤٦-٥٤٧-٥٥٠-٥٥٢-٥٥٣-٥٥٤
السكوني	١٨
السلطان الرسولي العباس إسماعيل	١٩٢
السلطان العثماني عبدالحميد	١٤٧
السلطان الغوري	٣١٢-٣٤١
السلطان على بن الملك المؤيد داود	١٩٢
سلمان الفارسى	٧٥
سليمان باشا الفرنساوي	٢٩٢
سليمان بن سالم	٥١٥
سليمان بن عبدالله البسام	٣٠٨-٥٨٧

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
سليمان عزايه	٣٧٦
سليمان قابل	٣٧٦
سمير عبدالحميد إبراهيم	١٤١-١٤٢-٣٧٩-٤٢٤-٥٠٩-٥٦٥-٥٧٢
سمير عطا الله	٢٧-٣٣-٣٤-٣٥-٩٩-١٠٠-١٠٥-١٣٦-١٧٥-٥٧٥
سونيا ميلر	٥٤٥-٥٤٩-٥٥٤-٥٩٠
سوير	٢٢٣
سيثي الأول	١٦٥
السيد بنيان	١٨٦
سيد سليمان الندوي	٤٢٥
السيد علوي مالكي	٥١٥
سيد محمد المحروقي	١٧٥
سيد معتصم رضا	٥١٦
سيدي العربي	٣١٦
السير اندرو ريان	٤٥٢
سيراف	٧٥
شاتوبريان	١٥٠
شارل ديدييه	٢٢٥-٢٢٧-٢٢٨-٢٢٩-٢٣٠-٢٧٢-٥٨٦
شاكر لعيبي	٤٣-٤٥-٥٧٢

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
شاه ولي الله الدهلوي	١٤١-١٤٢
شاهيمردان ميرياسوفيتش إبراهيموف	٣٠٥
الشبيلي	٤٠٦-٤٠٧
الشريف حامد	٢٤١
الشريف مكثر	٦٨
شفيق عبدالرؤوف صبان	٥٠١
شكيب بن حمود بن حسن سليل الأمير أرسلان	٤١٣-٤١٤-٤١٥-٤١٦-٤١٧-٤١٨-٤١٩-٤٢٠-٤٢١
شمس الدين سامي	٤٦٨
شمس الدين طنبغا	٧٨
الشهاب الأمين	١١٠
شيدفوا	٢٢٢
صالح بن محمد السنيدي	١٥٠-١٥١-١٥٢-١٥٣-١٥٤
صالح مهدي السامرائي	٢٨١
الصفصافي أحمد المرسي	١١٥-٥٧١
صلاح الدين الأيوبي	٦٠-٦١
صولو	١٩٠
طه حسين	٤٨١
طوسون باشا	١٧٦
ظفر علي خان	٤٢٤
عائلة أبو زيد	٤٧٣
عباس حلمي باشا الثاني	٣٣٦-٣٣٧-٣٣٨-٣٣٩-٣٤٢-٣٤٤

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
عبد الحي الكتاني	٣٢٢
عبد العزيز الرفاعي	٣٩٨-٤٠١-٤٠٧-٥٨٨
عبد العزيز دولتشي	٢٩٩-٣٠٠-٣٠١-٣٠٣-٥٦٧
عبد الله الأول	٤٠٣
عبد المعطي الدالاتي	٤٠٣
عبد الوهاب عزام	٥٠
عبدالجليل بن مندويه	٧٤
عبدالحق محدث الدهلوي	١٤١-١٤٢
عبدالحليم محمود	٥٤٥
عبدالحليم نوادا	٣٨٠
عبدالحميد الخطيب	٥١٢-٥١٣
عبدالرحمن أفندي	٣٦٠-٣٦٣
عبدالرحمن الشيخ	١٠٢-٥٦٩
عبدالرحمن بك النقيب	٣٩٢
عبدالرحمن بن بكر الشامي	٣١٨
عبدالرحمن بن محمد الصغير أبي حجر	٤٧٦
عبدالرحمن عبدالله الشيخ	٢١٥
عبدالرحمن فائق	٣٧٦
عبدالرحمن مظهر	٤٢٧
عبدالرشيد إبراهيم التركستاني	٢٨١-٢٨٢-٢٨٣-٢٨٤-٢٨٥-٢٨٦-٢٨٧
عبدالرؤف الصبان	٣٧٦

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
عبدالرؤوف عبدالهادى	٣٧٥
عبدالسلام الغالي	٥٣٩-٥٤٠
عبدالسلام بن محمد بن المعطي العمراني السرغيني	٣١٥-٣١٧
عبدالعزيز الجداوي	١٩٦
عبدالعزيز القصيبي	٣٩٢
عبدالعزيز بن راشد السنيدي	٤٣-٤٤
عبدالغني شهبندر	١٩٦-٤٦٣-٤٦٤-٤٦٥-٤٦٦-٤٦٧-٤٦٨-٤٦٩-٥٧١
عبدالقادر الفاسي	١١٠
عبدالقدوس الأنصاري	٦٠-٧٧-٣١٤-٥٦٢-٥٦٤-٥٦٥-٥٧٥-٥٧٧-٥٨٠
عبدالكبير الكتاني	٣١٦
عبدالله إبراهيم الفضل	٣٧٦
عبدالله التونسي	٩٨
عبدالله الحسو الموصلي	٥١١
عبدالله الخيال	٥١٢
عبدالله السقاط	١٦٦-١٦٧
عبدالله السليمان	٤٢٧-٥٠٦
عبدالله الغازي	٣٩٢-٥٦٣
عبدالله المحمد الفضل	٣٧٦
عبدالله بن البشير	٣٥٩
عبدالله بن حسن آل الشيخ	٤٩١
عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي	١٠٩-١١٠-١١١-١١٢-١١٣-١١٤-٥٧٨-٥٨٥

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
عبدالله رضا زينل	٤٢٧-٤٤٣
عبدالله على رضا	٣٧٦-٤٢٨-٤٤٣-٥٠٦-٥٠٧
عبدالله عمر نصيف	٤٩٦
عبدالله غليام	٣٨٠
عبدالله فيلبي	٥٢١-٥٢٢-٥٢٣-٥٢٤-٥٢٥-٥٢٦-٥٢٧-٥٢٨-٥٢٩-٥٣٠-٥٣١-٥٣٢-٥٣٣-٥٣٤
عبدالله محمد إبن البار	٥٦٥
عبدالمحسن بن حليت	٣٢١
عبدالمعطي الحريري	٣١٨
عبدالملك العلوي	٣١٦
عبدالملك بن حسين بن محمد بن عبدالفتاح الآنسي	١٩٣
عبدالهادي التازي	٨١-٨٢-٣١٥-٥٧١-٥٨٠
عبدالوهاب النجار	٣٩٢
عبدالوهاب بك عزام	٥٠-٥١٧-٥١٨
عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة	٥٢٦-٥٢٧
عثمان باشا نوري	٣١٣
عثمان بن عفان	٧٥-٩٧-٣١٤
عدنان حسن	٢٧١-٢٧٢
عدي يوسف مخلص	٤٥
عرابي الجيلاني	١٧٥

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
عروة بن مسعود	٤١٧
عز الدين بن الأصفهاني	٨٣
علي الأجهوري	١١٠
علي الحسون	٣٢١
علي الطنطاوي	٥١٧
علي باي العباسيي أودو منجوباديا	١٤٩-١٥٠-١٥١-١٥٢-١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٥٧-١٥٨-١٥٩-١٦٠-١٦١-١٦٢
علي بن أحمد ناضرين	٣١٨
علي بن المنتصر ابن الزمزمي الكتاني	٣٢٢
علي بن محمد آل خليفة	٣٩٢
علي بن موفق	٧٠
علي رضا	٥٠٤
علي عبدالله علي رضا	٥٠٧
عمر أبو النصر اليافي	٤٤٩-٤٥٢-٥٦٢
عمر المختار	٤٠٣
عمر النعمة	٥١٢
عمر بن حسن آل الشيخ	٤٩١
عمر بن قينه	٥٣٥-٥٣٦-٥٣٧-٥٧٥
عمر رضا كحاله	٤٥-٣٣٧-٤٤١-٤٤٢-٥٦٧-٥٧٨
عمر نصيف	٤٩٦-٥٤١
العمراني السرغيني	٣١٥-٣١٦-٣١٧-٣١٨-٥٧٥

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
عمرو ولص	٢٨٦
عيشايف	٣٠٤-٣٠٥
غاسبارو	٢٣٩
غلام رسول مهر	٤٢٣-٤٢٤-٤٢٥-٤٢٦-٤٢٧-٤٢٨-٤٢٩-٤٣٠-٥٨١-٥٨٨
غليالم الأول	٥٥
فاضل أحمد باشا	١١٧
فالانتينو	٥٠٤
فانتوزي	١٠١
فتح على شاه	١٨٦
فردريك الخامس	١٣١
فردنند وستنفلد	٢٦
فرزنل	٢٢٢
فهد بن عبدالله السماري	٢٨١-٤٧٩-٤٨٠-٥٢١-٥٢٤
فؤاد حمزة	٤٧٧-٤٩٩-٥٠٥-٥٠٦
فؤاد قنديل	١٣-٢١-٢٢-٢٣-٥٦١
فون باخ	١٦٨
فون زاخ	١٦٣
فيلبي	٥٢١-٥٢٢-٥٢٣-٥٢٤-٥٢٥-٥٢٦

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
	٥٢٧-٥٢٨-٥٢٩-
	٥٣٠-٥٣١-٥٣٢-
	٥٣٣-٥٣٤
فيليب ليبنز	٥٢١-٥٢٢-٥٢٤-
	٥٢٥-٥٣١-٥٣٢-
	٥٣٤-٥٧٠
قاري	٢٤٣
القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي	٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥-
السبتي	٨٦-٨٧
القائد علي	٦٨
قايد مكين	٣٤٦
القبطان فنجاني	١١٩
قدري قلعجي	٢٦-١٧٢-٥٦٣
القضاعي	٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-
	٦٤-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-
	٦٩-٧٠-٧١
قنصوه الغوري	١٧٧-٣١٣
الكابتن تَنَر	١٨٦
كاتلينا ليبلخ	١٥١
كارستن نيبور	٢٧-١٢٩-١٣٠-١٣١-
	١٣٢-١٣٣-١٣٤-
	١٣٥-١٣٦-١٣٧-
	١٣٨-١٣٩-١٤٠-
	١٦٨-٢٥١-٢٥٨-

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
	٥٧٢-٥٨٥
كريستان فون هافن	١٢٩
الكندي	٧٤
كوتارو ياماأوكا	٣٨١
كورك	١٨٦
كورمييه	٢٤٠
كول	٢٤١
كونزاك ريكمان	٥٢١-٥٢٤-٥٢٥-٥٣٢
كيفا فايس	٣٩٩
لايبليه ليوبولد	٣٩٧
لسان الدين بن الخطيب	٣٨
لطف الله بن أحمد جحاف	١٩٣
لودفيكو دي فارثيما	٩٩-١٠٠-١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-٥٦٩
لورنس جرافتي — سميث	٥٠٦
لوكيمان	٢٤٠
لويس ألفونس كورتملون	٣٥٦
لويس فكتور جرفيه	٣٥٥
ليوبولد	٣٩٧-٣٩٨-٣٩٩-٤٠١-٤٠٢-٤٠٣
ماري	٢٢١
مأمون فريز جرار	٥٩-٩٠-٩١-٥٧٧

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
مانويل جودي	١٥٢
المحجوب بن حديدو الصنهاجي	٣١٦
محسن بن عبدالكريم بن أحمد بن محمد بن اسحاق	١٩٣
محمد إبراهيم سليم	٧-٥٦٨
محمد أسد	٣٩٧-٣٩٨-٣٩٩-٤٠٠-٤٠١-٤٠٢-٤٠٣-٤٠٤-٤٠٥-٤٠٦-٤٠٧-٤٠٨-٤٠٩-٤١٠-٤١١-٥٨٨
محمد أفندي القازاني	٢٨٦
محمد إقبال	٤٠٣-٤٠٧-٤٢٦
محمد آل زلفة	٢٠١-٢٠٤-٥٧٣
محمد الباقر	٣١٦
محمد البشير الإبراهيمي	٥٣٦-٥٤٠
محمد الخطيب	٥١٦
محمد الزمزمي الكتاني	٣٢٢
محمد السنوسي	٤٠٣
محمد الصالح رمضان	٥٣٦
محمد الكتاني	٣١٩-٣٢٠-٣٢١-٣٢٢-٣٢٣-٣٢٤-٣٢٥-٣٢٦
محمد المدني العمراني	٣١٦
محمد المنصوري الغسيري	٥٣٥-٥٣٦-٥٣٧-٥٣٨-٥٣٩-٥٤٠-٥٤١-٥٤٢-٥٤٣-٥٧٥

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
	٩٣
محمد أوزبك	٤٣٥-٤٣٩
محمد باتان	٣٧٦
محمد باحفظ الله	٣٩٢
محمد بن إبراهيم آل خليفة	٥١٤
محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ	١٩٤
محمد بن أحمد السودي الصنعاني	١٩-٤٣-٤٤-٤٥-
محمد بن أحمد المقدسي	٤٦-٤٧-٤٨-٥٧٢-
	٥٨٤
	٣٧٦
محمد بن أحمد الهزازي	٥٧٥
محمد بن أحمد سيد أحمد	٧-٥٦٨
محمد بن إدريس	١٩٤
محمد بن إسماعيل بن محمد الكبسي	٣١٦
محمد بن التهامي الوزاني	٣١٥-٣١٦-٣١٨
محمد بن المعطي العمراني	٦٣
محمد بن جبير	٣١٦-٣١٨
محمد بن جعفر الكتاني الحسني	٨٢-١٧٢
محمد بن حسن الشريف	٥١٧
محمد بن حسين بن عمر بن عبدالله بن أبي بكر نصيف	٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧-
محمد بن صالح الجودي القيرواني التميمي	٣٦٨-٣٦٩-٣٧٠
	١٩٤
محمد بن صالح السماوي (ابن حريوة)	١٩١-١٩٣-٢٠٧
محمد بن عبدالرحمن الثنيان	٣٢٢-٥٧١

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
محمد بن عزوز	٣١٨
محمد بن علي الشامي	١٩٤
محمد بن علي الشوكاني	٩٤
محمد بن محمد بن جزى	٥٣
محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس	١٩٣
محمد بن محمد بن يحي بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد زبارة	٧٣
محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادى النيسابوري	٥١٠
محمد تقي الدين الهلال	٣٧٥
محمد حسين إبراهيم	٥٤١
محمد حسين نصيف	٢٢٥-٢٢٦-٢٢٧-
محمد خير البقاعي	٢٢٩-٢٤٤-٥٧٢-٥٧٩ ٣٧٥
محمد راغب الصنعاني	٣٧١-٣٧٢-٣٧٨-
محمد رشيد رضا	٤١٧-٥٦٩ ٥٤٢
محمد سرور الصبان	٣٧٥
محمد سعيد دردير	٣٧٦
محمد سعيد كيال	٢٤٣
محمد سيد شمس	٣٨٩-٣٩٢-٣٩٥
محمد شفيق أفندي مصطفى	٢٨٩-٢٩٠-٢٩١-
محمد صادق باشا	٢٩٢-٢٩٣-٢٩٤- ٢٩٥-٢٩٦-٢٩٧ ٢٦٦

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
محمد صديق خان بن حســن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي	٣٧٦
محمد عبدالرحمن الفضل	٥٠٧
محمد عبدالله على رضا	٦٣-٥٦١
محمد عبدالله عنان	٣٧٢-٤١٤
محمد عبده	١٥٠-١٧٥-٢٠٠-
محمد علي باشا	٢٠٢-٢٠٦-٢٣٨- ٢٩٢-٣٤١-٤٢٤ ٤٢٥
محمد علي جوهر	٥٠٦
محمد علي رضا	٢٢٨
محمد علي شمس الدين	٤٥١-٥٤٢-٥٦٣- ٥٧٩ ٣١٦
محمد علي مغربي	
محمد كنون الكبير	٣٣٧-٣٣٨-٣٣٩-
محمد لبيب البتنوني	٣٤٠-٣٤١-٣٤٢- ٣٤٣-٣٤٤-٥٧١ ٤٨٩
محمد لطفي ابن الشيخ جمعة بن أبي الخير الإسكندري	٤٨٩-٤٩٠-٤٩١-
محمد لطفي جمعة	٤٩٢-٤٩٣-٤٩٤- ٤٩٥-٤٩٦-٤٩٧- ٤٩٨
محمد محمد الإدريسي الحموي الحسيني	٥٣-٥٥-٥٨٠
محمد محمد الحناش	٥٢١-٥٢٢-٥٧٠

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
محمد محمود السرياني	١٢٢-٥٧٩
محمد محمود خليل	٣٨٩-٣٩٢-٥٧٣
محمد مظهر الندوي	٥١٩
محمد مفتاح	٣٣٣
محمد منصور أبا حسين	٥٠٠
محمد ناس	١٥٨
محمد نجيب أفندي	٣٧٦
محمد نصيف	٣٧٥-٣٧٦-٣٧٨-٤٩٦-٥١٠-٥١٦-٥١٧-٥١٨-٥١٩-٥٤٠-٥٤١-٥٤٢-٥٧٦
محمد همام فكري	٢٨٩-٢٩٠-٢٩٣-٢٩٥-٥٦٩
محمد يوسف محمد حسن طرابلسي	١٩٦
محمود أبو زيد	٤٧٣
محمود السرياني	١٢٢-٥٧٩
محمود حسين الأمين	١٣١
محمود زاهد	٣٧٦
محمود شويل	٥١٥-٥١٦
محمود علام	٣٩٢
محمود مبارك تشرشورد	٣٤٥
محمود ياسين	٤٧١-٤٧٢-٤٧٣-٤٧٤-٤٧٥-٤٧٦-٤٧٧-٢١٨
مدام توسو	٤٠٧-٥٥٥-٥٥٦-

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
مراد ويلفريد هوفمان	٥٥٧-٥٥٨-٥٥٩-٥٩٠
	٦٢-٥٨١
مريم قاسم طويل	٣٧٥-٣٧٦
مساعد اليافي	٥٠٩-٥١٠-٥١١
مسعود عالم الندوي	٥١٢-٥١٣-٥١٤-٥١٥-٥١٦-٥١٧-٥١٨-٥١٩
	١٩-٢٣
المسعودي	٤٠٣
مصطفى المراغي	٤٣١-٤٣٢-٤٣٣
مصطفى محمد الراعي	٤٣٤-٤٣٥-٤٣٦-٤٣٧-٤٣٨-٤٣٩-٤٤٠-٥٧٢-٥٨٨
	٣٧٦
مصطفى درويش عبدربه	١١٢-٢١٦-٥٧٩
معراج نواب مرزا	١٩-٤٣-٤٤-٤٥
المقدسي	٤٦-٤٧-٤٨-٥٧٢
	٥٨٤
	٣٩٩
مكسيم غوركي	٢٦٦
الملك بهادر	٣٩٠-٤٥٢
الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود	٤٢٣-٤٣٠-٤٧٩
الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود	١٩٣-٤٢٠-٤٥٠
الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود	٤٥١-٥٢١-٥٦٦

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
	٣٧٩-٣٩٤-٤٠٣-
الملك فيصل بن عبدالعزيز	٤٠٤-٤٤١-٤٤٦-
	٤٨٤-٤٩١-٤٩٧-
	٤٩٩-٥٠٢-٥٠٦-٥٦٥
	١٥٢
الملك كارلوس الرابع	٢١٨
الملكة فيكتوريا	٧٤-٥٦٤
ممدوح حسن محمد	٤١٤
المنذر بن ماء السماء اللخمي	٢٨٣
منصور عبدالباقي بخاري	٤٠٥
منصور محمد ماضي	٤٠٥
منيرة	٣٦٦
المهدي عيد الراوضية	١٩٩-٢٠٠-٢٠١-
موريس تاميزية	٢٠٢-٢٠٣-٢٠٤-
	٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧-
	٢٠٨-٢٠٩-٢١٠-
	٢١١-٢١٢-٢١٣-
	٢١٤-٥٨٦
	٥٤١
موسى البغدادي	٧٥
موسى بن مسعود النساج الشيرازي	٥١٦
مولانا عبدالمجيد حريري	١١٠
ميارة	٤٨٥
ميتسوشي	٢١٨
ميرزا حسين	١٥٣

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
نابليون بونابارت	٤٩-٥٠-٥١-٥٢-
ناصر خسرو	٥٧٤
	١٩٤
الناصر عبدالله بن الحسن بن المتوكل	٣١٨
ناضرين الشافعي	٢٧٩
نتستن	٨٥
نجم الدين أبي نُمَيّ الحسني	١٤٢
نسيم أحمد فريدي أمروهي	١٤٢
نواب عظمة الله خان الفاروقي	٢٤-٢٦٩
نوح عليه السلام	٣٧٩
نور الدين موري	٣١٦-٣١٧
نور الهدى عبدالرحمن الكتاني	٣٨١-٣٨٢
نور محمد تناكا إيبيه	١٤
نيل أرمسترونج	٢٤
هاجر	٦٩-٤١٦
هارون الرشيد	٥٢١-٥٢٢-٥٢٣-
هاري سان جون بريدجر فيلبي	٥٢٤-٥٢٥-٥٢٦-
	٥٢٧-٥٢٨-٥٢٩-
	٥٣٠-٥٣١-٥٣٢-
	٥٣٣-٥٣٤
	٢٣١
هاملتون	٢٤٥-٢٤٦-٢٤٧-
هاينزيش فرايهر فون مالتسان	٢٤٨-٢٤٩-٢٥٠-
	٢٥٤-٢٥٦-٢٥٨-
	٢٥٩-٢٦٠-٢٦١-

فهرس الأعلام

الإسم	رقم الصفحة
	٢٦٢-٥٧٠-٥٨٦
	٣٤٥-٣٤٦-٣٤٧-
هدلي تشرشورد	٣٤٨-٣٤٩-٣٥٠-
	٣٥١-٣٥٢-٣٥٣-٥٨٧
	١٨-١٩-٢٦-١٩٢
الهمداني	٣٥٧-٣٥٨
هيلين	٢٨٩
الوالي سعيد باشا	٢٢٣
وانتون	٣٢٩
ولفريد سكاون بلنت	٣٢٩
وليام مارمادوك بيكثول	٢٩٣
وليم فيسي	١٧٦
يحي أفندي	١٩٢
يحي بن المطهر بن إسماعيل بن يحي بن الحسين	١٤١-٥٧٤
يحي خشاب	٥٤٥-٥٤٦-٥٥٤
يسري خليفة	٢٩٩-٣٠٤-٥٦٧
يفيم ريزفان	١٤
يوري جاجرين	٣٧١
يوسف إيبش	٧٤-٥٦٤
يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور الشيباني	٣٦٧
يوسف جعيطا	٦٢-٥٨١
يوسف على طويل	٤٧٦
يوسف ياسين	٤٨٥
يوكوياما	

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
Aoeuch	٢٠٢
Biscay	١٥١
Boloyna	١٠٢
Bournemouth	٥٠١
Chameran	١٠٨
Don	٢٨٦
Dulcigno	١٣٤
Exeter	١٢٨-١٢١
Galata	١٣٤
Gottingen	١٦٣-١٣١
Helsingor	١٣١
Jevery	١٦٣
Kamerin	٢٠٢
Kilburn College	٣٤٥
Lauenberg	١٣١
Leghorn	١٢٨
Lessoe	١٣١
Ludingworth	١٣١
Lwow	٣٩٧
Pera	١٣٤
Sapienza	١٣٣
Tambeia	٢٠٢
TARA	٢٨٢
Tarifa	١٥٥
Tenados	١٣٣

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
Tyhrenian	٥٠١
أبا الجوزاء	١٤٤
أبها	١١٨-٥٢٦-٥٢٧
أبو حرير	٢٣٣
أبو غرير	٢٣٣
أبو قير	١٥٦
أبو مغير	١٦٦
أبيار علي	١٨٧-٥١٥
أجين	١٤٤
أحد	٥٣٨-٤٥٨-٤٧٥-٥٥٢
الإحساء	٤٧-١٨٧
أخدود نجران	٥٢٨
إخميم	٦٥
أذربيجان	٤٩-١١٦-٢٩٩
أربيل	٥١٢
الأردن	١٦٥-٤٠٣-٥٥٧
إزميت	١١٦
أزمير	١٢٨-١٣١-١٣٣
أسبانيا	١١٧-١٥٣-١٥٥- ٢٢٩-٣٤٦-٣٩٨
إستانبول	١١٧-٢٢٨
الاستانة العليا	٢٨٧
إسرائيل	١٢٤
إسطبل عنتر	٢٠٢
إسطنبول	١٣٤-٢٨٢-٢٨٦-

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	٢٨٧-٣٥٩-٣٨٠
اسكتلندا	٤٣٠
إسكندرون	٢٨٧
الإسكندرية	٦٤-١٠٤-١١١-١٢٣-١٢٨-١٣٤-١٥٦-١٥٧--٢١٨-٢٨٧-٢٨٦-٣٠١-٣١٩-٣٢١-٣٢٣-٣٢٦-٣٣١-٣٥٩-٤١٤-٤٢٠-٤٢٦-٥٧٢
الإسماعيلية	٢١٨-٣٨١-٤٣١
أسوان	١٧٣
آسيا	١٦٤-١٦٥-٣٧٩-٥٦٥
أسيوط	٦٤-٣٠٨
أشافنبورغ	٥٥٦
أصفهان	٤١٠
إفريقيا	٩٢-٩٣-١٢١-١٥٢-٢١٧-٢٤٨-٢٤٩-٢٨٧-٣٠٤-٣٢٨-٣٤٤-٣٤٦-٣٥٢-٣٥٣-٤٠٠-٥٠٥
أفون	٣٥٥
آق ملا	٢٨٦
الأقصر	٥٠٢
إكستر	١٢٢

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
إكليسر	١٤٤
ألمانيا	١٧٢-٢٢٨-٢٥٧-٥٥٧
ألمن	٢٨٥
أم الحبلين	٢٣٤
أم تيه	٢٧٨
أمتان	٦٥
أمريكا الشمالية	٥٥٠
الأناضول	٢٦٤-٣١٤
أندة	٦٢
الأندلس	٢٦-٥٥-٦١-٦٢-٦٣-١٠٣-١٢١-٣٣٧-٣٩٨-٤٠٦-٤٠٧-٥٨١
أندونيسيا	٤٠٥
أنقرة	٤٨٢
انهامبان	٣٤٩
أوديسا	٢٨٦
أور ينبرغ	٢٨٦
أوروبا	١٠٣-١٥٠-١٥٣-١٦٠-١٦٨-٢١٠-٢١١-٢١٤-٢٢٧-٢٥٨-٢٦١-٣٠٤-٣٣٧-٣٦٣-٣٧٣-٤٠٢-٤١٠-٤٨٢-٥٣٣-٥٥٧
أوزبكستان	٢٩٩

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
أووشي	٢٨٤
إيران	٤٩-٤١٠
إيركونسكي	٢٨٦
إيشم	٢٨٦
إيطاليا	١٠١-١٠٣-١٠٦-١٥٣-٢٢٨-٢٢٩
باب إسكندر	٢٦٧
باب البحر	١٩٥
الباب البحري	١٩٦
باب البنط	١٩٥-١٩٦
باب الزاهد	٨٧
باب السيل	٢٧٨
باب الشبيكة	٨٧
باب الشريف	١٩٦
باب الشهداء	١٩٦
باب العمرة	٨٧
باب الفرضة	٧٥
باب المدينة	٧٥-١٩٦-٢٣٦-٤٦٧
باب المغاربة	١٩٦-٤٦٧
باب المندب	١٤٥
باب جبريل	٣٢١
باب جديد	١٤١
باب شريف	١٤١
باب مكة	٥٢-١٤١-١٧٨-١٧٩-١٩٦-٢٠٦-٢١٢-

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	٢٢١-٢٣٦-٢٤٣-
	٢٧٩-٣٥٢-٣٦١
باريس	٩٥-١٠١-١٥٠-١٥١-
	١٥٢-١٥٣-٢٢٧-
	٢٢٨-٢٩٢-٢٩٣-
	٣٥٩-٥٢٢-٥٢٤
بافاريا	٥٥٦
باكستان	٣٩٩-٤٠٦-٥١٠-٥١٨
البتراء	١٦٥-١٧٢-٢٧١
البتنون	٣٣٧
بتيرفور سكال	١٤٩
البحر الأبيض المتوسط	٤١١-٥٤٢
البحر الأحمر	٥٠-٥١-٥٢-٥٦-
	٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-
	٧٠-٨٣-٩٢-٩٥-٩٨-
	١٠٨-١١٦-١١٨-
	١٢٤-١٢٥-١٣٠-
	١٤٠-١٥٠-١٥٤-
	١٥٧-١٦١-١٧٧-
	١٧٨-١٨٠-٢٠٠-
	٢٢٠-٢٢٦-٢٣٠-
	٢٣١-٢٣٢-٢٣٣-
	٢٣٤-٢٣٥-٢٣٨-
	٢٤٤-٢٤٩-٢٨٠--٢٩٣
	٣٠٣-٣٦٨-٣٨٥-

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	٣٩٥-٤٠٨-٤٠٩-٤١٠-٤١١-٤١٨-٤٦٥-٤٩٣-٤٩٤-٥٢٦-٥٣٣-٥٤٦-٥٥٤-٥٦٧-٥٨٠
بحر القلزم	٥٠-٥٦-٨٢-١١٨
البحر الميت	١٦٥
بحر تاي رينيان	٥٠١
بحرة	١٠٦-٣٢٥-٣٥٢-٣٧٨-٣٩٤-٤٢١-٤٢٨-٤٨٧-٥١٧
البحرين	٣١٤-٣٤٩-٣٩٢-٤٨٢-٤٨٨-٥١١
بحيرة تانجانيقا	٢١٧
بدر	٤٧-٥٥٣
البرتغال	١٠١-١٢٢-٤٠٦-٤٩٥
برج سليمان	٢٧٥
برشلونة	١٥١-١٥٢
برلين	٣٢٩-٣٣١-٥٥٩
بروكسل	٥٥٧
بريدة	٢٧٢-٢٧٧-٣٩٣
بريطانيا	٣٥-١٢١-٢١٦-٢١٧-٢١٨-٣٤١-٣٤٦-٣٤٨-٤٥٠-٤٨٠-٤٨٤-٥٠٠-٥٠١-٥٠٧

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
بريم بن	٣٨٣
بساي إيبسلون	٥٥٦
البصرة	٥١-١١٨-١٦٨-٢٣٧- ٥١١-٥١٢-٥١٩
بغداد	٤٥-٦٢-٧٤-٢٢٣- ٢٢٨-٢٣٣-٢٣٧- ٢٣٨-٢٤٨-٣٤٣- ٥١٢-٥١٤-٥٣١- ٥٤١-٥٧٨
البقيع	٤٧
بلاد الأورناوؤط	١١٦
بلاد الروميلي	١١٦
بلاد الزنج	٩٣
بلاد القرم	٩٣-١١٧-٣٤٥
بلبيس	٤٨
بلجراد	١١٧
بلجيكا	٥٠٠-٥٢٥-٥٢٦- ٥٣٠-٥٣٢
بلخ	٤٩-٥١
بلسان	٨٩
البلغار	١١٦
بلنسية	٦٢
بلنية	٦٥
بليدة	٨٢
بمباي	١٨٠

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
بندر عباس	٣٤٩
البندقية	١٠٢-١٠٤-١٨٣
بهروب	١٤٤
بهوبال	٤٢٤
بهول بور	٤٢٤
بوابة الحزم	٢٤٣
بور سعيد	٢٧٨-٣١٧-٤٦١-٤٦٥
بورسودان	٣٤٩
بورصه	١١٦
بورما	١٨٦-٣٨٤
بورموث	٥٠١
البوسنة	١١٦-٥٥٧
بوشهر	١٨٧
بولاق	١١١
البولتكنيك	٢٩٢
بولندا	٢٢٨
بومباي	١٨٦-٢٣١-٢٦٢-٢٧٩-٣٤٩-٤٢٧
بون	٥٥٦-٥٥٧
بوندي	١٤٣
بوول	٥٠١
بيت الفقيه	٢٠٠
بيت المقدس	٤٦-٣٢٦
بئر ابن سرار	٥٢٦
بئر الحاير	٥٢٧

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
بئر زمزم	١٦١-٢٥٧-٣٢٤
بئر الزفر	٥٢٩
بئر خطمة	٥٢٩
بئر طوى	٣٢٤
بيرا	١٣٤
بيرمي	٢٨٦
بيروت	٢٧-٤٥-٤٦-٥٣-٦١-٦٢-٩٢-٩٩-١٠٤-٢٦٦-٢٨٧-٢٨٩-٣٠١-٣١٦-٣٢٢-٣٢٦-٣٣١-٣٣٧-٣٧١-٣٧٢-٣٨٩-٤٠٦-٤٠٨-٤١٤-٤٤٩-٤٦٣-٤٦٤-٤٦٥-٤٦٩-٤٧١-٤٧٢-٤٧٧-٥١٧-٥٦١-٥٦٢-٥٦٣-٥٦٤-٥٦٨-٥٦٩-٥٧-٠-٥٧١-٥٧٣-٥٧٤-٥٧٥-٥٧٦-٥٧٧-٥٦٨-٥٨٠-٥٨١
بيسكاي	١٥١
بيشة	٥٢٦
تارا	٢٨٢-٢٨٤-٢٨٥-٢٨٦-٢٨٧

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
تالودي	٤٧٦
التبت	٣٥٨
تترستان	٢٨٥
ترعة القنال	٤٣١
تركستان	٢٨٥-٤٠٥
تركيا	١٠٤-١٢٨-١٥٣-١٨٠-١٨١-١٨٩-٢٦٤-٣٢٢-٣٣٨-٣٥٨-٣٦٦
تركمانستان	٢٩٩
تعز	١٦٨-١٩٢
تمبكتو	٩٣-١٨٤
تنادوس	١٣٤
التنعيم	٨٦-١١٢
تهامة	١٩٩
توات	٩٣
تونس	٢٤٦-٢٤٨-٢٥٥-٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧-٣٦٨-٥٣٧-٥٤٢-٥٧٧
التونغا	٣٢٨
تيماء	٢٧٢-٢٧٦
تيومان	٢٨٥
ثبير	٣٢٥
ثرمداء	٥١٤
الثنية السفلى	١١٢

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
ثنية كُدي	٨٧
ثول	٢٠٣-٥٣٨
الجار	٥١-٢٣٤
جازان	١٤٦-١٩٦-٢٠٠
جالندهر	٤٢٤
جاليتسيا	٣٩٧
الجامع الأخضر	٥٣٦
الجامع الأموي	٤٠٢
جامع الزيتونة	٣٦٥
جامعة أكسفورد	٢١٦
جامعة القاهرة	٤٨١
جامعة أوسكا	٤٨٠
جامعة تاكشوك اليابانية	٣٧٩-٥٦٥
جامعة جوتنجن	١٦٣
جامعة جورج تاون	٥٥٧
جامعة فؤاد الأول	٤٨١
جامعة فيينا	٣٩٨-٣٩٩
جامعة كمبردج	١٧٢-٢٧١-٥٤٥
جامعة كوتنكن	١٣١
جامعة لوفان	٥٢٥
جامعة ميونخ	٥٥٦
جامعة هارفارد	٥٥٥
جاوة	٣٨٤-٤٢٩-٥٠٥
جبال الأطلسي	١٥٢
جبال رضوى	١٣٥-٢٣٤

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
جبال شبه جزيرة سيناء	٤٨٦
جبال نجران	٥٢٩
جبل الخزام	٢٧٧
جبل الشراه	٢٧٤
جبل الصوق	٥٢٧
جبل الطور	٤٣٩-٤٨٦
جبل المهْر	٢٣٣
جبل النور	٢٨٦-٤٣٠
جبل إيبران	٢٧٧
جبل بيرد	٢٧٦
جبل ثور	٤٣٠
جبل جيان	٦٣
جبل حسان	٢٣٣
جبل رضوى	١٣٥-٢٣٤
جبل رعال	٢٣٣
جبل سرنديب	٩٤
جبل سعير	٢٧٤
جبل سويدة	٥٢٧
جبل سيناء	٢٢٦-٢٢٧-٢٣٠-٤٠٨
جبل شُلير	٦٣
جبل شمر	٢٣٣
جبل ضدا	٢٣٥
جبل طارق	١٥٥-٣٤٦-٣٤٨-٤٠٧
جبل طويق	٥٢٩
جبل عدن	١٤٥

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
جبل كاكي	١٤٥
جبل كرا	٢٤٣
الجحفة	٤٣٣
جدَّةُ	٦-١٥-٢١-٢٦-٢٧-٢٩-٣١-٣٣-٣٧-٤١-٤٧-٤٨-٥٠-٥١-٥٢-٥٦-٥٧-٥٨-٥٩-٦٠-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧٥-٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥-٨٧-٨٩-٩٥-٩٦-٩٧-٩٨-١٠٠-١٠٤-١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-١١١-١١٢-١١٣-١١٤-١١٥-١١٧-١١٨-١١٩-١٢٠-١٢١-١٢٤-١٢٧-١٢٩-١٣٠-١٣١-١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤٣-١٤٤-١٤٦-١٤٧-١٥٠-١٥٤-١٥٥-١٥٧-١٥٨-١٤٩-١٦٠-١٦١-١٦٢-

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	-١٦٦-١٦٧-١٦٨
	-١٧١-١٧٣-١٧٤
	-١٧٥-١٧٦-١٧٧
	-١٧٨-١٧٩-١٨٠
	-١٨١-١٨٢-١٨٣
	-١٨٤-١٨٨-١٨٩
	-١٩٠-١٩١-١٩٥
	-١٩٦-١٩٩-٢٠٠
	-٢٠١-٢٠٢-٢٠٣
	-٢٠٤-٢٠٥-٢٠٦
	-٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩
	-٢١٠-٢١١-٢١٢
	-٢١٣-٢١٤-٢١٨
	-٢١٩-٢٢٠-٢٢١
	-٢٢٢-٢٢٣-٢٢٤
	-٢٢٥-٢٢٦-٢٢٧
	-٢٣٠-٢٣١-٢٣٢
	-٢٣٤-٢٣٥-٢٣٦
	-٢٣٧-٢٣٨-٢٣٩
	-٢٤١-٢٤٢-٢٤٣
	-٢٤٤-٢٤٥-٢٣٤
	-٢٤٩-٢٥٠-٢٥١
	-٢٥٣-٢٥٤-٢٦٧
	-٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠
	-٢٧١-٢٧٢-٢٧٧

فهرس الأماكن

المكـان **رقم الصفحة**

-٢٧٨-٢٧٩-٢٨٠
-٢٨١-٢٨٧-٢٨٦
-٢٩٠-٢٩٣-٢٩٥
-٢٩٦-٢٩٧-٣٠١
-٣٠٢-٣٠٣-٣٠٤
-٣٠٥-٣٠٧-٣١٠
-٣١١-٣١٢-٣١٣
-٣١٤-٣١٧-٣١٨
-٣١٩-٣٢٣-٣٢٤
-٣٢٥-٣٢٦-٣٣٠
-٣٣٢-٣٣٣-٣٣٤
-٣٣٧-٣٣٨-٣٣٩
-٣٤٠-٣٤١-٣٤٢
-٣٤٣-٣٤٤-٣٤٥
-٣٤٦-٣٤٧-٣٤٩
-٣٥٠-٣٥١-٣٥٢
-٣٥٧-٣٥٩-٣٦٠
-٣٦١-٣٦٢-٣٦٣
-٣٦٣-٣٦٤-٣٦٥
-٣٦٨-٣٦٥-٣٧١
-٣٧٣-٣٧٥-٣٧٦
-٣٧٧-٣٧٨-٣٨٠
-٣٨٣-٣٨٥-٣٨٦
-٣٨٧-٣٩٣-٣٩٤
-٣٩٥-٤٠٩-٤١٠

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	٤١١-٤١٥-٤١٦-
	٤١٧-٤١٨-٤١٩-
	٤٢٠-٤٢١-٤٢٦-
	٤٢٧-٤٢٨-٤٢٩-
	٤٣١-٤٣٢-٤٣٣-
	٤٣٤-٤٣٥-٤٣٦-
	٤٣٧-٤٣٨-٤٣٩-
	٤٥٠-٤٥٢-٤٥٣-
	٤٥٤-٤٥٥-٤٥٦-
	٤٤٣-٤٥٢-٤٥٣-
	٤٥٤-٤٥٥-٤٥٦-
	٤٥٧-٤٦٠-٤٦٢-
	٤٦٣-٤٦٦-٤٦٧-
	٤٦٨-٤٦٩-٤٧١-
	٤٧٣-٤٧٤-٤٧٥-
	٤٧٦-٤٩٥-٤٨٤-
	٤٨٥-٤٨٦-٤٨٧-
	٤٩١-٤٩٢-٤٩٣-
	٤٩٤-٤٩٥-٤٩٦-
	٤٩٧-٤٩٨-٤٩٩-
	٥٠٠-٥٠١-٥٠٢-
	٥٠٣-٥٠٤-٥٠٥-
	٥٠٦-٥١٥-٥١٧-
	٥١٨-٥١٩-٥٢٦-
	٥٢٧-٥٣١-٥٣٢-

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	٥٣٣-٥٣٤-٥٣٨--٥٣٩
	-٥٤٠-٥٤١-٥٤٢
	-٥٤٦-٥٤٧-٥٤٨
	-٥٤٩-٥٥٠-٥٥١
	-٥٥٢-٥٥٣-٥٥٤
	٥٥٨-٥٥٩
جرش	١٦٥
جرول	٢٧٨-٤٢٨
جزارة	١٦٤
الجزائر	١٢٢-١٢٣-١٢٨-
	١٥٥-٢٠٩-٢٤٨-
	٢٤٩-٣٢٣-٣٥٦-
	٣٥٧-٣٥٨-٣٥٩-
	٣٦٠-٣٦٥-٤٤٨-
	٤٤٩-٤٥٠-٥٣٦-
	٥٣٧-٥٥٥-٥٥٦-
	٥٥٧-٥٧٦
جزيرة كمران	٣٨٥
جزيرة العباسي	٢٣٤
جزيرة تنادس	١٣٣
جزيرة تيران	١٣٤
جزيرة دَهْلَك	٢٠٠
جزيرة رودس	١٣٤
جزيرة سابينزا	١٣٣
جزيرة سردينيا	٦٣

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
جزيرة سعد	٣٣٨
جزيرة سعيد	٣٣٨
جزيرة صقلية	٦٤
جزيرة طمبيه	٢٠٢
جزيرة فيكتوريا	٥٠١
جزيرة كامرين	٢٠٢
جزيرة كمران	٣٨٥
جزيرة ليسويه	١٣١
جزيرة مرسا	١٤٦
جزيرة هائى شامى	١٤٤
الجعرانة	٤٨٧
جناق قلعة	٢٨٧
جنيف	٢٢٨-٤١٤
الجودي	٢٦٩
الجوف	٣٩٣
جوقة الشرف	٣٥٦
جون الكبريت	٣٦٨
جوهانسبرج	٣٤٨
جيروندل	١٣٥
الجيزة	٣٧٤
جيلابي	٢٨٥
حارة الشام	٢٣٩-٤٩٦
حائل	٢٧٢-٢٧٦-٢٧٧-٣٩٣
الحبشة	١١٣-٢٠٠-٢١٧
الحجاز	٢٨-٥١-٦٥-٦٦-

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	٧٤-٧٨-١٥٣-١٨٤-
	١٩٦-٢٢٥-٢٢٧-
	٢٢٩-٢٣٦-٢٤٤-
	٢٨٢-٢٨٩-٣٠٢-
	٣٠٣-٣٠٤-٣١٠-
	٣١٤-٣١٩-٣٢١-
	٣٢٩-٣٣٨-٣٣٩-
	٣٤١-٣٦٥-٣٨٩-
	٣٩١-٣٩٢-٣٩٤-
	٣٩٥-٤٠٤-٤١١-
	٤٢٣-٤٢٤-٤٢٦-
	٤٢٩-٤٣٦-٤٤٠-
	٤٤١-٤٤٢-٤٤٣-
	٤٤٤-٤٥٣-٤٦٣-
	٤٩١-٤٩٣-٤٩٧-
	٥٠٥-٥١٥-٥١٨-
	٥١٩-٥٣٤-٥٣٨-
	٥٣٩-٥٤٠-٥٤١-
	٥٤٢-٥٦٣-٥٧١-
	٥٧٢-٥٧٣-٥٧٤-
	٥٧٩-٥٨٠-٥٨٢
حجه	١٦٨-١٩٥
حدّة	٩٥-١١٢-٢٢٠-٢٢١-
	٢٤٢-٢٧٠-٣٠٢-
	٣٠٣-٣٢٥-٣٦٣-٣٩٤

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
الحديبية	٧٧-١١٢
الحديدة	١٤٠-١٤٦-١٦٨-١٨٤-٢٠٠-٢٦٥-٢٦٧-٢٦٨-٢٧٠
الحردة	٤٧
الحرم الشريف	٣٦٤-٤٣٠-٥١٤
الحسا	٥١
حصن حلي	٥٧
حضرموت	٥٢٩
حلب	١٠٤-١٦٤-١٧٢-٢٢٠-٢٣٣-٥١٢
حلي	٥٧
الحمراء	٣٤٥-٣٤٦
حوران	١٦٤
حوش أبوزيد	٤٧٣
الحوية	٥٢٦
حي الشام	٢٣٦-٢٣٩
حي العباسية	٣٩١
حي اليمن	٢٣٦
حيدر أباد	١٨٦-٤٢٥-٥١٠
حيفا	٣٣١
الخاسكية	٢٠٩-٤٧٣
الخان	١١١
خان البصر	٧٥
خراسان	٤٩

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
الخرطوم	٢٤٤
الخسيرات	٣٤٨
الخليج الأدرياتيكي	١٣٤
الخليج العربي	١٦٨-١٨٧-٣٤٠-٥١١
الخليل	١١٠-١١١
خميس مشيط	٥٢٦
خولان الطيال	١٩٤
خيبر	٢٧٢-٢٧٧
الدار البيضاء	٣١٧-٥٥٨-٥٥٩
دار الحمرا	٢٧٥
دار العويني	٤٤٤
دار النابغة	٣٢١
دارفور	٢١٨
داغستان	١١٧
داكار	٥٥٨
دبي	٥٥٧
دجلة	٥١١-٥١٢
درب الجنائز	٣٢١
درب زلاج	٢٧٦
الدردينل	١٣٤
درزدن	٢٥٨
الدرعية	١٨٧
دروري لين	٣٤٥-٣٤٦
الدفينة	٤٨٧
دلسينيو	١٣٤

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
دلهي	٩٣-٢٦٦-٤٠٦
دمشق	١٠٤-١٠٥-٢١٧-٢٢٨-٢٣٧-٢٧٣-٢٧٤-٢٧٩-٣٢٠-٣٢٦-٣٣١-٣٧١-٤٠٢-٤١٤-٤٣٢-٤٣٤-٤٣٩-٤٧١-٤٧٧-٥٣٦-٥٤٢
دمياط	١١١
الدنمارك	١٢٩-١٣١-١٣٢-١٣٤
دنمور	٤٤٨
الدوادمي	٤٨١-٤٨٧
ديار بكر	٩٣
دير سانت كاترين	٢٣٠
ديربان	٣٤٩
ديروط	١٣٤
ديك	١٤٣
ديوى	١٤٤
ذي الحليفة	٥١٥
رابغ	١٤٧-٢٠٣-٢٣٤-٣٢٣-٣٣٨-٣٧٤-٤٠٩-٤١٥-٤١٨-٤٣٣-٤٥٧-٤٦٦-٤٧٢-٤٩٣-٤٩٢-٤٩٣-٤٧٦-٥١٥

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
راج كره	١٤٤
رأس أبي محمد	٩٨
رأس بريدي	٢٣٤
رأس دوائر	٩٨
رأس محمد	١٣٥-٢٠٢
الرايس	٢٣٤
الرباط	١٥٥-٣١٦-٣٢٠-٣٤٦
الربع الخالي	٥٢٩
الرس	٢٧٨
رشيد	٤٠٢
رماح	١٨٧-٥١٣
الرملة	١١١
روالبندي	٥١٠
روسيا	١٦٥-٢٨٢-٢٩٩-٣٠٠-٣٠١-٥٠٠
الروضة	١٩٤
روما	١٠٤-٢٢٩-٤٥٠-٤٨٢
رومانيا	١٥٠
الروملي	٣١٤
الرياض	٥٢-١٢٢-١٢٩-١٣١-١٤٩-١٨٥-١٨٧-١٩١-١٩٢-٢١٦-٢٢٧-٢٢٨-٢٨١-٣٠٧-٣٧٩-٣٩١-

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	٣٩٢-٣٩٣-٤٢٤-
	٤٤٣-٤٥١-٤٧٩-
	٤٨٠-٤٨٤-٤٨٧-
	٤٨٨-٤٩٩-٥٠٢-
	٥٠٦-٥٠٨-٥٠٩-
	٥١٠-٥١٣-٥١٤-
	٥٢٢-٥٣٠-٥٣١--٥٣٢
	-٥٥٧-٥٦٢-٥٦٥-
	٥٦٦-٥٦٩-٥٧٠-
	٥٧٢-٥٧٣-٥٧٥-
	٥٧٦-٥٧٧-٥٧٨-
	٥٧٩-٥٨٠-٥٨١-٥٨٩
زامبيزي	٣٢٨
زبيد	٤٧-١٦٨-٢٠٠
الزبير	٥١١
زرهون	٣٢٠-٣٢٣
زقاق الطوال	٣٢١
زقاق ذروان	٣٢١
زنجبار	٣٢٩-٣٤٩
زولو	٣٢٨
الزيمة	٥٢٦
ساحة بيركلي	٢٦١
ساحل زنجبار	٣٤٩
سان استاشن	١٣٢
سانتوس	٢١٧

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
ساينان	٣٨١
سبتة	٣٤٨-٥٥
ستوكهولم	٥٠٧
سراييفو	٥٥٧
السرين	٥٧
السعدية	١٤٥
سفخة	٢٣٣
سفلوك	٤٤٨
سقطرهة	٢٦٧
السقية	٥٧
سكنيكتادي	٥٥٦
سكيكدة	٥٣٦
سلمين	٢٧٣
سليزيا	١٣١
سميرنا	١٢٨
سنار	٢٢٩
سنبهل	١٤٣
السند	١٨٦
سنغافورة	٣٨٣
سوازيلاند	٣٢٨
سواكن	٨٤-١٤٦-١٧٣-٣٤٩-٤٦٠
السودان	٩٢-١١٧-١٤٦-٤٧٦-٥٠٥-٥٥٨
سورت	١٤٤-١٤٥

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
سوريا	١٨٢-٣٩٢-٤٦٤-٤٦٧-٤٦٨-٥٣٧
سورية	٣٥-٢٣٦-٤٦٤-٤٦٨-٤٦٩-٤٧٢
سوفيا بجرودن	١٦٣
سوق عكاظ	٤٨١
سوقطرة	١٤٤
سومطرا	٣٨٤
السويد	١١٧-٥٠٧
السويس	١٣٥-١٤١-١٥٧-١٥٩-١٦٠-١٦١-١٦٥-١٨٠-١٨١-٢٠١-٢٠٢-٢٢٨-٢٢٩-٢٣٠-٢٣١-٢٤١-٣٠١-٣١٧-٣٢٤-٣٢٦-٣٣٧-٣٤٢-٣٦٠-٣٧٤-٤١٥-٤١٨-٤٣٤-٤٦٥-٤١٤-٤٩٢-٥٣٣
سويسرا	٤٠٦-٤٠٧-٤١٥-٤٩٧
سيبيريا	٢٨٢-٢٨٦
سيدنا حمزة	٣٦٨-٤٧٥
السيل	١٦٨
شارع الرشيد	٥١٢
شارع قابل	٥١٩-٥٤٢-٥٧٦

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
الشام	٤٧-٩٢-١١٦-١٦٥-١٧٤-٢٣٦-٢٣٩-٣٢١-٤١٦-٤٩٦-٥١٢
شبه جزيرة سيناء	١١٧-٢٧١-٤٨٦
الشرجة	٤٧
الشعيبة	٣١٤-٣٤٠-٤٧٥
شقراء	١٨٧
الشويفات	٤١٤
الشيشان	٢٩٩
صحار	٤٧
صربيا	١٦٤
الصعيد	٨٢-٣١٧
الصفا	٢٩٢-٤٩١-٥٤٧-٥٥١-٥٨٦
صقلية	٥٥-٦٥
صنعاء	٤٧-١٦٤-١٦٨-١٩٠-١٩١-١٩٢-١٩٣-١٩٤-١٩٥-١٩٦
صهريج أبو الطين عامر	٧٨
صهريج أبي بكر	٧٨
صهريج الأبنوس	٧٨
صهريج الأخميمي	٧٨
صهريج البركة	٧٨
صهريج البيضة	٧٨
صهريج الجامع	٧٨

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
صهريج الحجرى	٧٨
صهريج الحفيرة	٧٨
صهريج الحوار	٧٨
صهريج السدرة	٧٨
صهريج السيد البدوي	٧٨
صهريج الصرحي	٧٨
صهريج الطولاني والعرضانى	٧٨
صهريج الفرحي	٧٨
صهريج المبادر	٧٨
صهريج المريابني	٧٨
صهريج النخيلات	٧٨
صهريج الودية	٧٨
صهريج أم ضرار	٧٨
صهريج بركات	٧٨
صهريج ردرية	٧٨
صهريج سليمان العطار	٧٨
صهريج محمد بن القاسم	٧٨
صهريج يحيى الشريف	٧٨
الصومال	٣١٤
الصين	٩٣-٩٤-٣٦٢-٣٧٩-٣٨١-٣٨٢-٣٨٣-٣٨٤-٣٨٦
ضبا	٢٣٣-٤٠٩
ضنكان	٥٧
الطائف	٤٧-١٧٣-١٧٥-١٧٦-

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	١٨٢-٢٢٦-٢٢٨-
	٢٢٩-٢٣٠-٢٤١-
	٢٤٢-٢٤٣-٢٤٤-
	٢٧٨-٢٧٩-٣٠٢-
	٤١٦-٤١٧-٤٦٥-
	٤٧٢-٥٠٢-٥٠٦-
	٥١٤-٥٢٦-٥٧٥
طبول	٢٨٤
طرابزون	١١٦
طرابلس	١٠٤-١١١-١٥٦-
	١٩٦-٣٧٣
طريق النفود	٢٧٧
طن	٣٥١
طنجة	٩١-٩٢-٩٤-٩٦-
	١٥٠-١٥٥-١٥٦-
	٣١٧-٣٢٣-٣٢٦-٤٠٦
طنطا	٣٩٢
الطور	١٢٢-١٣٥-١٥٨-
	٢٢٦-٢٣٠-٢٣١-
	٢٣٢-٣٢٦-٤٣٩-
	٤٦٥-٤٧٢-٤٧٦
طورطوم	١١٦
طوكيو	٢٩٤-٤٨٠-٤٨٤
ظفار	٩٣-١٦٨
الظهران	٥١٦

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
عدن	١٠٥-١٤٥-١٦٨-٢٥٩-٢٦٧-٢٧٨-٢٧٩-٢٨٠-٣٤٩-٣٨٥-٤٢٦-٤٢٧
العراق	٤٧-٧٠-٩٣-١١٩-١٣١-٥١٠-٥١٢
العرائش	١٥٦
عرفات	٢٢٠-٢٦١-٣٠٢-٣٢٤-٣٨٠-٤٢٧-٤٢٩-٥٤٨
العريش	١١١
عسفان	٢٧٠
عسير	١٩٩-٢٠٠
عشر	٥١٤
عشيرة	٥١٤
عطنة	٤٧
عفيف	٥١٤
عكّاش	٣٧٥-٤٧٣-٤٧٦
العلوي	٤٩٦
عمارة آل عبدالبديع اليافي	٢٠٩-٤٧٣
عمارة الشربتلي	٤٧٣
عُمان	٩٠-١٣٠-١٤٠-١٨٧-١٨٩-٥٥٧
العنترية	٢٧٥
عنيزة	١٨٧-٢٧٢-٢٧٧

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
عويش	٢٠٢
عيذاب	٥٦-٦٥-٦٦-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥-٩٨
العين الزرقاء	٥٣٨
عين الوزيرية	٤٦٨
عيون موسى	٢٠٢
العيينة	١٨٧
غار حراء	٤٣٠
غرناطة	٥٩-٦٣-٩٣-١٠٣-١٥٢-٣٤٦-٤٠٦-٥٦١
غسيرة	٥٣٦
غلزان	٣٥٦
غلطة	١٣٤
فاس	٩٣-١١٠-١٥٥-٣٢٠-٣٢١-٣٢٣-٣٢٦-٣٤٦
فانكوفر	٥٠١
الفاو	٥٢٣-٥٢٩
الفرات	٥١١
فرسان	١٠٨
فرناندوبو	٢١٧
فرنسا	٢٠٠-٢٩١-٣٦٣-٣٧١-٣٧٢-٤١٤-٤٨٩
فرنكونيا السفلى	٥٥٦
الفريش	٣٦٧
الفسطاط	٤٨

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
فلج	٥١
فلسطين	١٦٥-٣٩٣
فلورنسا	١٠٤
فندق البصرة	٥١١-٥١٢
فندق الكويت	٥١٣
فندق شيبرد	٢٥٧-٥٠٢
فندق مصر	٤٨٦-٥٣٨-٥٤٠
فيكتوريا	٣٢٨-٥٠١
فيينا	٣٩٧-٣٩٨-٣٩٩-٥٥٦
قازاق الدون	٢٨٦
قازاقستان	٢٩٩
قازان	٢٨٥
قاشقر	٢٩٩
القاعية	٤٨٧
القاهرة	٢٦-٤٦-٥١-٦٢-٦٣-٦٤-٧٤-٧٧-١٠٤-١٠٧-١١٠-١١٧-١٢٨-١٣٤-١٣٥-١٣٧-١٥٠-١٥٧-١٦٠-١٦٥-١٧٣-١٧٤-١٧٥-١٧٦-١٨٠-١٨١-١٨٣-١٨٤-١٩٠-٢٠٠-٢٠١-٢٠٩-٢٢٥-٢٢٧-٢٢٩-٢٣٠

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	٢٣٦-٢٣٧-٢٤٤--٢٥
	٧-٢٤٩-٢٧١-٢٩١-
	٣١١-٢١٧-٣٢٣-
	٣٣٥-٣٤٥-٣٤٦-
	٣٤٧-٣٦٨-٣٧٣-
	٣٧٤-٣٩٣-٤٠١-
	٤٠٣-٤٣١-٤٣٢-
	٤٣٩-٤٥٢-٤٥٣-
	٤٨١-٤٨٤-٤٨٩-
	٤٩٢-٤٩٩-٥٠٠-
	٥٠١-٥٠٢-٥٠٣-
	٥٠٦-٥٠٨-٥٣٧-
	٥٣٩-٥٤٢-٥٤٥-
	٥٤٦-٥٤٨-٥٤٩-
	٥٥٠-٥٥٤-٥٦١-
	٥٦٢-٥٦٣-٥٦٤-
	٥٦٥-٥٦٨-٥٦٩-
	٥٧٠-٥٧١-٥٧٢-
	٥٧٣-٥٧٤-٥٧٥-
	٥٧٦-٥٧٨-٥٨٠-
	٥٨١-٥٨٢
قباء	٤٣٨-٤٥٩-٤٧٥-٥٥٢
قبة الغوري	٤٩٢
قبر حواء	١٤٠-١٤٧-٢٠٤-
	٢٣٢-٣٠٥-٤٤٥-

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	٤٦٧-٤٩٧
قبر سيد الشهداء	٥٣٨
قبر يونس عليه السلام	٥١٢
قبرص	١٥٣-١٥٦-١٥٧
القدس الشريف	٥٠٣
قرطبة	٤٥-٣٤٦
قرغيستان	٢٩٩
قرية القيم	٢٤٣
قرية بني شايع	١٩٤
قرية رماح	١٨٧
قرية منفوحة	١٨٧
قُريز الشرقية	١٦٣
قزوين	٣٠١
القسطنطينية	٩٣-١٣٤-١٣٧-١٦٤-١٨٣
قشقار	٢٨٥
قصر البديعة	٤٨٧
قصر الحمراء	٣٤٥-٣٤٦
القصر العالي	٤٩١
قصر الكندرة	٤٤٦
قصر المعابدة	٤٩١
قصر شبرا	٢٤٣
قصمية	٢٧٣
القصير	٩٨-٢٠٢-٤٥٤
القصيم	١٨٢-٢٧٦

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
القطيف	١٨٧
القلزم	٥٠-٥٦-٨٢-١١٨
قلعة المويلح	٢٠٢
قلعة دينابورغ	٣٠٠
القلمون	٣٧٢
قنا	٦٥-٢٤٩-٤٣٥
قناة السويس	١٦٥-٢٢٦-٢٨٧-٣٤٦-٣٧٥
قناة موزنبيق	٣٤٩
القنفذة	١٤٦-١٩٥-١٩٦-٢٠٠
قنوج	٢٦٦
قوسمركه	٦٣
قوص	٦٤-٨٢-٩٨
القيروان	٣٦٥-٣٦٧
قيزل يار	٢٨٦
كازخستان	٢٨٦
كاشغر	٢٨٥
كامبريدج	٥٥٦
كراتشي	٤٢٦-٤٢٧-٤٣٢-٥٢٠
كركما	٢٣٣
كركوك	٥١٢
الكرنتينة	٣٤٩-٣٨٥
كلية الاتحاد	٥٥٦
الكلية الإسلامية	٣٨٢
كلية كلبرن	٣٤٥-٣٤٧

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
كلية ندوة العلماء	٥٠٩-٥١٠
كمران	١٤٦-٣٨٥-٤٢٧
كندا	٥٤٥
كوبنهاجن	١٣١
كوته	١٤٤
كوجرانواله	٥١٠
كوريا	٢٨٢
كولومبس	١٠٢
كولورادو	٥٥٩
كولومبو	٣٨٤
كوم مازن	٤٤٢
الكويت	١٨٧-٣٩٢-٥١٠-٥٧٤
كيب تاون	٣٤٦
كيلبرن	٣٤٦
لاهور	٤٠٥-٤٠٧-٤٢٤-٤٢٦
لاوبنرغ	١٣١
لبانة	٢٣٣
لبنان	١١٦-٣٦٥-٤٠٨-٤٤٨-٥٧٤
اللجا	١٦٤
لحا	١٦٤
اللحية	١٤٦-١٩٥
اللدام	٥٢٩-٥٣٠
لدنفورث	١٣١
لكهنو	٤٩٢

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
لمبيرغ	٣٩٧
لندن	٨١-١٥٢-١٥٥-١٩٤-٢١٧-٢٧٢-٢٩٣-٣٧٨-٤٢٦-٤٥١-٤٥٢-٤٥٣-٤٦١-٥٠٠-٥٦٤-٥٧٢-٥٨٠-٥٨١-٥٨٢
لواته	٩١
لوزان	١٧٢
ليبيا	٥٥٨
الليث	١٤٦-١٩٦
ليجهورن	١٢٨
ليفوف	٣٩٧
ليما سول	١٥٦
مارسليا	٤٦١
ماساتشوستس	٥٥٦
مالطا	١٣٢-١٣٣-١٧٢-٢٤٩-٣٢٣
ماليزيا	٥٠٥
مانشستر	٣٤٦
المبرز	٦٥
متحف الشمع	٢١٨
مجاج	٦٥
المحر	١١٦
محل أبي زيد	٤٧٣

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
المحيط الهادي	٣٨٣
المحيط الهندي	٣٤٩
المخا	١٤٥-١٦٨-١٦٩-٢٠٠
مدائن صالح	٢٧١-٢٧٢-٢٧٤
مدرسة الإرشاد	٥٣٦
مدرسة الإصلاح	٣٤٣
المدرسة الأمريكية في الشويفات	٣٣٩
مدرسة التربية والتعليم	٥٣٦
مدرسة التطبيقات الحربية	٢٩٢
مدرسة الحكمة في بيروت	٤١٤
المدرسة الرشيدية	٣٤٣
المدرسة السلطانية	٤١٤
مدرسة المعلمين العليا	٤٤٢
مدرسة أشافنبورغ	٥٥٦
مدغشقر	٢٤١
المدينة المنورة	٢٤-٢٧-٥٩-٧٠-٧١-٨١-٨٩-٩١-١٠٥-١٠٦-١١١-١١٨-١٢٠-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٦-١٢٧-١٣٦-١٤٧-١٤٨-١٥٠-١٥٥-١٦٤-١٦٦-١٦٧-١٦٩-١٧١-١٧٤-١٨١-١٨٧-٢١٦-٢١٧

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	٢٣٣-٢٣٤-٢٣٦-
	٢٣٨-٢٣٩-٢٥٦--٢٦
	٣-٢٧٠-٢٧٧-٢٨١-
	٢٨٢-٢٨٦-٢٨٩-
	٢٩٠-٢٩٣-٢٩٤-
	٣١٨-٣١٩-٣٢١-
	٣٢٥-٣٢٦-٣٢٨-
	٣٣١-٣٥٥-٣٥٨-
	٣٦٤-٣٦٦-٣٦٨-
	٣٧٠-٤٠١-٤٠٣-
	٤٠٦-٤٣٢-٤٣٨-
	٤٣٩-٤٤٧-٤٤٩-
	٤٥١-٤٥٢-٤٥٤-
	٤٥٨-٤٥٩-٤٦٧-
	٤٦٩-٤٧١-٤٧٤-
	٤٧٥-٤٧٦-٤٨٩-
	٤٩٢-٤٩٨-٥٠٣-
	٥٠٧-٥٠٨-٥١٥-
	٥٣٢-٥٤٢-٥٤٥-
	٥٥١-٥٥٢-٥٥٣-
	٥٥٨-٥٥٩-٥٧٢-
	٥٨٩-٥٩٠
مدينة قادس	١٥٥
مرات	٤٨٧
المراح	٥١٤

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
مراد أباد	١٤٢-١٤٣
مراكش	٩٢-٩٣-١١٠-١٥٥-٢٥٨-٣١٧
مرسى أزمير التركي	١٣٣
مرسى الحديدة	١٩٥-٢٠٣
مرسى السقية	٥٧
مرسى اللحية	١٩٥
مرسيليا	٢٤٩-٤٧٢
مرسيلية	٣١٧
مرسيه	٦٢
مرفئ هلسنيوري	١٣٢
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية	٣٧٩-٤٨٤-٥٦٥
مرو	٥١
المروة	٣٦٨
مزدلفة	١٧٧-٢٦١-٣٢٨-٥٤٨
مستورة	٣٦٧
مسجد ابن عباس رضي الله عنه	٤٣٣
مسجد الأبنوس	٩٧-٩٨
المسجد الأقصى الشريف	٣٢٦
مسجد البيعة	٥٦٩
المسجد الجامع	١١٣
المسجدِ الحرامِ	٤٥-٦١-١٠٦-٢٩٠-٤٠٣-٤٢٩-٤٧١-٥٤٠-٥٤٥
مسجد الخيف	٣٢٥-٥٦٩

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
مسجد السلطان حسن	٢٠٨
مسجد القبلتين	٤٥٩
مسجد الكبش	٣٢٥
مسجد المعمار	٥١٩
مسجد المنحر	٣٢٥
المسجد النبوي الشريف	٣٢١-٣٢٣-٣٢٥-٤٥٨-٤٥٩-٤٦٢-٤٦٣-٤٧٥-٤٩٥-٥٤٧-٥٥٣
مسجد جامع السلطان حسن	٢٠٨
مسجد طوكيو	٤٨٠-٤٨٤
مسجد عبدالله بن العباس	٢٤٣
مسجد عثمان بن عفان	٩٧
مسجد عكاش	٣٧٥-٤٧٦
مسجد قرطبة	٣٤٥
مسجد محمد	٢٠٩
المسفلة	٤٥
مسقاط	١٧٩
مسقط	١٦٨-١٨٦-١٨٧-٣٧٦
مصر	٢٤-٤٧-٤٩-٥٠-٥١-٥٥-٦٥-٧٧-٧٨-٩١-٩٢-٩٣-١٠٤-١١٠-١١٧-١١٨-١٢٠-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤-١٢٧

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	١٣٤-١٣٧-١٥٠-
	١٥٤-١٥٧-١٦٥-
	١٧١-١٧٢-١٧٥-
	١٧٩-١٨٢-١٨٤-
	١٨٨-٢١٥-٢١٩-
	٢٢١-٢٢٦-٢٣٠--٢٤
	٤-٢٩٢-٢٩٤-٣١٤-
	٢١٧-٣٢١-٣٢٢-
	٣٢٣-٣٢٦-٣٣٤-
	٣٣٦-٣٣٧-٣٣٨-
	٣٣٩-٣٤٠-٣٤١-
	٣٤٢-٣٤٤-٣٤٦-
	٣٤٧-٣٥٤-٣٦٨-
	٣٧٢-٣٧٣-٣٩٢-
	٣٩٤-٣٩٥-٤٠٨-
	٤٣٤-٤٣٥-٤٣٦-
	٤٣٩-٤٤٥-٤٤٦-
	٤٨٥-٤٨٦-٤٩٢-
	٤٩٥-٥٠٢-٥٣٤-
	٥١٧-٥١٨-٥٣٧-
	٥٣٨-٥٣٩-٥٤٠-
	٥٤٢-٥٤٨-٥٥٣-
	٥٧١-٥٧٣-٥٨١
مضيق البسفور	٢٨٦
مضيق جبل طارق	١٣٢-١٥٥

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
مطار القاهرة	٥٠٢-٥٤٢-٥٤٩
المطار القديم	٣٨١
مطار الملك الخامس	٥٥٨
معبد أبو سنبل	١٧٣
معقل	٥١١
المعلاة	٤٥
المغرب	٤٧-٥٥-٥٦-٦٢-١٢١-١٥٣-١٥٦-٢٠٨-٢٢٩-٢٦٤-٣١٤-٣٢٠-٣٢١-٣٢٢-٣٣٨-٣٤٤-٣٤٥-٣٤٦-٤٠٦-٥٥٥-٥٥٧
المفرق	٥١٥
مقبرة مور تليك	٢١٨
مقهى البياضة	٢٤٢
مقهى شداد	٢٤٣
مكة المكرمة	٢٤-٣٣-٣٧-٤٩-٥٢-٥٩-٦٦-٦٧-٧٠-٨١-٨٧-٩١-٩٣-٩٥-٩٧-٩٨-١٠٥-١٠٦-١١٠-١١١-١١٢-١١٤-١١٨-١٢٠-١٢٢-١٢٣-١٢٦-١٢٧-١٢٨-١٤٧-١٥٠-

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	-١٥١-١٥٤-١٥٥
	-١٦٢-١٦٤-١٦٦
	-١٦٧-١٦٨-١٧١
	-١٧٣-١٧٤-١٨٠
	-١٩١-١٩٢-١٩٣
	-١٩٥-٢١٦-٢١٧
	-٢١٩-٢٢٠-٢٢١
	-٢٣٦-٢٣٩-٢٤٢
	-٢٤٦-٢٤٧-٢٤٩
	-٢٥٠-٢٥٢-٢٥٣
	-٢٦٧-٢٧٠-٢٧٧
	-٢٧٨-٢٨٧-٢٨٨
	-٢٨٩-٢٨٦-٢٩٠
	-٢٩٣-٢٩٤-٢٩٩
	-٣٠١-٣٠٥-٢١٧
	-٢١٨-٣٢٤-٣٢٥
	-٣٢٨-٣٣٧-٣٣٩
	-٣٤٤-٣٥١-٣٥٢
	-٣٥٥-٣٥٨-٣٥٩
	-٣٦١-٣٦٢-٣٦٣
	-٣٦٤-٣٦٥-٣٦٦
	-٣٦٧-٣٧٧-٣٦٧
	-٣٧٢-٣٧٧-٣٧٨
	-٣٨٦-٣٨٧-٣٩٢
	-٣٩٣-٣٩٤-٤٠٠

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	٤١٦-٤٢٠-٤٢١-
	٤٢٧-٤٢٨-٤٢٩-
	٤٣٠-٤٣١-٤٣٧-
	٥٣٨-٤٤١-٤٤٣-
	٤٤٦-٤٤٩-٤٥١-
	٤٥٢-٤٥٤-٤٥٦-
	٤٦٠-٤٦١-٤٦٣-
	٤٦٧-٤٦٩-٤٧٤-
	٤٩٠-٤٩٨-٥٠٣-
	٥٠٧-٥٠٨-٥١٤-
	٥١٥-٥١٦-٥١٧-
	٥٢٠-٥٣٩-٥٤٠-
	٥٤٥-٥٥٣-٥٥٨-
	٥٥٩-٥٦٣-٥٦٥-
	٥٦٦-٥٦٧-٥٦٨-
	٥٧٩-٥٨١
مكس	٣٢٣
المكلا	٣٤٩
مكناس	١٥٥-٤٥٢
مكندرة	١٤٤
ملاباي	٢٨٦
الملايو	٣٨٤-٥٠٠
ممبيء	٢٦٧-٢٧٠
المملكة العربية السعودية	٣٣-٥٢-٧٣-٩٨-
	٢٨٠-٢٩٣-٣٧٩-

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
	٣٨٩-٣٩٠-٣٩١-
	٣٩٥-٤٠٣-٤٢٠-
	٤٢٧-٤٣١-٤٤٣-
	٤٤٦-٤٤٧-٤٥٠-
	٤٥١-٤٦٩-٤٧٧-
	٤٧٩-٤٨٠-٤٨٧-
	٤٨٨-٤٩٢-٤٨١-
	٤٨٥-٤٩١-٥١٢-
	٥٢١-٥٢٢-٥٢٤-
	٥٣٢-٥٣٩-٥٤٦-
	٥٦٧-٥٦٩-٥٨٠-٥٨٢
منزل آل نصيف	٥١٥-٥١٦-٥١٧-٥٤٠
منزل الباشا	١٣٩-١٤١
منزل القاضى	١٤١
منطقة البنجاب الشرقي	٤٢٤-٤٢٥
المنوفية	٣٣٧-٤٤٢
منى	١٢٤-١٤٧-١٦٧-
	٢٨٨-٢٨٩-٣٢٤-
	٣٢٥-٤٢٩-٤٦٠-
	٥٤٧-٥٤٨-٥٥١
الموصل	٩٣-٥١٢-٥١٦
مومباسا	٣٢٨
مومباي	٢٦٧
مومبسا	٣٢٩
الموية	٤٨٧

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
ميقات الجحفة	٤٣٣
مينا بوليس	٥٥٩
ميناء إبراهيم	١٤٦
ميناء البصرة	٥١١
ميناء الجار	١٥٨
ميناء الرباط	٣٤٦
ميناء القصير	٢٤٩
ميناء القنفذة	١٩٥
ميناء أوديسا	٢٨٦
ميناء جُدَّة	٣٣-٤٨-٦٥-١٠٦-١٠٨-١١٣-١٥٨-١٧٧-٢٣٥-٣١٧-٣١٨-٣٣٢-٣٣٨-٣٤٩-٣٥٠-٣٦١-٣٦٨-٣٧٥-٣٨٦-٣٨٧-٤٠٩-٤١٦-٤٢٧-٤٣١-٤٣٣-٤٣٥-٤٣٩-٤٤٣-٤٦٦-٤٧٣-٤٨٥
ميناء رابغ	٤١٨
ميناء ساوث هامتون	٢١٨
ميناء سيركه جي	٢٨٦
ميناء طرابلس	١٥٦
ميناء طريفة	١٥٥
ميناء فلاد فستوك	٢٨٢

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
ميناء ينبع	١٥٨-٢٣٤-٣٠٣-٣٣٢-٤٣٩-٤٤٣-٤٧٦
مينة	٣٥٦
ميونخ	٥٥٦
نابولي	٢٧٩-٣١٧-٤١٥
نبط	٢٣٣
نجران	٥٢٦-٥٢٨-٥٢٩
النزوة	٤٧
نعمان	٢٠٢-٢٣٣-٤١٦
النفود	٢٧٧-٤٨٢-٤٨٧
النمسا	١١٧-٤٠٠
نهر الدانوب	١٦٤
نهر الدون	٢٨٦
نهر النيل	٨٢-٢١٧-٤٣٢-٥٠٢
نهر تشنبل	١٤٣
النوبة	١٧٣-١٧٤-١٧٦-٢٤٤-٤٥٠
نيالي	٣٢٨
النيجر	١٧٢-١٧٤
نيزني	٢٨٦
نينوى	٥١٢
نيوزيلند	١٨٦
هارتفورد شاير	٢١٦
هالي	٤٠٤
الهدى	٢٣١-٣١١

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
هرمز	٩٣
هلسنيوري	١٣٢
الهند	١٧-١٩-٩٣-٩٤-٩٨-١٠٢-١٠٥-١١٨-١٥٩-١٦٠-١٦٩-١٨٢-١٨٨-١٨٦-١٩٠-٢١٣-٢٢-٢٤٠-٢٤١-٢٦٤-٢٩٣-٢٩٧-٣١٤-٣٣٨-٣٤٥-٣٤٧-٣٤٩-٣٧٨-٣٩٢-٣٩٥-٤٠٧-٤٢٥-٤٣٢-٤٩٦-٥٠٩-٥١٠
هولندا	١٦٣
هونج كونج	٣٨٢
وادي الدواسر	٥٣٠
وادي الرمة	٢٧٨
وادي السيل	٢٧٨
وادي المسيرق	٥٢٦
وادي بيشة	٥٢٧
وادي ضهر	١٩٤
وادي فاطمة	١٨٢-٢١٩-٢٤٣-٢٧٩-٢٩٧-٣٠٣
وادي نعمان	٤١٦
الولايات المتحدة	٥٠٧-٥٣٢

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
ولاية باتنة	٥٣٦
ولاية نيويورك الأمريكية	٥٥٦
ويلز	١٩٠-٣٢٨
اليابان	٢٨١-٢٨٢-٣٧٩- ٣٨٠-٣٨١-٣٨٢- ٣٨٤-٣٨٦-٣٨٧- ٤٧٩-٤٨٠-٤٨١- ٤٨٢-٤٨٤-٤٨٥- ٤٩٦-٥٦٥-٥٧٢-٥٨٩
يافا	٣٢٦-٣٣١
يثرب	٤٧
يلملم	١٤٧
اليمن	٤٧-٥١-٥٧-٧٤-٧٨- ٩٥-٩٨-١٠٧-١١٨- ١٣٠-١٣٦-١٤٠- ١٤٣-١٤٥-١٤٧- ١٦٠-١٦٤-١٦٧- ١٦٨-١٦٩-١٧٩- ١٨٠-١٩٠-١٩٢- ١٩٤-٢٣٦-٢٦٧- ٣١٤-٣٣٩-٤١٤- ٤٩٤-٥٢٨-٥٣٢- ٥٨٨-٥٨٩
ينبع النخل	١٨٨
اليونان	١٥٣-٢٧١-٣٥٨

فهرس الأماكن

المكـان	رقم الصفحة
يويوغي	٤٨٤
ييفر	١٦٣

فهرس الموضوعات

الموضـوع **رقم الصفحة**

تنويه ٦
الباب الأول **٩**
الفصل الأول: في أدب الرحلة **١١**
الإنسان رحالة ١٣
(الجغرافية) أو تقويم البلدان والرحلات ١٧
أغراض الرحلات وأهدافها ٢١
رحلات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٢٤
رحلات الحج ٢٥
الفصل الثاني **٢٩**
جُدَّة والرحالة ٣١
جُدَّة والرحالة ٣٣
الرحالة المسلمون: ٣٣
الرحالة الغربيون: ٣٣
دور الرحالة في الحفاظ على تاريخ المدن –جُدَّة نموذجاً ٣٧
الباب الثاني **٣٩**
جُدَّة في أعين الرحالة ٤١
المقدسي **٤٣**
ترجمة حياة المقدسي ٤٥
مسار رحلة المقدسي ٤٦
جُدَّة بعدسة الجغرافي المقدسي ٤٧
ناصر خسرو **٤٩**
ترجمة حياة ناصر خسرو: ٥٠
خط سير رحلة ناصر خسرو: ٥٠
جُدَّة بعدسة ذاكرة الشاعر ناصر خسرو: ٥١
الإدريسي **٥٣**

فهرس الموضوعات

الموضـوع **رقم الصفحة**

ترجمة حياة الإدريسي ٥٥
جُدَّة والإدريسي ٥٦
ابن جبير والقضاعي ٥٩
ترجمة حياة ابن جبير ٦١
ترجمة حياة القضاعي ٦١
خط سير رحلة ابن جبير والقضاعي ٦٣
جُدَّة بعدسة ابن جبير ٦٧
ابن المجاور ٧٣
ترجمة حياة ابن المجاور ٧٣
زيارة ابن المجاور لجُدَّة ورسمه خريطتها في القرن السابع الهجري ٧٥
بعض الصهاريج في جُدَّة إبان فترة ابن المجاور ٧٨
جُدَّة بعدسة الرحالة المسلم ابن المجاور ٧٨
القاسم بن يوسف التجيبي السبتي ٨١
ترجمه القاسم بن يوسف التجيبي السبتي ٨١
رحلة السبتي ٨٢
جُدَّة بعدسة ذاكرة السبتي ٨٥
ابن بطوطة ٨٩
ترجمة حياة ابن بطوطة ٩١
رحلات بن بطوطة وخط سيرها ٩٢
جُدَّة بعدسة ذاكرة ابن بطوطة ٩٥
لودفيكو دي فارثيما ٩٩
ترجمة لودفيكو دي فارثيما (الحاج يونس المصري) ١٠١
خط سير رحلة فارتيما إلى جُدَّة ١٠٤
جُدَّة في أوائل القرن السادس عشر الميلادي بعدسة ذاكرة فارتيما ١٠٧
العياشي ١٠٩

فهرس الموضوعات

الموضـوع **رقم الصفحة**

ترجمة حياة العياشي ١١٠
خط سير رحلة العياشي ١١٠
العياشي في جُدَّة ١١١
أسواق جُدَّة زمن العياشي ١١٣
المسجد الجامع بجُدَّة بعدسة ذاكرة العياشي ١١٣
مقبرة أمنا حواء زمن العياشي ١١٣
أوليا جلبي ١١٥
ترجمة حياة أوليا جلبي ١١٥
رحلة حج جلبي للديار المقدسة ١١٧
جُدَّة بعدسة ذاكرة أوليا جلبي ١١٨
جوزيف بتس ١٢١
ترجمة جوزيف بتس (الحاج يوسف) (Joseph Pitts) ١٢١
خط سير رحلة جوزيف بتس إلى جُدَّة ١٢٣
زيارة بتس للمدينة المنورة ١٢٦
مغادرة بتس للمدينة المنورة ١٢٧
كارستان نيبور ١٢٩
ترجمة حياة كارستن نيبور ١٣١
خط سير رحلة كارستن نيبور إلى جُدَّة ١٣١
جُدَّة في القرن الثامن عشر الميلادي بعدسة كارستان نيبور ١٣٦
رفيع الدين المراد أبادي ١٤١
مُترجم الرحلة يُترجم صاحب الرِحَلة رفيع الدين أبادي ١٤٢
خط سير رحلة رفيع الدين المراد أبادي ١٤٣
جُدَّة بعدسة ذاكرة الرحالة رفيع الدين المراد أبادي ١٤٧
علي باي العباسي ١٤٩
رحلة علي باي العباسي دومينغو باديا ١٥٠

فهرس الموضوعات

الموضـوع **رقم الصفحة**

ترجمة دومينغو باديا لبليخ Domingo Badia Leblich ١٥١
أهمية رحلة باديا ١٥٤
خط سير رحلة باديا إلى جُدَّة ١٥٥
جُدَّة بعدسة ذاكرة علي باي العباسيي(باديا) ١٥٨
أولريخ ياسبر سيتزن ١٦٣
ترجمة الرحالة سيتزن ١٦٣
خط سير رحلة سيتزن ١٦٥
جون لويس بوركهارت ١٧١
ترجمة حياة جون لويس بوركهارت ١٧٢
بوركهارت يصل جُدَّة ١٧٤
جُدَّة بعدسة ذاكرة بوركهارت ١٧٦
مغادرة بوركهارت جُدَّة ونهاية رحلته ١٨٤
جورج فورستر سادلير ١٨٥
ترجمة حياة سادلير ١٨٥
خط سير رحلة سادلير ١٨٦
الذهاب إلى جُدَّة ١٨٨
جُدَّة بعدسة ذاكرة سادلير ١٨٨
الشيخ إسماعيل جغمان ١٩١
ترجمة الشيخ إسماعيل جغمان ١٩٣
خط سير رحلة الشيخ إسماعيل جغمان ١٩٥
جُدَّة بعدسة ذاكرة إسماعيل جغمان ١٩٥
موريس تاميزية ١٩٩
خط سير رحلة تاميزييه إلى جُدَّة ٢٠١
ماذا قالوا عن وصف تاميزييه لجُدَّة ٢٠٤
جُدَّة بعدسة ذاكرة تاميزييه ٢٠٥

فهرس الموضوعات

الموضـوع **رقم الصفحة**

ريتشارد فرانسيس برتون ٢١٥
ترجمة ريتشارد برتون Captin Sir Richard Francis Burton ٢١٦
خط سير رحلة برتون إلى جُدَّة ٢١٨
الطريق بين جُدَّة ومكة حسب وصف برتون ٢١٩
رتشارد برتون في جُدَّة ٢٢١
جُدَّة بعدسة ذاكرة رتشارد برتون ٢٢٢
برتون يغادر جُدَّة ٢٢٤
شارل ديدييه ٢٢٥
ترجمة شارل ديدييه ٢٢٧
خط سير رحلة شارل ديدييه إلى جُدَّة ٢٣٠
البحر الأحمر كما وصفه ديدييه ٢٣٢
جُدَّة بعدسة ذاكرة ديدييه ٢٣٥
مغادرة ديدييه جُدَّة ٢٤٤
هاينزيش فرايهر فون مالتسان ٢٤٥
ترجمة هاينزيش فرايهرفون مالتسان ٢٤٥
رحلة مالتسان للحج وخط سيرها ٢٤٧
وصول مالتسان إلى جُدَّة: ٢٤٨
ميناء جُدَّة بعدسة مالتسان ٢٥٠
وصف مدينة جُدَّة ٢٥٢
الصرافة والعملات في جُدَّة ٢٥٣
الملابس في جُدَّة إبان زيارة مالتسان ٢٥٤
مقبرة أمنا حواء زمن مالتسان ٢٥٦
أسواق جُدَّة زمن مالتسان ٢٥٨
سفر مالتسان من جُدَّة إلى مكة المكرمة ٢٥٩
عودة مالتسان إلى جُدَّة من مكة المكرمة والمغادرة للديار ٢٦٢

فهرس الموضوعات

الموضـوع **رقم الصفحة**

محمد صديق خان **٢٦٣**
ترجمة الرحالة محمد صديق خان ٢٦٦
خط سير رحلة محمد صديق خان إلى جُدَّة، ثم مكة المكرمة ٢٦٧
الوصول إلى جُدَّة ٢٦٩
تشارلز داوتي **٢٧١**
ترجمة تشارلز داوتي ٢٧١
خط سير رحلة داوتي ٢٧٣
عبدالرشيد إبراهيم التركستاني **٢٨١**
ترجمة الشيخ عبدالرشيد إبراهيم ٢٨٤
خط سير رحلة عبدالرشيد التركستاني ٢٨٦
الرحالة عبدالرشيد إبراهيم في جُدَّة ٢٨٧
محمد صادق باشا **٢٨٩**
ترجمة حياة الرحالة محمد صادق باشا ٢٩١
محمد صادق باشا، المصور الرائد ٢٩١
مؤلفاته ٢٩٤
جُدَّة بعدسة ذاكرة محمد صادق باشا ٢٩٥
عبد العزيز دولتشين **٢٩٩**
ترجمة حياته ٢٩٩
خط سير رحلة دولتشين ٣٠١
جُدَّة بعدسة الضابط الروسي عبدالعزيز دولتشين ٣٠٣
مقبرة أمنا حواء بعدسة الحاج عيشايف ٣٠٥
إبراهيم رفعت باشا **٣٠٧**
ترجمة حياة الرحالة إبراهيم رفعت ٣٠٨
جُدَّة بعدسة ذاكرة إبراهيم رفعت ٣٠٩
إقامة إبراهيم رفعت في جُدَّة ٣٠٩

فهرس الموضوعات

الموضـوع **رقم الصفحة**

ما يلزم أن يشتريه الحاج في جُدَّة ٣١١
جُدَّة بشكلها عندما زارها إبراهيم رفعت في عام ١٩٠١م ٣١١
العمراني السرغيني ٣١٥
التعريف بصاحب " اللؤلؤة الفاشية" ٣١٥
خط سير رحلة عبدالسلام العمراني السرغيني ٣١٧
جُدَّة بعدسة ذاكرة العمراني السرغيني صاحب اللؤلؤة الفاشية ٣١٧
محمد الكتاني ٣١٩
ترجمة محمد بن جعفر الكتاني الحسني ٣١٩
رحلات محمد الكتاني ٣٢٠
الهجرة الأولى لمحمد الكتاني إلى المدينة المنورة ٣٢١
الهجرة الثانية لمحمد الكتاني إلى المدينة المنورة ٣٢١
انتقال محمد الكتاني إلى الشام ٣٢١
الرحلات الأخرى لمحمد الكتاني ٣٢٢
وصف مخطوط كتاب الرحلة السامية ٣٢٢
خط سير رحلة الكتاني إلى جُدَّة والمدن المقدسة ٣٢٣
الوصول إلى مدينة جُدَّة ٣٢٤
ابتداء مناسك الحج ٣٢٤
العودة إلى جُدَّة ٣٢٥
مغادرة المدينة المنورة والعودة إلى الديار ٣٢٦
آرثر جون وافل ٣٢٧
ترجمة آرثر جون وافل (الحاج علي الزنجباري) ٣٢٨
خط سير رحلة آرثر جون وافل إلى جُدَّة ٣٣٠
جُدَّة بعدسة ذاكرة وافل ٣٣٢
محمد لبيب البتنوني ٣٣٧
ترجمة محمد لبيب البتنوني ٣٣٧

فهرس الموضوعات

الموضـوع **رقم الصفحة**

رحلة البتنوني إلى الديار المقدسة ٣٣٧
وصف البتنوني لرحلة خديوي مصر إلى جُدَّة ٣٣٨
جُدَّة بعدسة البتنوني ٣٣٩
أسواق جُدَّة في زمن البتنوني ٣٤٣
تعداد سكان جُدَّة عام (١٩٠٩م) ٣٤٣
مدارس جُدَّة في زمن البتنوني ٣٤٣
موسم الحج في جُدَّة ٣٤٣
هدلي تشرشورد **٣٤٥**
ترجمة هدلي تشرشورد ٣٤٥
رحلة الحج ٣٤٨
خط سير الرحلة ٣٤٩
وصول تشرشورد إلى جُدَّة ٣٥٠
جُدَّة بعدسة ذاكرة هدلي تشرشورد ٣٥٠
الفرنسي المسلم جيل – جرفيه كورتلمون **٣٥٥**
ترجمة جيل – جرفيه كورتلمون ٣٥٥
خط سير رحلة كورتلمون ٣٥٩
جُدَّة بعدسة ذاكرة جيل – جرفيه كورتلمون ٣٦٠
ميناء جُدَّة وأرصفته كما يقول كورتلمون ٣٦١
لقاء في ساحة جُدَّة ٣٦١
الاستعداد للسفر إلى مكة المكرمة ٣٦٢
الطريق من جُدَّة إلى مكة المكرمة ٣٦٢
التميمي التونسي **٣٦٥**
خط سير الرحلة ٣٦٧
جُدَّة بعدسة ذاكرة محمد بن صالح الجودي القيرواني ٣٦٨
الإمام محمد رشيد رضا **٣٧١**

فهرس الموضوعات

الموضـوع **رقم الصفحة**

ترجمة حياة الإمام محمد رشيد رضا ٣٧٢
رحلة الشيخ رشيد رضا إلي الأراضي المقدسة ١٩١٦م ٣٧٣
وصول الشيخ رشيد رضا إلى جُدَّة ٣٧٥
سفر الشيخ رشيد رضا إلى مكة المكرمة ٣٧٦
عودة الشيخ رشيد رضا إلى جُدَّة ٣٧٨
الياباني المسلم .. تناكا .. إيبيه ٣٧٩
ترجمة حياة المسلم الياباني تناكا إيبيه ٣٨١
خط سير الرحلة ٣٨٢
جُدَّة بعدسة الياباني المسلم تناكا ايبيه ٣٨٦
الوصول إلى مكة المكرمة ٣٨٧
محمد شفيق أفندي مصطفى ٣٨٩
ترجمة مختصرة للرحالة محمد شفيق ٣٩٠
خط سير رحلة محمد شفيق مصطفى ٣٩٣
جُدَّة بعدسة ذاكرة الرحالة محمد شفيق مصطفى ٣٩٤
محمد أسد ٣٩٧
ترجمة حياة محمد أسد ٣٩٧
رحلاته ٣٩٩
المملكة العربية السعودية ٤٠٣
زواجه ٤٠٥
وفاته ٤٠٦
إنجازاته ومؤلفاته ٤٠٦
خط سير رحلة محمد أسد ٤٠٨
جُدَّة بعدسة ذاكرة محمد أسد ٤٠٩
شكيب أرسلان ٤١٣
ترجمة حياة أمير البيان شكيب أرسلان ٤١٤

فهرس الموضوعات

الموضـوع **رقم الصفحة**

رحلة شكيب أرسلان ٤١٥
مسار رحلة شكيب أرسلان ٤١٨
شكيب أرسلان يصف بحر جُدَّة وبرها ٤١٩
لقاء أرسلان بجلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله ٤٢٠
غلام رسول مهر **٤٢٣**
ترجمة غلام رسول مهر ٤٢٣
عمله في الصحافة ٤٢٥
مؤلفاته ٤٢٥
أسفاره ورحلاته ٤٢٦
رحلة حج غلام رسول مهر ٤٢٦
البداية ٤٢٦
الوصول إلى جُدَّة ٤٢٧
ميناء جُدَّة ٤٢٧
العودة إلى جُدَّة ٤٢٩
مصطفى محمد الراعي **٤٣١**
خط سير الرحلة ٤٣١
ميقات الإحرام ٤٣٣
الوصول إلى جُدَّة ٤٣٤
جُدَّة وميناؤها بعدسة ذاكرة الراعي ٤٣٤
استقبالهم من قبل المطوف والوكيل في ميناء جُدَّة ٤٣٥
جُدَّة بعدسة ذاكرة الراعي ٤٣٥
طرقات جُدَّة قديماً ٤٣٦
المياة في جُدَّة ٤٣٦
السفر إلى مكة المكرمة ٤٣٧
العودة إلى جُدَّة ٤٣٧

فهرس الموضوعات

الموضـوع **رقم الصفحة**

العودة من المدينة المنورة إلى جُدَّة ٤٣٨
الكاتب إبراهيم المازني ٤٤١
ترجمة إبراهيم عبدالقادر المازني ٤٤١
جُدَّة بعدسة ذاكرة المازني ٤٤٣
النبيلة الأسكتلندية المسلمة إفلين زينب كوبلد ٤٤٧
ترجمة إفلين كوبولد ٤٤٨
جُدَّة بعدسة ذاكرة النبيلة الإنجليزية المسلمة الحاجة زينب إفلين كوبلد أول بريطانية مسلمة تزورها ٤٥١
خط سير رحلة الليدي كوبولد إلى الديار المقدسة ٤٥٣
الدكتور عبدالغني شهبندر ٤٦٣
ترجمة كاتب الرحلة (عبدالغني شهبندر) ٤٦٣
رحلة حج نادرة في أوائل القرن العشرين ٤٦٤
حسن معاملة السلطات السعودية للحجاج ٤٦٦
جُدَّة وميناءها بعدسة ذاكرة الرحالة الدكتور عبدالغني شهبندر ٤٦٦
الشيخ محمود ياسين ٤٧١
خط سير رحلة الشيخ محمود ياسين ٤٧١
جُدَّة بعدسة ذاكرة الشيخ محمود ياسين ٤٧٣
السفر من مكة إلى المدينة عن طريق جُدَّة ٤٧٤
إيجيرو ناكانو ٤٧٩
محمد لطفي جمعة ٤٨٩
ترجمة حياة محمد لطفي جمعة ٤٨٩
خط سير رحلة محمد لطفي جمعة ٤٩٢
معالم جُدَّة ٤٩٣
جُدَّة بعدسة ذاكرة محمد لطفي جمعة ٤٩٤
أسواق جُدَّة ٤٩٥

فهرس الموضوعات

الموضـوع **رقم الصفحة**

بيت الأفندي نصيف ٤٩٦
العملات المستخدمة في جُدَّة زمن زيارة جمعة لها ٤٩٦
الخدمات الفندقية بجُدَّة عام ١٩٤٠م ٤٩٧
مقبرة أمنا حواء ٤٩٧
السفر إلى مكة المكرمة ٤٩٨
جورج بيلينكن ٤٩٩
ترجمة حياة جورج بيلنكين ٥٠٠
خط سير رحلة بيلنكين ٥٠٠
جُدَّة بعدسة ذاكرة جورج بيلينكن ٥٠٣
مسعود عالم الندوي ٥٠٩
خط سير رحلة الندوي ٥١١
الرحالة مسعود عالم الندوي يعود إلى دارة آل نصيف بجُدَّة ٥١٧
جُدَّة بعدسة ذاكرة مسعود عالم الندوي ٥١٨
هاري سانت جون بريدجر فيلبي ٥٢١
بدأ سير الرحلة ٥٢٥
خط سير الرحلة ٥٢٦
جُدَّة بعدسة ذاكرة فيليب ليبنز ٥٣١
محمد المنصوري الغسيري ٥٣٥
الغسيري في الأراضي المقدسة ٥٣٨
جُدَّة بعدسة ذاكرة الرحالة محمد المنصوري الغسيري ٥٣٨
سعيدة سونيا ميلر خليفة ٥٤٥
السيدة ميلر تقارن بين رحلتها ورحلات الرحالة الأوربيين قبلها ٥٤٨
جُدَّة بعدسة ذاكرة السيدة سونيا ميلر ٥٤٩
الرحلة من جُدَّة إلى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة ٥٥١
السفر إلى المدينة المنورة ٥٥١

فهرس الموضوعات

الموضـوع **رقم الصفحة**

العودة إلى جُدَّة ٥٥٣
الدكتور مراد ويلفريد هوفمان ٥٥٥
ترجمة حياة الدكتور مراد هوفمان ٥٥٦
إسلامه ٥٥٧
وفاته ٥٥٧
خط سير رحلة الدكتور مراد هوفمان ٥٥٨
جُدَّة بعدسة الدكتور مراد هوفمان ٥٥٩
فهرس المصادر ٥٦١
فهرس الصور والوثائق والخرائط ٥٨٤
فهرس الأعلام ٥٩١
فهرس الأماكن ٦٢٣
فهرس الموضوعات ٦٧٥